المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية

تأليف

حسن قاسم

تصدير

الشيخ علي جمعة

تقديم

مصطفى الفقي

اللجنة العلمية

خالد عزب

محمد الجمل

الجزء الثاني

تحقيق

حسام عبد الباسط

مراجعة

محمد أبو العمايم

مكتبة الإسكندرية

٢٠١٧

المزارات الإسلامية والآثار العربية
في مصر والقاهرة المعزية

الجزء الثاني

المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

قاسم، حسن.

المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر و القاهرة المعزية / تأليف حسن قاسم ؛ تصدير علي جمعة ؛ تقديم مصطفى الفقي ؛ اللجنة العلمية خالد عزب، محمد الجمل ؛ مراجعة محمد أبو العمايم. - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز دراسات الحضارة الإسلامية، ٢٠١٧.

مجلدات ؛ سم. (سلسلة دراسات في الحضارة الإسلامية)

تدمك ٢-٤٣٢-٤٥٢-٩٧٧-٩٧٨

المجلد ١. مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٢. المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٣. مدارس القاهرة ودور العلم ومزارات القرنين السابع والثامن الهجريين / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٤. المزارات الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ومزارات جنوب وشرق القاهرة / تحقيق حسام عبد الباسط، محمود عبد الباسط -- المجلد ٥. المزارات الإسلامية من القرن العاشر إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجري وضرائح العظماء والصلحاء / تحقيق شيماء السايح -- المجلد ٦. الخطط الرئيسية لمدينتي القاهرة والفسطاط والمذكرات والنصوص التاريخية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٧. مشاهد الأشراف والمساجد النسوية والحديثة المستجدة / تحقيق مجدي علوان -- المجلد ٨. الملاحق.

١. العمارة الإسلامية -- مصر. ٢. الحضارة الإسلامية -- مصر. أ. جمعة، علي، ١٩٥٢- ب. الفقي، مصطفى، ١٩٤٤- ج. عزب، خالد، ١٩٦٦- د. الجمل، محمد عبد المنعم. هـ. أبو العمايم، محمد. و. مركز دراسات الحضارة الإسلامية. ز. العنوان

ديوي ٧٢٠,٩٦٢ ٢٠١٧٨٤٣٤٩٩

ISBN: 978-977-452-432-2
رقم الإيداع : 13493/ 2017

المحتويات

المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري

المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري

جامع عمرو بالفسطاط

أثر رقم ٣١٩ (سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م)

للوصول إلى هذا المسجد[١] طرق ميسرة، أقربها من محطة باب اللوق[٢]، فيستقل الزائر القطار إلى محطة الفسطاط «ماري جرجس» ومنها يجتاز شمالًا فشرقًا، حتى يصل إلى المسجد، إذا وصلت إلى مدينة الفسطاط وجدت بين كيمانها وأكواخها «مسجد عمرو»، ذلك المسجد الجامع الذي تطاول بنيانه على هذه المدينة فأكسبها جمالًا وبهجة والذي ظل زهاء العشرة قرون مثابة لألوف من الناس ومطافًا للعلماء من كل حدب وصوب وكعبة يحج إليها طلاب العلم ورواد الشرق.

والمسجد بوصفه القائم اليوم يدخل إليه من ثلاثة أبواب غربية يعلو الباب الأول منها مئذنة عثمانية الطراز، ويلفت النظر في المسجد إيوانه الشرقي، وهو مؤلف من خمسة أروقة، بكل رواق ثلاثة وعشرون أسطوانة من الرخام، وبصدر الإيوان محرابان، يكتنف كل محراب منها عمودان من الرخام، وفي الزاوية الشرقية من هذا الإيوان ضريح عبد الله ابن عمرو، داخل مقصورة تعلوها قبة من الجص، مرتكزة من حديها الشمالي والشرقي على جدار زاوية المسجد وفي الحد الغربي إلى الجنوب على أربع أسطوانات من الرخام، وفي غرب المقصورة محراب قائم بذاته منسوب إلى السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور رضي الله تعالى عنهما المتوفاة سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، كانت تغشاه أيام إقامتها بالفسطاط[٣].

(١) يقع مسجد عمرو بن العاص في مربع رقم ١٤٦-١ من خريطة الآثار الإسلامية، أصدرتها مصلحة المساحة سنة (١٩٥١م)، وألحقت بها فهرسًا كمفتاح لها، وقد لاحظنا فيها أن تواريخ المنشآت الأثرية في جل ما تناولته الخريطة وضع تخمينًا أو احتمالًا، ونحن في تأريخنا لهذه المنشآت نعتمد على النصوص التاريخية الموجودة بالأثر وعلى الوثائق الوقفية لهذه المنشآت. (المؤلف)

(٢) عندما كان الوصول لجامع عمرو عن طريق قطار حلوان؛ حيث كانت المحطة الرئيسية بآخر شارع منصور عند التقائه بميدان الفلكي بباب اللوق، ثم نقلت جنوبًا عند تقاطع شارع محمد محمود باشا، ثم أزيلت بالكلية في عهد الرئيس السادات من أجل تنفيذ مشروع مترو الأنفاق بدلا من خط قطار حلوان، وافتتح في سنة (١٩٨٧م). (المراجع)

(٣) عن تاريخ ومراحل بناء جامع عمرو بن العاص، انظر: إبراهيم بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، مج. ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [-١٩٤، ١٩٨])؛ ٥٩-٧١؛ محمود أحمد، **جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية** (القاهرة، ١٩٣٨)؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١ (القاهرة، ١٩٤٦): ٢٣-٣١؛ أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها: المدخل** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٣٦): ٦٧-١٠٠؛ Eustace K. Corbett, "The History of the Mosque of Amr at Old Cairo", *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (October 1890): 759-800; K.A.C. Creswell, "La mosquée Amrû", *BIFAO* 32 (1932): 121-166; K.A.C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, vol. I (Oxford, 1932): 28-29, 171-219; Doris Behrens-Abouseif, *Islamic Architecture in Cairo: An Introduction* (New York: Leiden, 1989): 47-50.

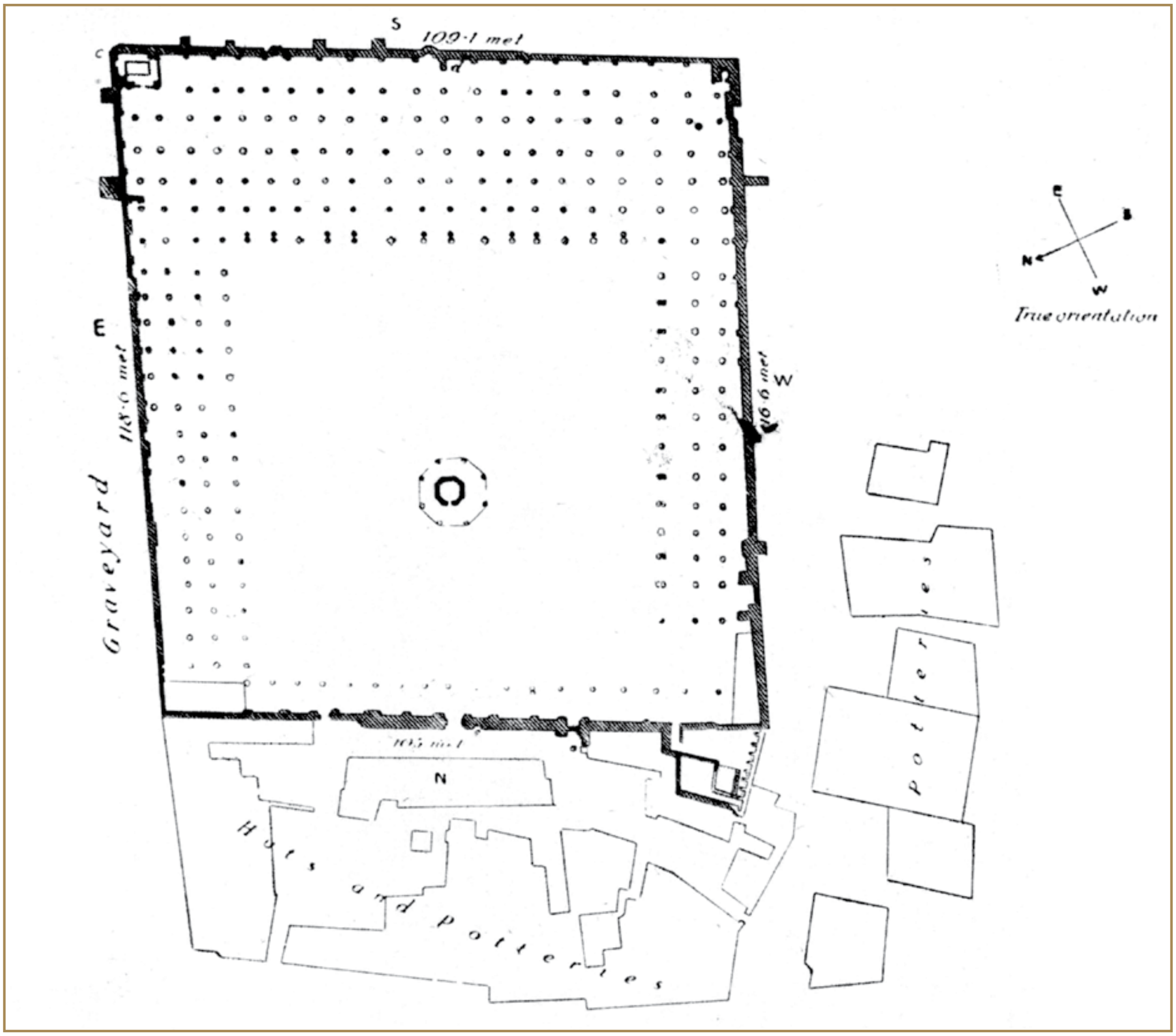


منظر عام، جامع عمرو بن العاص «عن مساجد مصر»

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الإيوان المئذنة الثانية، وهي كالأولى يصعد فيها بسلم حلزوني الشكل يدور حول عمود من الصوان الأزرق، وفي صحن الجامع حجرة مثمنة البناء يحيط بها إفريز من البلاط، وبداخلها بئر في جوارها حوض ماء تظهر فيه آثار صنابير حنفيات المياه التي كانت يتوضأ منها المصلون قديمًا، ويعلو هذه الحجرة كوات معقودة من الخشب المنجور الخرط، وسقفها مرتكز على ثماني أسطوانات من الرخام يعلوها قبة، وبالإيوان الغربي رواق به إحدى وعشرون أسطوانة، وبالإيوان القبلي المحاذي للباب الغربي المجاور لدار الوضوء الحديثة عمودان أحاطتهما الحكومة بسياج من الحديد، كما أحاطت العمود الذي يقابل المنبر بالإيوان الشرقي بمشبك من الحديد، وذلك للقضاء على عادة كان يعتادها العامة في هذه الأعمدة الثلاثة[(١)].

---

(١) كان الناس يزعمون أنه لا يمكن المرور بين هذين العمودين إلا لطاهر من دنس الذنوب والخطايا، ويقصدونها بالمرور بينهما ليختبر الإنسان حاله، ويزدحمون عليهما بعد صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان ازدحامًا شديدًا، ويقولون من يسلك بينهما السمين الجسيم ويتخلف النحيف بحسب قلة الذنوب وكثرتها، وأمام المنبر من الجهة اليسرى عمود من الرخام يضربه الناس بالنعال والعصي بعد فراغهم من الصلاة، لزعمهم أنه عصى عن الحضور مع الأعمدة التي أحضرت لبناء الجامع زمن الفتح، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ط. ٢، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠): ٢٧.



مسقط أفقي، جامع عمرو بن العاص «عن مساجد مصر»

وتبلغ مساحة جامع عمرو أربعة عشر ألفًا وأربعمائة مترٍ مربعٍ ومبانيه جميعه من الطوب الأحمر خلا بعض أجزاء منه بالحجر، والمسجد حاليًا ليس فيه من آثاره الأولى غير بقايا تبدأ منذ ســنة (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) من العصر الفاطمي تظهر في أروقته وعمده وأخشابه[١]، وبعض من كواته وقواعد منارتيه، ثم فيــه بقايا أخرى من عهد الملك الناصر صلاح الدين من

(١) أمر الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الحجر المقابل للمحراب سنة (٤٣٨هـ/ ١٠٤١م) وبالزيادة في المقصورة في شرق الجامع وغربه، حتى اتصلت بالحذائين من جانبيها، = ونقش اسمه بالفضة في صدر المحراب الكبير، وجعل لعمودي المحراب أطواقًا من فضة، وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد ابن عبدون، وبقيت هذه المنطقة الفضة إلى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب، فقلعها منه في ربيع الأول من سنة (٥٦٧-٥٦٨هـ/ ١١٧١- ١١٧٢م)، انظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٤، ج. ١ (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٣):٢١-٢٢.

سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، والملك الناصر محمد بن قلاوون من سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، وهذه أهمها محراب الملك الناصر محمد القائم بزاوية السادة المالكية بالرواق الغربي المنظور خارج المسجد، ثم شبابيك جصية مزخرفة جنوب وشمال المسجد، وأبواب ظهرت في الجانب الشمالي والشرقي[١]، إلى جانب آثار المرحوم أمير اللواء مراد بك محمد، وهي ظاهرة في منارتيه وأبوابه الغربية[٢]، ويغلب القول عند علماء الآثار الإسلامية أن بالمسجد بقايا من آثار الخلافة العباسية يرجع عهدها إلى عصر عبد الله بن طاهر أي إلى سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، بيد أن ما فيه من آثار الفاطميين أكثر مما فيه من آثار العباسيين[٣].

تاريخ إنشاء مسجد عمرو

كان موضع جامع الفسطاط قبل الفتح الإسلامي لمصر، حدائق وجنانًا ثم تحولت إلى أرض وأنشاب وكانت تشرف على النيل قبل انحسار زيادته، وأقطعها عمرو بن العاص بعد الفتح إلى قيسبة بن كلثوم التجيبي، فبنى على بعضها دارًا لسكناه، فلما رغب المسلمون في بناء المسجد الجامع بعد استيلائهم على مدينة الفسطاط، اختاروا له هذه البقعة من الأرض، فتنازل عنها قيسبة وجعلها وقفًا على المسجد الجامع[٤]، ولما شرع المسلمون في بناء المسجد جعلوا طوله خمسين ذراعًا في عرض ثلاثين، وأخلوه من جميع جوانبه الأربعة لتوفير النور والهواء فيه، ووقع الفراغ من بنائه في يوم الثلاثاء ٢٣ من المحرم سنة (٢١هـ)/ أول يناير سنة (٦٤٢م)، ثم ظهر المسجد بعد إعادة بنائه واتساع مساحته وبما أدخل عليه من تجديدات وتحسين إلى الشكل الذي نراه عليه الآن مما أسلفنا وصفه، وقد كان ظهور مسطح المسجد الجامع إبان ظهوره كما تقدم القول «٥٠ ذراعًا طولاً في ٣٠» وبلغت هذه الزيادة إلى «١٩٠ ذراعًا طولاً في ١٥٠ عرضًا»[٥].

زيادة مسلمة: فزاد فيه مسلمة بن مخلد والي مصر في عهد معاوية بن أبي سفيان في سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م)، زيادة كبيرة وجدد مآذنه وتناهى في زخرفته.

زيادة عبد العزيز بن مروان: وفي سنة (٧٩هـ/ ٦٩٨م) جدده عبد العزيز بن مروان حاكم مصر في عهد أخيه الوليد، فزاد في ناحيته الغربية وأدخل فيه رحبة مسلمة من الجهة البحرية.

عمارة عبد الله بن عبد الملك: وفي سنة (٨٩هـ/ ٧٠٧م) أصلح عبد الله بن عبد الملك والي مصر من قبل أخيه الوليد سقف المسجد وزاد في جوانبه.

عمارة قرة بن شريك: وفي سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م)، أعاد تجديده الأمير قرة بن شريك العبسي، والي مصر في عهد

---

(١) تولى الأمير سلار عمارة مسجد عمرو بن العاص بعد زلزال (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، بمعرفة كاتبه بدر الدين بن خطاب، فهدم الحد البحري من سلم السطح إلى باب الزيادة البحرية والشرقية، وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية، وجرد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره، انظر: المرجع السابق: ٢٦.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مج. ٣، مكتبة الأسرة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٢٧٤.

(٣) هناك بقايا معمارية وزخرفية خشبية من العصر العباسي فترة الانتقال متمثلة في قطاعات من الجدران الخارجية، وبقايا عقود وشبابيك وحنيات تعود إلى عمارة عبد الله بن طاهر في سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، انظر: زكي محمد حسن، **أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية** (القاهرة، ١٩٥٦).

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٠؛ مج. ٤، ج. ١: ٨، ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٦١- ٦٢.

(٥) المرجع السابق: ٦٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٠-١٣.

الوليد بن عبد الملك، فوسعه من الجهة القبلية والشرقية، وأدخل فيه جزءًا من داري عمرو بن العاص وابنه عبد الله وأحدث به منبرًا جديدًا ومحرابًا ومقصورة ونمق بعض أساطينه.

تجديد صالح بن علي: وفي سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) تولى على مصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو أول أمير لمصر في عهد الدولة العباسية، من قبل أخيه أبي العباس محمد بن علي، فزاد في جناحه الغربي أربع أساطين، وجدد إيوان المحراب وأحدث به بابًا جديدًا من ناحيته الشرقية وأصلح مقدم الباب القبلي.

زيادة موسى بن عيسى: وفي سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م) زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي، أمير مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد زيادة شملت جزءًا من ناحيته البحرية.

زيادة عبد الله بن طاهر: وفي سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) تولى على مصر عبد الله بن طاهر في عهد الخليفة المأمون فأمر بتوسيع المسجد والزيادة فيه، فشرع في ذلك ولكنه لم يتم في عهده، فتم في عهد عيسى بن يزيد الجلودي الذي تولى بعده، وأصبحت مساحة الجامع في ذلك الوقت تقدر بمائة وتسعين ذراعًا طولاً في مائة وخمسين عرضًا.

زيادة الحارث بن مسكين: وفي سنة (٢٣٧هـ/ ٨٥١م) أمر الحارث بن مسكين قاضي مصر في عهد المتوكل ببناء رحبة في الجهة البحرية من المسجد وحول سلم المؤذنين إلى الجهة الغربية من المسجد وقوى سقف المسجد وأحدث رحبة أخرى بجوار دار الضرب وبنى سقاية ماء.

زيادة ابن شجاع: وفي سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) أحدث به أحمد بن محمد بن شجاع، من موظفي ديوان الخراج في مصر في عهد أحمد بن طولون، مراوح لجلب الهواء تخفيفًا لوطأة الحر على المصلين، وزاد في بعض رحباته وأدخل فيه جزءًا من بعض الدور التي كانت ملاصقة له.

عمارة خمارويه: وفي سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) حدث حريق فأتلف جزءًا منه، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون، بتجديد ما أتلفه الحريق وتنميق أساطينه.

وفي سنة (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) أحدث القاضي **عمر بن حسن العباسي**، قاضي مصر في العهد الإخشيدي، غرفة للمؤذنين بسطح الجامع.

زيادة الخازن: وفي سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) أحدث به أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن، رواقًا كاملاً بمحراب ومنافع ومات قبل إتمامه ، فأتمه ابنه علي بن الخازن.

زيادة ابن كلس: وفي سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) أحدث فيه الوزير يعقوب بن كلس، أول وزراء الدولة الفاطمية، بأمر العزيز بالله الفاطمي، فوارة ماء وصَفَّا به أزيار من رخام لسقي الماء، وأحدث به منبرًا مكسوًّا بصفائح الذهب.

عمارة برجوان: وفي سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي غلامه برجوان أن يبيض المسجد وينمقه.

عمارة الحاكم بأمر الله: وفي سنة (٤٠٣-٤٠٦هـ/١٠١٢-١٠١٥م) وجه الحاكم بأمر الله عنايته إلى هذا المسجد، فوضع فيه مجموعة كبيرة من المصاحف للقراءة فيها، وتنورًا كبير الحجم وأصلح رواقين من أروقته، وأبدل أساطينهما

الخشبية بأساطين رخامية، واستبدل المنبر العزيزي بمنبر آخر أكبر منه حجمًا وأحكم صنعة وأكثر من كسوته الذهبية وجعل له غشاء مطرزًا بخيوط الذهب، ونقل المنبر الآخر لجامع عمرو بالإسكندرية.

عمارة المستنصر: وفي سنة (٤٣٨-٤٤٥هـ/ ١٠٤٦-١٠٥٣م) زاد المستنصر الفاطمي من مقصورته فأوسعها عن ذي قبل وكسا عمودي المحراب الكبير أطواقًا من الفضة، ومنطق المحراب بها، ونمق الجدار القبلي بالذهب، وأحدث مقصورة خشبية ومحرابًا من خشب الصندل.

وفي هذا التاريخ جدد أحمد بن محمد بن زكريا قاضي مصر غرفة المؤذنين بسطح المسجد، وفيه بنيت مئذنة بين مئذنة عرفة والمئذنة الرئيسية للمسجد.

عمارة الأفضل: وفي سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م) أمر الأفضل شاهنشاه وزير المملكة المصرية في العهد الفاطمي، بتجديد بناء المئذنة الكبيرة ومئذنة أخرى.

عمارة صلاح الدين: وفي سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) أمر الملك صلاح الدين أول ملوك الدولة الأيوبية في مصر بتجديد ما أتلفه الحريق الذي وقع بالفسطاط عمدًا في سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)؛ فجدد قبلة المسجد وطلاه جميعه، وأصلح رخامه وأساطينه وعمر منظرة بأسفل المئذنة الكبيرة وألحق بها سقاية ماء، وأحدث بها قصبة، وجدد غرفة المنجانة الكبيرة (الساعة)، وأصلح آلات التوقيت، وجدد المحراب الكبير، وكتب عليه مذكرة تاريخية قرأها خالد بن عيسى البلوي الذي قدم إلى مصر في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وله رحلة مشهورة برحلة البلوي موجودة بخط اليد بالمكتبة الزيتونية بتونس ونصها[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر النصر والفتح المبين لسيدنا ومولانا الإمام المستنصر بنور الله أبي محمد الحسن أمير المؤمنين أمر بتجديده الملك الزاهر الناصر المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف وفقه الله لطاعته في سنة ثمان وستين وخمس مائة.

عمارة القاضي تاج الدين: ومن سنة (٦٥٩-٦٦١هـ/ ١٢٦٠- ١٢٦٢م) رسم القاضي تاج الدين عبدالوهاب ابن بنت الأعز وزير الأوقاف الخيرية، بتجديد وتقوية ما تشعث من مؤخره ومن سوره البحري، وبإزالة الغرف الكثيرة التي كانت قد أحدثت بسطح المسجد في أوقات مختلفة؛ وإبطال النافورة والزيادة في بعض أساطينه، وقامت الوزارة بنفقات هذه العمارة.

عمارة بيبرس الأول ملك مصر: وفي سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) أمر الملك الظاهر بيبرس الأول ملك مصر، بالتماس رفع إليه من وزير الأوقاف المذكور، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا وزير المملكة المصرية بتجديد الجامع فشمل هذا التجديد الجناح البحري، وزيد في بعض أساطينه وجددت رواسمه وقواصره.

عمارة المنصور قلاوون: وفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) أصدر السلطان الملك المنصور قلاوون أمرًا بالتماس

---

(١) خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، مج. ١ (الرباط: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٠): ٥١.

من ابن هذا الوزير، بتكملة العمارة السابقة، وكلف لهذا الغرض الأمير عز الدين الأفرم فجدد منه غرفة المنجانة وبعض عمده وميضأته.

عمارة الأمير سلار نائب السلطنة المصرية: وفي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) وقعت زلزلة عظيمة هدت أركان المسجد وقوضت بعض حدوده وفصمت عمده عن بعضها، فرسم الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة بالمملكة المصرية في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ناموسه الخاص بدر الدين بن خطاب بإصلاح ما أتلفه الزلزال، فجدد ذلك وزاد في أبوابه وأساطينه وأصلح جناحه البحري وطلاه جميعه وجدد محرابه وشرفاته.

عمارة الصاحب تاج الدين: وفي سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) أحدث به الصاحب تاج الدين بن حنا وزير المملكة المصرية، سقاية ماء ودورة مياه.

عمارة البالسي: وفي حوالي سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) أحدث محمد بن مسلم بن عبد الله البالسي- المتوفى في شوال من هذه السنة- مطهرة كبيرة إلى جوار الجامع، وفي هذه السنة نفسها أحدث الوزير تاج الدين عبد الوهاب سقاية ماء.

عمارة برهان الدين: وفي سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) جدد إبراهيم بن عمر بن علي المحلي رئيس تجار الفسطاط- المتوفى في ربيع الأول سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)- قبلة المسجد وروسمه الأخضر وأساطينه وسقفه وطلاه جميعه.

عمارة الحافظ ابن حجر: وفي سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م) في عهد السلطان الظاهر محمد «أبو سعيد جقمق» كان الحافظ ابن حجر العسقلاني يتولى الإمامة والخطابة بهذا المسجد بمرتب قدره ١٦٠٠ قرش، وكان الناظر على هذا المسجد الأمير فيروز الركني الذي كان خازندار السلطان، فبدا منه في حق الإمام والخطيب وقومة المسجد وسدنته ما حمل الحافظ ابن حجر لأن يلتمس من السلطان إقالته من النظر على أوقاف المسجد، فأجاب السلطان طلبه، فأقاله وعين مكانه الحافظ ابن حجر نفسه رغبة منه في ذلك، يقول السخاوي في التبر المسبوك: «فأجيب ولبس خلعة النظر لذلك في يوم الخميس خامس الشهر الذي يليه شهر جمادى الأولى سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)، ونزل إلى مصر في جمع عظيم من القضاة وغيرهم وكان يومًا مشهودًا»... إلى آخر ما ذكره «انظر المصدر المشار إليه».

«فلما استقر الحافظ ابن حجر في نظارة المسجد، باشره (كما يقول السخاوي) مباشرة حسنة من عمارة وبياض وجلاء وصرف لجميع المقررين فيه وجعل معلوم النظر ألفًا، واستمر حتى الآن»[1].

تجديد محمد علي باشا: وفي سنة (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م) أمر مؤسس الدولة العلوية بمصر، محمد علي باشا بإصلاح المسجد وإعداده للصلاة.

تجديد الخديوي عباس الثاني: وفي سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، ووزارة محمد باشا زكي للأوقاف، أصلح قسم الهندسة بالوزارة؛ سقف المسجد وطلاه وعَبَّدَه وقد شمل هذا الإصلاح الإيوان الشرقي.

(١) محمد عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢): ٢٠٧-٢٠٨.

وفي سنة (١٣٢٣-١٣٢٤هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٦م) أجريت حفريات بهذا الجامع للكشف عما يكون من آثاره مطموسًا للاهتداء به في تجديد بنائه، وقد كشفت هذه الحفريات عن بعض أجزاء منه.

وفي سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) أذيع مشروع تجديد جامع عمرو بصورة عامة للاكتتاب فيه، ثم حالت دون ذلك موانع.

تجديد الملك فؤاد الأول: وفي سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) في عهد المغفور له الملك فؤاد الأول؛ أصلح إيوان المحراب وقويت جدران بعض أجزاء المسجد، وأظهر الكشف أبواب المسجد الشرقية وأبواب الجناح الغربي وبعض شرفاته القديمة وباب حجرة الخطيب ومرافق أخرى.

مشروع تجديد جامع عمرو

ولا زال مشروع تجديد جامع عمرو مطمح الأنظار، فكلما سنحت فرصة لإحياء هذه الفكرة تنطلق الألسنة بالمطالبة بها وتتجه الرغبة إليها اتجاهًا جديًّا، وآخر ما علمناه من ذلك تبادل الرأي عن هذا المشروع بين لجنة الأوقاف ومجلس النواب.

فقد قامت هذه اللجنة بوضع تقرير عن ميزانية الوزارة لسنة (٤٠-١٩٤١م)، وكان ما أشارت إليه في تقريرها اتجاه الرغبة إلى تجديد جامع عمرو وتشييده على طراز عربي، يكون في فخامته وجماله مظهرًا حسنًا لعناية الأمة وتكريمها لأول مسجد أسس في عاصمة البلاد، ثم قالت: «إنها ترى أن مثل هذا العمل مما لا يمكن أن تنهض بعبئه وزارة الأوقاف وحدها، بل يجب أن تتعاون الحكومة والأمة معًا في تكاليفه، فليس مثل هذا العمل القومي العظيم بالصورة المقترحة مما يدخل النهوض به في دائرة واجبات وزارة الأوقاف وحدها، لذلك تقترح اللجنة أن تساهم وزارة الأوقاف في تكاليفه بقيمة ١٠ في المائة، وأن تساهم وزارة المالية بمبلغ ٣٠ في المائة، وأن تدعى البلاد إلى هذه الاكتتابات وتنظيم طريقة جمعها في الوقت المناسب، بحيث يحتفل في العيد الألفي بوضع الحجر الأساسي له، وفيما ذكر في هذا التقرير ظاهرة جديرة بالإشارة؛ وهي أن الرغبة اتجهت إلى تجديد جامع عمرو لمناسبة قرب حلول موعد الاحتفال بالعيد الألفي للمدينة الفاطمية، فرؤي مع هذه المناسبة تجديد هذه الفكرة وبعثها من مرقدها وهي فكرة حسنة نرجو أن تحقق».

وهنا يخيل لي أن التصميم الذي وضع لهذا الجامع وروعي فيه أنه أثر فاطمي قبل كل شيء هو التصميم الذي يجب أن يكون قاعدة تتخذ في إعادة بناء هذا الجامع، إذ إن الفاطميين هم أول من وجهوا عنايتهم نحو هذا المسجد فجعلوا منه مسجدًا جامعًا لكل المحاسن والمزايا، ولم يألوا جهدًا في إظهاره بالمظهر الجدير به، وقد بقيت آثارهم به إلى اليوم، فالجامع إذا أعيد بناؤه على هذا التصميم الفاطمي تحققت الرغبة التي ترجوها اللجنة في تجديده مع هذه المناسبة.

منشئ هذا المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة (٦٢٩م)، ثم أوفده رسول الله ﷺ إلى عمان، وتولى في عهد أبي بكر قيادة الحملة التي فتحت بصرى والسواحل الشامية، ووجهه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لفتح مصر في سنة (٢٠هـ/ ٦٤١م)، وهو أول أمير تولى الحكم فيها في العهد الإسلامي؛ ثم خلفه عليها غيره.

ثم تولاها مرة ثانية في عهد معاوية، وما برح حتى توفي في يوم عيد الفطر سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م)، ودفن بجبل المقطم

من ناحية السفح، ويروى عن حرملة التجيبي صاحب الشافعي(١)، أن البقعة التي دفن فيها عقبة بن عامر فيها قبر عمرو بن العاص [انظر الخطط للمقريزي والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن ومجموعة من كتب الزيارات](٢).

وإلى ابنه عبد الله بن عمرو ينسب قبر عبد الله بن عمرو الكائن بالجهة الشرقية من المسجد لكن في غير هذه البقعة يقينًا(٣)، وفي موته بمصر ودفنه بها خلاف كبير، والمرجح أنه بمصر لاعتبارات ظاهرة(٤).

ضريح عبد الله بن عمرو

والثاوي بهذا المسجد هو أحد أجلاء الصحابة، ترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب(٥)، توفي بمصر في منتصف شهر جمادى الأولى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)، قال المقريزي: «فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان، فدفن بالدار التي كانت لأبيه الملاصقة لداره الأخرى»(٦)، وأفاد في المصدر ذاته أن دار عمرو الأولى والثانية ودار عبد الله، دخلت جميعها في زيادات المسجد التي أضيفت إليه في عصر قرة بن شريك في سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)، قال المقريزي: «وعوض ولد عمرو ما هو في أيديهم اليوم من الرباع»(٧)، وواضح مما ذكره أن هذه الدور الثلاثة كانت جميعها في الجهة الغربية الشمالية من المسجد(٨)، وأقربها إلى جهة الغرب دار عبد الله بن عمرو التي دفن فيها، وهذا يدل على أن عبد الله بن عمرو دفن في داره التي أدخلت في زيادة الجامع، ووجود ضريح له في المسجد يدل من جهة أخرى على أنه لم ينتقل من داره إلى قبر آخر، فيكون ضريح عبد الله بن عمرو بالمسجد تحقيقًا، بيد أنه ليس في موضعه الحالي(٩).

(١) حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي: ولد سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م)، ومات سنة (٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، وهو أحد أئمة العلم وحفاظ الحديث روى عنه مسلم وابن ماجه،ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة كما ترجم لجده حرملة بن عمران، انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق خليل المنصور، مج. ١(القاهرة: دار إحياء الكتب، [١٩٦٧]): ٢٧٢، ٣٠٧.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤،ج. ٢: ٨٤٦- ٨٤٨؛ السيوطي،**حسن المحاضرة**، مج. ١: ١٣٨؛ محمد بن أحمد بن علي ابن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ١، ج. ١، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ١٠٨- ١٠٩.

(٣) علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، تحقيق حسن قاسم (القاهرة: مطبعة العلوم والآداب، ١٩٣٧): ١٤٩-١٥٠.

(٤) عن سيرة عمرو بن العاص، انظر: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق علي محمد عوض، مج. ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.): ٢٣٢؛ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج. ٥ (بيروت: دارالكتب العلمية، د.ت.): ٢-٣.

(٥) اضطربت أقوال فريق من المؤرخين في تاريخ وفاة عبد الله ابن عمرو هذا، وفي مكان وفاته، وهذا الاضطراب لا ينفي أنه مات بمصر، ودفن بداره فيها، وقد رد عليهم ابن عبد البر هذا الخلاف. (المؤلف)

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٩.

(٧) «وعوضوا بدلاً منها الرباع الموجودة الآن في زقاق مليح في النحاسين والعداسين»، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج.: ٦٤؛ **المقريزي**، مج. ٤، ج٢: ١٦.

(٨) يذكر ابن دقماق أن زيادة قرة بن شريك كانت من الجانب الشرقي والقبلي، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٦٤.

(٩) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب، وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، تحقيق حسن قاسم (القاهرة: مطبعة العلوم والآداب، ١٩٣٧): ١٤٩- ١٥٠.

وعبــد الله بن عمرو المذكور هو أول من عُني بتدوين الحديث جمعًا وتصنيفًا، وكانت له حلقة في المســجد يدرّس بها لعدد كبير من طلبة العلم الحديث متنًا وشرحًا، وحلقة أخرى كان يعلــم فيها الطلبــة اللغة السريانيــة؛ إذ كان عبد الله بن عمــرو يحذق هذه اللغة قراءة وكتابة، وفي هذه الجامعة العمرية وضع عبد الله بن عمرو كتابه في الحديث وفيه ما سمعه من رســول الله ﷺ لــم من الأحاديث وسماه «الصادقــة»، وكتابه الآخر أقضية الرســول، وكتابه أشراط الساعة، وكان إذا انتهى من دروسه في المسجد، يتابع دراسته للعلم في حلقات خاصة بداره، وكان يسميها دار البركة، وقد حمل عنه أهل مصر علومًا جمة.

المسجد العمري أول جامعة علمية في مصر الإسلامية

وقد كان هذا المســجد الجامع نواة حركة عالمية كبرى تبوأت مركزًا ســاميًا لا زال صداه يــتردد في أنحاء العالم[(١)]، فقد استطاع المسلمون أن يجعلوا منه جامعة علمية كبرى ومعهدًا يدرس فيه العلوم بشــقيها، للرجــال فيه نصيب وللنســاء فيه نصيــب، فكان يدرس فيه التفســير والفقه والحديث، إلى جانب ما يدرس فيه من مواد التاريخ والطب والرياضة والفلك والميقات، وغير ذلك من العلوم الكونية وقد حصر التاريخ لنا عددًا كبيرًا ممن تخرج من هذه الجامعة العمرية الأولى وما كان لها من نهضة علمية.

ولمــا قدم الإمام محمد بن إدريس الشــافعي إلى مصر، ورأى فيها نضوج هذه النهضة العلمية وما بلغته من شأو، عدل عن آرائه الأولى، ووضع كتبه الحديثة واتخذ له في هذه الجامعة زاوية منها كانت هي أول مدرســة لتدريس الفقه الشافعي في مصر على المذهب الجديد الذي ارتضاه الشافعي، بعد أن رأى ما هاله من النهوض بهذا المنحى العلمي الناضج؛ فظلت جامعة عمرو في مصر الإســلامية غنية بهذا التراث أحقابًا طويلة، فلمــا انقضت أولى مراحــل هذه الجامعة وأقبلت المرحلة الثانية، ظهر فقهــاء الأمصار، فتعلق بهم الناس واعتنقوا مذاهب الفقهــاء حقبة طويلة؛ ثم قضت أسباب بانقراض البعض من هذه المذاهب، وانتشار البعض الآخر منها، وهي الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي.

وكان أول مــن أدخــل المذهب الحنفي هــو القاضي إســماعيل بن اليســع الكوفي؛ رحل مــن العراق إلى مصر واتخذ من جامعتها الإســلامية الأولى مدرسة لتدريس فقه الإمام الأعظم، وحذا حــذوه عبد الرحيم بن خالد الجمحي وعبد الرحمن بن القاســم، ثم مالك بن سعد الفارقي، حتى بلغت النهضة العلمية في الجامع مبلغًا عاليًا، وزادت حلقات التدريس فيه إلى ســبعمائة حلقة، وأربى عدد الطلاب فيه على الثمانيــة آلاف، منهم أكثر من ألفي طالب ومتعلم من الأقطار الإسلامية[(٢)].

---

(١) المسجد اسم والجامع صفة- والتفريق بينهما من المشتغلين بدراسة الآثار الإسلامية من المعاصرين وغيرهم قول داحض، فالمسجد كما يقول العلامة محمود شكري الألوسي (١٢٧٣-١٣٤٢هـ/ ١٨٥٦-١٩٢٣م) في كتابه «تاريخ مساجد بغداد وآثارها» طبعة بغداد سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، والذي هذبه السيد محمد بهجت الأثري في صفحة ٥ : «المسجد هو كل موضع يتعبد فيه، ومنه قول حضرة النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا - وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/١١٤] لمسجد أسس على التقوى، وأما الجامع فهو يكون نعتًا للمسجد؛ لأنه علامة للاجتماع، وقد درج المسلمون على هذه التسمية على أنها اسم وصفة لا على أنها غير ذلك». (المؤلف)

(٢) كانت المساجد منارات للعلم، وهذا ينطبق على ما ذكره المؤرخون عن جامع عمرو بن العاص كجامعة، فقد وصل عدد الزوايا للعلم به إلى مائة وإحدى عشرة زاوية «حلقة علم» على المذهب السني زمن الخلافة الفاطمية نفسها، انظر: =

أما الوعظ في الجامعة العمرية فكان بالغًا فيها مبلغ الكمال؛ ذلك لأن الوعظ درس عام يجتمع فيه من الناس طبقات مختلفة، والناس أحوج ما يكونون إلى من يقوم اعوجاجهم، ويصلح لهم أمور دينهم ودنياهم؛ لهذا كان لا يولِيَ الوعظ إلا من كان على مكنة من العلم والمعرفة، حتى يكون لوعظه بالغ التأثير في النفوس. ومن أشهر علماء الوعظ في الجامع القاضي سليمان بن عنز، ثم الليث بن سعد وعبد الرحمن بن حجيرة، وتوبة بن نمر الحضرمي وغير هؤلاء؛ ومن واعظات النساء السيدة نفيسة بنت الحسن، وفاطمة بنت عفاف، وفاطمة بنت أبي بكر الخواص، وعائشة بنت غلبون وغيرهن من النسوة اللاتي كن من واعظات الرعيل الأول في هذه الجامعة العظمى[١].

المذكرات التاريخية بالمسجد

لا يوجد بالمسجد من المذكرات التاريخية الأولى سوى مذكرات المرحوم مراد بك محمد مجدد المسجد أخيرًا، وذكر المقريزي أنه كان يوجد بالمسجد نص تاريخي لتجديد الناصر صلاح الدين للمسجد وفي هذا الصدد يقول: «فلما استبد صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمائة، وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه»[٢].

ووجدنا هذا النص في رحلة خالد بن عيسى البلوي وأنها كانت بأعلى المحراب الكبير ونصها:

البسملة، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، النصر والتمكين، والفتح المبين، لمولانا وسيدنا الإمام المستضيء بنور الله أبي محمد الحسن أمير المؤمنين، أمر بتجديده الملك الزاهد الناصر المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف وفقه الله لطاعته في سنة ثمان وستين وخمسمائة

وكان الرحالة المذكور قد قدم إلى مصر في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وزار المسجد ونقل هذا النص[٣].

مذكرات الأمير مراد

الأولى: بأعلى الباب الغربي أسفل المئذنة، ونصها:

أحيا لنا ربنا بيتًا لطاعته ... وكان من قبل مصباحًا بها فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا ... من أجله قاصرين الباع في أسف
لأنه من بقايا فرقة طهرت ... أميرها عمرو السهمي غير خفي
ومذ أراد تعالى بالعمار له ... أنشأه مولى جوادًا بالمراد يفي

= أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (ليدن، ١٨٨٧): ٢٠٥؛ ناصر خسرو، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب (القاهرة، ١٩١٩): ٥١؛ ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٠٠-١٠١.

(١) من مقالة للمؤلف نشرتها، انظر: **مجلة لواء الإسلام**، العدد ١٠ (١٩٤٩). (المؤلف)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٣.

(٣) وقد ذكر عن زيارته لمصر ومسجد عمرو ما نصه «كنت أتردد بها إلى المسجد العتيق الحافل، الذي بناه عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإليه ينسب اليوم، فأرى جامعًا منيرًا، ومسجدًا كبيرًا له صحن فسيح، وأسوار حافلة، ومقاصر من العود عجيبة، وتواريخ مكتوبة بالخط الحافل المذهب كثيرة، فمنها ما كان مكتوبًا على المحراب»، انظر: خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، مج. ١ (الرباط: لجنة نشر التراث الإسلامي، ١٩٧٠): ٥١.



محراب جصي - جامع عمرو بن العاص «عن كريسويل»

فصار يحكي البنا إحسانه أبدًا
وإنما يعمر الآيات في الصحف

ونشوة العز قد قالت مؤرخة
يسمو العزيز مراد جامع الشرف

[سنة ١٢١١ ١٢٥ ٢٤٥١١٥ ٦١١]

الثانية: تعلو الباب الغربي الأوسط، ونصها:

بمسجد الفضل عن عمرو أجدبنا
قد فاز بالخير من لله جدده

وإنما يعمر الآيـات شاهدة
له بـفـوز وأن الله أسعده

ونشوة السعد قد قالت مؤرخة
أنشأت حمدًا مراد الحي مسجده

[سنة ١٢١١ ١١٢٤٩٢٤٥٧٥٢٥٣]

الثالثة: تعلو المحراب الكبير بإيوان بيت الصلاة، ونصها:

انظر لمسجد عمرو بعد ما درست
رسومه صار يحكي الكوكب الزاهي

نعم الوزير الذي لله جدده
مير اللواء مراد الآمر الناهي

له ثـواب جزيل غير منقطع
على الدوام بأنظار وأشباه

لاح القبول عليه حين أرخه
هـــذا البـنـــاء على مـــراد الله

[سنة ١٢١١ ٦٦٢٤٥١١٠٨٥٧٠٦]

الرابعة: بأعلى المحراب الصغير المحاذي للمحراب الأول في جهة الجنوب، ونصها:

مسجد ابـن الـعـاص أضحى
بـعـد هـدم قـد أصـابـه

كـعـبـة يـسـعى إليـهـا
يـرتـجي فـيـه الإجـابـة

جمَـل التـاريـخ رجـح
قـد بـنى هـذا الـصـحـابـة

[١٢١١ ٢١١ ١٣٧ ٧٠٦ ٥٣١٠٤][1]

الأمير مراد بك

والأمير المذكور هو أحد الأمراء القازدوغلية من بقايا أمراء الجراكسة الفقارية[2]، تولى إمارة مصر، وله مواقف محمودة في الدفاع عن الوطن، وقف في وجه الاحتلال الفرنسي لمصر موقفًا مشرفًا محمودًا، لولا أن بطانته قد تمالأوا عليه فلذا فشلت حركته، ففر إلى الصعيد ولم يلبث أن مات سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، ودفن بمسجد العارف بسوهاج[3]، ترجمه الجبرتي في وفيات هذه السنة[4]، وترجع فكرة تجديده مسجد عمرو إلى اقتراح الشيخ عبد الله الشرقاوي له، فقبل مقترحه وجدده، عهد بالإشراف على عمارته إلى قريبه الأمير قاسم الموصلي، ولما تكامل صلى به الجمعة في حشد حافل في آخر رمضان سنة (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)، وبعد الصلاة عقد الشيخ الشرقاوي مجلسًا أملى فيه حديث من بنى لله مسجدًا، وقد صارت سنة صلاة الجمعة في آخر رمضان من كل سنة عادة متبعة منذ هذا الوقت إلى يومنا[5].

---

(١) للمزيد عن هذه النقوش الكتابية، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٢٦- ٢٧.

(٢) عن الأمراء القازدوغلية الفقارية، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٤١-٤٢؛ P.M. Holt, "Al-Jabartī's Introduction to the History of Ottoman Egypt", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, vol. 25, No. 1/3 (1962): 38-51; Janye Hathaway, "The Military Household in Ottoman Egypt", *International Journal of Middle East Studies* vol. 27, No.1 (February 1995): 39-52.

(٣) العارف هو الشيخ أحمد أبو النجا السوهاجي من رجال القرن العاشر الهجري ذكره الشعراني في الطبقات الصغرى، وقرأنا بالمسجد كتابة حديثة منقوشة في لوحة رخامية بالخط الفارسي الكبير مقاسها (٦٠ ×٦٠) تحمل هذا النص للأمير مراد بك: «دفن في هذه البقعة الأمير الباسل مراد بك الذي حارب= = الجيش الفرنسي في إمبابة وفي أنحاء الصعيد بكل ما استطاع من قوة ووسائل وانتهى إليه إدارة الوجه القبلي جنوبي أسيوط، أثناء الاحتلال الفرنسي واتخذ سوهاج مقر الإدارة وقد توفي بالطاعون في اليوم الرابع في شهر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر هجرية، ودفن هنا عند سيدي الشيخ العارف نسأل الله له المغفرة والرحمة، وضعت إدارة حفظ الآثار العربية هذا اللوح في شهر رجب سنة (١٣٦٧)»، بناء على إشارة سعادة أحمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف. (المؤلف)

(٤) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٧٠.

(٥) جعل مراد بك الحاج نديم قاسم المعروف بالموصلي مباشًرا لعمارة الجامع، وصرف عليه أموالًا عظيمة، أخذها من غير حلها، ووضعها في غير محلها؛ حيث بنى به منارتين وجدد جميع سقفه الخشبي، وبيض جدرانه، وعلق به القناديل، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٧٤-٢٧٥.



حصن الشمع (بابليون) مصر القديمة «عن روبرت هاي ١٨٤٠م»

الفسطاط

الفسطاط اسم علم على المدينة العربية المقدسة أولى العواصم المصرية بعد الإسلام اختطها العرب الفاتحون على أنقاض مدينة الحمراء الدنيا، والتي كان يقال لها مدينة الجبت لسكن طوائف من الجبت خلفاء المصريين القدامى بها[1].

وقبل أن نتكلم عليها في العصر الإسلامي نقول: إن هذه المدينة كان اسمها قبل الإسلام الحمراء الدنيا «أي القريبة»، وأطلق عليها مدينة الجبت لسكنى طوائف من الجبت بها بعد العصر الروماني، وهذا الاسم هو الذي أطلق على الإقليم المصري سفله وعاليه، ومأتاه عبادة أشعة الشمس معتقد المصريين القدماء؛ إذ كانت الشمس عبادتهم يؤلهونها ويسجدون لها من دون الله، والجبت هو اللفظ الذي أطلقه القرآن الكريم على عبّاد الشمس، كما أطلق لفظ الطاغوت على عبّاد النار، وقد بقي لفظ الجبت علمًا على مصر وأهلها فكان يقال للمصري جبتي، فلما دخلت الديانة البولسية مصر في (٣٨١م) على عهد القيصر تيودوس الرومي (٣٧٩-٣٩٥م)، وأصدر أوامره بإبطال ديانة الجبت، وإغلاق معابد الشمس، ما كان منها في مصر السفلى والعليا، وألزم كل جبتي باعتناق الديانة النصرانية الجديدة، اعتنقها الكثير من الجبت ولفظوا عبادة الشمس. وقد بقي لفظ الجبت علمًا على الإقليم المصري في اللسان الإنجليزي إلى يومنا «إيجبت» وهو لفظ مركب من مقطعين «أون يعني مدينة»، وجبت اسم المدينة وهي مصر، كما بقي أيضًا لفظ الجبت منطوقًا بلفظ القبط علمًا على كل من اعتنق الديانة النصرانية من الجبت خلفاء المصريين القدماء، وقد بقيت المدينة معروفة بهذا الاسم وبالحمراء منذ خضعت

(١) عن تأسيس الفسطاط وخططها؛ كيف كانت قبل الإسلام، وحدودها، ومعنى الفسطاط، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤- ٦، ٣٢- ٣٩؛ A.R. Guest, "The Foundation of Fustat and the Khittahs of that Town", *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (January 1907): 49-83.

مصر لحكـــم الدولـــة الرومانية، فلما أســـند الحكم إلى القيصر طراجان في ســـنة (٩٨م) وبعد أن قضى على الفتنة اليهودية وأجلى اليهود عـــن مصر، أمر بعمل تخطيط جديد لهذه المدينة، فجدد أبوابها وحصنها تحصينًا محكمًا، وأنشـــأ في ظاهرها من الناحية القبلية قاعدة عسكرية، بين وادي دجلة «العدوية» وبين شـــهران، وأطلق عليها اسمه، وهذه القاعدة هي الضاحية المعروفة باســـمه حتى اليوم «طرا»[١]، وأنشـــأ بالغمارية «شارع قصر الشـــمع» قصرًا جعله قصرًا للقيادة العســـكرية، وأقام به الأبـــراج الرومانية التي نرى مخلفاتها اليوم أمام كنيستي المعلقة وماري جرجس، وقسم المدينة إلى ثلاث مناطق، المنطقة الأولى والوســـطى حدها القبـــلي كوم بني وائل، وبركة الحبـــش، وقرنة المقطم، ودير الطين "دار الســـلام"[٢]، واصطبل قرة أو عنتر، والطواحين الناصريـــة، وكل هذه المعالم مـــن أرض وادي دجلة، والحد الشرقي عين الصيرة، والقرافة الصغرى، والحد البحري درب هاني، ودرب الصفا، والجيارة؛ حيث الســـور البحري لمدينة مصر، والحد الغربي ســـاحل النيل القديم، وهذه هي حدود الفسطاط الحالية.

ثم عهد إلى مهندســـه المهندس أبولو دور الســـوري بتحصـــين مداخل مـــصر العليا لصد هجمـــات المغيرين، فحصنهـــا تحصينًا محكمًـــا مما نرى آثاره اليـــوم بالصحراء الغربية وســـيناء والســـواحل، ثم رســـم إليه بتجديد حفر الخليـــج ووصلـــه بالمخاريق الكبرى ولما تم له إنشـــاء هذه الحمراوات الثلاث أسكن بها الجند لحماية المدينة وألبس كل حامية زيًّا خاصًّا كما هي عادة الروم في تشكيل جيوشها بالأزياء الخاصة، وأقام بالمدينة محـــارس ومناظير ليشرف جند الحراســـة منها على المدينة، وأمر بتطهير ترعة فرعون رمســـيس الثاني «الترعـــة الفرعونية»، وعمقها ووســـعها، وكانـــت تمتد من حوف رمســـيس «الحـــوف»، حتى وادي دجلـــة «العدوية» - المعادي حاليًّا، وهكـــذا نفذ طراجان كل مشاريعه في هذه المدينة وفي الإقليم المصري عامة، وقد بقي لنا مـــن آثاره في هذه المدينة الحصـــن الروماني المنظور بشـــارع ماري جرجـــس، والباب القبـــلي للمدينة، والذي يقـــال له «باب أون» أي باب المدينة، والمنطوق على ألســـنة العامة «بابليون»[٣]، وقـــد أدرك العرب الفاتحون ما تخلف من المحارس التي أقيمت بالمدينة، فاســـتعملوها دور إمارة للحكام العرب، وقد كشفت حفريات مدينة الفسطاط عن وجود أبنيـــة عليها نقوش تصويرية بقلم الطير، مما يؤكد أن طراجان استخدم في إقامة مبانيه بهذه المدينة مواد مصرية قديمة من أحجار وغيرها.

(١) من القرى القديمة، وهي واقعة على الجانب الشرقي للنيل، شهيرة بمحاجرها التي تخرج الحجر الأبيض ، وردت في معجم البلدان طرا قرية في شرقي النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد، وفي قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد والتحفة طرا من الأعمال الأطفيحية، وردت في الخطط باسم طرى، ويقال لها اليوم طره البلد، انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ١٥-١٦.

(٢) من القرى القديمة على شاطئ النيل في طريق الصعيد، قرب الفسطاط متصل ببركة الحبش، ورد اسمه في الانتصار ضمن الأديرة والكنائس التي بمصر القديمة، وورد في كشف الأسقفيات أن هذا الدير كان لرهبان الحبش الذين تنسب إليهم بركة الحبش، وكانت الأراضي الزراعية التابعة لهذه القرية مقيدة في دفاتر الممتلكات والأموال باسم بركة الحبش، وفي تاريخ سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨٣٢م) قسم زمام بركة الحبش على ناحيتي دير الطين والبساتين، وبذلك اختفى اسم بركة الحبش، وأصبحت دير الطين ناحية قائمة بذاتها، وسبب تسميتها راجع لبناء الدير في أول الأمر بالطين، أي بالطوب اللبن بدلاً من الآجر، انظر: المرجع السابق: ١٤.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٦- ١٠.

ولم تلبث مدينة الحمراء أو الجبت على هذا التخطيط الجديد مدة حكم طراجان إلى موته في سنة (١١٧م)، ومن جاء بعــده من حكام الرومان أهــل المدينة، فتطرق إليها الخراب، ودثرت أبنيتها ولم يبــق منها إلا مخلفات طفيفة، فلما حل العرب الفاتحــون بمصر، وبعد أن تم الاتفاق بين عمرو بــن العاص وبين المقوقس في صلــح بابليون الأول على تســليم المدينة، أخذ عمرو في تمصيرها فجدد أبوابها، وأدار عليها أســوارًا ضيقة من جهاتها الأربع، وخطط فيها مســاكن للجند، ودور السكنى، وأنشــأ المسجد الجامع، وأبقاها على نفس حدودها، فلمــا أتم كل مرافقها ومنازلها سماها الفسطاط، والفسطاط لفظ عربي عريق في العربية ومعناه المدينــة الجامعة، وقد ورد بهــذا المعنى في حديث صحيح يرويه ســعيد بن عبد العزيز بن الساعي أحد قضاة دمشق وبعلبك المتوفى ســنة (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، عن النعمان بن المنذر الغساني الدمشقي أحد الثقات مات سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، عن مكحول بن أبي مسلم بن شهاب الدمشقي نزيل دمشــق، قال أبو حاتم فيه: «ما أعلم بالشام أفقه منه» مات سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م)، عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفســطاط»[١]، أخرجه أصحاب السنن، فهذا النص النبوي الكريم وما قدمناه عن هذه المدينة يطرح كل ما قيل في سبب تسميتها بالفسطاط، ويهوي به كما يطرح كل وهم قيل في إنشــائها قبل الإسلام وبعده[٢].

(١) ابن دقماق، **الانتصار**: ٢.

(٢) ذكر المقريزي الفسطاط بمعنى الخيمة، وهي الخيمة التي أقامها عمرو في موضع الفسطاط وتركها لفتح مدينة الإسكندرية ثم عاد إليها مرة أخرى، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٠- ٣٢.

حدود الفسطاط الحديثة

وحدود الفسطاط الحديثة هي نفس حدودها القديمة التي ذكرناها آنفًا، بيد أنها دخلت في حدود قسم شرطة مصر القديمة، وهذا التحديد الجديد وارد في المســح الاجتماعي الذي قام بعمله مكتب البحــوث الاجتماعية بتكليف من وزارة الشــئون الاجتماعية، وقد ورد تقسيم هذا الحي إلى عشر شياخات مساحتها جميعًا ١١كم، ٨٠٨ من الكيلو بما فيها شياخة المنيل والروضة وشــوارعها الرئيسية ٥٧٨ بما فيها الدروب والأزقة والحارات، وبها من المســاجد الجامعة ٢٤ مســجدًا ومن الكنائس ١٦ كنيسة، وأقدس ما يقدس مدينة الفســطاط جامعها الأعظم الذي اشــترك في إقامته أكثر من ثمانين صحابيًّا من صحابة رســول الله ﷺ[٣]، وقد زادها تقديسًا وجود جثمان كل من الصحابي الجليل عبد الله ابن عمرو والصحابي الآخر مســلمة بن مخلد بن الصامت الأنصــاري ولد عام الهجــرة (٦٢٢م) وعاصر الفتح العربي وأسندت إليه ولاية مصر ، ومات بها سنة (٦٢هـ/ ٦٨١م) في شهر ذي القعدة واتفق من ترجم له من المؤرخين كابن سعد في الطبقات وغيره أنه دفن بمصر في الموضع المعروف بمذبح الجمل، وهذا الموضع لا يزال يحمل اسمه حتى اليوم ممتدًّا إلى أرض بستان العالمة «أرض السادات»[٤].

(٣) عن صحابة رسول الله ﷺالذين شاركوا في فتح مصر، وبناء وتحديد قبلة جامع عمرو بن العاص، انظر: المرجع السابق: ٢٩- ٣٠؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: ١٩٦٣): ٢٠-٢٢.

(٤) مسلمة بن مخلد بن صامت بن ماجد الأنصاري الزرقي: ولد بعد الهجرة وقيل قبل الهجرة، وقال ابن عبد البر جمعت له ولاية المغرب ومصر، وقال الكندي: هو أول من رفع المنار على المساجد وأم بالجامع، وكان لايسمع أحد قراءته إلا بكى لحسن =

في شمال مدينة الفسطاط، عرفت بالحمراء القصوى[1]، اتخذ أبو عوف عبد الملك بن يزيد- قائد الحامية التي كان مروان بن محمد جردها لقتال بني العباس ولم يظفر فيها، وعادت جيوشه مهزومة- من الحمراء القصوى مساكن ومنازل، أعدها لنزول الجند المقاتل فيها وذلك في سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م)، فعرفت المنطقة من حينئذ بالعسكر، حدها القبلي كوم الجارح «خرطة أبي السعود»، والبحري درب معاني، والجيارة، ودرب الصفا، ثم مع مرور الأيام اتسعت العسكر وصارت مدينة آهلة بالسكان، وامتدت إلى مابعد درب الصفا «شارع مجرى العيون»، حتى خط المخاريق الكبرى «قناطر السباع أو السيدة»[2]؛ حيث كان امتداد الحمراء القصوى، وتدخل فيها تلال جبل يشكر، وهي التلال التي ترى بقاياها إلى اليوم ممتدة من صحراء المراغة تجاه المشهد النفيسي حتى نهاية الدرب المسدود خلف مشهد الست رقية، وقد جرفت مصلحة التنظيم فيها السلسلة التي كانت تواجه الميدان النفيسي وشقت في وسطها طريقًا يصل الميدان بمساكن زينهم، وأقيم على سلسلة منها مبنى مستشفى المقطم، واستمرت العسكر مدينة آهلة بالسكان حتى بنى أحمد بن طولون قطائع على الجزء البحري منها، وقد دخل في هذه القطائع خط دار الخلافة «شارع الأشرف والسيدة سكينة»، وخط القبيبات «شارع البقلي»، والمراغة، والقبر الطويل، والدرب المسدود، وحدرة ابن قميحة «شارع الخضيري»[3]، وسوق الأساكفة

= صوته، وقيل إنه في أيام ولايته على مصر هدم ما بناه عمرو ابن العاص بالجامع بمصر وبناه على غير بنائه وزاد عليه، قال ابن عبد البر أن مسلمة مات بمصر، وقيل بالمدينة، وقال ابن يونس مات بالإسكندرية، وقال الحافظ عبد الغني مات بمصر، وتوفي رحمه الله تعالى لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين من الهجرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٦- ٤٧؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٥٠.

(١) الحمراء القصوى: يذكر المقريزي أنها كانت خطة بني الأزرق، وبني روبيل، وبني يشكر بن جزيلة، ثم دثرت هذه الخطة بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء، فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية منهزمًا إلى مصر نزلت جند صالح ابن علي في هذه الصحراء؛ حيث جبل يشكر أمر أصحابه بالبناء فيه وكان ذلك في سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م)، ويحدد علي مبارك الحد الشرقي للحمراء القصوى إلى جامع أحمد بن طولون، فيكون فيه خط الجامع وخط الكبش، والحد القبلي التلال الممتدة من الكبش إلى شارع مصر القديمة التي بها قبر زين العابدين، والشرقي هو الشارع، والغربي الخليج المصري، من قنطرة السباع إلى قنطرة السد، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٨- ٣٩؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣١٩.

(٢) قناطر السباع أو القناطر الظاهرية: كانت هذه القناطر تلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى من جانب، = ومن جانبها الآخر جنان الزهري، وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، ونصب عليها سباعًا من الحجارة، فإن رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع، ويذكر محمد رمزي أن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصري، ومعروفة باسم قنطرة السيدة زينب، وكانت تتكون من قنطرتين، إحداهما تصل ما بين شارع الكومي «امتداد خيرت» وشارع السد، وفي سنة (١٨٩٨م) تم ردم الجزء الأوسط من الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة تحت ميدان السيدة زينب، الذي دخل في جزء من شارع الكومي وجزء آخر من شارع مراسينا (عبد المجيد اللبان)، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨-٤٩١، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٥.

(٣) حدرة قميحة: حددها محمد رمزي بأنها كانت تقع على الحافة الغربية لجبل يشكر في الجهة الجنوبية الغربية من قلعة الكبش، ومكانها اليوم الموضع المنحدر من تلول زين العابدين؛ حيث ينزلون منها إلى خطي البغالة والمذبح، في نقطة تلاقي شارع العسكر بشارع أمير الجيوش في منطقة التلول المذكورة بقسم السيدة زينب بالقاهرة، بينما حددها علي مبارك بأنها الحدرة الواقعة أول شارع قلعة الكبش بجوار جامع صرغتمش من الجهة الغربية، ويصعد منها إلى قلعة الكبش، وقد أطلقت=

«شارع الصليبة»، وسويقة منعم «شارع شيخون أو ميدان صلاح الدين»، وعرصة القمح «شارع السيدة عائشة»، وحوش العرب «الرماح ودرب الحصر»، وقلعة الكبش، والسبع سقايات «حارة السيدة»[١]، وجزيرة ابن غيم «شارع مراسينا عبد المجيد اللبان»، وما زالت هذه الأحياء وما جاورها حتى الحد الشرقي لها الذي ينتهي بالصوة والمصنع وقلعة القاهرة، وهذه المناطق جميعها اليوم جزءًا لا يتجزأ من مدينة القاهرة بما أدى إليه التطور الزمني[٢].

مشروع تجديد مسجد عمرو

يبتدئ مشروع هذا التجديد منذ سنة (١٩٢٨-١٩٣٥م)، ومن بين المشاريع التي صممت لتجديده مشروع المرحوم محمود أحمد مدير إدارة الآثار الإسلامية، وكان هدفه في هذا المشروع أن يظهر مطبوعًا بطابع الفن الفاطمي وهو الفن الذي غلب عليه وامتدت آثاره إلى اليوم، بيد أن هذا المشروع كسابقه لم ينفذ، وبقي المسجد على ما هو عليه حتى قامت الحكومة بوضع مشروع لتجديده، وعهد السيد/ محمد أنور السادات رئيس الجمهورية إلى السيد/ حمدي عاشور محافظ القاهرة بتنفيذه، وبدأ به في سنة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م) وتقوم شركة النصر العامة للمقاولات (حسن محمد علام بتنفيذ المشروع وقدرت تكاليفه بحوالي ٢٥٠ ألف جنيه) إلى مبلغ ١٢٠ ألف جنيه لتخلية المنطقة المحيطة بالمسجد وتخطيطها ورصفها ونقل الفواخير وإزالة التلول وما إلى ذلك.

وتقرر استبقاء الوجهة الغربية المطلة على الميدان وإقامة مئذنتين جديدتين وتحديد مداخل المسجد وجعل مادة الإيوان الأوسط من الرخام وترميم الشبابيك القديمة وإضاءته بالثريات الكهربية وإضاءة الميدان كذلك، إلى غير ذلك من تحسينات وتجديدات حتى يعاد المسجد إلى ما كان عليه من عز ومجد وبهاء ورواء.

وقال السيد حمدي عاشور المحافظ عن هذا التجديد في حديث له مع بعض رجال الصحافة: «ولقد مرت على جامع عمرو بن العاص فترات ازدهار طويلة كان يدعى فيها المسجد الجامع، وكانت تدرس فيه العلوم الإسلامية ويقصده الآلاف من المسلمين... بل إنه في وقت من الأوقات كسيت أعمدته بالفضة، لكن الحال التي وصلت إليها مبانيه في الفترة الأخيرة، كانت حالة سيئة للغاية، جدرانه تآكلت، تراكمت حوله الأتربة والرمال، امتلأ المكان بالقاذورات، وكان ذلك كله دافعًا على أن تعمل محافظة القاهرة ووزارة

= مصلحة التنظيم اسم هذه الحدرة على زقاق في عطفة الغتاتمة بشارع السيدة عائشة جنوبي جامع البرديني بقسم الخليفة، انظر: المرجع السابق: ٣١٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٧، هامش ١.

(١) السبع سقايات: من أخطاط القاهرة على الخليج بجوار قناطر السباع، عرف بحكر أقبغا، وسمي هذا الخط بهذا الاسم نسبة للسبع سقايات، وهي عبارة عن سبعة أحواض كانت مخصصة للشرب، وكان موقعها على يمين السالك اليوم في شارع السد الجواني، تجاه مسجد السيدة زينب في الجهة الغربية، في المنطقة التي فيها حارة السيدة زينب وفروعها، وجنينة لاظ وشوارعها؛ حيث كان النيل يجري وقت الفتح العربي في الجهة الغربية من جنينة لاظ؛ حيث الطريق المسماة شارع بني الأزرق وما في امتداده جنوبًا وشمالاً، وأن فم الخليج المصري كان في ذلك الوقت واقعًا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج، وهذا الخط هو الجزء الشمالي من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهري؛ حيث خط الناصرية الآن، وما في امتداده إلى شارع غيط العدة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٤-٣٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٧، هامش ٢؛ مج. ٧: ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) عن تأسيس مدينة العسكر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٨- ٣٩، ٥٦- ٥٩؛ ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٤-٥، ١٢٢-١٢٣.

الأوقـاف على إعادة تجديـده بما يليق بمكانتـه التاريخية والدينية واسـم القائد العظيم الذي يحمله، قامت المحافظة بإزالة الأتربة من حول المسجد، ورصفت الشوارع المحيطة به وأزيلت الجبانات والأماكـن التي كان وجودها يسيء للمكان ... وتكلف ذلك ٩٠ ألف جنيه».

كذلـك قامت المحافظة بتدبـير ٢٥ ألف جنيه لدفع تعويضـات نزع الملكية بالمنطقـة و ١٢٠ ألف جنيه أخرى من صندوق الخدمات المحلية لنفس الغرض... وتم تجميل المنطقة المحيطة بالمسجد، وقام أصحاب المدابغ في المنطقة بتنظيم وإشراف عضو مجلس الشـعب الأسـتاذ مصطفى كامل وجمعوا مبلغ عـشرة آلاف جنيه ... خصص لأعمال الكهرباء والميكروفونات الداخلية والإنارة، وقد أدى ذلك إلى ازدهـار المنطقة وارتفاع ثمن الأرض وبناء مسـاكن جديدة، مما ترتـب عليه بناء مدارس للأهالي، وهذه خطوة أولى لإعادة مدينة الفسـطاط إلى ما كانت عليه في العصر الإسلامي.

نعود مرة أخرى إلى إصلاح المسجد فقد تمت دراسات مهمة لإعادة هذا المسـجد، أول مسـجد بني في مصر، وفي إفريقيا إلى ماكان عليه، وصدر قرار وزير الإسكان بتكليف شركة النـصر للمقـاولات بالقيام بأعمـال البناء وإعادة المسـجد إلى ما كان عليه، مع الاحتفـاظ بالجانب الأثري الديني للمسـجد ... وقدرت التكاليف كلهـا ب ١٢٥ ألف جنيه، وبدأت شركة النصر العمل فعلًا بعد أن دفعت وزارة الأوقـاف مبلغ ١٠٠ ألف جنيه، وكان مقررًا أن ينتهي العمل في الجمعة الأخيرة من رمضان الماضي، ولكن العمل تأخر، والمطلوب الآن تدبير المبلغ الباقي وهو ١٥٠ ألف جنيه... ليتم هذا العمل التاريخي وينتهي قبل رمضان القادم...

مشروع تجديد الفسطاط

وكما وضع مشروع تجديد الجامع الأعظم وضع كذلك لتجديد مدينة الفسطاط وقد نشرت جريدة الأهرام في سنة (١٩٦٩م) خبر هذا المشروع تحت عنوان مدينة الفسـطاط تبعث من جديد.

مدينة الفسطاط تبعث من جديد

مدينة الفسطاط... سـتبعث من جديد ولكن على أحدث نظم القرن العشرين... ستجمع بين الآثار والفيلات..

ستخصص للإسكان والسـياحة... ستقام على مناطق منبسطة وأخرى مرتفعة.. شـوارعها سهلة ترتفع تدريجيًّا حتى تضاهي مدينة المقطم وتتباهى عليها... المهم في كل هذا أن ثمن المتر المربع من الأرض في الفسطاط الجديدة سيصل إلى جنيهين ولن يتجاوز ٣ جنيهات.

المدينة الجديدة ستقام على هضبة الفسطاط التي تعتبر منطقة فاصلة بين مصر القديمـة والمعادي... وتشرف على النيل ولا تبعد عن قلب القاهرة بأكثر من ٥ كيلو مترات.

وسـيكون للمدينة الجديدة مدخلان من الناحيتين الشرقية والبحرية ويبلغ مسـطحها ٧٤٥ فدانًا. وتستوعب ٤٥ ألفًا من السكان... وسـيتم توصيل كافة المرافق للمدينة قبل عرض أراضيها للبيع... وستكون مساحة قطعة الأرض في حدود ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ متر.

وتنقسم هضبة الفسـطاط التي ستقام عليها المدينة الجديدة إلى ٣ مناطق حسب طبيعتها.

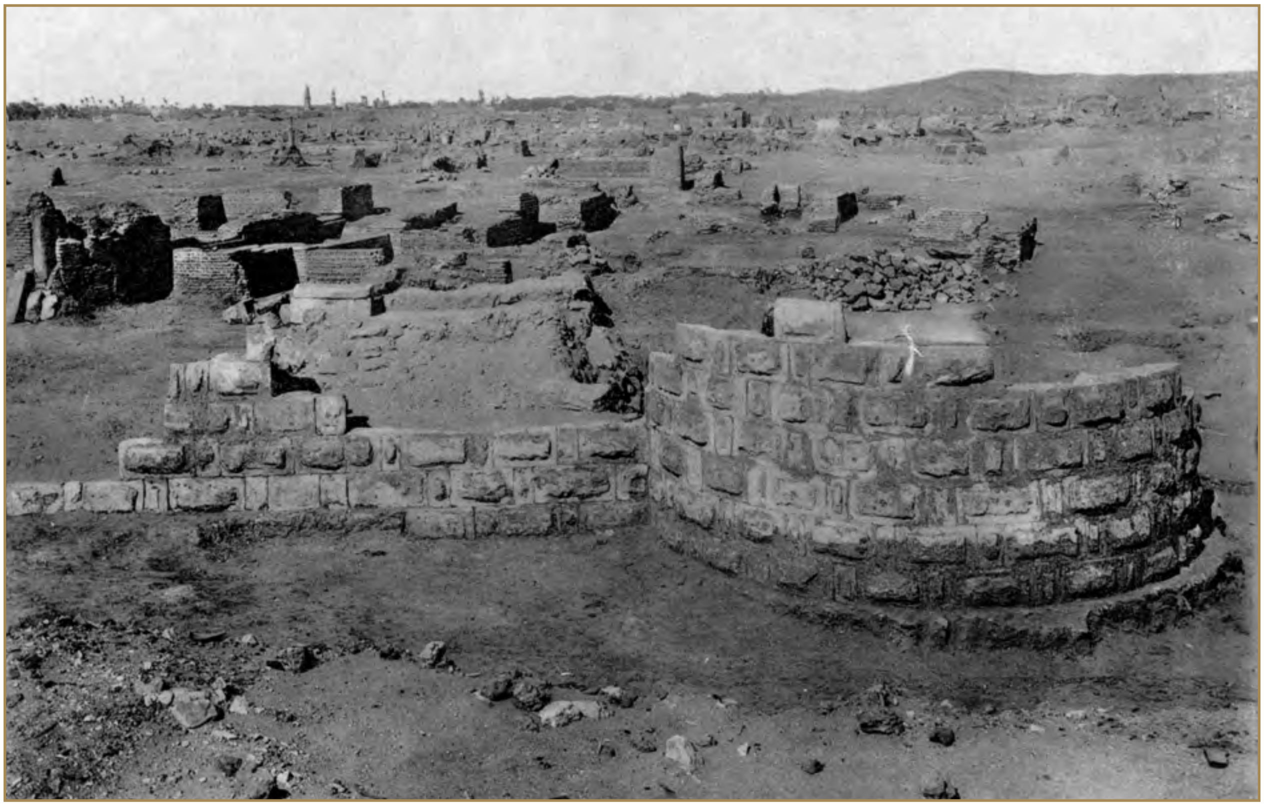
- **المنطقـة الأولى**: منطقة منبسـطة ترتفـع تدريجيًّا، مساحتها نحو ٤٧٥ فدانًا يسهل تعميرها... سيخصص

منها ٢٣٥ فدانًا للإسكان و١٠ أفدنة لمنشآت النشاط التجاري و٤٠ فدانًا للحدائق و٣٥ فدانًا للمدارس والخدمات و١١٧ فدانًا للشوارع.

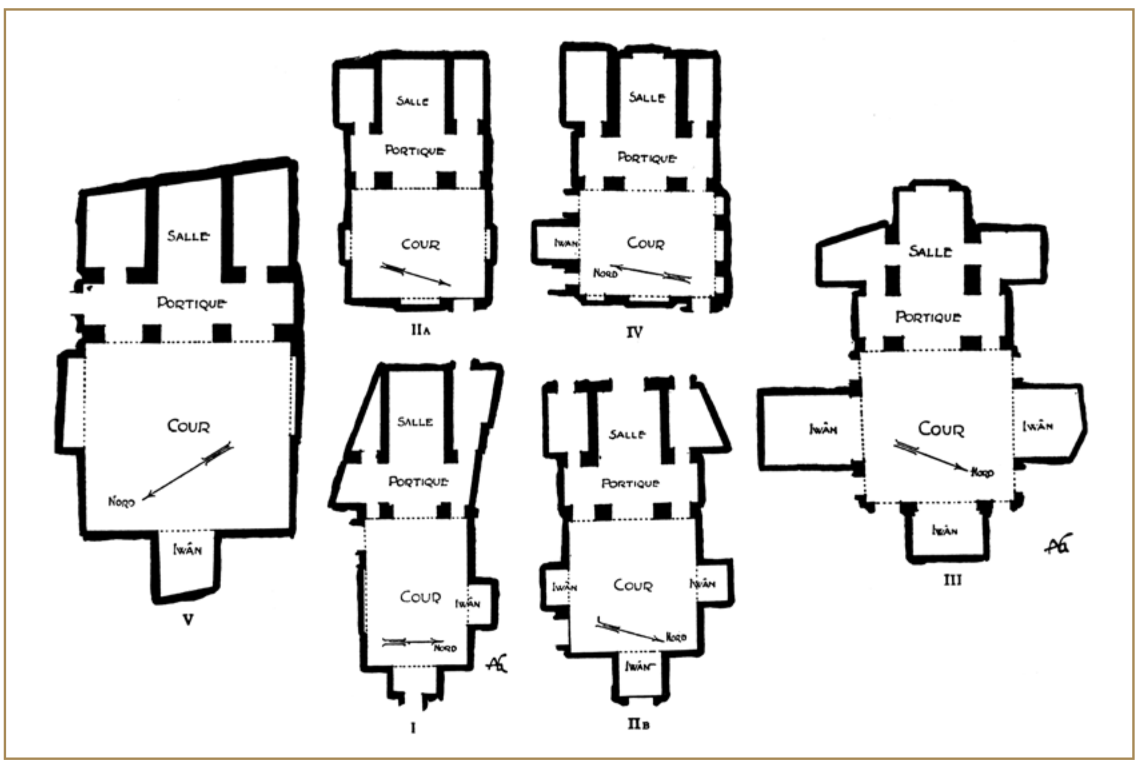
- **المنطقة الثانية**: منطقة أثرية... بها طابية عنتر... ومدافن السبع بنات وطواحين الهواء.
- **المنطقة الثالثة**: منطقة وعرة... مساحتها ٢٧٠ فدانًا عبارة عن محاجر قديمة وعميقة، ستستخدم كمناطق سياحية ومتنزهات.

أما مساحات الإسكان فتنقسم إلى مناطق:

- **المنطقة الأولى**: وتبلغ المساحة المخصصة للإسكان فيها ٩٠ فدانًا مقسمة إلى ٥٧٨ قطعة وارتفاع المباني ٣ طوابق وأعد تخطيطها على أساس إنشاء ٣ مدارس ابتدائية فيها ومدرسة إعدادية ومنطقة تجارية وملاعب. وأن تكون الكثافة السكانية فيها بمعدل ٢٦٢ شخصًا في الفدان.
- **المنطقة الثانية**: مساحتها ٥٩ فدانًا وبها ٢٧٦ قطعة وارتفاع المباني فيها ٣ طوابق وبها ٣ مدارس ابتدائية وواحدة إعدادية وأخرى ثانوية، عدا منطقة تجارية وأخرى للملاعب... والكثافة السكانية فيها بمعدل ١٩٢ فردًا للفدان.
- **المنطقة الثالثة**: مساحتها ٤٠ فدانًا وبها ٢٧٦ قطعة وارتفاع المباني ٣ طوابق، وبها ٣ مدارس ابتدائية وواحدة إعدادية ومنطقة تجارية وأخرى للملاعب، والكثافة السكانية بها بمعدل ٢١٠ أفراد للفدان.
- **المنطقة الرابعة**: مساحتها ٣٦ فدانًا وبها ٢٤٠ قطعة، وارتفاع المباني من ٣ طوابق وبها مدرستان ابتدائيتان ومنطقة تجارية وملاعب والكثافة السكانية فيها بمعدل ٢٣٠ فردًا للفدان.
- **المنطقة الخامسة**: مساحتها ١٢ فدانًا وبها ٧٣ قطعة ومزودة بمنطقة تجارية وملاعب وحدائق والكثافة السكانية بمعدل ١١٦ فردًا في الفدان، وستكون المباني عبارة عن فيلات من طابقين وتدور الآن اتصالات بين محافظة القاهرة ومؤسسة الإسكان والتعمير لوضع الخطوات التنفيذية للمشروع، وسيعقد اجتماع بالمؤسسة يضم شركات المعادي والقاهرة والشمس للإسكان والتعمير والمسئولين في الشركات الثلاث.



أطلال الفسطاط «عن فييت»



مساقط أفقية لمنازل الفسطاط «عن كريسويل»

جامع أحمد بن طولون

أثر رقم ٢٢٠ (سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م)

إنشاء جامع ابن طولون

ابتدأ الأمير أحمد بن طولون في إنشـــاء مسجده هذا في سنة (٢٦٣هـ/ ٨٧٦م) إلى ســـنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)[١]، وقد أنشأه على نظام المساجد الإسلامية الجامعة، وحاكى في بنائه بناء جامع سامرا الذي بناه الخليفة المعتصم محمد بن هارون العباسي في سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، فظهر المسجد في تصميمه ونظامـــه بما فيه منارته الملوية صـــورة مطابقة للأصل من مسجد سامرا، وقد أكد ذلك المقريزي في الخطط، وهو ينقل ما ذكره عن القضاعي صاحب الخطط المتوفى سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وقد أبت هذه الجملة عن الكثير ممن كتب عن هذا الأثر، ولو تفطن إليها أحدهم لما ثار هذا الخلاف، بينهم في شأن النظام الذي بني عليه المسجد ولا في طابعه[٢].

واســـتخدم في بنائه الجـــير والرمـــاد والآجر الأحمر القوي النار، ونزهه عن كل ما يشوبه، وفي هذا الصدد يقول المقريزي على لسان أحمد بن طولون «وأما العمد فإني بنيت هـــذا الجامع من مالي حلال وهو الكنز وما كنت لأشـــوبه بغيره، وهذه العمد إما أن تكون من مســـجد أو كنيســـة فنزهته عنها»[٣]، ولهذه المقالة الصادرة عن منشـــئ المسجد نفسه تؤيد ما نذكره فيما بعد عن مهندس المسجد، والداخل إلى هذا المســـجد يجد منظرًا من المساجد الإسلامية الأولى تنشرح له الصدور وتثلج لها الأفئدة ويملأ النظر إليه ذلك المجـــال الذي يتجلى في كل كبيرة وصغيرة من مفرداته، وهو يقوم على مسطح من أرض جبل يشـــكر تقدر بـ ٦ أفدنة/ ٢٦٣٢٥ مترًا مربعًا وبلغت نفقاته ما يوازي ٥٥٠٠٠ جنيه[٤].

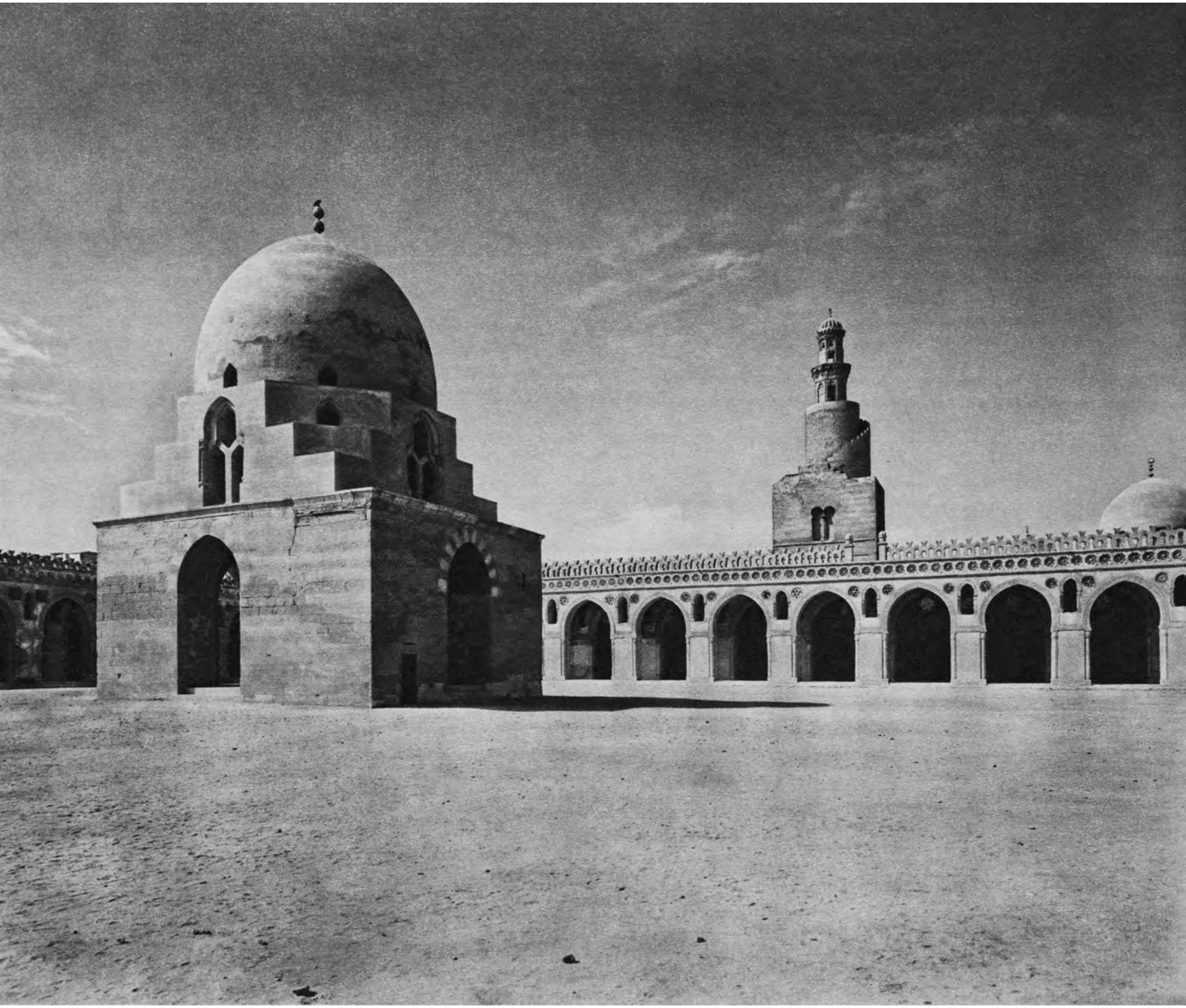
وأعجب ما في هذا الأثر تلـــك المئذنة الفريدة وهي الثانية مـــن المآذن التي تأخذ هذا الطابع الســـامري، وكان

(١) أقيم هذا المسجد على الجزء البحري في سلسلة تلال جبل يشكر اللخمي، وكانت تمتد من هذه المنطقة إلى الجنوب حتى تواجه مدينة العسكر وقد بقي لنا من هذه التلال ما تراه منها بنهاية الدرب المسدود الأرض الصفراء «حي زينهم» إلى القناطر الظاهرية، وقد جرفت منها مصلحة التنظيم ما انكشف عنه ميدان السيدة نفيسة وما انشق عنه من الطرق التي تؤدي إلى حي زينهم والقناطر ويشكر الذي ينسب إليه هذا الجبل من رجال الفتح العربي من لخم. (المؤلف)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٨٠؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١١٣

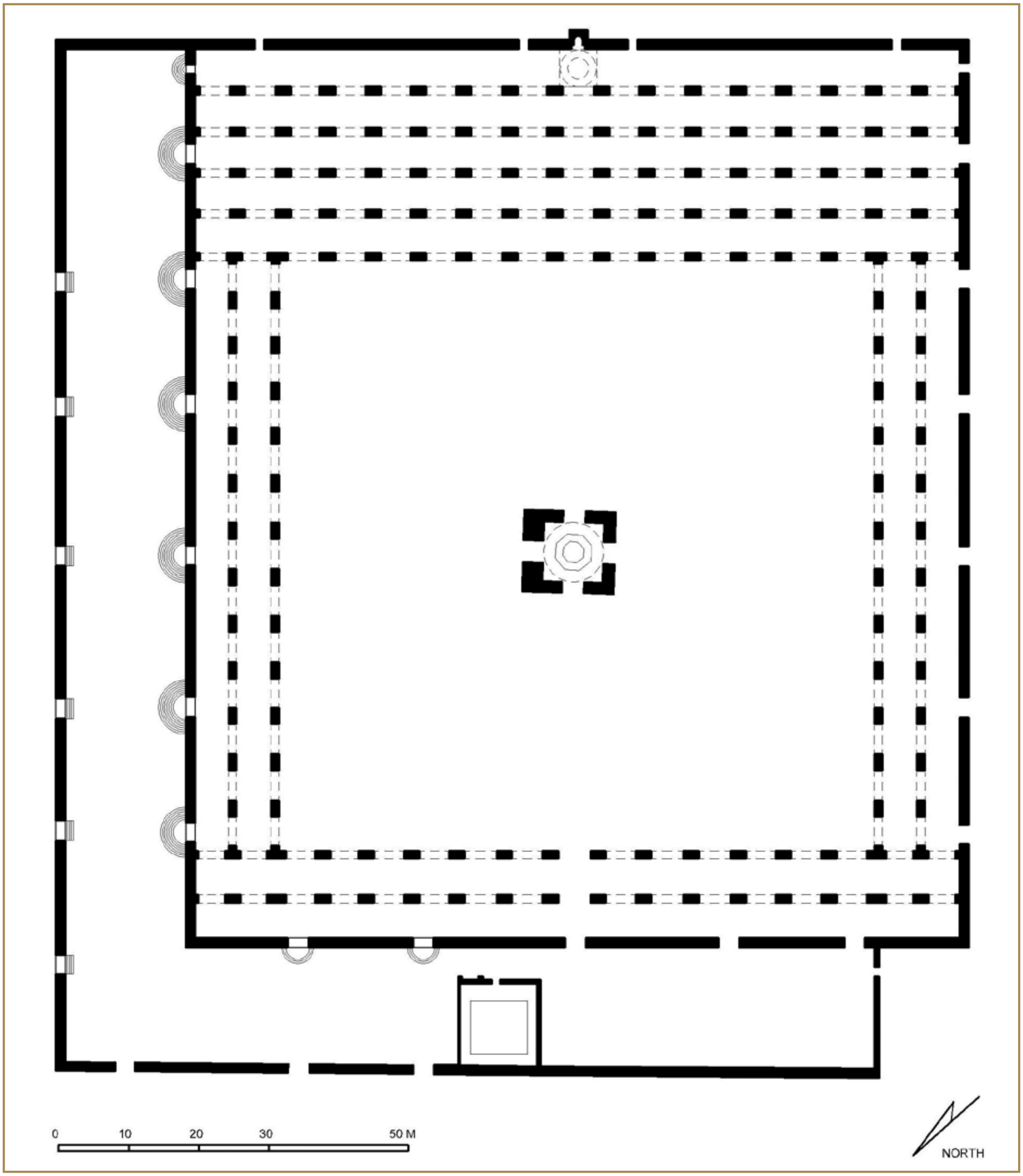
(٢) وفي هذا يذكر المقريزي: «وبناه على بناء جامع سامراء، وكذلك المنارة»، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ٦٤.

(٣) المرجع السابق: ٦٤، ٧٠.

(٤) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١١٤



منظر عام لجامع أحمد بن طولون «عن فييت»



مسقط أفقي لجامع أحمد بن طولون «عن كريسويل»

مركبًا عليها عشاري من النحاس لإطعام الطيور والجوارح، وبقي هذا العشاري إلى سنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م) ثم سقط، قال الجبرتي في الجزء الأول من تاريخه: «وفي ثاني عشر من رمضان سنة خمس ومائة ألف هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو، وسقطت المركب التي على منارة جامع طولون، وهدمت دور كثيرة»[١].

ويبقى هذا دليلًا قاطعًا على أن حسام الدين لاجين لم يمس قمة المنارة كما هو الرأي السائد، وإن كان قد قومها بما يلائم طابعها الأول[٢]، أما محراب المسجد فقد بناه أحمد ابن طولون على سمت محراب مسجد رسول الله ﷺ، يقول المقريزي: «إن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد وقف إلى محراب مدينة رسول الله ﷺ من أخذ سمته فإذا هو مائل عن خط سمت القبلة، فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلًا عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب بنحو ذلك، اقتداء بمحراب مسجد رسول الله ﷺ»[٣].

يحيط بصحن المسجد أربعة بلاطات أكبرها البلاط الشرقي وسقفه مرتكز على دعائم حجرية مبنية من الطوب ومبيّضة، وبواجهة كل بلاط زخرفة جصية تشبه ما وجد في نوعها من بقايا جامع سُرَّ مَنْ رأَى «سامرا»، ويقدر عدد الدعائم الموجودة بالمسجد بمائة وستين دعامة كاملة وثماني عشرة نصفية، وفيها من العمد المذكورة (٦٧٤) عمودًا، ومقاس قاعدة كل دعامة ٢,٦٠×١,٣٠م[٤].

أما أبواب المسجد فكثيرة بالنسبة لاتساعه وعظمه بلغ عددها إلى ثلاثة وعشرين بابًا، بقي منها ما هو مفتوح إلى اليوم وعددها خمسة، ومنها باب السر في الجدار الشرقي من البلاط الشرقي كان أحمد بن طولون يسلك منها إلى دار الإمارة، وكان بوسط الصحن سقاية ماء تعلوها قبة ترتكز على عشرة أعمدة مذهبة يدور عليها ستة عشر عامودًا أخرى، وفي وسطها فوارة سعة حوضها أربعة أذرع، وفوق سطح القبة أجار من خشب الساج، وقد احترقت هذه السقاية في جمادى الأولى سنة (٣٧٨هـ/ ٩٠٨م)، فأبدلتها السيدة تغريد أم العزيز بالله الخليفة الفاطمي بأخرى في شهر المحرم سنة (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، وهي السنة التي توفيت في سلخ ذي القعدة منها[٥].

وللمسجد مئذنتان إحداهما الكبرى ذات السلم الخارجي، وهي خارج البلاط الغربي طول كل درجة منها ١,٦٣م وهي مكونة من قاعدة مستطيلة ثم من جزء أسطواني يلتف حول السلم الخارجي يعلوه جزء آخر ثماني الأضلاع ينتهي بقمة المنارة، ثم تليها مئذنة أخرى من المآذن المستديرة[٦]، وقد ظهر المسجد بعد نشأته الأولى مثابة للناس حينًا من الزمن.

---

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٤٨.

(٢) فريد شافعي، «مئذنة مسجد ابن طولون رأي في تكوينها المعماري»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة ١٤، العدد ١ (مايو ١٩٥٢): ١٦٧-١٨١.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٣٨.

(٤) عن السمات المعمارية والزخرفية لمسجد ابن طولون، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٣٢-٤٦؛ فكري،= **مساجد القاهرة ومدارسها**: ١٠١-١٣٦؛ Eustace K. Corbet, "The Life and Works of Ahmad ibn Tūlūn", *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (October 1891): 527-562; K.A.C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, vol. 2: 302-311, 332-356; Louis Hautecoeur et Gaston Wiet, *Les mosquées du Caire*, vol. 1 (Paris: E. Leroux, 1933): 208-216.

(٥) بنيت هذه الفوارة بأمر من العزيز بالله على يد راشد الحنفي، وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٧٤.

(٦) هذه المئذنة اختفت. (المراجع)

موقعه وتأسيسه

هذا الجامع واقع في القسم الجنوبي لمدينة القاهرة بشارع ابن طولون، أسسه الأمير أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر في سنة (٢٦٣-٢٦٥هـ/ ٨٧٦-٨٧٨م)، وقد أنشأه على نظام بناء المساجد الإسلامية الجامعة، وأمر أن تبنى مئذنته على نظام مئذنة جامع سامراء «سر من رأى» الذي بناه المعتصم محمد بن هارون في سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وهي المئذنة التي أشرنا إليها في صدر هذا الكتاب التي تعرف في بغداد اليوم بالملوية، وهذا هو القول الفصل والأول والأخير في بناء هذه المئذنة بخلاف من يذهب فيه إلى قول آخر، أمثال هرتسفيلد الألماني وغيره[١].

عمارة العزيز بالله الفاطمي: وقد ظل هذا المسجد حافظًا لرونقه حتى أصابه حريق في سنة (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، فاحترقت منه النافورة التي كانت بوسط الصحن، والقبة التي تعلوها فأمر العزيز في سنة (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) بتجديدها وإعادتها كما كانت[٢].

عمارة المستنصر: وفي سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) رسم الخليفة المستنصر إلى وزيره بدر الجمالي بتجديد ما وهي من جدرانه؛ وفي هذه السنة أو بعدها أحدث فيه المحراب المستنصري الذي لا زال به إلى اليوم[٣].

عمارة الحافظ: وفي سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣٢م) أمر الحافظ لدين الله الفاطمي بعمل تقوية لجدران الجامع وإصلاح بعض أجزائه.

عمارة حسام الدين لاجين: وفي سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) أمر ملك مصر السلطان حسام الدين لاجين المنصوري، بتجديد هذا المسجد وعمارته وإصلاحه وذلك وفاء بنذره فجدد منه الجناح القبلي وأحدث به سقاية ماء، ووضع منجانة وآلات للتوقيت وجدد قبة النافورة، والجزء العلوي في المئذنة الكبيرة، وأحدث به منبرًا فخمًا، لا زال بالجامع إلى اليوم، حافظًا لمعظم أجزائه[٤].

(١) Ernst Herzfeld, “Mitteilung uber die Arbeiten der zweiten Kampagne von Samarra”, *Der Islam* 5 (1914): 196-204; Friedrich Sarre, “Die Kleinfunde von Samarra und ihre Ergebnisse für das islamische Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts”, *Der Islam* 5 (1914): 180-195.

(٢) بنيت هذه الفوارة بأمر من العزيز بالله على يد راشد الحنفي، وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٧٤.

(٣) كان المسجد قد تخرب أكثره وما حوله في أيام الشدة المستنصرية، وصارت المغاربة تنزل فيه عند مرورها بمصر للحج، وتشعث واحترق؛ نتيجة عصيان الجنود الأتراك وحروبهم مع العبيد، سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق محمد حلمي، مج. ٢ (القاهرة: وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٣): ٢٧٨.

(٤) يذكر المقريزي أن المنصور لاجين قد عهد إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولي الدواداري، الذي أقامه في نيابة دار العدل، بشراء الأوقاف على الجامع الطولوني، وصرف ما يحتاج إليه في العمارة، وتولى النظر في أمور الجامع الطولوني، بينما يذكر ابن تغري بردي أن المنصور لاجين رتب الأمير علم الدين أبا موسى سنجر بن عبد الله الصالحي النجمي الدواداري المعروف بالبرنلي أحد أمراء الألوف شاد العمائر لتجديد وعمارة جامع أحمد بن طولون، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٧٧-٧٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ١٠٧.

عمارة البازدار: وفي سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) في عهد ملك مصر الظاهر برقوق؛ أحدث به عبيد الله بن محمد البازدار «أمير الطير» رواقًا بالجهة الغربية بلصق المئذنة الكبرى[١].

عمارة شرف الدين المديني: وفي سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) أحدث به الشيخ شرف الدين المديني أحد مدرسيه في القرن العاشر الهجري، مصلى وبنى إلى جانبها مدفنًا يدفن فيه بعد وفاته[٢].

عمارة الملك فؤاد الأول ملك مصر: كانت الحكومة المصرية في حوالي سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)، قد وضعت مشروعًا بتخلية الواجهة الشرقية لهذا الجامع- بعرض خمسة عشر مترًا.

وفي سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) وضعت مشروعًا آخر لنزع ملكية المنازل المحيطة بالمسجد من جميع جهاته؛ وتلا ذلك في السنة التي بعدها تقرير نزع ملكية المنازل الحاجبة للواجهة الشرقية، فلما تولى المغفور له الملك فؤاد الأول ملك مصر؛ أمر في سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م) بإقامة الشعائر في المسجد؛ فأعد لذلك بهذه المناسبة، وانتزعت ملكية المباني الحاجبة للواجهة القبلية، فظهرت الواجهة القبلية للمسجد كما ظهر سلم المسجد الأصلي.

وفي سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) اتخذت الإجراءات الرسمية لنزع ملكية المباني الملاصقة للجدار الشرقي من خارج المسجد، وفي هذه السنة إلى سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) تم نزع ملكية هذه المباني جميعها، وبذلك أصبح الجامع خاليًا من كل جهاته الأربع، واستوى مسطحه بمستوى مسطح الأرض المحيطة به، وجعل وّفقًا للمشروع بوسط الميدان بعرض عشرين مترًا من كل جهة؛ وفتح أمام أبوابه العمومية ميادين وكشفت واجهات الجامع من كل نواحيه، وغرس أمام أبوابه القبلي إلى بابه العمومي يمينًا ويسارًا، مزروعات وبساتين.

وفي سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) صدر مرسوم ملكي بنزع ملكية القسم الأول من الأرض اللازمة لهذا المشروع من الجهة البحرية، ثم صدر في السنة التالية مرسوم آخر بنزع ملكية الجزء الثاني وقدرت نفقات ذلك بمبلغ ٤٥٠٠٠ جنيه مصري، أرصد منها بإقرار من مجلس الوزراء مبلغ ٤٠٠٠ جنيه، ثم أضيفت بعد ذلك مبالغ أخرى، وقد تناولت هذه العمارة عدا ما ذكر؛ داخل الجامع بالإصلاح والتجديد، فشملت أواوينه الأربع وسقفه ودعاماته وقبة الصحن وحدوده الأربع والمنازل الأثرية المجاورة له، كمنزل قايتباي وغيره، وهكذا كان من توجيه عناية المنعم الملك فؤاد الأول ملك مصر رحمه الله بهذا الجامع؛ أن استرد سابق مجده وعادت إليه حياته الأولى، بعد أن مضت عليه الحقب الطوال متخربًا مهجورًا لا تقام فيه الشعائر ولا يذكر اسم الله فيه، وكان هذا من حسنات المغفور له الملك فؤاد رحمه الله[٣].

(١) قام الحاج عبيد كذلك بتجديد ميضأة إلى جوار الميضأة القديمة، وكان يتولى وظيفة البازدار، ثم ترقى حتى صار مقدمًا للدولة سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م)، ثم ترك زي المقدمين وتزيا بزي الأمراء، وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات في سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٨٠؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٢١.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن الأنصاري الشافعي المصري الشعراني، **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار القدسية في طبقات الأخيار**، مج. ١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨): ١٠٣.

(٣) محمود عكوش، **تاريخ ووصف الجامع الطولوني** (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٧): ١٠٦-١٠٩.

وصف هذا المسجد في سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)

ويشتمل هذا المسجد على أربعة أواوين أكبرها الإيوان الشرقي وهو مكون من خمسة أروقة تحملها دعائم في أركانها الأربعة أسطوانات لكل دعامة أسطوانة، وفي هذا الإيوان ستة محاريب منها: المحراب الطولوني وهو المجاور للمنبر، وإلى يساره محراب آخر يعرف بمحراب السيدة نفيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرؤيا منامية، ومحرابان بين سدة المبلغ، والمحراب الأفضلي، ومحراب لاجين، وكلها من الجص وفي بعضها انحراف عن الاتجاه الصحيح للقبلة، وبه المنبر وهو من آثار لاجين، وعليه مذكرة تاريخية نصها:

أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة[(١)]

وهو من خشب ساج هندي وأبنوس وعظم وخشب بقس، وقد ردت إليه في العمارة الأخيرة مجموعة من أجزائه التي كانت مفقودة.

وباقي أواوين المسجد يشتمل كل منها على رواقين محمولين على دعائم تماثل دعائم الإيوان الشرقي، وصحن المسجد مكشوف وبوسطه نافورة تقوم على أربعة أقواس معقودة فوقها قبة ولها أربعة أبواب من نواحيها الأربع، وبالجانب الغربي منه المنارة الكبيرة ذات الدرج الخارجي، وهي أول مئذنة حجرية بقيت من هذا التاريخ إلى اليوم، وللجامع غير هذه المنارة مآذن أخرى منها منارة القاضي كريم الدين عبد الكريم الناصري[(٢)]، التي أنشأها في عصر ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون في حوالي سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)[(٣)]، وهي بأعلى الزاوية البحرية الشرقية، وقد سقطت المئذنة الأخرى التي كانت تقابلها، في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

وبالجهة الغربية من المسجد بإزاء المئذنة تربة الشيخ شرف الدين المديني، مكتوب بأعلى بابها ما نصه:

أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا الشيخ شرف

---

(١) G. Le Strange, “Matériaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, Première partie Égypte” : Par Max Van Berchem. *Mémoires de la Mission archéologique française au Caire*, Tome XIX, Fascicule IV. (Paris : E. Leroux, 1903): 36.

(٢) عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري: القاضي كريم الدين الكبير أبو الفضائل وكيل السلطان ومدبر الدولة الناصرية، أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير، وكان كاتبه، فلما هرب بيبرس ودخل الناصر إلى القاهرة تطلبه، إلى أن ظفر به وصادره على مائة ألف فالتزم بها، ولم يزل طغاي وفخر الدين ناظر الجيوش يتلطفان أمره عنده إلى أن سامحه، ووقره في نظر الخاص، ولم يزل يتقدم حتى تولى أمر الخزائن، عمر بالزريبة جامعًا، وفي طرق الرمل عدة آبار، وعمر في دمشق سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) جامع القبيبات، وجامع القابون، ولما انحرف مزاج الناصر عنه أمر أرغون النائب بإمساكه وإيقاع الحوطة على دوره في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وأمره بلزوم تربته بالقرافة، ثم نقل إلى الشوبك، ثم إلى القدس، ثم أعيد إلى القاهرة في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)، ثم سافر إلى أسوان حيث شنق، انظر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق كرنكو، مج. ٢ (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٤٠١-٤٠٤؛ موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦): ١٢٩-١٣٠، ٢٧٧-٢٧٩؛ أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق هانس روبرت رويمر، مج. ٩، مصادر تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة: سامي الخانجي، ١٩٦٠): ٣١٠-٣١٥.

(٣) تولى نظر المسجد القاضي كريم الدين الكبير زمن الناصر فجدد فيه مئذنتين، انظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٢٠؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج.٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠):١٠٠.

الدين المديني أعاد الله علينا من بركاته بتاريخ شهر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة[١]

وهذا الشيخ شرف الدين المديني؛ هو أحد مدرسي هـذا الجامع في القرن العاشر الهجري ترجمه الشعراني في طبقاته الوسطى، وقد صحبه من سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، إلى حين وفاته وكان يتردد عليه في هذا الجامع لسماع القرآن والحديث، وأرخ وفاته في صفر سنة (٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م) (انظر لواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء والصوفية للشعراني مخطوط بمكتبتنا وبدار الكتب)[٢].

المذكرات التاريخية بالمسجد

المذكرة الأولى: للمنشئ أحمد بن طولون وهي في روسم موضوع الآن على إحدى الدعائم بالبلاط الشرقي وهي ثانية اثنتين من مذكرات المنشئ، وقد أدركت الحملة الفرنسية هذه المذكرات وصورتها في أطالس المصلحة التاريخية التي وضعها علماء الحملة عن مصر وآثارها ومعالمها، وقد قرأناها في اللوحة [رقم ١١ هـ و ف ج]، بالمقابلة مع المذكرة الموجودة بالمسجد وهي في ٢٥ سطرًا بالخط الكوفي وهذا نصها كاملًا:

البسملة..... الملك الحق المبين، آية الكرسي آخر سورة الفتح كنتم خير أمة أخرجت للناس ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، إنما يعمر مساجد الله، إلخ الآيات...

أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وإيثارًا لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين ورغبة في عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره؛ إذ يقول الله تقدس وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب في شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد

وهذه التصلية الأخيرة تختلف في صيغتها عن المذكرة الأخرى بزيادة كأفضل ما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وأنعم إنك حميد مجيد، ويلاحظ أنه لا يوجد بالنص ما هو مهموز في الحروف طبقًا لقراءة ورش[٣].

المذكرة الثانية: وهي لأمير الجيوش بدر الجمالي، وهي في روسم به أربعة أسطر بالخط الكوفي الرقيق يعلو أحد الأبواب الشرقية بالزيادة البحرية، يقرأ فيها ما نصه:

البسملة... إنما يعمر إلى المهتدين نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه

(١) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 37-38.

(٢) الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ١٠٣.

(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 28.

وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين. أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه[١] السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصري أدام الله قدرته وأعلى كلمته ابتغا ثواب الله وطلب مرضاته وذلك في صفر سنة سبعين وأربعماية والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليمًا[٢]

وللأفضل بن بدر هذا مذكرة أخرى بالمحراب الجص القائم بالبلاط الشرقي أحد المحاريب الستة الموجودة به، والأفضل هذا خلف والده في الوزارة، ونقش بألقابه وأنشأ هذا المحراب في سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)[٣].

وبالمسجد مذكرات للسلطان حسام الدين لاجين بعضها لا يزال به وبعضها محتفظ به، منها مذكرة المنبر:

أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستماية[٤]

ومذكرة دار الوضوء (الفسقية):

أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في سنة ست وتسعين وستماية[٥]

ومذكرة الساعات:

أمر بعمل هذه الساعات بالجامع المعروف بأحمد ابن طولون تغمده الله برحمته مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في سنة ست وتسعين وستماية

ومذكرة المصباح (الشمعدان)[٦]

مما عمل برسم الجامع المعمور ببقاء سيد ملوك المسلمين مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبي عبد الله لاجين الذي تقرب به إلى الله تعالى بعمارته المعروف بابن طولون تقبل الله منه ذلك وأحسن إليه في الدنيا والآخرة وجعله في صحائف حسناته العبد الفقير إلى الله تعالى شادي ابن شيركوه أثابه الله تعالى الكبير

(١) جدد بدر هذا الباب وبعض مواضع في المسجد بعد حريق القاهرة وظواهرها حين قام المجندون من الترك والبربر على الخليفة المستنصر بطلب أعطياتهم وجوامكهم المتأخرة حين أفلست خزينة الدولة. (المؤلف)، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**: ٢٧٨.

(٢) فرج الحسيني، **النقوش الكتابية الفاطمية على العمائر في مصر** (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧): ١٧١-١٧٢؛ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 30.

(٣) يحدد ماكس فان برشم وكريسويل تاريخ هذا المحراب الذي أقامه الأفضل بمسجد ابن طولون بسنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، انظر: فرج الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢١٩-٢٢٤؛ K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*. (New York: Hacker Art Books 1978) : 220-221.

(٤) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 36.

(٥) *Ibid*: 37. والنص المنشور عند فان برشم؛ مفقود منه كلمات القبة المباركة، والفسقية، والساعات الشريفة.

(٦) هذا الشمعدان في محفوظات المتحف الإسلامي حاليًّا مسجل برقم ١٢٨. (المؤلف)

مذكرة ضريح الشيخ شرف الدين بالجهة الغربية بإزاء المئذنة[(١)]:

أنشــأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى سيدنا مولانا الشــيخ شرف الدين المديني أعاداالله علينا من بركاته بتاريخ شــهر رجب ســنه ثلاثين وتسعماية

أحمد بن طولون

الأمير أحمد بن طولون منشــئ هــذا الأثر العظيم، تركســتاني المنشــأ من قبيلة أراكس في شمال جبل القبق، ولد بسُرَّ مَنْ رَأَىَ «ســامرا» بالعراق في سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)؛ حيث كان أبوه قد هاجر من التركســتان إلى بغداد والتحق بالســلك العســكري في خلافة المأمون العباسي، ورقي في بلاط الخليفة حتى وصل إلى منصب أمير الستر.

ويبــدأ ظهور نجــم أحمد بن طولون في ســنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)، فــإن الخليفة المســتعين بالله حــين يرى في أحمد ابن طولــون ولاءه للخلافة وعلو همتــه وإخلاصه يقربه إليه ويزوجه من جاريته «مي»، وقد ظهرت آيات الإخلاص والــولاء في أحمد بن طولــون حينما أراد المعــز أن يفتك بالمستعين، فاســتعان عليه بابن طولون لقربه منه، لكن أحمد أراد أن يبرهن على إخلاصــه لولي نعمته حتى في آخر رمــق من حياته، فلما لم يجرؤ على قتله إذا به يســلمه إليه ليتولى هو الفتك به أو الخــلاص منه بالطريقة التي يراها، وبعدها يقيض الله ســبحانه باك بك «ومعناه طاهر بك»[(٢)] الذي كان مرشــحًا لولاية مصر، فيشركــه مع ابن المدبر في مصر، فيدخل أحمد بن طولــون مصر غير نادم على العراق وأهله، وبعد دخول ابن طولون مصر واســتقراره بها يمهد له الملك أســباب الوصول إليه، فيتبوأ عــرش مصر وتأتيه إمارتهــا طواعية ومــا هي إلا بضع ســنوات حتى يصبح أحمد بــن طولون ملكًا على مصر، وتديــن له البلاد بأسرها فيحكمها بعدله ويبســط على أهلها وارف ظله، ولما تنتظم أحواله يشرع في تأســيس مملكته الجديدة فيحصنها ويعزز قوى الجيش فيها لصد كل عدوان أجنبي، ويرفه عن جنوده ويبني لهم الثكنات والمعسكرات بمدينته الجديدة، وحينما يدب دبيــب الخلاف بينه وبين الخليفة الموفق العباسي، لم يكترث له ويمضي في عزمه ويرابط له في الجزيرة في جيوش جرارة مجهزة بالعدد والآلات والعتاد الحربي، وأخيرًا يتم له الأمر ويستولي على السواحل والمدن الشامية ويوقع الهزيمة بالجيش العبــاسي، وبعدها تدين البلاد له بالطاعة ويملك رقعة كبيرة في قارة آسيا، ولما يعود إلى مصر دار ملكه ومقر ســلطانه ومحل إمارته وهو يشــعر بأنه قد أدى رسالته في الحياة حتى ناله منهــا، يأتيه نذير الموت وهو في طريقه إليها فيرحب به، فيموت أحمد بن طولون تاركًا لابنه خمارويه ملكًا لايعادله ملك الخليفة العباسي، وقد ضرب أحمد بن طولون لخلفه من الملوك أعلى الأمثال في الصبر وحسن التدبير وبعد النظر في التفكير السليم وأداء الحق ورعاية المصالح والحلم والمروءة، وكان فوق ذلك مثلًا يحتذى به في النسك، والعفة والنزاهة والتقى والصلاح والجد في الأمور ومراعاة الجانب، وكان في الأمور السياسية والشئون الدولية مثلًا يحتذى به،

---

(١) ظل هذا الضريح موجودًا إلى ما بعد عام (١٩٣٧م)، وكان معروفًا بمقام شيدي البوش. (المراجع)

(٢) تأتي صلة ابن طولون بطاهر بك هذا عن طريق زواجه بأمة جشم «عيناء» بعد وفاة أبيه طولون. (المؤلف)

بعيد العوز عالي الهمة طموحًا إلى المجد، نعمت مصر في أيامه وظفرت باستقلال رفع من شأنها أمام الدول المحيطة[١].

هذا هو أحمد بن طولون منشئ هذا الأثر الخالد، وقد مات بعد أن أكمل الخمسين من عمره، ثم دفن بعد مراسم تشـييع جنازته في احتفال شـهده أهل مصر قاطبة، في قبر متواضع بخط سـارية بين الشـافعي وقبة حاتم بن هرثمة، كتب عليه بالكوفي[٢]:

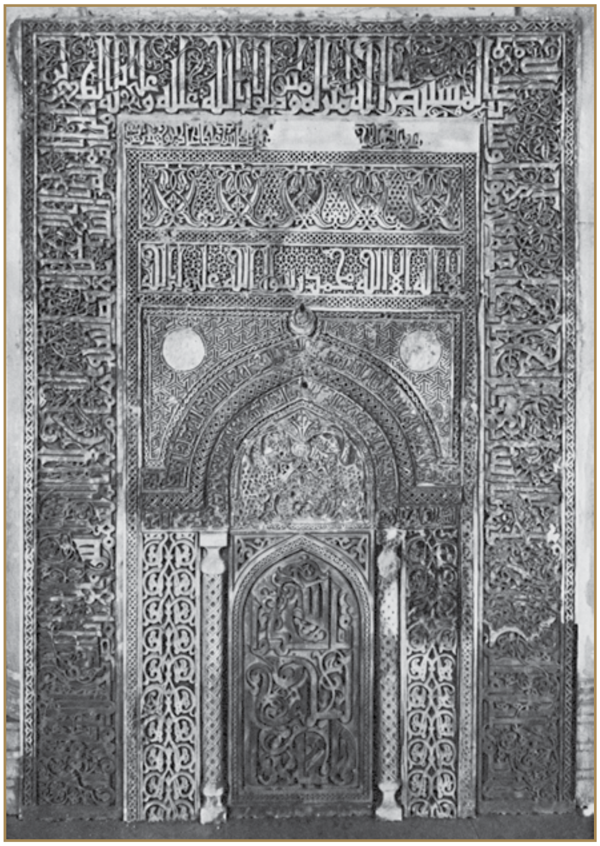
سـبحان من تفرد بالقدرة وقهر العباد بالموت هذا ما يشـهد به عبد الله أحمد بن طولون يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفي يـوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة سبعين وميتين

عبرت على قبر ابن طولون مرة
ففكرت فيا كان من عظم قدره

ولـم أر فيما كان يملكه كله
تبقى له شيء سـوى لـوح قبره

وما ينفع الإنسان فيما يحوزه
إذا فارق الدنيا سوى طيب ذكره

وقد ظل قبر أحمد بن طولون معدودًا في مزارات هذه المنطقة من القرافة إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري، فقد ذكره علي السـخاوي في «تحفة الأحباب»[٣]، ووضعه في



محراب المستنصر «عن كريسويل»



منبر ومحراب حسام الدين لاجين «عن كريسويل»

(١) عن سيرة أحمد بن طولون، انظر: عبد الله بن محمد البلوي، **سيرة أحمد بن طولون**، تحقيق محمد كرد علي (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩): ٣٤-٤٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٨١- ٨٨.

(٢) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٦٩-٣٧٠.

(٣) وهو التربة الصغرى القريبة من باب القرافة .... ثم بعدها من شقة الجبل القبة القوصونية (الخانقاه القوصونية) التي تنسب =

أول الجبانـــة القاهرية على قيد غلوة من الخانقاه القوصونية وشـــيوخ الزيارات إذا ذكروا مزارات هـــذه المنطقة، ذكروا المدرسة المســـبحية فالخانقاه القوصونية، فإذا وصلوا إليها ذكروا قبر أحمد بن طولون، وهذا الموضع هو نفس التحديد الذي حدد به ابن الناســـخ في «مصبـــاح الدياجي»، والموفق ابن عثمان في «مرشـــد الزوار»، وابن الزيات في «الكواكب السيارة»؛ حيث اتفقوا على أنه خارج باب القرافة مقابل له من الجهة الشرقية وأنـــه أول مزارات هذه المنطقة للخارج من باب القرافة، بيد أن هذه المنطقة وإن كان بها عدة قبور وقباب وآثار إلا أنه لا يوجد فيها ما ينسب إلى ابن طولون[1]، وهذا يـــدل على اندثاره بعد القرنـــين الحادي عشر والثاني عشر، وباب القرافة المقصود في عبارة ابن الناسخ ومن ذكر بعده هو الباب القائم بأول شـــارع الأقـــدام من آثار الملك الكامل وليس باب قايتباي الحالي[2].

= للأمير قوصون الساقي مملوك الناصر محمد بن قلاوون، والتي اندثرت ولم يتبق منها سوى مئذنتها، وهي موجودة بصحراء سيدي جلال، المعروفة قديمًا بالقرافة الناصرية، انظر: السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٧٠، هامش١.

(١) أول مزارات هذه المنطقة في عصرنا هذا تربة تمرباي الحسني بأول شارع الأقدام خلف الباب الكاملي، يقابلها بداخل حوش الحاج علي البهنساوي ضريح الشيخ محمد الأذرعي، والسخاوي يجعل تربة أحمد بن طولون أول المزارات بعد مزار السيدة نفيسة بنت الحسن، ويقول: «هي التربة الصغرى القريبة من باب القرافة ثم بعدها عن شقة الجبل التربة القوصونية»، وفي الكوكب السائر إلى زيارة المقابر للشيخ جوهر السكري «حينما وصل إلى باب القرافة ذكر ضريح الأذرعي وضريح الشيخ بركة ومحمد المغربي» وهذه الأضرحة قائمة للآن بين باب القرافة وقبة الشماشرجي بشارع الأقدام. (المؤلف)

(٢) عن باب القرافة انظر: محمد أبو العمايم، «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة»، **حوليات إسلامية**، العدد ٢٤ (٢٠٠٠): ٤٥- ٤٦.

آثار ابن طولون

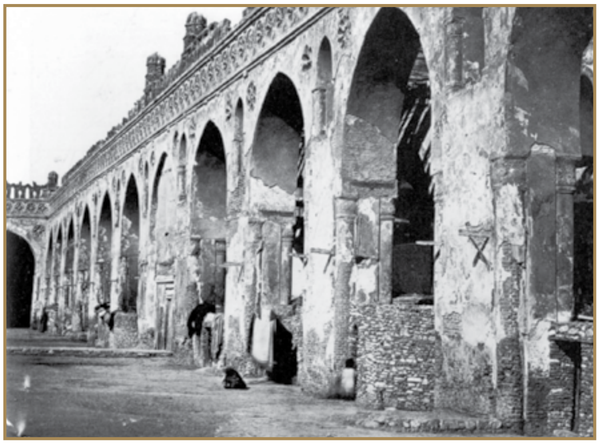
أسس ابن طولون مدينة القطائع وهي ثالثة ثلاث مدائن تنشأ بمصر الإســـلامية، وكانت تشغل جميع المنطقة الجنوبية المحدودة الآن بشارع مراسينا وقلعة الكبش غربًا[3]، وقلعة صلاح الدين ومجاوراتها إلى خط ســـارية شرقًا، وهذا طولها، وكان عرضها من حد شارع الأقدام والأشرف إلى حد شارع الصلبية وخط الأســـاكفة وحدرة الحنا، وما انضاف إلى هذه المدينة من الخطط الـــتي تحيط بها من كل جانب، ومن آثاره بالبلاد الشامية تعمير مدينة عكا وتحصينها وتجديد بناياتها بمباشرة المهندس أبو بكر المقدسي، وجدد قلعة يافا، وأنشأ بمصر مســـجد التنـــور على قرنة الجبل، والمارســـتان بأرض العسكر المدينة الثانية، والقناطر بالجيزة، والعيون بالبساتين، والحصن بقلعة الروضة[4].

خمارويه بن أحمد بن طولون

اسم مركب من مقطعين خمار بضم الخاء وتشديد الميم وزيد فيه «ويه» بفتح الواو وســـكون الياء، هكذا ضبطه ابن

(٣) شارع مراسينا: ذكر المقريزي في خططه الجسر الأعظم الذي كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل، ثم صار شارعًا مسلوكًا يمشي فيه من الكبش إلى قناطر السباع، بينما يحدده علي مبارك بداية من آخر حدرة الحناء، وينتهي لآخر شارع اللبودية، وبه من جهة اليمين ورشة الحوض المرصود، ثم درب الشمسي، ويذكر محمد بك رمزي أن الجسر المذكور لا يزال طريقًا عامًّا يعرف الآن بشارع مراسينا، ويوصل بين ميدان السيدة زينب؛ حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولي الواقع تحت قلعة الكبش، وهناك يتقابل مع شارع الخضيري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٥٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢٤.

(٤) عن بناء مدينة القطائع، وتقسيم خططها وأسواقها، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٨٠.


أروقة جامع ابن طولون «عن كريسويل»



دقماق، خلف أباه في الملك بعد موته، وحينما استقر له الملك وبعد سلسلة انتصارات أحرزها في حروب أتم بها ما بدأ به أبوه، عني بتجميل مدينة القطائع وأحدث بها بستانًا زرع فيه أنواع الرياحين والورود والزعفران وكسا النخيل نحاسًا مذهبًا، وجعل تحت النحاس ميازيب من الرصاص ينبثق منها الماء بترتيب عجيب، وجعل من الرياحين صورًا وكتابة يتعهدها البستاني بالمقراض فتبقى على أشكالها، وبنى في البستان برجًا من خشب الساج وسرح فيه أصناف القماري والطيور الجميلة الحسنة الصوت، وجلب إلى البستان الطواويس ودجاج الحبش وغيرها من الطيور الغريبة، وبنى في قصره مجلسًا سماه بيت الذهب موه حيطانه بالذهب واللازورد في نقوش عجيبة، وجعل في الجدران تماثيل من الخشب بارزة، وبنى في القصر قبة عالية كان يجلس فيها فيشرف على المدينة ويرى الصحراء والنيل والجبل أمامه، وبنى دارًا للأسود قبلي مدينة القطائع جعل فيها بيوتًا في كل بيت أسد ولبؤة، وبجانب كل بيت حوض من الرخام، ورتب الخدم بتعهد هذه الدار، وكان له في قصره سباع مدربة أحدها اشتهر باسم زريف، كان يأنس بالأمير ويستأنس به فإذا مدت مائدة خمارويه ربض الأسد زريف بين يديه، فإذا نام ربض عند سريره، واستمر خمارويه قائمًا بأعباء الملك حتى قُتل أثناء خروجه إلى الشام لثمان خلون من شعبان سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)[١]، ولم يلبث حتى قتل في غاية ذي القعدة من هذه السنة، وحمل إلى مصر فدفن بتربته ظاهر الفسطاط، ولم تطل مدينة القطائع بعده إلا برهة، ثم حرقها محمد بن سليمان، الذي أغار على مصر، وحارب هارون بن خمارويه وانتصر عليه وقتله، وهكذا أذهبت السياسة الغاشمة بهذه المدينة الطولونية العظيمة، التي لو بقيت لكانت مضرب الأمثال ومكان الزائرين، فما أقسى تلك القلوب المتحجرة[٢].

رثاء الدولة الطولونية

وقد تحسر الشعراء على ذهاب هذه الدولة وآثارها حسرتهم على كل عزيز لديهم، ويظهر هذا الأسى باديًا في قصائدهم، فمن ذلك نظم الشاعر إسماعيل بن أبي هاشم في قصيدته منها[٣]:

(١) عن أعمال خمارويه في القطائع، انظر: المرجع السابق: ٨٨- ٩٥، ١٠٠- ١٠٣.
(٢) المرجع السابق: ١٠٤.
(٣) المرجع السابق: ١٠٦.

قف وقفة بقباب باب الساج[١]
والقصر ذي الشرفات والأبـراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم
بـعـد الإقــامــة أيــمـا إزعاج
كانوا مصابيحًا لدى ظلم الدجى
يسري بها السارون في الأدلاج
وكــأن أوجههم إذا أبصرتها
مـن فضة بيضاء أو مـن عاج
كانــوا ليـوثًـا لا يــرام حماهم
في كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثـارهـم تلقى لهم
عـلـمًا بـكـل ثنية وفـجـاج
وعليهم ما عشت لا أدع البكاء
مع كل ذي نظر وطـرف ساجي

وله في قصيدة أخرى[٢]:

يا مـنزلًا لبني طولون قد دثرا
سقاك صرف الغوادي القطر والمطرا
يا مـنزلًا صرت أجفوه وأهجره
وكان يعدل عندي السمع والبصر
بـالله عندك علم من أحبتنا
أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

وسعيد القاص يرثي الدولة الطولونية[٣]:

من لم ير الهدم في الميدان لم يره
تـبـارك الله مـا أعلى وأقـدره
لو أن عيني الذي أنشأه تبصره
والحـادثـات تـعـاديـه لأكـبره
كانت عيون الورى تعشو لهيبته
إذا أضـاف إليه الملك عسكره
وأخلق الدهر منه حسن جدته
مثل الكتاب محا العصران أسطره
دكت مناظره واجتثت جوسقه
كأنما الخسف فـاجـأه فدمره
أو هب إعصار نار في جوانبه
فعاد معروفه للعين منكره
أين ابن طولون بانيه وساكنه
أمـاتـه المـلـك الأعلى فـأقـبره
ما أوضح الأمر لو صحت لنا فكر
طـوبى لـمن حضه رشـد فذكره

وله من قصيـــدة يذكر فيها مآثر ابـــن طولون وآثاره منها[٤]:

جرى دمعه ما بين سحر إلى نحر
ولم يجرحني أسلمته يد الصبر
وبات وقيذا للذي خامر الحشا
يئن كما أن الأسـير من الأسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى
يبيت على جمر ويضحى على جمر

ولي في بناء مسجد ابن طولون:

فبالجبل الغربي خطة يشكرا
له مسجد يغني عن المنطق العذر
يـدل ذوي الألبـاب أن بناءه
وبانيه لا بالغنى ولا الغمر
بـنـاه بـآجـر وســاج وعـرعـر
وبالمرمر المسنون والجص والصخر

(١) باب الساج أحد أبواب القصر الطولوني بمدينة القطائع، أطلق عليه هذا الاسم لأنه عمل من خشب الساج، انظر: المرجع السابق: ٨٦.
(٢) المرجع السابق: ١٠٩.
(٣) يذكر المقريزي أن صاحب هذه القصيدة يدعى محمد بن طوشية، انظر: المرجع السابق: ١٠٨.
(٤) المرجع السابق: ١٠٦.

بعد مـدى الأقطار سـام بناؤه
وتبنى المباني من عقود ومن جدر

فسيح رحاب يحس الطرف دونه
رفيق نسيم طيب العرف والنشر

هجرة الأشراف إلى مصر

وفي عصر ابـن طولون كانت مصر مثابـة لطائفة من الأشراف الذين اضطهدتهم الخلافة العباسـية وشردتهم في الأصقاع والبقاع، وكتب أحمد بن طولون يسـتقدمهم، وكان إذا قدم وفد منهم، يستقبله بنفسه وينزله منزلاً كريمًا ويغدق عليهم، وقد حفظ لنا التاريخ في طوائف الأشراف ووفودها جماعة منهـم الأشراف القاسـمية والفاطميـة والباهرية وأشراف البـصرة إلى طوائف أخرى ذخرت بهم مصر، وكان يجالسهم وينزل إلى زيارتهم وقد حمد له أهل مصر هذا الصنيع وحبب إليهم ولهجت الألسنة بالثناء عليه.

التعليم في عصر ابن طولون

وقد بلغ التعليم في مصر في عصر ابن طولون مبلغًا عاليًا لم يبلغه في عصور أخرى، أما الأدب العربي فقد بلغ شـأوًا بعيد المدى، وحسبك أن تقرأ كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف، وهو من كتاب الدولة الطولونية وأحد أدبائها النجباء فنجد فيه لونًا من الأدب العربي قد جمع إلى جزالة اللفظ وسـلامة المعنى ودقة التصوير وحسن التعبير وفيه ثروة لغوية كبرى، وهذا القاضي أبو عمرو عثمان النابلسي مؤلف كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة يقول: «رأيت كتابًا قدره اثنتا عشرة كراسـة مضمونة فهرست شعراء الميدان الذي لأحمد ابن طولون قال: فإذا كانت أسـماء الشـعراء في اثنتي عشرة كراسة، كم يكون شعرهم ؟!»[١] وهذا مسجد ابن طولون كان الجامعة العلمية الثانية في مصر الإسـلامية، تخرج فيها عدد كبير من العلماء كانت لهم نهضة علمية كبرى.

أبناء أحمد بن طولون

مات أحمد بن طولون عن أبناء كثيرة بلغ الذكور منهم إلى سـبعة عشر ابنًا، رزق بهم من زوجتيه مي العراقية وابنة أمير إياس فرج القوقاسية وبرز من أبنائه خمارويه والعباس ونصر وربيعة وشيبان وعدي وفاطمة وعائشة وهذه صاحبة المسجد بالفسطاط، والعباسة المنسوب إليها قرية العباسة بمديرية الشرقيـة، وكان لابنه خمارويـه جيش، وهارون، وقطر الندى وهذه خطبت إلى المعتضد وزفت إليه في مصر في سنة (٢٨١هـ/ ٨٩٤م) وعمل لها فرح صار مضرب الأمثال إلى يومنـا، وبقيت أغنية قطر الندى أثرًا من هذا الفرح[٢]، وقبر قطر الندى مع أبيها خمارويه بفناء مشـهد الأشراف البصريين (آل طباطبا) على قبر غلوة من عين الصيرة.

الوقف الطولوني

لما أتم أحمد بن طولون المسـجد وقـف عليه أمكنة بمصر منها سوق كامل عرف بسـوق الرقيق وأعيان بسوق الأساكفة «شارع الصليبية حاليًا» وضم إلى وقفه هذا وقفه الآخر على البيمارسـتان الطولوني الذي بناه في سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) بمدينة العسـكر العاصمـة الثانية، وقد تنظر على الوقفين معًا حسام الدين لاجين[٣]، وجدد ما جدده للمسجد

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١١٠.
(٢) البلوي، **سيرة أحمد طولون**: ٣٤٩، المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٩٥- ١٠٤.
(٣) وقف عليه وقفًا مستقلاً بكتاب وقف صادر في ٢١ من ربيع الثاني سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وهو من محفوظات شرعية مصر=

مما سلف بيانه من أوقافه ثم تتابع النظر عليه من واحد إلى آخر حتى آل إلى ديوان الأوقاف، وما بقي من أعيان الوقف هو ما أدركته الوزارة بسوق الأساكفة وحدرة الحنا وسوق البزازين وقلعة الكبش.

وذكر ياقوت المستعصمي أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق أحباسه التي حبسها بمصر على المسجد العتيق والبيمارستان، فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق واشترك معه أبو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي الإمام الفقيه الحنفي المعروف، ويذكر ياقوت في سياق حديثه لونًا من أدب العلماء فيما بينهم فيما يصححون به أغلاط بعضهم البعض بما أسكن الهيبة في قلوبهم حتى خافهم الناس وأجلوهم وأنزلوهم منازلهم.

= محصور برقم [١٧/ ٣] وقد دفع حسام الدين لاجين هذا إلى تجديد المسجد والوقف على مصالحه ما وصلت إليه حال المسجد من تقويض لبعض مفرداته وما أصابه من خلل منذ حريقه في عهد المستنصر وقد استعان على هذا التجديد بما وقفه السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي على شيوخ الموحدين المغاربة منذ نزولهم به عقب معاهدة الحلف والوحدة والتي عقدت بين هذا السلطان وسلطان المغرب أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩م)، وقد تمت هذه المعاهدة بينهما في سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وكان من نصوصها أن يتعاون البلدان على رد العدوان الصليبي وقتال فلوله الرابطة على مشارف الشام، وقد اشتركت جيوش كل من البلدين في رد هذا العدوان حتى كفى الله المؤمنين القتال وأحرزت الجيوش العربية نصرًا مؤزرًا نتيجة هذا التعاون والترابط الوحدوي وقد صار مسجد ابن طولون منذ ذلك التاريخ وحي ابن طولون سكنًا للمغاربة من المغارب الثلاثة، ومنهم من أثري وصارت له ممتلكات بهذا الحي منها الموقوف وغير الموقوف وأظهر آثار هذه الممتلكات قصر المرحوم الحاج محمد بن سالم جلجام من مغاربة جربة بتونس شرقي المسجد وقد أدركنا من المغاربة نزلاء هذا الحي المرحوم الشيخ سعيد الشحافي الجربي وكان ينظر على أوقاف المغاربة الجربيين من قاطني هذا الحي وراعيًا لهم. (المؤلف)

مهندس مسجد ابن طولون

هذا ما وسعنا أن نذكره عن هذا الأثر الخالد المقدس، بقي أن نشير إلى تلك الإشارة التي أثيرت حوله وعلق عليها فريق من المستشرقين المتعصبين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين والساعين فيما ينشرونه عن المقدسات الإسلامية في الأمصار، وهي أن مهندس هذا الأثر نصراني ليصلوا من ذلك إلى أن الإسلام عري عن فن إسلامي أصيل، وأنه إنما يستمد ريادتها من نماذج البيع والكنائس النصرانية واستندوا في ذلك إلى عبارة واهية وردت في خطط المقريزي لدى ترجمته لهذا المسجد الجامع من أن ابن طولون كلف أحد النصارى السابق تكليفه بحفر عين المغافر ظاهر الفسطاط ببناء مسجده هذا[١].

وهذه العبارة إن لم تكن تحريفًا من النساخ من فرغاني إلى نصراني فما أغناها عن التكذيب إذا علمنا أن ابن طولون فيما ذكر المقريزي في نفس الترجمة أنه تحاشى أن يدخل في مسجده أي أثر كنائسي تنزيهًا له من مخلفات الكنائس، فرغب في أن تبنى أساطينه على شكل دعائم سميكة تندمج في زواياها، ومنشأ هذه الرغبة في نفس ابن طولون انبعث من مشاهدته لجامع المعتصم الذي بناه في سامراء أي سُرَ مَنْ رأَى بالعراق[٢]؛ إذ كان هدفه من ذلك قوة الاحتمال وبالتالي ما تتميز به هذه الدعائم عن العمد بتيجانها وقواعدها، فدفعته هذه الرغبة إلى أن يستقدم

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٩٤- ٨٩٦.

(٢) K.A.C. Creswell, and James W. Allan. *A Short Account of Early Muslim Architecture*. (Aldershot: Scolar Press, 1989): 358-365; Richard Ettinghausen, Oleg Grabar, and Sheila Blair, *The Art and Architecture of Islam 650-1250*. (Harmondsworth, Middlesex, England: Penguin Books, 1987): 86-88.

هذا المهندس الفرغاني نزيل العراق لهذا الغرض، بل إن ابن طولون لم تقف رغبته عند هذه الدعائم فحسب، بل رغب في أن تتوج بنفس الزخارف الجصية التي توجت بها زخارف دعائم مسجد المعتصم وقصره في عاصمة ملكه سامراء(١).

وقد أبانت البقية الباقية من مسجد المعتصم إلى مخلفات قصره القائمة إلى يومنا بعاصمة ملكه سامراء أن ما يوجد منها في عقود المسجد الطولوني إلى الزخارف التي تتحلى بها إلى الحفريات الخشبية هي صورة مطابقة للأصل من عقود وزخارف المسجد السامري، بل إن وضع المسجد وتصميمه ومئذنته بوضعها الحالي خارج بهو المسجد صورة منقولة منه إلى مسجد ابن طولون. وقد أيد ذلك ما ذكره المقريزي في نفس الصدد وما قام به علماء الآثار الإسلامية في الغرب بالمقارنة بين مفردات جامع سامراء وجامع ابن طولون. ولا أريد استقصاء ذلك إلا بالقدر الذي يرد هذا الزعم الخاطئ والذي يكذب هذه المقالة ويهوي بها (ويراجع ما كتبه في هذا الصدد الدكتور أحمد فكري ابن المرحوم صديقنا علي بك فكري في كتابه «مساجد القاهرة ومدارسها»[(٢)]).

المعتصم ومسجده

ونستطيع بعد ذلك أن نبحث مسجد المعتصم لنصل منه إلى تكذيب هذه المقالة تكذيبًا قاطعًا فوق ما هوت بها هذه الأدلة القاطعة، وهل كان مهندس مسجد المعتصم مصريًّا أو عراقيًّا؟ ونصرانيًّا أو مسلمًا؟ المعتصم هو أبو إسحق بن محمد بن الخليفة هارون الرشيد العباسي، ولد سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وبويع للخلافة سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، ومات سنة (٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، وأسس مدينة سامراء في سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م)، واتخذ منها قاعدة وأشاد بها قصره العجيب ومسجده الجامع الذي لم يبن مثله في العراق بما تميز به من المرايا والمئذنة الملوية ذات المنظر العجيب.

والثابت في تاريخ العباسيين أن كل ما بنوه من مساجد ودور وقصور كان بأيد عربية لا دخل للنصرانية فيها، فالذي تولى بناء مسجد المنصور في عاصمته بغداد عربي اسمه الحجاج ابن أرطأة والذي مصر له بغداد عبد الله بن محرز يشاركه عمران ابن الوضاح، وليس في هؤلاء من هو مصري، وقد ترجم غير واحد من مؤرخي بغداد لطائفة من المهندسين الذين كانت تضمهم عاصمة الخلافة العباسية الأولى والثانية عاشوا في القرن الثاني الهجري إلى الرابع، وكانوا هم القائمون بإشادة ما أسسه الخلفاء من أبنيتهم المختلفة ومن هؤلاء هشام بن عمرو، وعمارة بن حمزة وربض بن عبد الله وسليمان بن مجالد وغير هؤلاء، فهل يُقال بعد ذلك إن ابن طولون يبني مسجده ويقيم دعائمه على النحو الموجود ومنها صورة طبق الأصل بمسجد المعتصم ويعهد ببنائه إلى نصراني؟ وهل يجوز بعد ما نزه أحمد بن طولون مسجده عن إدخال أي أثر نصراني فيه أن يقال إن ذلك النصراني الفكر هو الذي أقام له هذه الدعائم بما يحليها من زخارف جصية تحمل طابعًا عربيًّا خالصًا بشكل واضح لا يدع مجالاً للشك في أن الأيدي التي صنعته أيدٍ عربية وهل بعدما ثبت أن ابن طولون لم يستخدم في عمارة المسجد من بناء إلى نجار إلى جصاص إلى نقاش إلى غير ذلك إلا من كان مسلمًا تقيًّا يصلي ويصوم كما ذكر ذلك المقريزي في المصدر نفسه أن يدخل في مسجده نصراني يقيم دعائمه؟ وبعدما ثبت أيضًا أن

---

(١) عن التشابه والعلاقة بين زخارف مسجد سامراء ومسجد أحمد بن طولون، انظر: Samuel Flury. *Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Ṭūlūn*. (1913): 421-432; K.A.C. Creswell, "Some Newly Discovered Tûlûnide Ornament". *The Burlington Magazine for Connoisseurs*, editor Benedict Nicolson (1919): 180-188.

(٢) فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**: ١٠٤-١٠٦.

سقف المسجد تحمل اسم أحد من اشتركوا في تشييده وهو محمد ابن عبيد وآخر اســـمه محمد؟ وبعدما سن ابن طولون إدخال الفن العباسي في بناء الدور في مصر لشـــدة إعجابه به؟ هذا ما يجله العقل ولا سبيل للوثوق به ولا فرض صحته، وفضلاً عن ذلـــك فقد تواطأ عدد من المؤرخين على أن مهندس جامع ابن طولون اسمه الفرغاني أي من أهالي فرغانة وبالرغم من ذوبان اسمه بين أحمد وســـعيد فقد كفانا هذا اللقب بالبحث عنه، ونحـــن لا يهمنا إن كان الفرغاني في هـــذا أو ذاك هو مهندس الجامع الطولوني إنما الذي يهمنا تكذيب هذه المقالة المرذولة لا لشيء سوى تعليق نفر من متعصبي الاستشراق عليها نيلًا من قدسية هذا المسجد الجامع وحين ظهر كذبهم وافتراؤهم وقلبهم الحقائق بما كشـــفت عنه حفريات مسجد المعتصم وجوسقه بسامراء وقورن ما وجد من دعائم المسجد وزخارف المسجد بما وجد من مثيلها في مسجد ابن طولون قدمًا بقدم وحذوًا بحذو خرصوا ولم يجدوا بعد منفذًا ينفذون بســـهامهم إليه وإلى المقدسات الإسلامية، ومسجد ابن طولون وإن ثبت أنه صورة مصغرة من مسجد المعتصم بيد أن هذه الصورة تبدو في دعائمه وزخارفه الجصية والبعض من مفرداته، أما باقي شكل المســـجد فيصور لنا نظامًا يحمل الطابع الإسلامي الذي بنيت عليه المساجد الإسلامية الأولى ويبدو ذلك في تربيعه وصحنه المكشوف إلى بعض مفردات أخرى تحمل الطابع العربي الأول.

ومما هو جدير بالذكر أن أحمـــد بن طولون قضى وقتًا طويلًا من حياته الأولى في العراق متنقلًا بين بغداد وسامراء متأثـــرًا بكل ما في العاصمتين في بناء لقصور العباســـيين ومنشـــآتهم؛ إذ كان جميعهـــا مما يلفت النظـــر ويدعو إلى الإعجاب بما كانت تحمله من طابع ريادي رائع، وهذا مأتى تأثره بالفن العباسي الذي أدخله العباســـيون على منشآتهم بالاقتباس من الفن الســـاســـاني بعد ما أصقلوه بالفن العربي الأصيل وأكثر ما تأثر به ابن طولون القصور التي بناها كل من المعتصم والمتوكل بسامراء ما بين سنتي (٢٢٠ –٢٤٠هـ/ ٨٣٥– ٨٥٤م)، كقصر المنقود جنوبي ســـامراء والجوسق والمسجد بســـامراء، وقد ظهر تأثره في هذا فيما أدخله من هذا الفن في مسجده وقصره، وفيما رسم به لأهل مصر أن يدخلوه في دورهـــم وقصورهم ليجعل في مصر صورة تحمل هذا الطابع الفريد، وفي هذا الوجه مضـــت مصر في الفترة التي قضاها ابن طولون في مصر متأثرة بهذا الفن إلى حد كبير، وهذا ما أكدته حفريات الفسطاط سنة (١٩١٢م)، فقد كشفت هذه الحفريـــات عن وجود دار عظيمة بجهة كوم الجارح «خرطة أبو الســـعود الجارحي» كانت مملوكة لأحـــد سراة مصر وهو المدعـــو إبراهيم البغدادي، وتأكد من المفردات التي تخلف منها أنها صـــورة مصغرة طبق الأصل من قصور ســـامراء وأخصها قصر المعتصـــم، فدعائمها ذات التيجان وزخارفها الجصية المماثلة لدعائم المسجد الطولوني وزخارفه هي نفس دعائم وزخارف الجوسق الخاقاني بسامراء[(١)].

وهذا الدليـــل الحي مما تقدم من أدلـــة أخرى يعطينا فكرة صحيحـــة واضحة عن نزاهة المســـجد الطولوني في كل ما يشـــينه عن قدسيته واســـتبعاد كل أثر غير إسلامي عنه، وهو ما عبر عنه أحمد بن طولون نفســـه فقد ذكر عنه المقريـــزي أنه قال: «بنيت هذا الجامـــع من مال حلال وما كُنْتُ لأشوب بغيره وهذه العمد إما أن تكون من مسجد أو كنيسة نزهته عنها»[(٢)]، وقد أكد المقريزي فيما نقل عن ابن

(١) Ernst Herzfeld, “Mitteilung über die Arbeiten der zweiten Kampagne von Samarra”, *Der Islam* vol. 5 (1914): 196-204; Friedrich Sarre, “Die Kleinfunde von Samarra und ihre Ergebnisse für das islamische Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts”, *Der Islam* vol. 5 (1914): 180-195.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٧٠.

طولون أن صناع هذا المسجد من بناء إلى نجار إلى غير ذلك ليس فيهم إلا من هو عربي يصلي ويصوم رمضان [انظر مقالة ابن طولون نفسه في هذا الصدد].

ونقل رينه ديسو في كتابه العرب في سوريا قبل الإسلام المطبوع في باريس نقد العالم الأثري شترز زيجوفسكي على من زعم أن العقد المنحني الذي أدخله أحمد بن طولون في مسجده متأثرًا بالفن القبطي، وهو في نقده يفرض أن هذه النظرية ليس لها أساس علمي صحيح، فقد ثبت من شهادة القضاعي أنه أقيم على نمط مسجد سامراء بالجزيرة، ثم انتهى في نقده بمقارنة طرز هذا العقد بما يوجد نظيره في مقياس النيل، وفي قصر المشتى بشرق الأردن[١].

وشهادة القضاعي التي يشير إليها العالم الأثري المذكور وردت في خطط المقريزي فيما نقله عن القضاعي في كتابه الخطط وهو قوله: «إن السبب في بنائه أن أهل مصر شكوا إليه ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بإنشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم فابتدأ بنيانه سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه في سنة خمس وستين ومائتين»، وانتهى من قوله هذا إلى «أنه بناه على بناء جامع سامراء وكذلك المنارة»[٢].

وفي كتاب «مرشد الزوار» لابن عثمان، و«مصباح الدياجي» لابن الناسخ، و«الكواكب السيارة» لابن الزيات، و«تحفة الأحباب» للسخاوي، ما يفيد معاصرة القضاعي صاحب الخطط لابن طولون، ومشاهدته بناء المسجد في أولى مراحله، فذكر كل هؤلاء «أن أحمد بن طولون رأى رؤيا أثناء بنائه للمسجد، فجمع المفسرين من الشيوخ وغيرهم فلم يوفق أحد منهم لتعبيرها، فسأل: هل بقي أحد من العلماء؟ قالوا: رجل من قضاعة، فقال: عليّ به، فجاءوا به فوجده شيخًا كبيرًا، فأخبره بالرؤيا بما ذكره هؤلاء المصنفون، قال السخاوي عقب هذه الحادثة: «وهو جد جماعة من القضاعيين بمصر، وله من الأولاد أبو محمد سلامة بن علي القضاعي، ومن عقبه القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي مؤلف كتاب الشهاب في الحديث المتوفى في ذي القعدة سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)»[٣].

فيكون القضاعي هذا من معاصري أحمد بن طولون حقيقة، وشاهد عيان لبناء المسجد وشهادته هذه تكفي لانهيار كل ما قيل عن المسجد في بنائه وبناء كل مفرداته حدسًا وتخمينًا أو لحاجة في النفس.

ويؤكد ذلك كل التوكيد أن القضاعي هذا من صحابة الإمام المزني من أئمة الشافعية المتوفى سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) كما في الكواكب السيارة، وكان يسمع عليه ويكتب عنه وتوفي سنة (٢٩٩هـ/ ٩٠٨م) والنص المتقدم يؤكد أنه كان شيخًا كبيرًا عندما سأله ابن طولون عن الرؤيا وهذا يعني أنه كان مسنًّا قد بلغ السبعين أو تعداها.

وكتابه الخطط وإن لم يوجد بين الأيدي حاليًا إلا أن المصنفين نقلوا لنا منه مقتطفات تقف عند بداية القرن الثالث الهجري (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)[٤]، وقد ضمنه ذكر المشاهد والمزارات بالقرافة وما وجد فيها من مساجد وخلافه، وقد ذيله حفيده القاضي محمد بن سلامة القضاعي المذكور آنفًا وحقق فيه إلى سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٥٠م)، وهو المسمى بالمختار من كتاب الخطط والآثار، وهذبه واختصره ابن دقماق في كتابه

(١) رينه ديسو، **العرب في سوريا قبل الإسلام**، تحقيق محمد مصطفى (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٥): ٤٤.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٦٤.
(٣) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٢٤٦.
(٤) عصر الإخشيد محمد بن طغج. (المؤلف)

الانتصار المطبوع منه قطعة والموجود كاملًا بالمكتبة الأهلية بباريس.

فهذه الأدلة كلها تقطع بأن مسجد ابن طولون لم تمتد إلى بنائه غير أيدٍ عربية وأنه صورة مطابقة إلى حد ما لجامع المعتصم في سامراء والجامع الذي ينسب إلى ابنه المتوكل حاليًّا المتوفى قتلًا في شوال سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، كما في تاريخ الأربلي، ونسبة هذا المسجد الجامع كما يعرف بسامراء اليوم إلى المعتصم ذكرها المؤرخ المذكور بقوله: «وبني الجامع الكبير وأنفق على ذلك خمسمائة ألف دينار وجعل حيطانه مرايا وبنى المنارة التي يقال إنها من إحدى العجائب».

وقد كشفت حفائر سنة (١٩٦٢-١٩٦٣م) عن مفردات هذا الجامع وترميم بعضها وظهر من مفرداته التي عثر عليها نماذج من العقد المنحني الذي اقتبسه أحمد بن طولون وأدخله في مسجده[١]، كما ظهرت شبابيك ونوافذ جصية مقرنصة مما يوجد نظيره في المسجد الطولوني، وينسب القائمون على الصيانة مسجد المعتصم إلى ابنه المتوكل، وهذا مردود بما ذكره الأربلي فيما قدمناه وفيما ورد بهذا الصدد نفسه ولعل هذا نتيجة التشابه بين مسجدي الأب وابنه في كل مفرداتهما كما هو ظاهر من شكل المئذنة[٢].

والمعروف عن سامراء أنها أسست سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م) ومؤسسها المعتصم العباسي، وقد جعل منها قاعدة لسلطانه، ثم أنشأ بها مسجده هذا وقصوره، ولما آل الحكم إلى ابنه المتوكل عزف عن سامراء إلى ضيعة تقع في الجزء الشمالي منها، وأسس بها مدينة سماها الجعفرية، وهي التي تعرف اليوم بالمتوكلية، ومن منشآته فيها الجامع المنسوب إليه بما أنشأه في سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)، أقامه على مسطح من الأرض يبلغ ٣٨٠٠٠ متر مربع، وأقام مئذنة خارج المسجد كمئذنة أبيه، ولكي يصل قاعدتها بالمسجد جعل بينهما قنطرة يعبر عليها من الزيادة الشمالية إلى داخل المسجد[٣].

والنظام الذي اتخذه ابن طولون في بناء مئذنته هو نفس النظام الذي نراه في جامع المتوكل بسامراء وجامع أبيه المعتصم، لا في شكلها فحسب بل في أطوالها وعروضها، فمقاس قاعدتها ١٠/٩٥ في ١٠/٦٠ متر، وعدد درجها ١٧٢، ودرج الدور العلوي منها ١٦، وارتفاعها عن أرض الجامع ٣٩ متر، وطول كل درجة ١,٥٥ متر، وقاعدة مئذنة المتوكل مربعة، طول جانبيها الشمالي والجنوبي ١٠/٨٥ متر، والشرقي والغربي ١٠/١٠ متر، وقاعدتها تعلو عن مستوى الأرض ٢/٧٠ متر، وهذا النظام الذي نراه في بناء هذه المساجد الثلاثة يشبه إلى حد كبير النظام الفارسي الممتاز في بناء المساجد، ومن ثم انعقد إجماع علماء الآثار من عراقيين وغيرهم على أن مهندس جامع المتوكل وجامع أبيه فارسي، وهذا يؤكد ما سبق به القول بأن مهندس مسجد ابن طولون فارسي أيضًا هو محمد أو أحمد الفرغاني وإنه من متوطني العراق.

(١) قدر قطر كل عقد منها بأربعة أمتار ونصف المتر وارتفاعه بنحو ٣,٧٠م وهو نفس التقدير لعقود المسجد الطولوني. (المؤلف)، انظر: K.A.C. Creswell, "Some Newly Discovered Tûlûnide Ornament": 180-188.

(٢) فؤاد سفر وصادق الحسني، **صيانة الأبنية الأثرية في العراق** (بغداد: دار الجمهورية، ١٩٦٥): ١٩.

(٣) K.A.C. Creswell, *A Short Account*: 367-373; Ettinghausen and Grabar, *The Art and Architecture*: 88-92.





منظر عام لجامع ابن طولون «عن مساجد مصر»

الجامع الأزهر

أثر رقم ٩٧ (سنة ٣٥٩- ٣٦٠ﻫ/ ٩٧٠- ٩٧١م)

الجامعة الأزهرية

الأزهر هو المسجد الكبير القائم في مدينة القاهرة لأكثر من عشرة قرون مضت، وهو تلك الجامعة الدينية الإسلامية الكبرى التي قادت العالم أجمع في الشرق والغرب خلال تلك القرون والتي كانت مصدرًا للزعامة الدينية، وميدانًا للكفاح السياسي والاجتماعي بما كان لها من قوة السلطان، وهو ذلك المعهد العلمي الذي لم يكن له مثيل في الأقطار الإسلامية، لشهرة علمائه وتَهيب العامة والخاصة منهم، وعظم مكانة التعليم فيه وهو الذي تمثلت فيه قوة الإسلام، تلك القوة الدافعة إلى مقاومة الاستعمار الأجنبي، وقضت على العقائد الفاسدة والمبادئ الهدامة، وكان في الأزهر في كل عصر نخبة ممتازة من علمائه الأمجاد يشدون المطايا إلى البلاد النائية في الشرق والغرب لبث الرسالة المحمدية وتبليغها ونشر الدين والعربية في تلك الربوع[١].

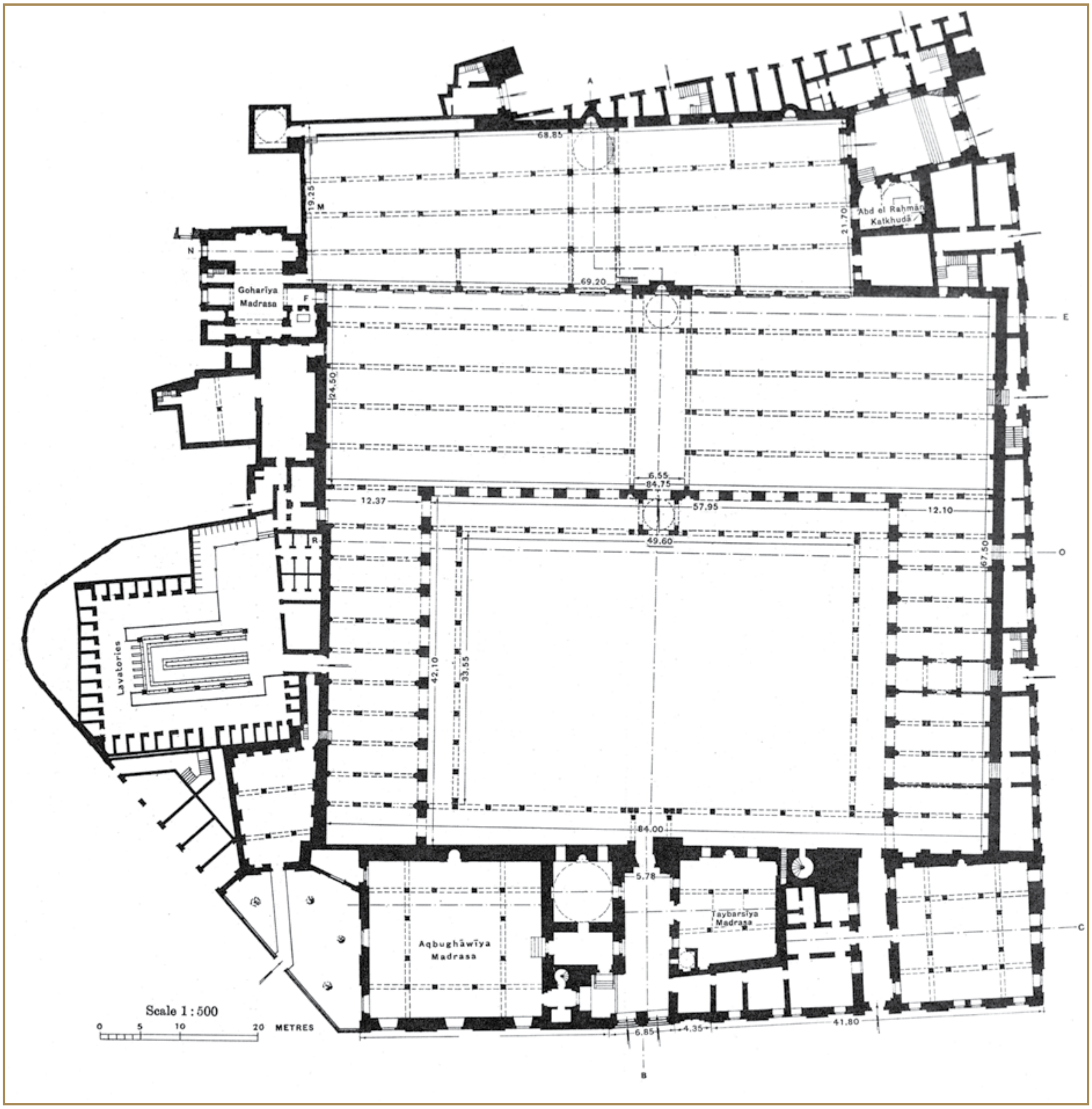
وهو أول مسجد أسس بالقاهرة المعزية أنشأه بأمر مولاه القائد جوهر بن عبد الله بن الحسين الصقلي الذي اختط مدينة القاهرة رابعة العواصم الإسلامية في مصر، وقد وضع أساسه في ليلة الأربعاء ١٨ من شهر شعبان سنة (٣٥٨ﻫ)/ ٧ من يولية سنة (٩٦٩م)[٢]، وافتتحه الخليفة المعز بعد قدومه القاهرة في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة (٣٦٢ﻫ)/ ١٥ من يونية سنة (٩٧٣م)، وقد قام بوضع تصميم الأزهر وبنائه المهندس المعروف الحسين بن عبد العزيز الفارسي[٣].

وهو مغربي نزح آباؤه من فارس إلى بلاد المغرب الأوسط منذ عهد سحيق وتُعرف أسرته ببني المحتسب، وأسسه على نظام المساجد الإسلامية في بلاد المغرب، وأكثر من زخارفه الجصية الجميلة، وغرس في صحنه شجيرات لتبديل الهواء، ثم توالى عليه التغيير والتبديل؛ حتى تم له هذا المظهر الملازم له حتى اليوم، ولم يبق من آثاره الأولى خلا إيوان بيت الصلاة، وفيه تظهر رغبة الخلفاء الفاطميين في تعلية بيوت الله وإشادتها ورفعها.

(١) للمزيد عن تاريخ الجامع الأزهر، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٤٧-٦٣؛ فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**: ٤١-٥٩؛ Devonshire, *Rambles in Cairo*: 8-16; Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*: 36-64; Hautecoeur et Wiet, *Les mosquées du Caire*: 218-220; Nasser Rabbat, "Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History", *Muqarnas* 13 (1996): 45-67.

(٢) ذكر المقريزي أن جوهر الصقلي قد شرع في بناء الجامع يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاث مائة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٩١.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨٨.



مسقط أفقي للجامع الأزهر «عن كريسويل»

وقد رغب الفاطميون منذ تأسـيس الأزهر أن يجعلوا منه معهدًا علميًّا تدرس فيه العلوم بشقيها، كالجامعة العمرية والطولونية، فأنشأوا به أقسامًا للدراسة، ومساكن للطلبة، وخصصوا له من مال الدولـة مبلغًا من المال للصرف عليه، لدوام اسـتمرار التعليم فيه، بيد أن إقبال الطلبة والمدرسين على هذه الجامعـة كان في بادئ الأمر مرغوبًا عنه؛ ذلك لأن القائد جوهر لما وضع قدمه بالقاهرة وفتح باب الأزهر للعلم، أزهر المذهب الإسـماعيلي الذي كان يتعبد به الخليفة المعز وأسلافه، وهو المذهب الذي أسسه الإمام إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)، مما تلقاه عن آبائه

في المســائل الفقهية، والمصريون في ذلك الوقت وإن كانوا هم أقرب الشعوب محبة لآل البيت وأخلص الناس لهم ولاء فإنهم لم يأتلفوا هذا المذهب، فنفروا منــه، وزادهم فيه نفورًا أمر جوهر بتغيير الأذان، وإجبار النــاس على التعليم في الأزهر وترك ما عداه، فلما قدم المعز إلى القاهرة لم يحمد لجوهر هذا الصنيع، ونظر فيه نظرة رجل حرب لا يصلح لقيادة الشعوب والتفافهم حــوله، فأعلن إبطال نظم التعليــم التي وضعها القائد جوهر، وجعل التعليم حرًّا وفتح بابي الجامعة العمرية والطولونية، وعين لتدريس الفقه المالكي أبا الطاهر محمد بن أحمد البغدادي، ولتدريس الفقه الإسماعيلي أبا الحسن علي ابن النعمان القيرواني، فتصدر أبــو الطاهر للتدريس حتى تقاعد ثم مات في ســنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، وأملى أبو الحســن مختصر أبيه في الفقه الإســماعيلي الموسوم بالاقتصار في فقه الســادة الأطهار، وهو متن في فقه الإسماعيلية كتلك المتون المعروفة في المذاهب السائدة.

وابن النعمان هذا هو أول الشيوخ بالأزهر لأول العهد به، ولما تولى يعقــوب بن كلس بن فرج البغــدادي الوزارة للخليفــة العزيز ألف كتابًا في الفقه الإســماعيلي، يتضمن ما ســمعه من المعز، فكان يجلس لأقرانه تارة بالأزهر وتارة بالجامع العتيق، واســتمر التعليم في الأزهر في نماء وازدياد حتى اتجهت الرغبة إليــه في أيام المعز، وكان للمعز فيه ثلاثة أيــام في كل أســبوع كان يلقي فيهــا الدروس على الطلبة في الحديث والتفسير والفقه الإسماعيلي، ولما صارت الخلافة إلى العزيز بالله عني بالأزهر عناية بالغة فأكثر من المدرسين فيه وزاد في عدد الطلبــة، وزاد في ميزانيته وانتخب من علماء الأزهر خمسة وثلاثين عالمًا جعل منهم شيخًا للأزهر ووكيلًا وأعوانًا عهد إليهم إدارته والقيام بشئون الطلبة، ورتب لهم المرتبات، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شــهر، وبنى لهم دارًا في جانب الأزهر، فكانت هذه الجماعة من العلماء أول هيئة رسمية فيه وأول شيخ رســمي له وأول إدارة ومشيخة، ومنذ ذلك الحين أخذ الأزهر يشــق طريقــه إلى المجد وإلى الذروة حتى بلغ هذا الشأن الذي لم تبلغه أية جامعة أخرى.

ولما أفضت الخلافة إلى الحاكــم بأمر الله أدخل في برامج التعليــم فيه علم الفلك والميقــات والهيئة، وجعل مرتبة شــيخ الأزهر في كل شهر دينارين من الدنانير المعزية التي زنة كل دينار منها تســعة دنانير من الحاكمية، وزاد في مرتبــات الطلبة والقومة والســدنة، وضاعف عدد الخدم فيه، فازدحــم الأزهر بالطلبــة، وكثر رواده مــن الآفاق، فأقبل عليه من الأقطار النائية عدد كبير من شــيراز وبلاد العجم وبخارى وسمرقند والمغرب، وأدخل في علومه الطب والهندســة والإلهيات، ورأت مشيخة الأزهر إتمامًا لرسالته أن توفد نخبة من علمائه إلى بلاد الفرنجة لتبليغ الرســالة المحمدية ونشر الدعوة الإسلامية، احتذاء بما كانت تفعله جامعات الأندلس الإسلامية، فأرسلت أول بعثة من الأزهر إلى غرب أوروبا، فكانت هذه البعثة نواة لإيفاد بعثات أخرى في أوقات مختلفة، ظهر أثرها بعد ذلك في انتشــار العربية في بعض ممالــك أوروبا واعتناق عدد كبــير من الغربيين الدين الإسلامي واحتضان مبادئه وتعاليمه الرفيعة وبذلك اتصل الدين الإســلامي بالمسيحية اتصالًا وثيقًا حتى دانت المسيحية له ورفعته فوق الهامة.

موقعه وتأسيسه

هذا الجامع داخل مدينة القاهرة وهو أول جامع أسس بها؛ أسسه القائد جوهر بن عبد الله بن الحسين الصقلي في

٢٢ من جمادى الأولى سنة (٣٥٩هـ/ ٩٧٠م)، وكمل في ٩ من رمضان سنة (٣٦١هـ/ ٩٧٣م)، واحتفل بافتتاحه رسميًّا في هذا الشهر بحضور القائد جوهر والعلماء والأعيان وغيرهم.

وقد أسسه على نظام المساجد الإسلامية بالمغرب من أربعة أواوين بينها صحن مكشوف، أكبرها الإيوان الشرقي وجعل به ثلاثة أروقة في كل رواق ٢٢ أسطوانة من رخام، وبين كل أسطوانتين قوصرة تحملها، بني في مؤخر الرواق الأخير من الإيوان الشرقي سدة للتبليغ، وأقام إلى جانب محراب الإمام منبرًا ورفع فوق المحراب قبة، وأحاط بالجميع مقصورة وجعل له أبوابًا ثلاثة: بابًا قبليًّا، وبابًا غربيًّا، وبابًا بحريًّا؛ وهو الباب الخليفي الذي يمر منه الخليفة إلى الجامع، وجعل بين الباب البحري وبين القصر رحبة متسعة تتصل بها رحبة أخرى تجاه الباب الغربي، وجعل لكل من الإيوانين القبلي والبحري رواقًا واحدًا يقوم على أساطين تحملها قواصر وجعل في كل إيوان منها بابًا من الأبواب المذكورة.

وأحاط جميع ذلك بسور مربع؛ حده الشرقي إلى زيادة الأزهر الحالية، والغربي إلى ميدان الأزهر وفيه الباب، والقبلي إلى براح أقيمت عليه حارة الأتراك فيما بعد وفيه الباب، والبحري إلى القصر الفاطمي والسبع خوخ وفيه الباب الكبير المذكور، ويظهر مما ذكره المقريزي أن جوهرًا لم يترك الصحن خاليًا، بل أقام في وسطه نافورة وجدت آثارها مطمورة في سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) [راجع خطط المقريزي][١].

تجديد العزيز بالله: وبعد مضي حوالي ستة عشر عامًا من تأسيس هذا المسجد أمر العزيز بالله بتجديد بعض أجزاء الإيوان الشرقي وزخرفتها، وفي سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) بنيت دار لسكنى طلبة العلم بالتماس من الوزير يعقوب بن كلس بالحد القبلي لصحن الأزهر[٢].

تجديد الحاكم بأمر الله: وفي سنة (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) إلى سنة (٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) جدد فيه الحاكم ما كان منه في حاجة إلى التجديد، من بياض وزخرفة وتجديد بعض أبوابه وقناديله وأوقف عليه أوقافًا[٣].

تجديد المستنصر بالله: وفي حوالي سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) جدد المستنصر بعض أجزائه.

تجديد الآمر بأحكام الله: وفي سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) أحدث به الآمر محرابًا وجدد قبابه وقواصره وأقواسه.

تجديد الحافظ لدين الله: وفي سنة (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) أحدث به الحافظ لدين الله مقصورة إلى جانب الباب الغربي عرفت بمقصورة السيدة فاطمة الزهراء[٤].

تجديد الملك الظاهر بيبرس الأول: وفي سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) وهي السنة التي عاد فيها إلى الأزهر ماضيه الأول؛ جدد الأمير عز الدين أيدمر الحلي ما وهن من بناء المسجد، وأحدث به الأمير بدر الدين بيلبك العلاي جناحًا خصصه لتدريس علم القراءات والحديث وفقه الشافعي، وزخرف المحراب وكساه بالخشب المشغول[٥].

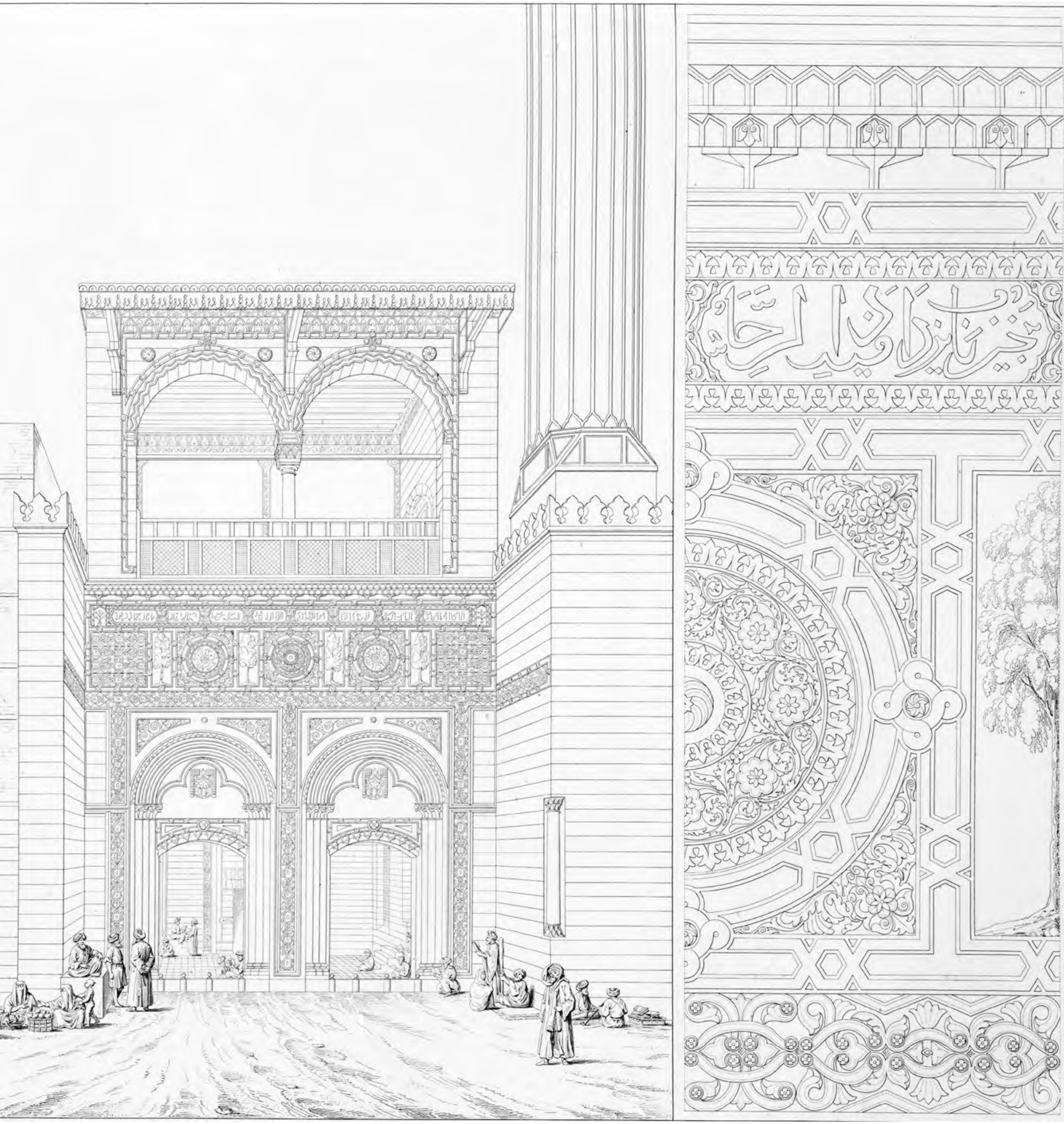
(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٩١.

(٢) المرجع السابق: ٩٣-٩٤.

(٣) المرجع السابق: ٩٦-٩٩.

(٤) المرجع السابق: ١٠٠.

(٥) المرجع السابق: ١٠١-١٠٢.



وفي هذه السنة نفسها أُيم المنبر الظاهري للأزهر الذي لا زال موجودًا إلى اليوم ببعض مساجد القاهرة[١].

تجديد الأمير سلار: وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م)، أحدثت الزلزلة التي نكبت بها القاهرة وقتئذ تصدعًا في المسجد، فتصدى الأمير سلار الناصري لعمارته، وجدد ما وهن من جدرانه[٢]، وعقب هذه العمارة بسبع سنوات بنى الأمير طيبرس مدرسة إلى جانب الباب الغربي من الجهة البحرية[٣].

تجديد الأسعردي: وفي سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) جدد القاضي نجم الدين الأسعردي محتسب القاهرة بعض أجزاء منه[٤]، وعقب هذا التجديد بخمسة عشرة عامًا أنشأ الأمير عبد الواحد أقبغا مدرسة تجاه مدرسة طيبرس[٥]، وفي حوالي سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) نقلت ميضأة الأزهر إلى مكانها الحالي على نفقة الأمير بدر الدين جنكل بن البابا نائب الكرك في

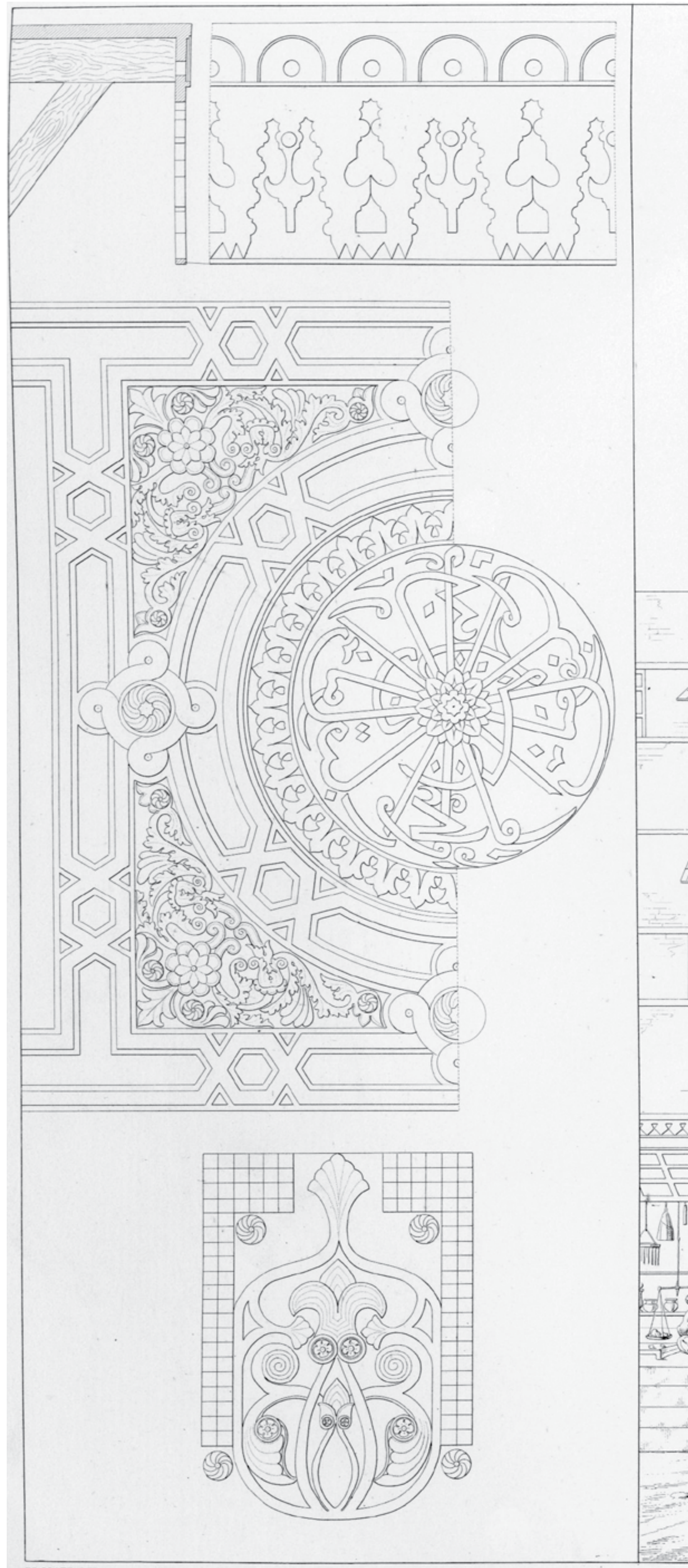
(١) نقل هذا المنبر الذي صنعه الظاهر بيبرس بمناسبة إعادة الصلاة إلى الجامع الأزهر سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، إلى جامع آق سنقر بالناصرية، ولم يبق منه سوى نصه الكتابي الذي احتفظ به المستشرق الفرنسي شارل شيفر، ثم نقل إلى المتحف الوطني بالجزائر.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٠٣.

(٣) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣٦-٥٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٤٦.

(٤) المرجع السابق: ١٠٣.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٤٠-٥٤٤؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ٢، ج. ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٧٠): ٤٨٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٤٣، هامش ١؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٢ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٩): ٤٨٠-٤٨٢.



الدولة القلاوونية المتوفى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، وفي حوالي سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) أو بعدها أضيفت إليها ميضأة المدرسة الأقبغاوية[١].

تجديد الأمير بشير: وفي سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) على عهد السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون؛ جدد الأمير سعد الدين بشير الجامدار، جدران المسجد وسقفه وأنشأ على بابه القبلي مكتبًا لتحفيظ القرآن الكريم للصغار وسقاية ماء بأسفله، وميضة وعبده وأمر بإزالة الخزائن والصناديق التي كانت بالأروقة الثلاثة، كما أزال المقاصير التي كانت تحجبها[٢].

تجديد الظاهر برقوق «ملك مصر»: وفي سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م) هدمت منارة الجامع البحري لميل ظهر فيها وبني غيرها، وقد زيد في ارتفاعها مما أدى إلى سقوطها مرة ثانية في سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، فأعادها الأمير تاج الدين الشوبكي محتسب القاهرة في عهد المؤيد شيخ وأقامها فوق الباب البحري بعد أن جدد بناءه بالحجر[٣]، وكملت في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)[٤].

وفي هذه السـنة نفسها أمر ناظر أوقاف الأزهر بإزالة الخزن والصناديق مرة أخرى ومنع المبيت في المسجد لطلبة العلم وغيرهم كما منع الطلبة من السكنى فيه والإقامة به (انظر المقريزي)، وفي هذا التاريخ كسا الناظر المذكور بأمر السلطان منبر المسجد غشاء أسود وضع على جانبيه علمان مزركشان[٥].

وفي سـنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) كشـف عن آثار نافورة بصحن المسـجد مطمورة؛ فأعيد مثلها ورفع عليها قبة ثم ما لبثت أن أزيلت مرة أخرى[٦].

وفي سـنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) أنشـأ جوهـر القنقبائي الخازندار مدرسة بمؤخر الجدار البحري من الإيوان الشرقي إلى جانب باب الإيوان الشمالي.

تجديد السلطان الملك الأشرف قايتباي «ملك مصر»: وفي سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م) جدد الأشرف قايتباي المحراب وغشاه بكسوة خشبية كما جدد المقصورة وقبة البهو والباب الغربي وأحدث فوقه منارة والباب البحري، والدرابزينات المحيطة بالأواوين الثلاثة.

تجديد مصطفى رستم: وفي سنة (٩٠٠-٩٠١هـ/ ١٤٩٥-١٤٩٦م) جدد الخواجة مصطفى بن محمود بن رستم، لحساب السلطان قايتباي هذا المسجد، تجديدًا شمل الكثير من أجزائه، وأحدث به مقصورة وجدد مساكن الطلبة ومرافق أخرى[٧].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٠٦.
(٢) المقريزي، المرجع السابق: ١٠٣- ١٠٤.
(٣) هذه المئذنة غير موجودة الآن. (المراجع)
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٠٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٣١٩، ٦٥٨؛ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، مج. ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.): ٤٠.
(٥) تولى الأمير سودون القاضي حاجب الحجاب نظر الجامع الأزهر في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وتوفي سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٠٦-١٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٥٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ١٤٩-١٥١؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٢٨٤- ٢٨٥.
(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٠٦.
(٧) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠٦.

تجديد السلطان الغوري «ملك مصر»: وفي سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) أحدث به السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري مئذنته ذات القاعدة المربعة بسطح الباب الغربي إلى جانب مئذنة قايتباي.

وفي سنة (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٦م) جدد محمد باشا حاكم مصر العثماني بعض أجزاء منه كانت في حاجة إلى التجديد ورمم أروقة الجامع (سكنى الطلبة) وزاد في المطبخ تعيينًا.

وفي سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) جدد الوزير حسن باشا الدفتردار والي مصر رواق الحنفية وأصلح مساكنهم وأحدث رواقًا مسكنًا لمجاوري اليمن.

وفي سنة (١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م) جدد الأمير إسماعيل بك القاسمي سقف المسجد.

وفي سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م) أنشأ الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي رباطًا للأكفاء من طلبة العلم بالأزهر، وجدد مساكن الطلبة الأتراك، وسقف رحبة رواقهم وجدد مساكن الأفغان وزاد في مساحة مساكن طلبة البلاد الشامية.

وفي سنة (١١٦١هـ/ ١٧٤٨م) أمر أحمد باشا كور حاكم مصر العثماني بوضع آلات التوقيت في صحن الأزهر للجهة البحرية.

وفي سنة (١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م) أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا، الزيادة التي زادها على الأزهر؛ وهي كما ذكر الجبرتي مقدار نصف المقصورة طولًا وعرضًا وتشتمل على خمسين عمودًا من الرخام تحمل مثلها من الأقواس المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت، وسقف أعلاها بالخشب النقي وبنى به محرابًا جديدًا ومنبرًا وأنشأ له بابًا عظيمًا جهة حارة كتامة؛ وبنى أعلاه مكتبًا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم أيتام المسلمين القرآن، وبداخله رحبة متسعة وعمل لنفسه مدفنًا بتلك الرحبة ورواقًا للصعايدة، وبنى بجانب ذلك الباب منارة وأنشأ بابًا آخر جهة مطبخ الجامع وجعل عليه منارة أيضًا[1]، وجدد المدرسة الطيبرسية، وأنشأ الباب الكبير الغربي وهو الباب العمومي للأزهر الآن، وكان قد جعل على يمينه منارة أزيلت سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) وبنى عدة أروقة وزاد في مرتبات الجامع.

وبالجملة فإن ما أجراه هذا الأمير في تحسين الأزهر وتوسيعه وغير ذلك لما يضاعف في حسناته فجزاه الله أحسن الجزاء، وقبره بالرحبة المذكورة معروف عليه تركيبة من الرخام، وكان علماء الأزهر فيما مضى يتخذون هذا المدفن مجلسًا يجتمعون فيه للمفاوضة في بعض الأمور الهامة التي تتعلق بشئون التعليم[2].

الأزهر في عصر الدولة العلوية

ومنذ تولى المنعم الحاج محمد علي باشا حكم مصر أخذ يتولى الأزهر بعنايته؛ فأمر في سنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) بإنشاء رواق للسنارية أجرى فيه بعض الإصلاحات، وفي مدة حكم إبراهيم باشا أمر بتجديد بلاط الأزهر وتبييضه.

وفي سنة (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م) على عهد سعيد باشا أحدثت بالأزهر عمارة تناولت إصلاح ما وهن من بلاط

(١) ما تزال المنارتان قائمتين للآن.

(٢) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مج. ٢، مكتبة الأسرة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٥- ١٢.

أروقته وعمده وخشبه، وأعقبه الخديوي إسماعيل باشا فأمر بتجديد باب الصعايدة.

وفي سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م) على عهد الخديوي محمد توفيق تجدد إيوان الزيادة، وجزء من الإيوان الفاطمي والبلاط الغربي والصحن، وقبة المحراب الفاطمي وغير ذلك.

تجديدات أخرى بالأزهر: ومنذ هذا التاريخ الذي حدثت فيه هذه العمارة المتقدمة الذكر توالت على الأزهر جملة تجديدات أهمها العمارة الأخيرة التي بدأ بها ديوان الأوقاف في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني في سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، وتمت في سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، وقد شملت هذه العمارة تجديد مقصورة الإيوان الشرقي وإصلاح الباب الغربي والواجهة التي في تجاهه وإنشاء الرواق العباسي، وتجديد الجناح القبلي إلى نصف الجناح الغربي، والمساكن التي تعلو ذلك الجناح وفي هذا العهد أسست مكتبة الأزهر بالمدرسة الأقبغاوية وجمعت لها الكتب من الأروقة ومن أماكن أخرى.

تجديدات أخرى في عصر الملك فؤاد الأول وجلالة الملك فاروق: وفي سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) أزيلت المباني التي كانت تحجب الأزهر من نصف ناحيته الغربية البحرية إلى حده البحري، فصار بينه وبين باب المشهد الحسيني رحبة متسعة كسابق عهده، وفي بعض هذه الرحبة أنشئت إدارة المعاهد الدينية، وأصلح الجناح الغربي البحري لرواق الحنفية، وفتح له باب آخر وسد بابه الذي كان محتجبًا بكتلة من المباني، كما فتح باب آخر إلى مكتبة الشيخ محمد بخيت مفتي مصر الأسبق، وأنشئ للطلبة مساكن بالبرقية.

وقد سبق ذلك مشيخة الشيخ المراغي الأولى للأزهر في عصر المنعم الملك العادل فؤاد الأول أن أزالت لجنة إصلاح الأزهر الخزن والصناديق والدواليب التي كانت تزدحم بها أروقة الجامع من كل جانب، وامتنعت السكنى فيه إلا في بعض الأروقة؛ كما منع المبيت فيه لطلبة العلم وغيرهم وأنشئت لهم مساكن أخرى، ونقلت الدروس منه إلى الكليات التي أنشئت بالقاهرة وضواحيها في أماكن مختلفة واقتصر فيه على الصلاة؛ وتلقي بعض الدروس غير النظامية، وهذه ثالث حادثة من نوعها بالأزهر والأخيرة.

وفي هذا العهد أصلحت دورة المياه بجانب بابه البحري على النظام الحديث وأحدث بها مرافق حديثة، وفي سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) انتزعت الكسوة الخشبية التي تكسو المحراب الفاطمي ووضعت الكسوة المنزوعة على محراب آخر بزيادة الأزهر على يمين باب الصعايدة، فظهرت زخارفه ونقوشه، وأصلح ما تلف منها، وفي سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ظهر بقمة مئذنة قايتباي ضعف فاقتلعت ثم أعيدت على أصلها.

وفي المحرم سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) جددت وزارة الأوقاف أرضية الأواوين الثلاثة وأعادت تعبيدها بالرخام، وفي رمضان سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) فرش الأزهر بالسجاد الثمين الذي أمر به جلالة الملك فاروق الأول، وقد جدد بياض الأزهر وطلاؤه لهذه المناسبة، وبلغ عدد هذا السجاد ١٩٣ قطعة طولها ٣٨٩٣ مترًا، وقدرت النفقة عليها بسبعة آلاف من الجنيهات؛ وهي من صنع مصنع السجاد والكليم بسراي القبة[١].

(١) هذا المصنع ما يزال موجودًا ويشغل بيتًا أثريًا تم تسجيله حديثًا ضمن الآثار الإسلامية. (المراجع)

وهكذا كانت عناية الدولة العلوية بالأزهر من عهد منشئها العزيز محمد علي باشا إلى عهد الملك الصالح فاروق الأول ابن الملك العادل فؤاد الأول لا تقل عن عناية ملوك مصر السابقين بهذا الجامع العظيم والمعهد الأزهر.

وصف المسجد

ولهذا المسجد جملة أبواب أكبرها البابان المتجاوران اللذان أنشأهما عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م)، وهما يؤديان إلى رحبة بأولها المدرسة الأقبغاوية فالطيبرسية؛ فباب يؤدي إلى مساكن، ثم يجتاز السالك بابًا تعلو جانبه منارتا الغوري وقايتباي، ومن هذا الباب يصل إلى صحن المسجد وهو صحن مكشوف تحيط به أواوين المسجد الأربعة ووجهاتها تحملها عقود مزخرفة بكتابات كوفية من القرآن الكريم، وهي آية قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤]، وبعضها بخط الأستاذ يوسف أحمد، وهي بمنتصف الرواق الأول من الإيوان الشرقي تحملها أساطين، وهي مزخرفة من داخلها بنقوش وكتابات كوفية فيها آية الكرسي وغيرها وفي جنباتها شرفات من جص، وبين القبة والمحراب القديم بعد اجتياز الحواجز الخشبية رواقان مرفوعان على أساطين رخام تحمل فوقها عقود مزخرفة بكتابات كوفية، وينتهي السالك من الإيوان الشرقي القديم إلى زيادة عبد الرحمن كتخدا، وهي مرتفعة عن مستوى الإيوان الشرقي القديم بثلاث درجات؛ وبها المحراب والمنبر ويجاوره باب صغير يؤدي إلى مساكن الطلبة من أهل الحرمين الشريفين، وبالجهة اليمنى باب آخر يؤدي إلى الباب القبلي لزيادة عبد الرحمن باجتياز رحبة محصورة بين مدفن عبد الرحمن وسبيله، وباب آخر يؤدي إلى مساكن الطلبة الصعايدة، وفي طرف هذا الباب من الجهة اليمنى مئذنة عثمانية، وعلى يسار الإيوان الشرقي القديم باب صغير وعلى مقربة منه بالزيادة باب آخر يؤدي إلى المدرسة الجوهرية، فباب نصل منه إلى رباط عثمان كتخدا للإكفاء المعروف بزاوية العميان المنشأ في سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، وقد أزيلت هذا الزاوية في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)؛ فضريح السيدة نفيسة البكرية بنت الشيخ محمد جلال الدين البكري الصديقي المتوفى سنة (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، وينتهي السالك من هذا الإيوان إلى باب بعد اجتياز ممر طويل، يعرف بباب الشوربة تجاوره مئذنة عثمانية، ومنه إلى شارع رقعة القمح « رقعة الغلة سابقًا »(١)، وبالحد القبلي لزيادة عبد الرحمن إلى جانب باب رواق الحرمين من الشارع المذكور، باب صغير يؤدي إلى ضريح يعرف بضريح السيد محرم، مكتوب بأعلى بابه ما نصه:

هذا مقام السيد محرم الأخرس القرابي انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١١٦٧ هجرية

ومن الباب البحري الكبير الذي يجتاز إليه السالك من الصحن، نصل إلى ميضأة المسجد ودورة مياهه وفيها حمامات ومعدات حديثة(٢)، ومنها إلى باب يؤدي إلى زقاق كان محجوبًا فيما سلف بكتلة من المباني.

(١) شارع رقعة القمح اختفى مع توسعات جامعة الأزهر. (المراجع)

(٢) دورة المياه المذكورة تم هدمها وكانت من المعالم القديمة للأزهر، واستبدلت بأخرى منفصلة عن المسجد. (المراجع)

وقد تنافس الأمراء والعلماء فمن دونهم في حبس ما يمتلكونه على الأزهر للصرف من مستغلاتها على مصالحه ومصالح علمائه وطلبتــه وبقاء ذلك ما بقيت الدنيا، وأول هــذه الأحباس حبس الخليفة الحاكــم بأمر الله الصادر بتاريخ التاسع من رمضان سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، حبس عليه أعيانًا بالفســطاط فيها دار الضرب وقيسارية الصوف ودار الخرق الجديدة وقوم ما تغله هذه الأعيان بحوالي ١٠٦٧ دينار معزيًّا وهــو قيمة ما يعادل ١٦ قيراطًــا من أربعة وعشرين قيراطًا ينقســم إليها الوقف وقد أورد المقريزي في الخطط النــص الخاص بالأزهر مــن كتاب الوقف ســالف الذكر بتوثيق قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي، وقد ظــل هذا الحبس قائمًا معروفًا ريعه في مصالح الأزهر طبقًا لشرط الواقف إلى ما بعد سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، ثم وتر باندثار أعيانه ثم تلاه حبوس أخرى وقفًا منها على حبس الشــيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المغربي المكناسي الصادر في الثالث من شوال سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م [المسجل برقم (٣٠٥ ٤٦)] ثم وقف جمال الدين يوســف بن بدر الدين حســن المشرقي العمري الصادر في ١١ جمادى الأولى ســنة (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، و[مسجل برقم ٣٣٦ ٥٠] نص الواقفان بهما رواق المغاربة بالأزهر وقد دثرا كاندثار الحبوس الأخرى.

أما الحبــوس القائمة إلى الآن والتي لم تندثر ويصرف من ريعها على مصالح الأزهر فأولها وقف الزيني عبد المنعم الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ســنة (٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م)، وهو خاص بالطلبــة المغاربة برواق المغاربة بالأزهر، إلى حبوس أخرى بلغ ما خص رواق المغاربة منها إلى (٤٧ حبسًا).

ونــرى في هذه الحبــوس ظاهرة جديــرة بالنظر هذه الظاهرة هي اشــتراك المرأة مع الرجل في إسداء هذا المعروف كنوع من أعمال الــبر لخدمة العامة والتعليــم، ومن هذه الأوقاف التي شــاركت فيها المرأة الرجــل طواعية واختيارًا وقف المرحومة الســت خديجة بنت محمد الأندلسي الصادر بتاريخ ١١ رجب (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م) على مصالح رواق المغاربة، ووقف المرحومة آمنة بنت منصــور الصادر بتاريخ ١٠ ربيع الأول ســنة (١١١٣هـ/ ١٧٠١م)، ووقف الســت خديجة بنت عبيد النحاس الصادر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ســنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م)، ووقف الســت فاطمة بنت مصطفى الشامي الصادر بتاريخ ١٤ صفر ســنة (١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م)، ووقف السيدة آمنة الشهيرة بأمونة الصادر بتاريخ ٨ جمادى الأولى سنة (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م)، ووقف الست زليخا بنت عبد الله الصادر بتاريخ ٨ جمادى الأولى ســنة (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)، ووقف الست خديجة بنت أحمد بن يوســف الصادر بتاريخ ٤ يناير سنة (١٨٩٩م) وأعيانه ١١٠ فدان بالفيوم على مصالح رواق الفيمة[1].

ووقف الحاجة ســتيتة أم حســن بنت محمود الصادر بتاريــخ ٢٨ رمضــان (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، وهكذا إلى أوقاف صدرت عن نســاء خــيرات من فضليات النســاء لخدمة العلم ونشر الثقافة الإســلامية الصحيحة التي لا توجد في غير الأزهر والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن المرأة هي العنصر المكمل لحياة المجتمع وبدونها تفقد المجتمعات توازنها ويختــل نظامها وهكذا نرى من المرأة تســابقًا على الخير أكثر إليه من الرجل بصــدق وإخلاص تريد به وجه الله ونشر العلم وبقائه مستديمًا ببقاء الدنيا.

(١) رواق الفيمة: هو رواق طلبة الفيوم. (المراجع)

ولعل أضخم ما حبس على الأزهر وقف المرحوم الأمير عبد الرحمن كتخدا، وهو في ثلاث حجج طويت على زيادته للأزهر الفاطمي أزهر آخر، وعلى موقوفاته على هذه الزيادة، وآخر هذه الحجج مؤرخ في ٨ ربيع الثاني سنة (١١٧٤هـ) [مسجل برقم٢٧٢ ص٥٤١- ٥٢١].

مشيخة الجامع الأزهر

يسود الرأي عند الباحثين من المعاصرين أن الأزهر لم تكن له مشيخة منذ أسس، حتى تعين له الشيخ الخرشي في ختام القرن الحادي عشر الهجري، ويستند هذا الفريق من الباحثين إلى ما ذكره الشيخ سليمان رصد الحنفي في كتابه الذي ألفه عن الأزهر المعنون له بـ «كنز الجوهر في تاريخ الأزهر» المطبوع بالقاهرة سنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، وهذا الكتاب وإن كان هو أول مطبوع عن الأزهر في هذا العصر، فقد سبقه مصنفات ومؤلفات أخرى عن الأزهر، أحفلها كتاب الشيخ سند مؤمن الشبلنجي [المتوفى سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)]، ترجم فيه لفئة من شيوخ الأزهر في سنة (١٢٣٧- ١٢٩٨هـ/ ١٨٢١- ١٨٨٠م)، ولم يذكر فيه أن أول شيخ للأزهر هو الخرشي، ثم تلاه الشيخ مسعود بن عبد الله النابلسي أمين دار الإفتاء المصرية [المتوفى سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)]، ضمنه تراجم جماعة من شيوخ الأزهر لم يتعرض فيه لترتيب مشيخة الأزهر على النحو الذي ذكره الشيخ سند في كتابه، كذلك لم يتعرض الشيخ أحمد الحضراوي المكي في كتابه عن شيوخ الأزهر في القرن المنصرم لشيء من ذلك، والشيخ الخرشي هذا من رجال تاريخ الجبرتي ترجم له في وفيات سنة (١١٠١هـ/ ١٦٨٩م) في الفصل الذي عقده لتراجم الشيوخ فقال: «وأولهم الإمام العلامة والجد الفهامة شيخ الإسلام»[(١)]، ثم ساق ترجمته في عبارة مفيدة ولم يرد فيها أنه أول شيخ للأزهر بل ورد فيها أنه شيخ الإسلام، وهذا ما سنحققه قريبًا فيكون ما أورده الشيخ سند عن أولية مشيخة الأزهر للشيخ الخرشي لا سند له ويفتقر إلى تحقيق.

ولكن من كتب عن الأزهر بعد الشيخ سند تأثر بهذه العبارة دون بحث ولا تحقيق فراح يقول إن الخرشي هو أول من تولى مشيخة الأزهر بصفة رسمية، وقبله لم تكن مشيخة الأزهر منصبًا رسميًّا؛ بل كان السلاطين والأمراء يشرفون على الأزهر ويدبرون شئونه، ثم ذهب هذا الرأي العاثر يتنقل من كاتب إلى كاتب حتى كاد أن يكون حقيقة، بينما هو رأي داحض قيل عن عدم روية وجريًا وراء التقليد والمتابعة دون تمحيص، وسنبين فساد هذا الرأي فيما نحققه حول هذا الموضوع نفيًا للخبث الذي علق بتاريخ الأزهر من هذه الناحية.

وأول ذلك أن الأزهر ابتدأ يظهر منذ تأسيسه كجامع للصلاة ومدرسة للعلم، وهذا ما أكده المقريزي في كتابه «الخطط»؛ إذ يقول: «إن العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء، وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الأزهر فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتحلقوا فيه الصلاة إلى أن نصلي العصر، وكان لهم أيضًا من مال الوزير صلة في كل سنة وكانت عدتهم خمسة

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ١٢١.

وثلاثين رجلاً وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات»[١].

ونقل عن كتـاب وقف الخليفة الحاكـم بأمر الله المحرر في سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) أنه رتب للجامع الأزهر مرتبات لشيوخه وسدنته منها ٨٤ دينارًا للخطيب وللأئمة ٥٠ دينار، وللمشرف ٢٤دينار[٢]، ثم اسـتطرد إلى القول بأن المستنصر والحافظ جددا هذا الجامع والأخير أنشأ فيه مقصورة بداخل الرواقات[٣]، كما عمل الأمير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على المذهب الشافعي ورتب في هذه المقصورة محدثًا يسمع الحديث النبوي والرقائق «الوعظ»، كما استجدت فيه عدة مقاصير في عصر الدولة القلاوونية ورتب فيه درسًـا للفقهاء الحنفية ورتب للفقراء المجاورين طعامًا[٤].

وفي سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) نجد مرسوم السلطان الظاهر برقـوق بأن من مات من مجاوري الجامـع الأزهر عن غير وارث شرعي وترك موجودًا فإنه يأخذه المجاورون بالجامع، وخلص من ذلك إلى قوله: «إنه لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه «من طوائف مختلفة» ولـكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرًا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشـتغال بأنواع العلوم، الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر»[٥].

وما ذكـره المقريزي في هـذا الصـدد يعطينا فكرة صحيحة لا مجال للشـك والغموض فيها أن الأزهر ابتدأ في أول يوم أقيم فيه بوصفه معهـدًا للتدريس وجامعة للعالم

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٩٣-٩٤.
(٢) المرجع السابق: ٩٦-٩٩.
(٣) المرجع السابق: ١٠٠.
(٤) المرجع السابق: ١٠١-١٠٢.
(٥) المرجع السابق: ١٠٤.

تذخر بالعلماء والمجاورين والشيوخ وكان لابد أن يكون لهذه الجامعة لائحة تقضي بوجود شيخ للطلبة وإدارة لشئونها ومضى الأزهر على ذلك حتى لحق بجامع الفسـطاط وبجامع أحمد بـن طولون، ثم حدثت بعد ذلـك المدارس على نظام الأزهر فتنافس السلاطين فيها وجعلوا منها معاهد علمية ذات نظـام محكم دقيق كما نرى ذلك في وثائقهم الوقفية، فهذا السـلطان الناصر حسن عندما بنى مدرسته بالرميلة «جامع السـلطان حسـن» جعل حكمها حكم المساجد العامة «أي الأزهر والجامع العمـري وجامع ابن طولون» ، فكانت مدرسته هذه تحاكي الأزهر في نظم التعليم به، ورتب به ما رتبه للأزهر ولجامعي الفسطاط والحاكم، ووقف على كل منها ما بينته وثائـق وقفه الأربعة، أولها محرر في ٧ ذي القعدة سـنة (٧٥٩- ٧٦١هـ/ ١٣٥٧- ١٣٥٩م)، وهي محصورة بحفظ شرعية مصر وحفـظ ديوان الأوقـاف، ومثل هذا نراه في وثائـق وقفية أخرى للمنصور قلاوون وابنه الناصر وغيرهما، وكلها محفوظة بجهات حفظ مختلفة[٦].

لقب شيوخ الأزهر

وقد ابتدأ لقب شيوخ الأزهر في أول عهده بلقب شيخ الجماعة على نحو ما هو متبـع في المغرب في جامع القرويين بفاس والزيتونة بتونس ثم تعدل إلى لقب شيخ الإسلام[٧]،

(٦) عن وثيقة وقف جامع السلطان حسن، انظر: الحسن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠) مج. ٣: ٥١- ٥٣.
(٧) استمر هذا التعديل إلى آخر شيخ من شيوخ الأزهر كان يحمل هذا اللقب وهو شيخنا المرحوم الشيخ سليم بن أبي فراج البشري المتوفى (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، ومن تلاه من شيوخ بعد ذلك كان لا يحمل هذا اللقب خلا الشيخ الأحمدي الظواهري، وشيوخ الأزهر منذ مشيخة الشيخ المراغي تحمل لقب الأستاذ الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. (المؤلف)

وهذا ما نراه لاحقًا لشيوخ الأزهر الذين أسندت إليهم مشيخته وكان تعيين شيخ الإسلام لا يكون إلا من قبل السلطان بمرسوم سلطاني وبمعلوم من خزينة الدولة من حال الأحباس المحبسة على علماء الأزهر وطلبته.

ولو أنك رجعت إلى المؤلفات التي عنيت بتراجم رجال مصر لعلمت أن الأزهر لم يخل في عصر من العصور الماضية من شيخ له يدعى شيخ الإسلام، وهذا ما نراه في تراجم علماء المائة السابعة فالثامنة فالتاسعة فالقرن العاشر حتى القرن الحادي عشر، وقد يعسر علينا استقصاء هذه التراجم لكل عصر لكثرتها وحسبك أن تراجع «طبقات الشافعية» للسبكي ولابن الملقن ولابن شهبة، و«حسن المحاضرة» للسيوطي، و«نظم العقيان» له، «والدرر الكامنة» لابن حجر، و«الضوء اللامع» للسخاوي، و«فوائد الارتحال» للحموي، و«خلاصة الأثر» لمحمد بن فضل الدمشقي، و«النور السافر في أخبار القرن العاشر» لعبد القادر العيدروس، و«الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» للغزي، و«الجواهر والدرر» للسخاوي، و«الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل» لمجيد الدين الحنبلي، و«أعيان القرن الحادي عشر» للأمين الدمشقي، وقد ترجم فيه للشيخ سيلمان الفيومي المولود بالفيوم سنة (١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)، ومات في جمادى الأولى سنة (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)، وذكر مشيخته على الأزهر، و«الطبقات الصغرى» للشعراني، وقد ترجم فيها لجماعة ممن تولوا مشيخة الأزهر في القرن العاشر، أمثال شيخ الإسلام شهاب الدين الشيشيني الحنفي، قال في ترجمته: «وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئًا»، «وكذلك كان ولده عز الدين يفعل لما تولى مشيخة الإسلام»[١]، ومثل هذه العبارة ذكرها بالنص في ترجمة شيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف الشافعي[٢]، وذكر في ترجمة شيخ الإسلام كمال الدين الطويل أنه تولى مشيخة الإسلام[٣]، وفي ترجمة شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين السرسي الحنفي شارح المختار في فقه الحنفية، قال: «ولاه السلطان الغوري مشيخة الإسلام «كرهًا عليه»»[٤]، وفي ترجمة شيخ الإسلام علي الشبرملسي النابلسي الشافعي المتوفى في شوال سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) قوله: وانتهت إليه رياسة الجامع الأزهر[٥].

فهذا كله ينفي القول بأن الأزهر لم يكن له مشيخة قبل مشيخة الشيخ الخرشي، لقد كانت مصر في عصورها السابقة لا تخلو من هذه المعاهد العلمية والجامعات الثقافية وفي حليفتها جامعة الفسطاط فابن طولون فالأزهر فالحاكم، ثم مجموعة المدارس التي تسابق إلى إقامتها السلاطين لهذا الغرض ووضعوا لها نظمًا محكمة، وضمتها وثائقهم الوقفية وأوقافهم الدارة على العلم والتعليم بمصر.

ونحن في تأليفنا هذا لا نقف موقف الجمود أمام النصوص التاريخية التي لا تستساغ؛ إذ من شأن المؤرخ الحصيف أن ينفي بكيره الخبيث عن التاريخ ليبقى التاريخ تاريخًا تتناقله الأجيال ويدرسه الخلف عن السلف فلا يجد فيه ما يشينه.

إنما التاريخ كير
لا ينفي بنفي الخبث

(١) عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الصغرى**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٧٠): ٤٨.

(٢) «وكان له صبانة في القدس يعمل بها الصابون، ويتقوت منها، وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئًا»، انظر: المرجع السابق: ٤٦.

(٣) المرجع السابق: ٤٦-٤٧.

(٤) المرجع السابق: ٧٢.

(٥) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ١٢٨-١٢٩، ١٣١.

المذكرة الأولى:

البســملة... مما أقر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معــد الإمام المعز لدين الله أمــير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائــه الطاهرين وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك سنة ستين وثلثماية

هذه المذكرة قرأها المقريزي وأثبتها في كتابه الخطط، وذكر أنها بدائرة القبــة في الرواق الأول على يمين المحراب والمنبر، وهي كما ذكر بدائرة قبة المحراب الفاطمية(١).

المذكرة الثانية:

البســملة... حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقومــوا لله قانتين إن الصلاة كانــت على المؤمنين كتابًا موقوتًــا، مما أمر بعمل هــذا المحراب المبارك برســم الجامع الأزهــر الشريف بالمعزيــة القاهرة مولانا ســيدنا المنصور أبو علي الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنــين صلوات الله عليــه وعلى آبائه الطاهريــن وأبنائه الأكرمين ابن الإمام المســتعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المســتنصر بالله أمير المؤمنــين صلوات الله عليهــم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين الهداة الراشدين وسلم تسليمًا إلى يوم الدين في شــهور سنة تســع عشرة وخمس مائة والحمد لله وحده

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٩١؛ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 43.

هذه المذكرة نقلــت إلى دار الآثار العربية، وكانت في روسم بأعلى العنزة «المحراب الخشبي»(٢).

المذكرة الثالثة:

البســملة... أمر بعمل هــذا المنبر المبــارك لجامع الأزهــر مولانا الســلطان الملك الظاهــر المجاهد المرابط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين بالديار المصرية أعز الله أنصاره بتاريخ الثالث عشر من ربيع خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية(٣)

هذه المذكــرة نقلت بنقل المنبر إلى جامع آق ســنقر بالناصرية(٤).

المذكرة الرابعة: مذكرة قايتباي (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

بســم الله الرحمن الرحيم؛ أمر بإنشــاء هذه البوابة الشريفة المقــام الشريف مولانا الســلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ شــهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة

هذه المذكرة بجانــبي الباب الغربي المؤدي إلى الصحن وقد تآكل بعضها اليــوم ويوجد نظيرها على المنارة التي لهذا الملك في علو الباب(٥).

(٢) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 189.

(٤) هذا المنبر صنعه الظاهر بيبرس بمناسبة إعادة الصلاة إلى الجامع الأزهر سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، لم يبق منه سوى نصه الكتابي الذي احتفظ به المستشرق الفرنسي شارل شيفر، ثم نقل إلى المتحف الوطني بالجزائر.

(٥) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 44-45, 47.

المذكرة الخامسة: مذكرة قايتباي أيضًا (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

أمـر بتجديد هـذا الجامع سـيدنا ومولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباي على يد الخواجة مصطفى ابن الخواجة محمود ابن الخواجة رستم غفر الله لهم بتاريخ شهر شعبان عام تسعمائة.

ونص هـذه الكتابة بتغيير طفيـف كتب بمقصورة المسجد، وهي والتي قبلها صارتا إلى دار الآثار العربية(١).

ترجمة مصطفى رستم

والوارد اسـمه في هذه النقوش هو أحد سراة برسا من بلاد الأناضول ومن مشهوري تجار القاهرة، وكان للسلطان الملك الأشرف قايتباي صلة بـوالده الخواجة محمود، وجاء به إلى القاهرة في سـنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، فخدم عند ملك مصر الأشرف برسباي، فلما تولى ملك مصر الملك الأشرف قايتبـاي؛ قربه إليـه وأنعم عليه بلقب تاجـر «أي مورد» السـلطان، ترجمه السـخاوي في الضوء اللامع، واجتمع به في مكة سـنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، قال: «وهو الآن في سنة ٩٩ بالقاهرة»، كما ترجم لأبيه أيضًا(٢).

ويبدو من كلام السخاوي في الضوء اللامع أن القائم بهذه العمارة للأزهر من ماله الخاص إنما هو السلطان نفسه لا الخواجة مصطفى كما هو المتبادر إلى الذهن، إذ أنه وصفه بوصـف لا يمكن معه أن يقوم بعمـارة الأزهر، وهذا ما تؤيده النصوص التاريخية المتقدمة، وقد ظل الخواجة محمود بالقاهرة بعد هذه العمارة مدة ثم سافر إلى برسا، ومات بها في سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) في عهد الناصر محمد بن قايتباي.

ويوجد اسـمه منقوشًـا في أكثر من موضع بالأزهر، «والخواجا» لقب عربي للتجار والأعيان كان شائعًا استعماله في القاهرة، وقد بقي بهـا إلى القرن الثاني عشر الهجري ثم تنوسي إلى اليوم، واستعمله المصريون لقبًا لغير المسلمين.

المذكرة السادسة والسابعة: للغوري وقايتباي بمنارتيهما الأولى بقاعدتها، وقد تآكلت نوعًا ما وقرأنا بها ما نصه:

البسـملة.... أمر بإنشـاء هذا المنار المبارك سيدنا ومولانـا محـي العـدل في العالمـين أبـو الفقراء والمسـاكين ذخر الأرامل والمنقطعين أمير المؤمنين حامي حوزة الدين السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري(٣)

والثانية بدائرها وبها ما نصه:

البسملة... أمر بإنشـاء هذه المئذنة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سـلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفـرة والمشركين السـلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره

المذكرة الثامنة: هذه المذكرة بواجهة الباب الغربي «الباب العمومي»، كما يوجد نصها بواجهة الباب القبلي المواجهة للخراطين «شارع المقريزي- البيطار سابقًا».

المذكرة التاسعة: لعبد الرحمن كتخدا أيضًا بمدفنه بدائر التركيبة المقامة على قبره

(١) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 47.

(٢) مصطفى بن محمود بن رستم الرومي البرصاوي، أحد أعيان التجار والماضي أبوه، ويعرف بين التجار بتاجر السلطان، ممن يكرمه لكون أبيه كما تقدم تاجره، وتكرر إنعامه عليه ، يوصف بمزيد من الشح والتهافت وعدم الاهتداء لشيء من أمور الدين، بل هو يابس المعاملة زائد الحرص، لين الجانب، أقام بمكة سنين، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٣٦، ١٦٠.

(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 48.

بـروض نعيم فـاز كهف مكرم
وحاز بفضل الخير جنات رضوان
هنيئًا له فالحور في الخلد أرخت
لقد فاق في الفردوس عبد الرحمن

[١٣٤ ١٨١ ٩٠ ٣٨١ ٧٦ ٣٢٨ ١١٩٠]

وتبتدئ هذه المذكرة بأسماء العشرة المبشرين بالجنة على الترتيب، ثم بوصف حضرة النبي ﷺ لابن عمه الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم بآيات كريمة من القرآن المجيد، وقد كتب على روسم كبير، قوله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم».

الأمير عبد الرحمن كتخدا

والأمير عبد الرحمن كتخدا له فضل هذه الزيادة العظيمة على الأزهر، يقول الجبرتي في ترجمته: «ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزيادة والعمارة التي تقتصر عنها همم الملوك لكفاه ذلك»، انحدر من أبوين هما الأمير حسن كتخدا مستحفظان القازدغلي[١]، ومن المرحومة آمنة خاتون بنت حسن جوربجي الغندقجي، ومات أبوه في شوال سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م)، عن زوجته المذكورة وعن ولديه عبد الرحمن وحسن منها، وماتت أمه في ربيع الأول سنة (١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م)، ودفنت بالمدرسة السيوفية قبلي ضريح الشيخ المطهر.

وهو من أصل جركسي أباظي من أسلاف جراكسة الإبخاز أمراء مصر في عهد المماليك، ولم يحدثنا التاريخ المصري في هذه الحقبة عن رجل أعطاه الله سبحانه من المال الوفير الذي امتلأت به خزائنه وأنفقه كله في إقامة بيوت الله سبحانه وتعالى وإطعام المحتاجين ومواساتهم والإنفاق على التعليم وغير ذلك من أعمال البرور غير هذا الأمير عبد الرحمن، فقد منحه الله سبحانه دنيا عريضة فلم يبق لنفسه منها شيئًا ألبتة، بل أنفق ذلك في إقامة ما نراه من بيوت الله التي تحمل اسمه إلى يومنا هذا، وفي أعمال بروره التي تحدثنا بها كتب أوقافه.

وإذا كان الجبرتي قد ذكر في ترجمته جل هذه المحاسن ثم أعقبها بذكر مساويه، فلا أقول إنها مساوئ أبدًا؛ إذ إن رفع بيوت الله وإشادتها وبذل كل نفس ونفيس في يديه ولديه لهذا الغرض قد تتلاشى أمامه هذه المساوئ، والجبرتي وإن كان قد سرد ما بلغه بالسماع عن هذه المساوئ فلم يذكر لنا أسبابها ودوافعه عليها، ومع ذلك فقد طهر الله سبحانه منها بجواره بمدينة الرسول في حضرة المصطفى ﷺ لمدة اثني عشر عامًا كما يقول الجبرتي، ثم حقق له رغبته في دفنه بالمدفن الذي اختاره لنفسه بزيادة الأزهر التي أفاء الله بها عليه فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

والجدير بالذكر أن من يطلع على وثائقه الوقفية ومنها كتاب وقفه المحرر في سنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) يجد أنه لم يبر الإنسان فحسب بل امتد بره إلى الحيوان، فخصص للكلاب الضالة والقطط والطير في جو السماء مخصصات من فائض ريع وقفه، يشتري به خبزًا ولحمًا وقمحًا وشعيرًا وبرغلًا لهذه الحيوانات، وعين لها كلافين لهذا الغرض[٢].

المذكرة العاشرة: لعبد الرحمن كتخدا أيضًا بأعلى باب المدرسة الطيبرسية:

(١) أصله القاصد أوغلي، ولفظ القاصد عربي يطلق على السفير الذي يمثل الدولة في إحدى ولاياتها، وأوغلي تركي معناه (ابن). (المؤلف)

(٢) عن سيرة عبد الرحمن كتخدا، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٥.

مذ أهدى الرحمن للعبد بشرى
أرخت جنات الخلود الجـراء.

المدرسة الطيبرسية

وهذه المدرسة الطيبرسـية، أنشأها الأمير علاء الدين طيـبرس بن عبد الله الوزيري؛ نقيـب الجيوش المصرية في عهد الملك حسـام الدين لاجين المنصـوري، توفي في ربيع الأول سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، ترجمه المقريزي في الخطط، وله ترجمة في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر، وأخرى في المنهل الصافي لتغري بردي[١].

وهذه المدرسـة هي التي تقابل السـالك إلى الجامع من جهة اليمـين، وقد جدد الأمير عبد الرحمن كتخدا واجهتها كما تشير إليه المذكرة المتقدمة الذكر، وقد أبقى لها شرفاتها، ومحرابها يسـترعي النظر بما فيه مـن الزخارف البالغة حد الإتقان، ممـا لا يوجد نظيره إلا في عدد قليل من مسـاجد القاهرة، وشرفاتها التي تطـل على الرواق الغربي تمتاز بدقة صناعتها وأداء صانعها الذي اسـتطاع أن يجعل منها قطعة واحدة متصلة الأجزاء متسقة الوضع، وسقفها يقوم على أربع أسـاطين، وفي حدها الغربي للجهة البحرية غرفة قد رفعت عليها قبة تحتها قبر المنشئ المذكور ولها باب صغير مرتفع عن الأرض، ومجموعة النقوش التي يتحلى بها المحراب والواجهة لا تضارعها نقوش أخرى إلا نادرًا فهي متقنة الصنع إلى حد كبير يتجلى ذلك للناظر إلى آية قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾[البقـرة/ ١٤٤]، ومن نوع هذه الكتابة كتابة أخرى بالواجهة.

ويكتنف الباب شباكان كتب على أحدهما ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة/ ١٨]، ولمنشئ هذه المدرسـة أثر آخر قد أزيل وسنذكره إذا وصلنا إليه.

المذكرة الحادية عشرة والثانية عشرة: بـأعلى بـاب المدرسـة الأقبغاوية، وهو الباب الذي ينتهي بالسـالك إلى المئذنة في ثلاثة أسطر ثم بالقبة:

بسـم الله الرحمـن الرحيم، إنما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشـاء هذه المدرسة المباركـة الجنـاب الأشرف العـالي السـيفي أقبغا الأوحدي إستادار الآدر العالية الملكي الناصري وكان ابتداء العمل المبارك في شـهور سـنة أربعين وسبع مائة[٢]

المدرسة الأقبغاوية

وهذه المدرسـة أنشـأها الأمير أقبغا عبـد الواحد الأوحدي، كان في بادئ أمره مـن مماليك الناصر محمد بن قلاوون، ثم عينه إسـتادارًا له بعد مغلطاي الجمالي؛ فظل على ذلك إلى سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وفيها قبض عليه الملك

(١) علاء الدين طيبرس بن عبد الله الخازنداري: نقيب الجيوش المنصورة، وأحد أمراء الطبلخاناه، توفي في العشرين من ربيع الآخر سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، ودفن بقبته التي أنشأها بمدرسته على باب جامع الأزهر، واستقر عوضه في نقابة الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزي المهمندار، وأنشأ الجامع والخانقاه على النيل، وعرف ذلك المكان بالطيبرسي، وقد تهدم الجامع والخانقاه، ونقل صوفيتها إلى مدرسته التي أنشأها على باب الجامع الأزهر، على يمنة الداخل إلى الجامع، وكان من أجل الأمراء وأقدمهم، وطالت أيامه في وظيفته، وأقام فيها أربعًا وعشرين سنة ولم يقبل لأحد هدية، وإنما كان شأنه عمارة إقطاعه والزراعة، ومن ذلك نالته السعادة وعمر الأملاك، وكان ديِّنًا خيرًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣٦–٥٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٤٦.

(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 183.

أبو بكر بن الناصر وحاصره وجرده من أمواله وممتلكاته، وما برح أن قتل بالإسكندرية في سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)[١].

وهذه المدرسة هي الآن مكتبة الأزهر، وبابها يصعد إليه بدرج، وإلى جانبه باب آخر يصل إلى المئذنة وداخلها يشتمل على مرافق منها القبة وقد كتب بأعلاها آيات قرآنية تنتهي بمذكرة تاريخية هذا نصها:

أمر بإنشاء هذه القبة المباركة الفقير إلى الله تعالى المولوي الأميري السيفي أقبغا الأوحدي الملكي الناصري وكان الفراغ منها في المحرم سنة أربعين وسبعمائة.

ويحمل سقفها ١٦ أسطوانة، ومحرابها منمق بالذهب ومزخرف بزخارف فنية وقد تجددت هذه المدرسة في سنة (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م) في عهد الخديوي إسماعيل باشا.

(١) المدرسة الأقبغاوية: هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر على يسرة من يدخل إليه من بابه الكبير البحري، تجاه المدرسة الطيبرسية، كان موضعها دار الأمير الكبير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الظاهر بيبرس وميضأة الجامع، أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد إستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون، وجعل جوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة وهي أول مئذنة عملت بديار مصر من الحجر، بعد المنصورية، والصواب أنه بنيت قبلها مئذنة ابن طولون والحاكم من الحجر، بناها المعلم ابن السيوفي رئيس المهندسين في دولة الناصر محمد، وأقبغا عبد الواحد هو الأمير علاء الدين أحضره للقاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال، فاشتراه الناصر محمد ولقبه باسم التاجر الذي أحضره، فحظي عنده، وعمله شاد للعمائر، ثم أصبح إستادارًا بعد الأمير مغلطاي الجمالي سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، ثم مقدمًا للمماليك، قبض عليه في عهد المنصور أبي بكر بن محمد بن قلاوون سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وحمل إلى الإسكندرية؛ حيث قتل بها آخر سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٤٠-٥٤٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ج. ٢: ٤٨٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٤٣، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٤٨٠-٤٨٢.

مذكرات تاريخية أخرى بالأزهر

هذه المذكرات التالية تشير إلى ما أحدث به من تجديد من سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) إلى سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م).

المذكرة الأولى: بأعلى واجهة الباب العباسي.

قد أنشئ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى في عصر خديوي مصر الأفخم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٤

وبأسفلها:

وكان الإنشاء والفراغ في عهد إدارة محمد فيضي باشا لعموم الأوقاف المصرية بمباشرة صابر صبري بك باشمهندس عموم الأوقاف

بعتب الباب المذكور:

للأزهر المعمور موهبة كبرى
ظهر الفتوح بها لكل الناس
فأتى السعود يقول في تاريخه
أبشر خديوينا بباب عباس

والكتابة بهذه الواجهة تبتدئ بطراز كتب فيه آية كريمة من أوائل سورة الفتح.

المذكرة الثانية: بأعلى باب إدارة الأزهر السابقة.

هذا مكان الشيخ فيه إدارة
لشئون أزهرنا الشريف الأنور
تجديد مصر زها فقلت مؤرخا
لاحت بشائر نبل هذا الأزهر

المذكرة الثالثة: بأعلى باب الرواق العباسي.

مآثر مولانا الخديوي قد ازدهت
بأزهرنا المعمور من حسن إتقان

فقال لسان العالمين مؤرخا
رواق بني في عهد عباسنا الثاني

المذكرة الرابعة: بأعلى باب الشوام بشارع الشيخ محمد عبده «الأزهر سابقًا».

جددت هذه الأروقة في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣٢١

ونص هذه الكتابة بالباب الآخر الذي يجاوره المواجه لوكالة قايتباي.

المذكرة الخامسة: هذه المذكرة مكررة غير مرة بأعلى بعض الدرابزينات التي بين الرواق الأول وداخل المسجد، من نواحي الصحن الثلاث.

جددت هذه الدرابزينات على أصلها في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٠

ويوجد من بين هذه الدرابزينـــات مجموعة باقية على أصلهـــا، وهي جميعها مما أنشـــئ في عـــصر الملك الأشرف قايتباي ويرى عليها في بحور ثلاثة ما نصه:

عز لمولانـــا الســـلطان الملـــك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه

وهذا النص نفسه مع تغيير طفيف يوجد بأعلى الباب البحري في دائرتين بجانب الباب المذكور.

المذكرة السادسة للملك فؤاد الأول: وهي بالدرابزين الفاصل بين الباب العباسي والرواق القبلي.

أنشـــئ هذا الدرابزيـــن في عصر حـــضرة صاحب الجلالـــة فؤاد الأول ملك مـــصر أدام الله أيامه في سنة ١٣٤٧هـ

المدرسة الجوهرية

هذه المدرســـة من منشـــآت القرن التاسع الهجري، أنشـــأها الأمير جوهر القنقبائي خازندار الســـلطان الملك الأشرف برسباي في ســـنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، قال السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع: «أنشـــأ مدرسة عند باب السر بالجامع الأزهر من الجهة البحرية وفتح لها شـــباكًا في جدار الجامع ولما قرب فراغها مات فدفن بها وذلك في ليلة الإثنين مستهل شعبان أربع وأربعين وثمانمائة»[1].

وهذه المدرســـة رغم أنها صغـــيرة إلا أنها جميلة فهي تشتمل على ما تشتمل عليه المدارس الكبرى، إذ أنها مكونة من أربعة أواوين، منها الإيوان الشرقي وفيه محراب مغشي بطبقة من الرخام الملون الدقيق وجدرانها مطرزة بوزرة من رخام، وأرضيتها معبدة بالرخام الملون ويحيط بأعلاها إزار به نقوش كتابية من ســـورة النور، وشرفتها وأبوابها ملبسة بالسن، ومزخرفة بنقوش كتابية حديثة بخط الأستاذ يوسف أحمد، ولها شرفة تطل على الإيـــوان الشرقي القديم للأزهر وباب إلى جانبـــه بزيادة الأزهر، ولها باب آخر إلى شـــارع

(١) صفي الدين جوهر بن عبد الله القنقبائي: نسبة لقنقباي الجركسي الطواشي الحبشي الخازندار الزمام بالباب السلطاني، تقلبت به الأحوال بعد سيده إلى أن خدم عند العلم ابن الكويز، ثم اتصل بالأشرف عن طريق سميه جوهر اللالا، استقر بالخازندارية عوضًا عن خوشقدم لانتقاله للزمامية، ثم تولى وظيفة الزمام بعد الشرف عوضًا عن فيروز الجركسي، ثم كانت وفاته سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٨٢-٨٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٣٨-٤٢؛ المرجع السابق، مج. ١٥: ٤٨٥-٤٨٦.



منظر عام للجامع الأزهر «عن ماكس هرتس»

القائد جوهر كان محتجبًا بكتلة من المباني فانكشف اليوم، وظهرت قبتها الصغيرة الجميلة .

وفي جانب الإيوان الغربي من الناحية القبلية باب ينتهي بالسالك إلى مدفن قد رفعت عليه قبة حجرية مزخرفة من الخارج، وأرضه معبدة بالرخام الملون الدقيق، قد رسم بشكل مخصوص يقارب المحراب، وبحوائطه الأربع دواليب ملبسة بالسن، وفي وسطه قبر المنشئ عليه تركيبة من الرخام محلاة بزخارف كتابية تبتدئ بالبسملة ثم بآية الكرسي، ثم تنتهي بما نصه:

توفي إلى رحمة الله تعالى المقر العالي الصفوي صفي الدين جوهر أمير خازندار وزمام الآدر الشريفة تغمده الله برحمته سنة أربع وأربعين وثمانمائة

الدولة الفاطمية

أساس ملك بني عبيد

ذكر المؤرخون أنه لما استشهد أمير المؤمنين سيدنا عثمان، الخليفة الثالث بعد رسول الله ﷺ سنة (٣٥هـ/ ٦٥٥م)، استخلف مكانه الإمام علي رضي الله عنه ولم يكد يباشر الأمر حتى قام في وجهه معاوية يطالب بالخلافة لنفسه، وآل الأمر إلى شقاق عظيم بين المسلمين نتجت عنه فتن داخلية شغلت الأمة عن مصالح كثيرة، وأخيرًا أفضى الأمر إلى قتل الإمام علي رضي الله عنه سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م)، فأصلح الله بابنه الحسن أمر المسلمين حيث اجتمع الناس بعد ذلك على البيعة لمعاوية، فتمت له الخلافة وبذلك خرجت عن آل علي واستولى عليها بنو أمية، فمنذ خرجت عنهم وهم ما زالوا يطالبون بها لما يرون أنهم أحق بها دون غيرهم، وقد تحزبت لهم شيع كثيرة في سائر الأمصار، فتتبعهم بنو أمية وبنو العباس وقاتلوهم وشردوهم كل مشرد فانزوى غالبهم في أقطار متباينة، وكان من أمرهم ما هو مبسوط في مظانه.

والفاطميون قاموا يطالبون بالخلافة لأحقيتهم بها دون غيرهم حيث إنهم من أئمة الإسماعيلية، وذلك أن إسماعيل بن جعفر الصادق لما توفي استتر ابنه محمد في بيت جده جعفر، وخرج من المدينة إلى الكوفة ومعه أخوه علي، لما علم أن الرشيد أضمر قتله، فبقي فيها مستترًا وولد له إسماعيل، ثم سار بأهله إلى الري ثم إلى نهارة وسابور، وانتقل إلى فرغانة فمات بها وقبره هناك، وسلم أمره إلى ولده أحمد فاشتد طلب العباسيين في مطاردة الأشرف فزاد أحمد في الاستتار والاختفاء، وخرج من فرغانة إلى زامهر ومنها إلى بلاد الديلم، وتزوج من أهلها بامرأة علوية رزق منها بولد سماه إسماعيل، فانتشرت دعوته في الآفاق في أيام المأمون، وبعد وفاته سلم الأمر إلى ولده أحمد فبقي مستترًا ينتقل تارة من الكوفة أو الديلم وتارة إلى سليمة أو إلى العسكر، وأخيرًا استقر بالكوفة، وتوفي بعسكر مكرم، وسلم الأمر إلى ابنه عبد الله الملقب بالمهدي، وكان لا يزال طفلاً فلما نشأ رمقته الأنظار وتوجهت إليه.

فقام أبو عبد الله الصغاني يدعـــو إلى مبايعته، فقدم المغرب فلما اســـتقر بها ناظر علماءهـــا وأظهر لهم الفقه والجدل فمالت القبائل لمقاله ورغبـــوا في صحبته، فعندئذ أعلن بإمامتـــه آل البيت ودعا للإمـــام المعصوم، فبعد أن اســـتقرت قدمه وعظم نفوذه بلغ عبيد الله خبر اســـتيلاء داعيته على القســـم الغربي من إفريقيـــة فانتقل إلى مصر مستترًا ثم لحق بسجلماســـة، فأكرمه صاحبها اليسع أولاً ثم ســـجنه بداره فظل مسجونًا إلى أن أنقذه رسوله الصغاني المذكور، فانتقل إلى إفريقية ونزل رقادة «بلدة كانت بإفريقية بينها وبـــين القيروان أربعـــة أميال» في ربيع الأول ســـنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) فدعا الناس إلى نفســـه، فمالوا إليه وسلموا عليه بالخلافة فاســـتلم زمام الدولة وتلقب بأمير المؤمنين، فلما اســـتقرت قدمه وعظمت شوكته واتسع نفوذه أنف من الإقامة برقـــادة فخرج منها ســـنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) في طلب موضع لبناء مدينة يســـكنها فوقع اختياره على شبه جزيرة «جمة» بين سوســـة وصفاقـــص، فأمر ببنـــاء مدينة في ذلك الموضع سماها المهدية نسبة إليه، فلما تمت انتقل إليها بمن معه، وفي أثناء تلك المدة جهز جيشًـــا أرسله إلى مصر تحت قيادة ابنه الأكبر أبي القاســـم محمد، فاستولى سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م) على كثير من مدنها، ثم حصلت أمور أوجبت الجلاء عنها.

ومـــا زال المهدي مظفرًا مطـــاعًا إلى أن توفي في ربيع الأول سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)، فقام بالأمر من بعده ابنه وولي عهده القائم بأمر الله «محمد أبو القاسم» ومات في شوال سنة (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، فقام من بعده ولده إســـماعيل المنصور وفي أيامه أنشئت مدينة المنصورية على نصف ميل من القيروان [يعرف موضعها اليوم بصبرة لـــم يبق من آثارها ما يذكر]، ثم توفي المنصور سلخ شعبان سنة (٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، فقام من بعـــده ابنه أبو تميم معد المعز لدين الله، فكان من أعماله أن جهز جيشًـــا تحت قيادة قائده جوهر بـــن عبد الله الكاتب الصقلي لفتح مـــصر لما بلغه من اضطراب أحوالها واختلال أمورها بعد وفاة كافور الإخشيدي، فدخلها دون مقاومة في (١٧من شعبان ســـنة ٣٥٨هـ/ ٧ من يوليو سنة ٩٦٨م)، ومن ذلك العهد انتقل كرسي الخلافة إلى القاهرة.

وأول خلفائهم المهدي بالله وهو أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن إســـماعيل الثالث بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأول الإمام الأعرج، ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم[(١)].

وقد روي نســـبهم على صورة أخـــرى وفيه اختلاف كثير، والصحيح في رأي جمهرة من المؤرخين قدماء ومحدثين أنهم علويون إسماعيليون صحيحو الاتصال بهذا النسب، وهذه الصورة التي أوردتها هنا هي المعول عليها عند شيوخ النســـب، وعدة خلفائهم أربعة عشر، ثلاثة بالمغرب وهم: المهدي والقائـــم والمنصور، وأحد عشر بالقاهرة وهم: المعز والعزيز والحاكم والظاهر والمســـتنصر والمستعلي والآمر والحافـــظ والظافـــر والفائـــز والعاضد، وهـــو آخرهم وبه انقرضت دولتهم فسبحان من له البقاء.

نسب الفاطميين

وقـــد اختلف النســـابون في نســـبهم اختلافًا كبيرًا وتضاربت أقوالهم، فمنهم من صحح انتســـابهم إلى الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومنهم من طعـــن، لكن المعول عليه عند ثقاة

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٧٦-١٨٣.

المؤرخين في قول المقريزي وغيره هو صحة انتسابهم إلى آل البيت والله أعلم، قال المقريزي: «الناس فريقان في أمرهم فريق يثبت صحة ذلك، وفريق يمنعه، ويزعم أنهم أدعياء من ولد ديصان، فمن ينكر نسبهم في العلوية يقول إن عبيد الله المهدي إنما هو سعيد بن الحسين من ولد ميمون القداح بن ديصان البوني وأصله من المجوس، وبعض منكري نسبهم يقول إن عبيد الله من اليهود»، قال: «وهذه الأقوال إن أنصفت يتبين لك أنها موضوعة، فإن بني علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما من حائل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي؟! فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ ما بلغ في الجهل وإنما جاء ذلك من قبل ضغينة خلفاء بني العباس عندما عرفوا بمكان الفاطميين، فإنما كانت قد اتصلت دولتهم نحوًا من ٢٧٠ سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن[1].

وقد أثبت نسبهم الشريف محمد بن أسعد الجواني وهو من المتقدمين في علم النسب، وغيره ممن يجل عن الحصر، ويرى بعض الكُتَّاب أن المقريزي ما أثبت نسبهم إلا لكونه من نسلهم وهذا مخالف لما ورد عنه، ففي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة جد المقريزي أنه سأل المقريزي المؤرخ عن صحة انتسابه إلى الفاطميين؟ فقال: «لا أعرف هذا» [راجع اتعاظ الحنفا والدرر].

وما رأينا في مؤلفات المقريزي رفع نسبه إليهم، وإنما ورد ذلك مذكورًا في مؤلفات بعض معاصريه كالسخاوي في التبر المسبوك وقلده من كتب بعده، وأعجب من هذا كون علماء النسب الذين صححوا انتساب الفاطميين إلى الإمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يذكروا ذلك إلا عن دراية بما بين أيديهم من الحجج التي لا محل للطعن فيها، بينما منكرو نسبهم لا حجة بأيديهم غير تلك الدعوى القائمة على غير أساس، وإلا فمن هو ديصان المجوسي ومن هو ذلك اليهودي؟

وأيضًا هم ينسبونهم إلى التشيع وينكرون نسبتهم إلى علي وهذا منتهى القصور لمن تأمل، ونحن نرى صحة نسبهم، فلا التفات إلى هذا الإنكار بعد ما تبين الحق، فكتاب المعتضد إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض على المهدي لما سار إلى المغرب، وشعر الشريف الرضي في قصيدته اليائية وإجماع جلة علماء النسب والمحققين يصحح انتسابهم إلى آل بيت الرسول ﷺ، أما كون بعض أفرادهم كان على غير سيرة رضية فذلك لا يقدح في نسبهم، وقد يكون منشأ هذا الطعن هو ما ذكره المقريزي من الأسباب التي أثارها خلفاء بني العباس لاستيلائهم على غالب الممالك الإسلامية الأمر الذي قضى بإذاعة المراسيم والظهائر في الأمصار بالطعن في أنسابهم، هذه صفوة ما قيل عن نسبهم وعن حقيقة حالهم، ونحن إنما نكتب عنهم هذه النبذة كمؤسسين لمدينة القاهرة وملوك لها ولهم بها آثار باقية بصرف النظر عما يدور حول هذا الموضوع من صحيح أو مزعوم.

مذاهب الفاطميين

الفاطميون فرقة من الإسماعيلية، مذهبهم التشيع للإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الخصوص، فهم يقولون بإمامته وخلافته نصًّا ووصاية، ويعتقدون أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة وجوبًا عن الكبائر

(١) المرجع السابق: ١٧٢-١٧٤.

والصغائـــر، والقول ... قولاً وفعـــلاً وعملاً، ولهم في تعددية الإمامة كلام وخلاف كثير، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشيع.

مبدأ التشيع في الإسلام

وحدث التشـــيع للإمام علي رضي الله عنه في زمن الصحابة، فقد قام في زمنه عبد الله بن وهب بن ســـبأ المعروف بابن السوداء وأحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي بالإمامة من بعده فهو خليفته ووصيه مـــن بعده بالنص على زعمه، وأحدث القول بالرجعة لرسول الله ﷺ ولعلي، وزعم أن عليًّا لم يقتل... إلى آخر- ما هو مشهور عنه.

وقد أنكر الإمام وشـــيعته كل ما يعزى إليهم من هذه الأقوال المنكرة، ويذكر بعض علماء الشيعة في مبدأ التشيع خلاف ما ذكر، وأهم ما يذكر في ذلك ورود الأخبار المتواترة في مزيد فضل علي لقرابته، فهم يرون اختصاصه بزيادة محبة لانتمائهم إليه بالنسبة للأثر الوارد في ذلك، ورأيت السيوطي في بعض تآليفه يقول إن بعض العلماء من أهل الســـنة ناظر شيعيًّا فأجاب بنحو هذا، وقال هذا ما أدين لله تعالى به.

فرق الشيعة

وقد تشعبت أصناف الشـــيعة إلى فرق كثيرة، ففرقة قالت بالوقف: بمعنى أن الإمامة موقوفة على أناس معينين، كقول الإمامية في الأئمة الاثنى عشر، وقول الإســـماعيلية في ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، وعلى هذا الرأي اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين، ويؤول ذلك على الخلافة لأحقيتهم بها دون غيرهم.

غلاة الشيعة

لكن غـــلا بعضهم في هذا القول فقـــال بإمامة علي وخلافته بعد رسول الله ﷺ واســـتدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [سورة الشورى/ ٢٣] وهذا خروج عن معنى الآية إذًا المراد بها الوصية بهم لا إليهم، بهذا أجاب ترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضي الله عنه [راجع صحيح البخاري] وبدائع الفوائد لابن القيم.

أئمة الإسماعيلية

وأئمة الإسماعيلية يوافقون الإمامية في الصادق ومن قبلـــه، ويخالفونهم في الكاظم ومن بعـــده، ويقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الذي إليه ينسبون، وأن الإمامة انتقلت منه إلى محمد المكتوم، ويلقبونه أيضًا بالمعصوم، وهو عندهم أول الأئمة المســـتورين لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيســـتتر وتكون دعوتهم ظاهرة إقامة للحجة على الخلق، وإن كان له شـــوكة ظهر وأظهر دعوته، ولاعتقادهم بقاء الإمامـــة في العلويين ســـموا الأئمة بالمســـتورين أو المكتومين لعدم ظهورهم بعد إسماعيل، وهم على ما يقولون ثلاثة: محمد ثم ابنه جعفر الصادق، ثم محمد الحبيب، وبعده ظهر عبيـــد الله المهدي، الذي أظهر دعوتـــه أبو عبد الله الشيعي.

وهذا القول لو تأملناه نجـــد فيه ضربًا من التكلف لا يطاق، ويرحم الله أستاذنا الشيخ طنطاوي جوهري فإنه كان يمقت هذه التفرقة ويقول: إن المســـلمين أحق أن يكونوا أرفع من ذلك.

إسماعيل بن جعفر الصادق

وإســماعيل هذا الذي تدعي الفاطمية إمامته كان من جلة بني هاشم وله مزايا حسنه، توفي سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م) في حياة والده، ولإسماعيل هذا فروع بمصر كثيرة من أحفاده وأحفاد أحفاده ســنذكرهم في كتابنا هذا، وفي الهند سلالة من ســلالات الفاطميين تنحصر في طائفة البهرا، ولا نعلم من حقيقة أمرهم شــيئًا إلا ما ســمعناه من سلطان البهرة ووزرائه حين قدموا إلى مصر من أعوام مضت.

فقه الطائفة الإسماعيلية

وترجع هذه الطائفة الإســماعيلية في أصول الدين إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى خليط من المذاهب، وأهم الأصول التي خالف فيها بعض غلاتهم مذاهب أهل السنة هي القول بالإمامة لعلي بعد رسول الله ﷺ، فمذاهبهم دائرة بين اعتزال وتشيع باعتدال، وكان الفاطميون يتقاضون على هذا المذهب ويعملون عليه، لكنهم مع هذا كانوا لا يقيدون به أحدًا، ثبت ذلك عن بعض خلفائهم [انظر القضاء بالمذاهب الأربعة في عهد الفاطميين بكتابنا نظام الحكومة النبوية].

ولما دخل القائد جوهر بعســاكر المعز إلى مصر وبنى القاهــرة أظهر هذا المذهــب الإســماعيلي، وأذن في جميع المســاجد الجامعة وغيرهــا بأذان آل البيــت «حي على خير العمــل»، وتغالى فأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره وجهر بإمامته، وأمر أن يعمل بمذهــب الطائفة في القضاء والفتيا، فعمل به فيهما وأنكر ما خالفه، وقد كان التشــيع بمصر معروفًا قبل ذلك لكنه لم يكن بالصورة التي فرضها الفاطميون على الشــعب المصري كافة، فلما استقر قدم بني عبيد بمصر فشى انتشــاره بها انتشارًا ذريعًا، وفي صفر سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) تصدر قاضي مصر أبو الحســن علي بن محمد ابن النعمان بــن حيو القيرواني بالجامع الأزهر لتدريس فقه الإســماعيلية وأملى مختصر أبيه في الفقه عنهم، ويعرف هذا المختصر «بالاقتصار في فقه الســادة الأطهار»، وابن النعمان هذا هو أول شيوخ الأزهر لعهده الأول، ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز ألف كتابًا في الفقه يتضمن ما سمعه من المعــز، وكان يجلس لإقرائه هو وبعض مصنفاته تارة بالأزهر والجامع العتيق، وتارة بــداره، وحذا حذو هذين أئمة فقهاء الإســماعيلية كالقاضي محمد بن النعمان وغــيره، وفي أيام المعز كان القضاء والفتيا على هذا المذهب، فلما تولى يعقوب المذكور سعى في إعادة القضاء على الشافعي ومالك، فعين اثنين منهما فصار القضاة أربعة إمامي وإسماعيلي ومالكي وشافعي؛ وبذلك تمكن الناس من إظهار شــعائرهم، فمن هذا العهد كانت تراعى هذه الشعائر لغاية أنهم كانوا يمكنون من سألهم الحكم على أيهما شاء، وتعاقب على هذا المركز عدة من جلة العلماء انظر «رفع الإصر» لابن حجر وغيره.

وفي أيام طلائع بن زريك وزير العاضد فشى مذهب الإمامية كثيرًا، وما لبث أن زال بموت طلائع.

انقراض دولة الفاطميين

فلما انقضى عصر الفاطميين وزالت دولتهم تمامًا وآلت إلى صلاح الدين فبعد تثبيت دعائم ملكه أخذ في إحياء ما أماته غلاة المذهب الشيعي، فبذل جهوده في بث روح مذاهب أهل السنة وأصدر أوامره بإشادة المعاهد والمدارس لدراسة أصول الفقه على مذاهبهم فعادت الأمور إلى مجراها بعد أن كادت تموت خلال استيلاء ضعفة خلفاء بني عبيد على مصر في أيامهم الأخيرة.

أمير المؤمنين المعز لدين الله الفاطمي

ولد المعز لدين الله أبو تميم معد في المهدية من أعمال إفريقية في الحادي عشر من شهر رمضان سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م)، وتوفي في (السابع من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ/ ٢٠ ديسمبر سنة ٩٧٥م)، وله من العمر ٤٥ سنة وستة أشهر تقريبًا، ومدة حكمه ٢٣ سنة و٥ أشهر و١٠ أيام، منها في الديار المصرية سنتان وتسعة أشهر، وهو الرابع من خلفاء الفاطميين وأولهم بمصر.

خطب له على منابر المغرب كله من أقصاه إلى أدناه وفي مصر والشام والحرمين واليمن وبعض العراق، وتملك جزرًا كثيرة، وكان عالـمًا فاضلاً حسن السيرة، منصفًا للرعية، إمامًا في العلوم التقنية العقلية، إذا أخلص لأحد من الأمة بلغ في إسداء نعمته عليه.

دخل القاهرة يوم الثلاثاء ٧ من رمضان سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)، بين عشائر جنوده لأربع سنوات مضت من الفتح فلما بلغ القصر الذي أعده له قائده جوهر دخله معلنًا بالتكبير والتهليل وخر ساجدًا لله سبحانه وتعالى وصلى ركعتين وفعل ذلك كل من دخل معه فلما استقر به المقام دعا علماء مصر وأشرافها وأقام لهم مأدبة عظيمة حضرها كثير من الخاصة وذوي الفضل ثم قام فيهم خطيبًا فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد ﷺ، وبلغنا من قوله في هذه الخطبة أنه قال: «يعلم الله أني ما رغبت في مسيري هذا ازدياد مال أو اتساع ملك أو طمعًا في جاه، وإنما أردت نصرة المسلمين وإقامة شعائر الدين والحرص على مظاهره»، إلخ.

وما برح كل يوم يدعو أهل مصر عمومًا من أصحاب الثروة والأعيان والتجار وأصحاب الحرف والمصانع ويغدق على المستحقين من أمواله حتى مالت له القلوب وعظمت سطوته وبلغ من حرصه على مصالح الرعية أنه كان يجري على نفسه ما يجري عليهم من المسرات والأحزان والمتاعب ونحو ذلك، فكان يشارك كل طبقة فيما نزل بها.

ولقد استدعى في يوم شات بعض شيوخ المدينة وجماعة من أنصار دولته فدخلوا عليه القصر فوجدوه في مجلس غير مجلسه وعليه كساء وجبة، فتعجب القوم من تلك الهيئة التي هو عليها، فقال لهم يا إخواني أتظنون أني في مثل هذا اليوم وقد رأيت ما وصلت إليه حالتكم، آكل وأشرب وأتقلب في المثقل والديباج والحرير وأتطيب بالمسك والند كما يفعل أرباب الدنيا، قد أحضرتكم لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم، أني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لا بد لي منه، وبما خصني الله به سبحانه من إمامتكم، وإني والله لا اشتغل بشيء من أمور الدنيا إلا بما يصون أرواحكم، فأياكم يا إخواني والتكبر والتجبر لئلا ينزع الله سبحانه النعمة عنكم"، إلى آخر مقاله[١].

(١) المرجع السابق: ١٨٣-١٨٤.

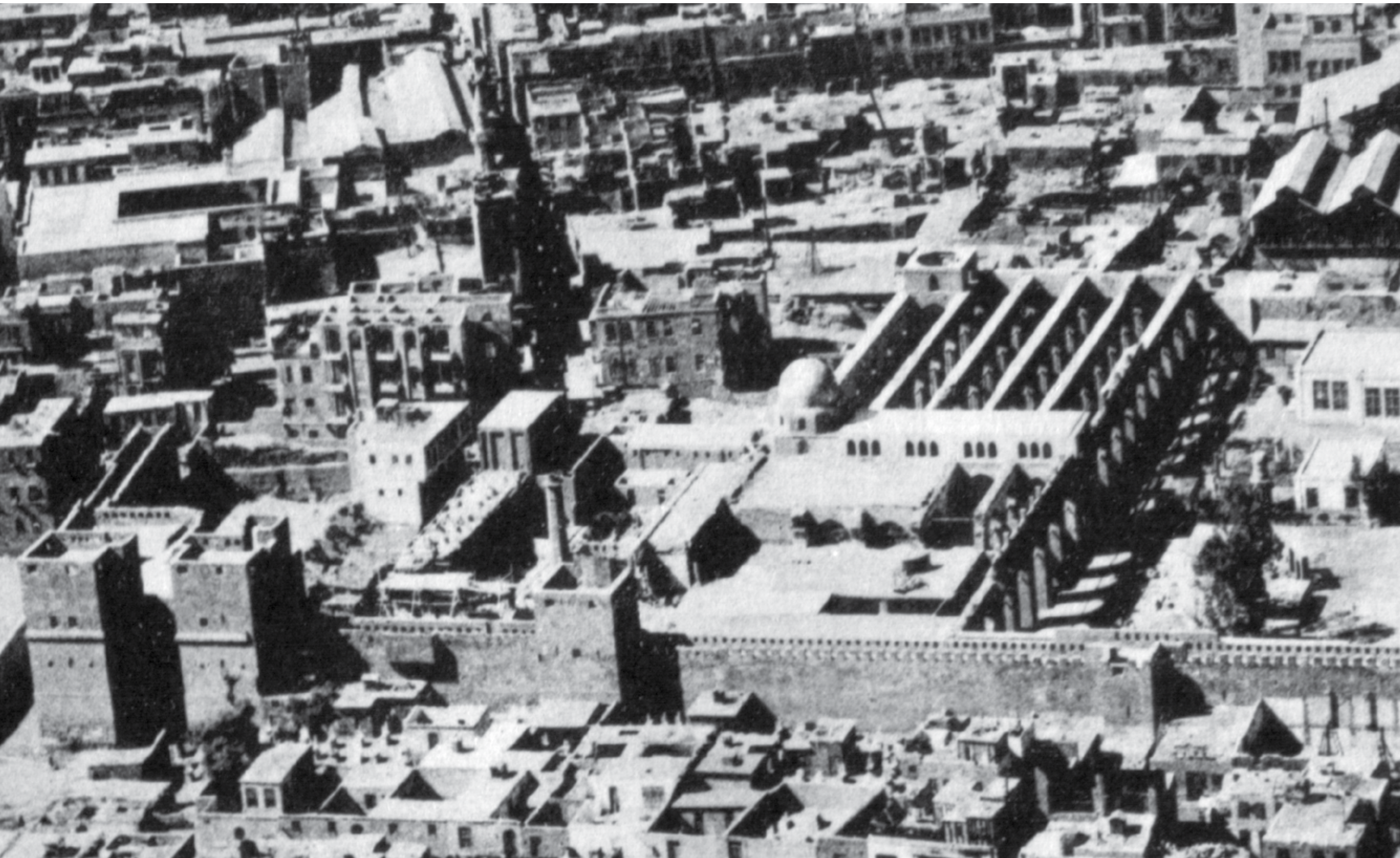
وقد كان رحمه الله على قدر كبير في الوثوق بالله سبحانه وتعظيم آل بيت نبيه ﷺ، وما مساعدته لبني عمه أمراء مكه آل الحسن في الحروب التي قامت بينهم وبين آل جعفر وإنفاذه المـال والوفود والتدخـل في أمر الصلح لحسـم مواد النزاع التي كانت بينهم، إلا دليلاً شـاهدًا على حسن سياسته وقوة إيمانه وإخلاصه وتفانيه في محبة جده صلى الله عليه وسـلم وعترته ومحبة المسلمين، إن هذا الشعور الشريف لينبئ عن كل مكرمة بل مكرمات طويت بـين صفحات هذا الفاتح العظيم أحد أعلام المسـلمين رحمه الله وأجزل أجره، ولقد كان المعز حريصًـا جد الحرص على رفع شـأن الأزهر فقد كانـت مبادئ عنايته به مبادئ قويمـة حتى إن كل ما صار إليه الأزهر في عهد العزيز مـن الإصلاح والتجديد هو مما كانت تسمو إليه نفسـه، ولهذه الأسباب رفع مستوى الأزهر في أزمانه التي مضت وانقضت فوق سائر الجامعات العالمية، وإذا ذكر المعز ذكرت معه كل الفضائل والمحاسـن، فقد كان ملكًا كريمًا عادلاً عالـمًا يقرب العلماء ويصلهم بالعطايا والصلات، وكانـت محافله معمورة بالأدب ومطارحة الفنون والمناظرة والجدل، وكان سياسـيًّا خطيبًا له مواقف محمودة في السياسـة وحسـن الجوار، وحب الإنصاف، لما قدم القاهرة أغدق على العلمـاء وقربهم إليه، ثم شرع في تحصين مملكته الجديدة، فأنشأ الأساطيل البحرية وجند الجنود واستكثر من الذخائر والمعدات الحربية، وسـيرته لا تحتملها هذه العجلة، وقد أفردت بالتأليف الخاص، مـات المعز في فتنة هفتكين الشرابي وكان يريد القضـاء عليه لكن عاجلته المنية دون بلوغ منيته، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، وتولى بعده ابنه العزيز، ودفن بمقبرة الزعفران، وكانت قطعة مـن القصر الكبير الشرقي، ومحلها اليوم في أول سـوق خان الخليلي إلى سـكة البادسـتان وما تقارب منهما، وقد بقيت هذه المقبرة إلى عصر الظاهر برقوق، فخرب ما بقي من آثارها جهاركس الخليلي، وبنى بها سوقه المشهور باسمه إلى الآن[1].

وقد كشف الحفر منذ عام عن معظم قبور الفاطميين بهذه المقبرة، وقد عددت منها تسعًا إلى جانب بعضها، وهي عبارة عن أقبية معقودة، وبين كل قبو صالة فسـيحة، وقد أنشئ عليها مبنى الأميرة شويكار.

(١) عن سيرة المعز لدين الله الفاطمي، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ١: ٩٣-٢٣٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٦٩-١١٢.



القاهرة المعزية



أبواب القاهرة

أنشئت القاهرة عقب فتح جيوش المعز منشئ الدولة الفاطمية في بمصر بقيادة مولاه جوهر بن عبد الله الكاتب الصقلي، بعد انقضاء دولة بني الإخشيد المتغلبين على مصر، واتفق معظم المؤرخين على أن دخول الفاطميين كان يوم الثلاثاء (١٧ من شعبان سنة ٣٥٨هـ)/ ٧ من يوليو سنة ٩٦٩م)، وفي نفس الليلة التي تم الدخول فيها وضعت خطط القاهرة، وحفر أساس القصر المعزي والجامع الأزهر، واختطت القبائل حوله وسميت القاهرة تفاؤلاً وتيمنًا بالنصر، وأقيم حول خططها سور جديد، وكانت هذه الخطط عبارة عن حارات لسكنى القبائل[1].

وفتح لها عدة أبواب سمي كل منها باسم خاص فـ **باب زويلة** سمي باسم كتيبة من كتائب الجيش الفاطمي تدعى زويلة[2]، و**باب القنطرة** سمي باسم القنطرة التي أنشأها جوهر في سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) على الخليج[3]، و**أبواب الفرج والفتوح والنصر** سميت بهذه الأسماء تفاؤلاً بمسمياتها، و**باب** سعادة سمي باسم غلام المعز المدعو جوهر سعادة[4].

و**باب ميمون** أو الخوخة سمي باسم منشئه ميمون، وقد ذكر المقريزي عنه ما يفيد أنه من أبواب القاهرة، في حكم باب سعادة والفرج وغيرهما، وحدده بأنه مما يلي الخليج في حد القاهرة البحري، ومنشئ هذا الباب هو أبو سعيد ميمون العزيزي من غلمان العزيز بالله، ويمكن وضع هذا الباب في الجانب البحري لشارع بين السورين «بين النهدين»[5]، تجاه مسجد الخوخة الذي تحول بعد إلى المدرسة الزينية، وهو ما

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٧١.
(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ١٠.

(٣) المرجع السابق، مج. ٢: ٢٧٩؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٦٩-٧٠.
(٤) المرجع السابق، مج. ٢: ٢٨٠.
(٥) خط بين السورين: من حد باب الكافوري في الغرب إلى باب سعادة، وبه الآن صفان من الأملاك: أحدهما مشرف على الخليج، والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة إلى باب سعادة، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٧١-٧٢.

يؤيده ما ذكره المقريزي وغيره، وقد بقي من أثر هذا الباب قبو عرف بقبو الزينية إلى اليوم، وهو ما تسميه مصلحة التنظيم بقبو الزينة محرفًا عن اسمه الصحيح[١].

وباب **القراطين** أو الباب المحروق، سمي بذلك لحادثة مذكورة[٢]، و**بابا البرقية** وسمي كلاهما باسم احدى كتائب الجيش الفاطمي[٣]، وكان بين كل باب من هذه الأبواب مسافات متباعدة ومتقاربة فباب النصر والفتوح متقاربان، وباب سعادة والفرج متجاوران، وكانت المسافة بين باب الخوخة وبين **باب الأمير حسين** متقاربة.

وأنشئ في سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١١م) باب آخر بالشارع ظاهر باب زويلة أمر بإنشائه الحاكم بأمر الله، وقد عرف هذا الباب بالباب الجديد أو الباب الحاكمي[٤].

ويزيد المقريزي على مقربة من باب زويلة بابًا آخر يجعله في حكم أبواب القاهرة، وهو **باب الأمير علاء الدين أيدغمش الناصري**[٥]، الذي أنشأه في سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) على مدخل حارة الروم القبلي مما يلي خط البسطيين «شارع الباب الأحمر»[٦].

(١) باب الخوخة أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج في حد القاهرة البحري، يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودي، عرف في العصر الفاطمي بخوخة ميمون دبه أحد خدام العزيز بالله، تجاه مسجد باب الخوخة الذي أنشأه المأمون البطائحي في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) بجوار مدرسة أبي غالب، ومسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية، التي تعرف اليوم بجامع القاضي يحيى زين الدين الواقع عند تقاطع شارعي الأزهر وبورسعيد، بالقرب من المدرسة الفخرية بين السورين المعروفة الآن بجامع البنات، فيكون موقع باب الخوخة في الزاوية الواقعة تجاه جامع القاضي زين الدين على يمين المتجه إلى ميدان باب الشعرية، ونسب المسجد للأمير يحيى بن عبد الرازق الزيني الظاهري، انظر: المرجع السابق: ١٤٠، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٤٢، هامش ٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٣٣.

(٢) اعتقد محمد رمزي أن مكان باب المحروق بسور القاهرة الشرقي على رأس درب المحروق داخل شارع فاطمة النبوية بالدرب الأحمر، وبعد المناقشة مع كريسويل مال إلى أن الباب الذي اشتهر باسم الباب المحروق لا يتجاوز عرضه مترًا وأنه ليس من أبواب المدينة، ولم تستعمل فتحته للمرور بل للدفاع، وعلى ذلك فإن الباب المحروق لم يكن على رأس درب المحروق عند البرج رقم ١٧، بل مكانه بين البرجين رقم ١٣، ١٤ من أبراج سور القاهرة الشرقي، وأن هذا الباب هدم وسد مكانه من قديم ببناء يختلف شكلاً ونوعًا عن البناء القديم، فتكون الطريق التي كانت توصل من هذا الباب إلى داخل المدينة تتجه من الباب المذكور إلى الرحبة الواقعة الآن أمام جامع أصلم البهائي، على رأس درب شغلان بقسم الدرب الأحمر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٢٦٦، ٢٨١-٢٨٢، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٨٧، هامش ٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١١: ٨، هامش ١.

(٣) كشف عن هذا الباب في عام ١٩٥٧م أثناء شق طريق صلاح سالم وشارع المنصورية، وهو يطلق عليه اسم باب التوفيق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٨٢، هامش ٤.

(٤) الباب الجديد أو الباب الحاكمي: يعرف بباب القوس خارج باب زويلة، وكان هذا الباب يقع في عرض الطريق الممتد خارج باب زويلة والمعروف بالمغربلين تجاه زاوية الست عائشة اليونسية على رأس شارع الداودية من الجهة القبلية، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٥٧، هامش ٣، ٣٣٣.

(٥) الأمير علاء الدين أيدغمش: أمير آخور الناصري، من مماليك الأمير سيف الدولة بلبان الطباخي، ثم صار إلى الناصر محمد ابن قلاوون، جعله أمير آخور عندما رحل للكرك، عوضًا عن الأمير بيبرس الحاجب، توفي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، انظر: المرجع السابق: ١٤١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٥٥-٤٥٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٩٩-١٠٠.

(٦) هدمت هذه الخوخة وصار مكانها زقاق نافذ إلى حيث يراد، وكانت هذه الخوخة تقع في مدخل حارة الروم في جهة شارع الدرب الأحمر وعلى بعد نحو ١٧٠ مترًا شرقي باب زويلة في شارع الدرب الأحمر، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤١، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢٧١، هامش ٣.

وقد أحدث في القاهرة مــع مضي الزمن أبواب أخرى بيد أنها لم تكن في حكم هذه الأبواب، منها باب أو **بوابة العتبة الزرقاء**، التي عرفت بعد ذلك بالعتبة الخضراء «ميدان الملكة فريدة»، وهذا الباب أنشأه الأمير أزبك في آواخر القرن التاسع «انظر ترجمة جامع أزبك في هذا الكتاب»(١).

ومنها البــاب الجديد الذي أنشـــأه الوزير بهاء الدين قراقوش الأسدي بأمر صلاح الدين في سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) ظاهر **باب البحر** حينما أنشأ سور القاهرة، ويسمى أيضًا باب البحــر، إذ كان النيل يجري بهذه المنطقـــة في يوم ما إلى أن انحسر وحل محله الخليج الناصري، فأطلق عليه الأهالي هذا الاسم لوجود البحر إلى جانبه(٢).

وفي جـــوار هذا الباب وعلى مقربة منـــه كانت تتألف مجموعة هامة من الآثار الإسلامية في هذه المنطقة أنشئت في عصور مختلفة منها جامع الحاكم بأمر الله، وقد بقي من آثاره جامع أولاد عنان الآن(٣)، ثم برج صلاح الدين وقلعة المقس، وكانـــا إلى جانب الجامع المذكور من الجهـــة البحرية، وزاوية الظاهـــري التي كانت في محل ثكنات الجيش الإنجليزي إلى ســـنة (١٩١٤م)(٤)، وقد هدمت ونقلت رفات الشيخ عثمان

(١) نشأ ميدان العتبة الخضراء في عهد الخديوي إسماعيل أثناء مشروعه لتحديث القاهرة، وعندما تم الشروع في تنظيمه، وفتح شارع محمد علي تم هدم كثير من المنشآت، كما ردمت بركة الأزبكية تحت إشراف المهندس الفرنسي باريل ديشان، وتم تخطيط الميدان حتى غدا ملتقى طرق توصل بين مناطق عديدة، وكون مع ميدان الأزبكية المركز المفضل لمباشرة الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بتنظيم السفريات بالأجانب الذين يترددون عليها، وأصبح الحد الشرقي لهما الموقع المفضل لسكنى الأجانب، فأقيمت فيه السفارات والقنصليات، والفنادق الفاخرة، والملاهي الليلية، والمسارح، ومكاتب بريد صغيرة، والصيارفة ومواقف المركبات المتجهة إلي ميناء السويس، وأنشىء بهذا الميدان مبنى البريد المصري، ومبنى المطافىء، انظر: عرفة عبده علي، **القاهرة في عصر إسماعيل** (بيروت: الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٧): ٥٠-٥٢؛ مجدي عبد الجواد علوان وآخرون، **عمارة وفنون عصر أسرة محمد علي: دراسات وبحوث** (القاهرة: دار الحكمة، ٢٠١٥): ٣٣-٣٦؛ جان لوك أرنو، **القاهرة: إقامة مدينة حديثة ١٨٦٧-١٩٠٧:من تدابير الخديوى إلى الشركات الخاصة**، ترجمة حليم طوسون وفؤاد الدهان، المشروع القومي للترجمة ٤٥٣ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢): ٣٩.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٢٤.

(٣) جامع المقس: أنشأ الحاكم بأمر الله في سنة (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) جامعًا على شاطئ النيل في قرية أم دنين بالمقس ظاهر القاهرة، وهو الجامع الذي عرف أولاً بالمقسي وأخيرًا بسيدي محمد بن عنان؛ جدده الناصر صلاح الدين، ثم جدده الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي في سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٩٦م)، وفي العصر المملوكي كان هذا المسجد يقع على الخليج الناصري بباب البحر، وفي العصر العثماني أصبح يعرف بجامع أولاد عنان، نسبة للشيخ محمد بن حسن بن عنان الشافعي المتوفى سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، والمدفون بداخله، وبقي من أثره ضريح الوزير شمس الدين المقسي وابنه؛ ثم الشيخ محمد عنان وطائفة من أولاده وأحفاده رجالاً ونساء آخرهم دفنًا السيدة آمنة العمرية، والسيدة عايدة بنت أبي الصفاء العمري وكلتاهما جدة للأب الرابع والثالث للسيد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق ونقيب الأشراف سابقًا، وقد أهمل هذا المسجد وتخرب في نهاية العصر العثماني، حتى تسلمه ديوان عموم الأوقاف سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م)، وقد تجدد هذا الضريح في عصر الخديوي عباس حلمي الثاني (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م) وبني أمامه جامع عرف بجامع أولاد عنان، وهو يقع بجهة ميدان باب الحديد (ميدان رمسيس) وقد هدم الجامع في الخمسينيات وأقيم موضعه جامع الفتح الذي فتح للصلاة في سنة ١٩٨٩م، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٣٠-١٣٢، هامش١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٧٨، هامش ١؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٤٨، ٥٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٣٦٨.

(٤) زاوية الظاهري: خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاي على الخليج الناصري، كانت تشرف طاقاتها على بحر النيل الأعظم؛ فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري؛ صارت تشرف على الخليج المذكور من بره الشرقي واتصلت المناظر هناك، إلى =

الظاهري إلى منطقة أخرى بالجهة القبلية من شارع الترعة البولاقيـــة[1]، وقد كانت نية وزارة الأوقــاف متجهة وقتئذ لإقامة مبنى يحوي مســـجدًا كاملاً ومكانًا مســـتقلاً للشيخ بدلاً من الزاوية المغتصبة، بيـــد أنها رغبت عن ذلك لأمور لا نعلمها، ولا زال ضريح الشـــيخ الظاهري بهذا المكان إلى الآن معروفًا باسم سيدي المتبولي لسبب مذكور في تاريخ هذه الزاوية [انظر الجزء السابع من هذا الكتاب][2].

ومنها **باب اللوق** أو باب ابن ثعلب، الذي أنشأه الأمير فخر الدين إســـماعيل بن ثعلب الجعفري في ســـنة (٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، وهـــذا البـــاب وإن كان في بادئ الأمـــر بابًا خاصًّا للشريف ابن ثعلب أنشـــأه في السور الذي أداره على منشأته وبساتينه ودوره، إلا أنه اعتبر فيما بعد بابًا عموميًّا من أبواب القاهرة وعرف بباب اللوق؛ وصار علمًا على هذه المنطقة إلى اليوم، ويؤخذ مما ذكره المقريزي أن هذا الباب كان محدودًا من الجهة القبلية بمنشأة ابن ثعلب، والبحرية بالميدان الصالحي وأرض الجزائر والخور، والشرقية ببستان الدكة وبستان الأمير قراقوش، والغربية الطريق المسلوك إلى موردة السقايين حيث قنطرة الخرق، وقد ظل هذا الباب إلى ســـنة (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) فهدمه صلاح الدين يوسف بن المغربي الطبيب، وجدد بدله في الجهة القبلية مع القيســـارية التي أنشـــأها بهذه المنطقة، فجاء في موضع الباب الذي أنشـــأه الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي يقال له باب الميدان، ويصف المقريزي هذا الباب بأنه كان كأبواب القاهرة، وعلى مـــا ذكره المقريزي في حدود هذا الباب يمكن تحديده الآن على هـــذا الوجه[3]: الشرقي إلى شارع الصنافيري وحسن الأكبر حتى ميدان باب الخلق؛ الغربي: إلى شارع البستان.؛ القبلي: إلى جزيرة وميدان عابدين وجامع جركس؛ البحري: إلى شارع عماد الدين.

وعليه فيكون موضع هذا الباب بوســـط الميدان على بضعة أمتار من جامع الطباخ.

وفي حكم هذا الباب **باب الخرق** الذي أنشأه صلاح الدين عندما أنشأ القنطرة على الخليج وكان موضعه تجاه بستان غيط العدة، وقد ظل هذا الباب قائمًا حقبة من الزمن معروفًا بهذا الاســـم، وبقي اسمه علمًا على المنطقة إلى اليوم بيد أنه حسن إلى هذه التسمية المعروفة الآن أي باب الخلق[4].

باب الوزير: وأحدث الوزير نجم الدين محمود بن علي- المعروف بوزير بغداد رئيس الحكومة المصرية في عهد الملك المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون- بابًا يسلك منه إلى تربته التي بناها شمالي القلعة في سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وقد عرف بباب الوزير نسبة إليه كما عرفت تربته بذلك إلى اليوم[5].

= أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة؛ فخربت وبيعت أنقاضها، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٣١.

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهري: كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازي، وبرع حتى صار إمامًا حافظًا وتوفي ليلة الثلاثاء لأربع بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بتربته خارج باب النصر، وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين بن جمال الدين الظاهري الحلبي، الإمام العلامة المحدث الصالح، ولد سنة سبعين وستمائة، وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثرًا، ومات بزاويته هذه في سنة ثلاثين وسبعمائة، انظر: المرجع السابق.

(٢) هذا المسجد باق للآن، ويقع خلف مستشفى الهلال بشارع رمسيس بمنطقة الإسعاف.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٩٣-٣٩٤.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٣، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٧٦- ٧٧، هامش ٤.

(٥) باب الوزير: أحد أبواب القاهرة الخارجة عن سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين، في المسافة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل، فتحه في السور الشرقي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) الوزير =

ولا زالت آثار هذا الباب باقية للآن بيد أن مصلحة التنظيم تسميه بباب الطربة، وهي تسمية لم نعرف لها وجهًا صحيحًا، ولوجود هذا الباب بهذه المنطقة بقي اسمه علمًا إلى الآن، ويؤيده ما في خطط المقريزي، وعلى قيد غلوة من هذا الباب إلى الجهة الشمالية توجد تربة هذا الوزير، وقد تخلف منها قبة حجرية جميلة من نوع القباب المضلعة وهي حلقة مفقودة عند المشتغلين بآثار القاهرة [انظر التعريف عن هذه القبة وعن منشئها في الجزء الخاص بآثار القرافة في هذا الكتاب].

باب المنصور: كما أحدث في القاهرة باب آخر عرف بباب منصور كان في حكم أبوابها العمومية، وهو باب الأمير منصور وزير المملكة المصرية في عهد الملك الأشرف إينال، أنشأه في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) بالسور البحري بين بابي الفتوح والقنطرة، في الحد الشمالي لحارة بهاء الدين «شارع بين السيارج»، وقد كثر النفع به في الليل كما يقول السخاوي «انظر الضوء اللامع»[(١)].

باب الحاجب: وأحدث الأمير بكتمر الحاجب الناصري بابًا بنهاية حارة برجوان من الجهة الغربية، كان يسلك منه إلى الكافوري «شارع الشعراني الجواني» وإلى شارع الخرنفش، وقد عرف بباب الحاجب، واعتبر من أبواب القاهرة[(٢)].

باب القرافة: وهذا الباب كان معدودًا من أبواب القسم الجنوبي لظاهر مدينة القاهرة وهو قديم الوضع، وجدده في القرن التاسع السلطان الأشرف قايتباي كما في المذكرة التاريخية التي تعلوه ونصها:

أمر بإنشاء هذا الباب المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثمانمائة

ويكتنف واجهته بجران فيها شارة المنشئ، وقد أشار ابن إياس إلى عمارة هذا الباب مضافًا إلى عمارات أخرى، منها ما بقي إلى اليوم كجامع قايتباي الكائن بأول عطفة البيارة يحمل مذكرة فيها اسم هذا الملك وتاريخ الإنشاء وما يجاوره من الحوض والسبيل المجاوران للباب المذكور [انظر ترجمة هذا الجامع في الجزء الآتي من هذا الكتاب].

باب صرغتمش أو باب الكبش: وهذا الباب كان في القسم الجنوبي لمدينة القاهرة، أنشأه الأمير صرغتمش الناصري في سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) بالكبش وسمي بباب الكبش واعتبر من أبواب ظاهر القاهرة، والكبش اسم لمناظر أو شرفات أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في حوالي سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وهدمها الناصر محمد بن قلاوون في

= نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيرًا للسلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور، المعروفة بقرافة باب الوزير، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق، ولهذا عرف من ذلك الوقت باسم باب الوزير، ولا يزال موقع هذا الباب قائمًا إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البجاسي، والباب الحالي جدده الأمير طراباي الشريفي صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، انظر: المرجع السابق، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٦، هامش ١.

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٧٠-١٧١.

(٢) عن سيرة الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله الحاجب، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣١٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٧٧.



سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) وجددها بنظام مغاير، وأضاف إليها أماكن أخرى وزاد في سعتها وأنشأ إلى جانبها قصرًا فخمًا زف فيه ابنته الخوند زهرة على الأمير أرغون نائب سلطنة المملكة المصرية، فما برحت هذه المناظر حتى سكنها الأمير صرغتمش المذكور وبنى إلى جانبها هذا الباب ثم أعقبه ببناء جامعه الآتي ذكره[1].



وما برح هذا الباب قائمًا مقام هذه المنظرة حتى أمر الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦)م بهدمه وهدم تلك المناظر، فبقيت الأرض التي كانت تقوم عليها براحًا حتى سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، فأقطعتها الحكومة للأهالي فبنوا فيها البيوت والدكاكين والأسواق، وصارت الكبش منطقة آهلة بالسكان حتى اليوم.

بيد أن هذه الأبواب جميعها التي ذكرناها من أبواب القاهرة لم تبق طويلاً حتى دثرت، ولم يبق منها إلا ما هو قائم اليوم، ويمكن تعيين مواقعها وتحديدها تحديدًا ليس فيه شك ولا غموض، بأبواب النصر والفتوح وزويلة القائمة إلى اليوم كانت في بادئ الأمر على بضعة أمتار من مكانها الحالي، فلما جددها الوزير بدر الجمالي في سنة (٤٨٠-٤٨٥هـ/ ١٠٨٧- ١٠٩٢م) زحزح باب زويلة المزدوج عن مكانه الأصلي بضعة أمتار[2]، وهذه الأبواب الثلاثة هي كل ما تبقى من أبواب القاهرة من آثار بدر الجمالي يحمل كل منها مذكرة تاريخية هذا نصها:



باب القرافة «عن كريسويل»

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٥٥-٦٥٦؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٤٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٣٠٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٣٤٢-٣٤٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٦٤.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٧.

المذكرات التاريخية بأبواب القاهرة

باب التوفيق (باب البرقية)

أثر رقم ٦١٤ (سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)

هذا الباب أحد أبواب القاهرة الشرقية وهو من إنشاء بدر الجمالي المنشـئ للأبواب سالفة الذكر وبينه وبين باب جوهر بضعة أمتار، وقد تم إنشاؤه مع السور الجديد في سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[١]، وقرأنا على أسـكفته مذكرة تاريخية هذا نصها:

بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسـوار أنشـأ هذا باب التوفيق والسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسـة حماهـا الله فتى مولانا وسـيدنا معد أبي تميم الإمام المسـتنصر بالله أمير المؤمنـين صلـوات الله عليـه وعلى آبائـه الأئمة الطاهرين وأبنائـه الأكرمين السـيد الأجل أمير الجيوش سـيف الإسـلام وناصر الأنام كافل قضاة المسـلمين وهـادي دعاة المؤمنين أبـو النجم بدر المستنصري في سنة أربع وثمانين وأربعمائة.[٢]

وقد كان هذا الباب مطمورًا حينًا من الزمن ثم أظهرته حفريات سنة (١٩٥٢م)[٣].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٨٢- ٢٨٣.

(٢) الأسطر الأول والثاني والخامس مفقودة من هذا النص، لمزيد من التفاصيل، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٠٩-٢٠١.

(٣) K.A.C. Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 27.

بـاب زويلة (المتولي)

أثر رقم ١٩٩ (سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩-١٠٩٠م)

هذا الباب أحد أبواب القاهرة الجنوبية، أنشأه الأمير بدر الجمالي في سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)[٤]، بدل الباب المزدوج الذي بناه جوهر بلصق زاوية سام «مسجد البنا»[٥]، ولما تولى الأمير علم الدين شـمائل الحموي متولي القاهرة السجن؛ الذي حل محله مسـجد الملك المؤيد شيخ في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، عرف الباب بباب المتولي، ولصقت به هذه التسمية إلى يومنا[٦].

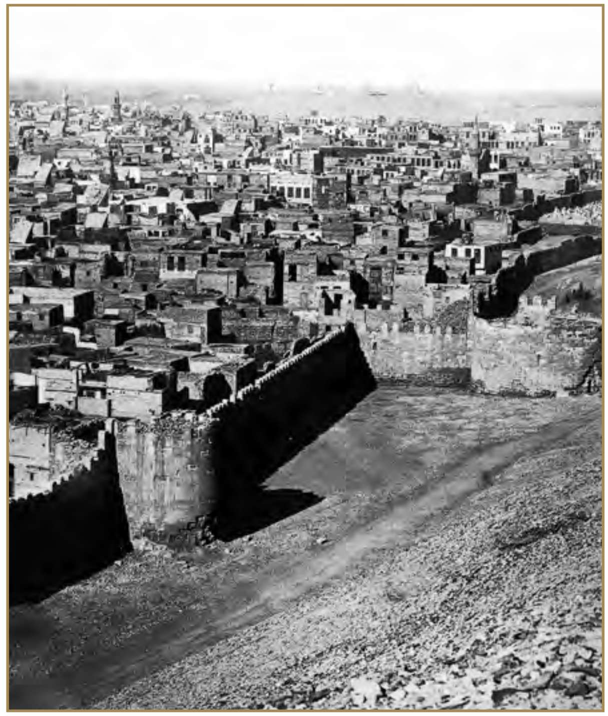
وزويلة التي نسب إليها هذا الباب كتيبة في العسكر المغاربة[٧]، وقد اسـتخدم الملك المؤيـد المذكور برجي هذا الباب كقاعدتين أقام عليهمـا مئذنتي جامعه، وقد كانت وجهة نظره صائبة؛ إذ إنها أكسـبت هذا الباب منظرًا يقف

(٤) يذكر المقريزي أن بناء باب زويلة كان في سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وانتهى منه في ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٧- ٢٧١؛ K.A.C. Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 26, 197-205.

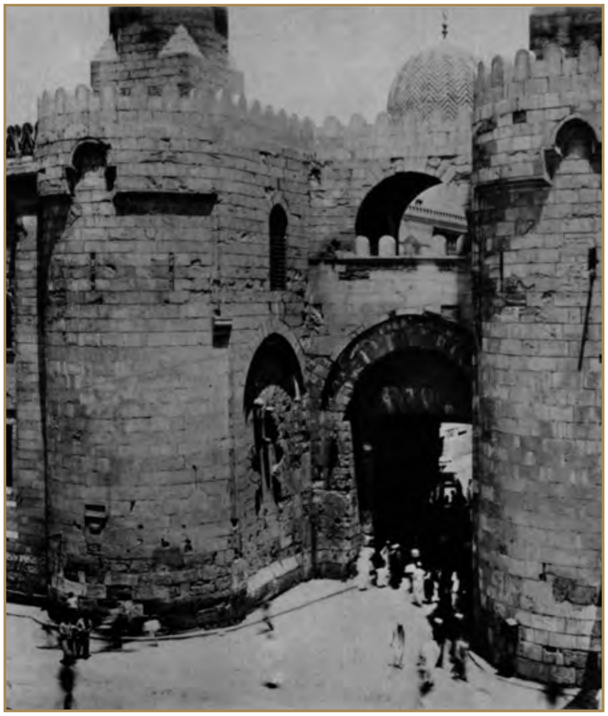
(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٧.

(٦) يأتي هذا الاسم من متولي أو والي القاهرة المدعو الأمير علم الدين شمائل الكاملي الحموي في أيام الكامل محمد؛ إذ كان يلي نظر السجن الاحتياطي الذي عرف باسمه وكان هذا السجن يشغل جميع الأراضي التي أقيم عليها الجانب القبلي من مسجد المؤيد شيخ حتى مسجد أبي النور، وقد ظل إلى سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٠٠.

(٧) المرجع السابق: ١٠.



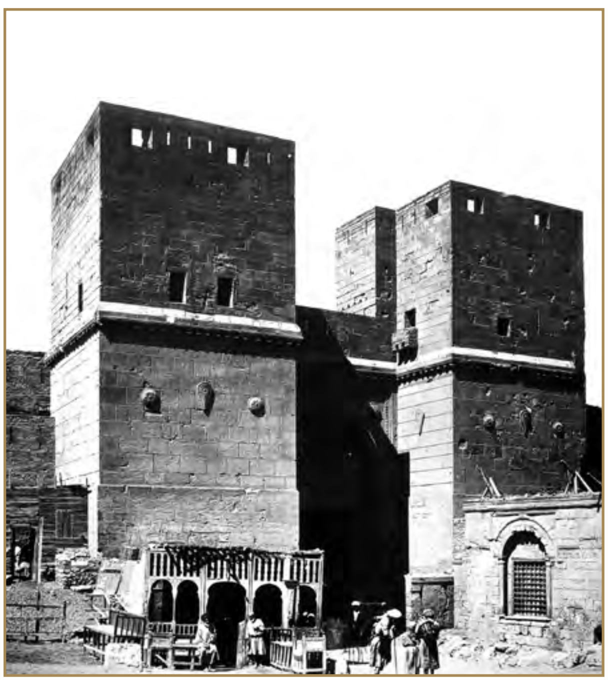
باب البرقية «عن كريسويل»



باب زويلة «عن كريسويل»



باب الفتوح «عن كريسويل»



باب النصر «عن كريسويل»

الناظر إليه موقف الإعجاب والفخر[١]، ويحيط بهذا الباب من أعلاه مذكرة تاريخية يقرأ فيها:

البســـملة.....نصر من الله وفتح قريـــب لعبد الله ووليه أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلـــوات الله عليـــه وعلى آبائه الطاهريـــن وأبنائه الأكرمـــين . أمر بعمـــارة هذا الباب باب الســـعد الســـيد الأجل أمير الجيوش ســـيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المســـلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وشد عضده بولده الأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله في علاه ومتع المؤمنين بطول بقايه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.[٢]

بـاب الإقبال (باب الفتوح)

أثر رقم ٦ (سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)

أحد أبـــواب القاهرة الشـــمالية[٣]، يحمل هذا الباب مذكرة تاريخيـــة تبتدئ من خلف برجـــه الشرقي في طراز بالخط الكوفي المستنصري، قرأنا فيها ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله صلى الله عليهم وعلى الأئمة من ذريتهم ثم آية الكرسي إلى آخرها بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار رأى إنشاء هذا باب الإقبال والسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروســـة حماها الله فتى مولانا وســـيدنا معد أبي تميم الإمام المســـتنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام نـــاصر الإمام كافل قضاة المســـلمين وهـــادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المســـتنصري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته الذي حصن الله بحســـن تدبيره الدولة والأنام وشمل صلاحه بإذن الله تعالى الخاص والعام ابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب فضله وإحســـانه وصيانة كرسي الخلافـــة وإزدلافًـــا إلى الله بحياطة الكافة وبدئ بعمله في محرم ســـنة ثمانين وأربعمايه للهجرة الحنيفية وصلى الله على ســـيدنا محمد النبي وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم تسليمًا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل..[٤]

بـاب العـز (بـاب النصـر)

أثر رقم ٧ (سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)

من أبواب السور الشمالي لمدينة القاهرة الفاطمية[٥]، النـــص التاريخي الذي يحمله هذا الأثـــر يبتدئ من برجه الغربي ممتدًا حتى وجهته ثم يسير بانحناء حتى برجه الشرقي، وقرأنا فيه ما يلي:

---

(١) Yacoub Artin-Bey, "Bab Zouheyleh et la mosquée d´El-Moéyeid notice historique et anecdotique", in *Bulletin de l´Institut Égyptien,* vol. 2-4 (1883): 127-152.

(٢) هذا النص غير مكتمل عند الحسيني، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢١٣؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 64.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧٢- ٢٧٥؛ K.A.C. Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 176-181.

(٤) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٠٦؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 61.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧١- ٢٧٣؛ K.A.C. Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 176-181.

البسملة... آيات الكرسي بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار أنشأ هذا الباب المعز والســور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتى مولانا وســيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنــين صلوات الله عليــه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين الســيد الأجل أميرالجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام (-) أبو النجم بدر المستنصري في سنة ثمانين وأربعمائة (-)[1]

وبأســكفة الباب إطار به أربعة أسطر بالكوفي قرأنا فيها ما يلي:

البســملة... لا إله إلا الله وحــده لاشريك له محمد رســول الله عــلي ولي الله صــلى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين..[2]

وقرأنا بأســفل جدار البرج الغربي منشــورًا للملك الظاهر برقوق هذا نصه:

بحسب ما رســم نائب السلطنة المعظمة المقر العالي الســيفي ســودون من عرافة الجمال بأن يؤخذ على كل جمل خمسة وملعون من يأخذ أكثر من ذلك أو يحدث مظلمة في أيام الدولة

ويشير هذا المنشور إلى ما أبطله الملك الظاهر برقوق من المكوس التي كانت تؤخذ على الدريس والحلفا من باعته بســوق الدريس «شــارع نجم الدين الحالي»، وكان العرافون «المنــوط بهم تحصيل الضرائب المفروضــة بما ينوء به حمل المســتهلكين والمنتفعين فخفضه إلى القــدر المذكور»[3]، ويلفت النظــر في باب العز أو النصر هــذا أنه يحمل فوق أبراجه مجموعــة من الآلات الحربية التي كان يســتعملها الجيش في العصر الفاطمي[4].

وقد اســتخدمت الحملة الفرنسية حين غزت مصر، أبراج هذا الباب ومرافقه التي تمتد حتى باب الإقبال وباب منصور والجزء الغربي من الســور، ورأينــا على أبواب هذه الأبراج أســماء قواد الجيش الفرنسي الذين كانوا يرابطون بها باللغتين اللاتينية والفرنسية.

وهذه الأبــواب الثلاثة بصورتها تلــقي علينا ضوءًا كبــيرًا من الفن المغربي، إذا قارناهــا بأبواب مدن الفن في بلاد المغرب كأبواب فــاس ومراكش ومكناس والقيروان وتونس وتلمسان وغيرهما.

وأبواب القاهرة الأخرى يمكن تحديدها كالآتي:

باب القنطرة: كان قائمًا عند ملتقى نهاية حارة المرتاحية أو شارع أمير الجيوش الجواني بشارع الخليج المصري[5]، وعلى أساسه تقوم مجموعة المباني المحدودة من الشمال بحارة بهاء الدين، ومن الجنوب بالكافوري وبين

(١) تنقص عبارة «كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين». ينقص سطر كامل من النص «عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته، الذي حصن الله بحسن تدبيره الدولة والأنام، وشمل صلاحه الخاص والعام، ابتغاء ثواب الله ورضوانه، وطلب فضله وإحسانه، وصيانة كرسي الخلافة، وازدلافًا إلى الله، بحياطة الكافة، وبدئ في عمله في محرم سنة»، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٠٠؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 50.

(٢) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٠١.

(٣) Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 59.

(٤) Avinoam Shalem, "A Note on the Shield-Shaped Ornamental Bosses on the Façade of Bāb al-Nasr in Cairo", *Ars Orientalis*, vol. 26 (1996): 55-64.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧٩؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٦٩-٧٠.

السورين، ومن الشرق بالمرتاحية، ومن الغرب بالقنطرة وحكر ابن منقذ(١).

وباب سعادة: كان موقعه تجاه السور الغربي لسراي منصور باشا «محكمة مصر الآن»، أو بعبارة أوضح أمام باب المدرسة الفارقانية «جامع الحبشلي»(٢)، وهذا يؤيده قول المقريزي والسخاوي(٣).

وكان يجاوره جنوبًا باب الفرج: وموضعه تمامًا في الاتجاه الشرقي البحري لموردة السقايين الفاطمية، التي حل في محلها في الأيام الصلاحية قنطرة عرفت بقنطرة الخرق، وفي مكانها الآن خط ترام الخليج حيث ميدان باب الخلق، وهذا التحديد لباب الفرج يصحح ما ذهب إليه فريق من علماء الآثار الإسلامية في موقعه(٤).

وقد جاور باب سعادة من الجهة الشمالية في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) باب آخر أنشأه الأمير حسين بن جندر بك الرومي ليمر السالك منه الآتي من شارع بين السورين «جامع البنات» إلى جانب الخليج الغربي حيث جامعه الباقي إلى اليوم معروفًا باسمه(٥)، وقد كان هذا الباب على ما جاء بالخطط المقريزية يعادل باب زويلة وله قصة مشروحة [انظر الخطط]، وعرف **بخوخة الأمير حسين**(٦).

وباب القراطين أو الباب المحروق: لا زالت آثاره باقية إلى اليوم بنهاية درب المحروق شمالاً(٧)، ويقابله تجاه قطع المرأة باب البرقية، وعلى بضعة أمتار منه كان يقوم باب آخر عرف ببوابة الغريب «راجع الجبرتي»، وقد وجدت آثار باب البرقية مطمورة تحت الأرض في حوش بشير بيد أنها رفعت منه حينما توجهت النية لهدم ذلك الحوش لمساكن الطلبة الأزهريين(٨).

---

(١) حكر ابن منقذ: خارج باب القنطرة بعدوة الخليج، في الأصل كان بستانًا يعرف باسم بستان الشريف الجليس، أو البطائحي، ثم عرف بالأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الإسلام ظهير الدين طفتكين بن نجم الدين أيوب بن شادي على اليمن، ثم انتقل هذا البستان إلى الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن علي المخزومي المعروف بابن الصيرفي، فوقفه على مشهد السيدة نفيسة في سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ثم أزيل هذا البستان وحكرت أرضه، وبنيت عليه الدور والمساكن، وهو الآن خرب، وموقعه في الوقت الحالي المنطقة التي يحدها من الشرق شارع الخليج المصري «شارع بورسعيد»، ومن الشمال شارع الخراطين، ومن الغرب ديوان قسم باب الشعرية، ومن الجنوب شارع بير حمص، انظر:المرجع السابق: ٤٠٠-٤٠١.

(٢) ركن الدين بيبرس الفارقاني نائب قلعة دمشق كان شيخًا طوالًا خيرًا دينًا مات في جمادى الأولى سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وهو غير آق سنقر الفارقاني المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٠؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٨١-١٨٢.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٨٠.

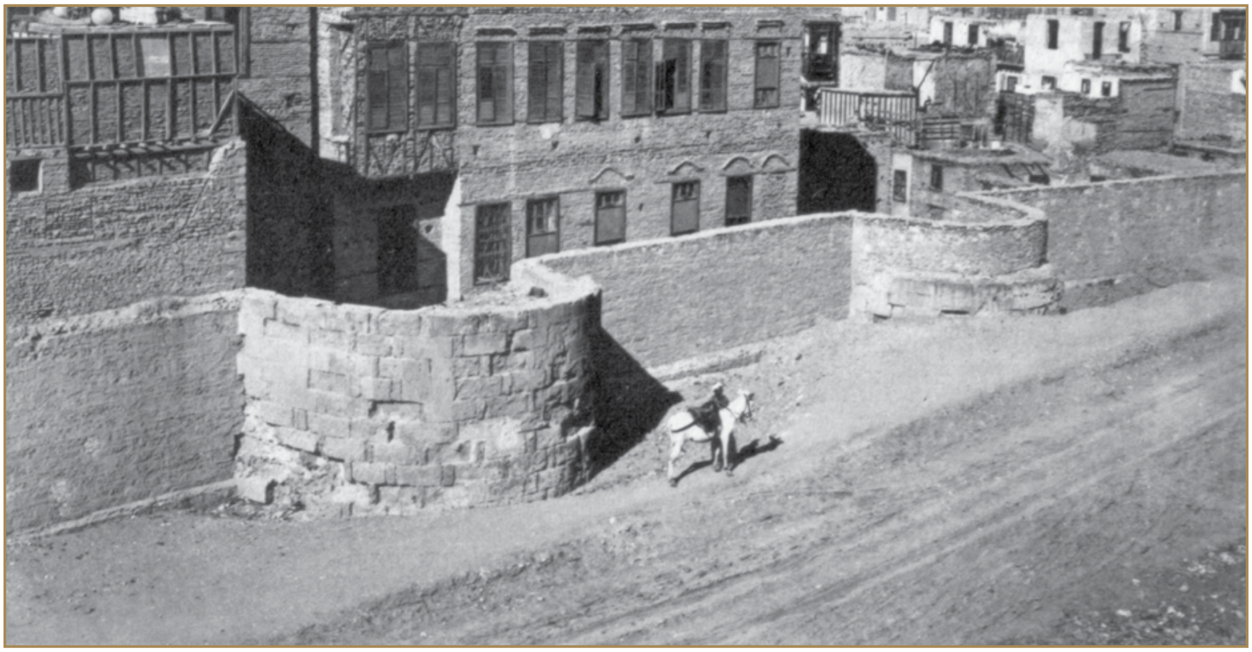
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٢١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٠، ٣٧٩.

(٥) أنشئ هذا الجامع بحكر جوهر النوبي، وهو يقع الآن غربي الخليج «شارع بورسعيد»، أمام محكمة جنوب القاهرة الابتدائية، وخلف مبنى دار الكتب ومتحف الفن الإسلامي في شارع الأمير حسين بالمناصرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٧-١٤٨؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٢١٥-٢١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٦٢، هامش ٢.

(٦) للمزيد عن سيرة الأمير حسين الرومي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٧-١٤٨؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٢١٥-٢١٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٥٠-٥٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ١٥٢-١٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٧٦.

(٧) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٢٦٦، ٢٨١-٢٨٢، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٨٧، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ١١: ٨، هامش ١.

(٨) المقريزي، **الخطط المقريزية**: ٢٨٢، هامش ٤.



باب المحروق «عن كريسويل»

والباب الحاكمي أو الباب الجديد: كان بين الاتجاه الذي يقع فيه أول حارة الدالي حسين أو المنتجبية سابقًا، وبين الاتجاه الآخر الذي يقابله من نفس المنطقة، وهذا يؤيده قول المقريزي في الخطط وقد عبر عن هذه المنطقة المعروفة اليوم بشارع السروجية بسوق الطيور، وعند السخاوي معروفة بسوق الدجاجين، وعند الجبرتي وغيره بسوق السروجيين وهو الاسم الحالي بيد أنه مخفف، وبهذا الوضع للباب الحاكمي تكون الحارة المنصورية التي عرفت أولاً بحارة السودان ثم بدرب الأغوات خلف هذا الباب، كما كانت حارة المصامدة أو عطفة عبد الله بك على يساره، وهذا يصحح ما وقعت فيه مصلحة التنظيم من خطأ في تسميتها زقاقًا صغيرًا بشارع الدرب الأحمر بزقاق المنصورة، كما سمت زقاقًا آخر في حارة الحرمين بالبرادعيين التي تسمى الآن بحارة زرع النوى بشارع الدرب الأحمر بزقاق سوق الطيور، وقد بقي هذا الباب الحاكمي حينا ثم دثر[1].

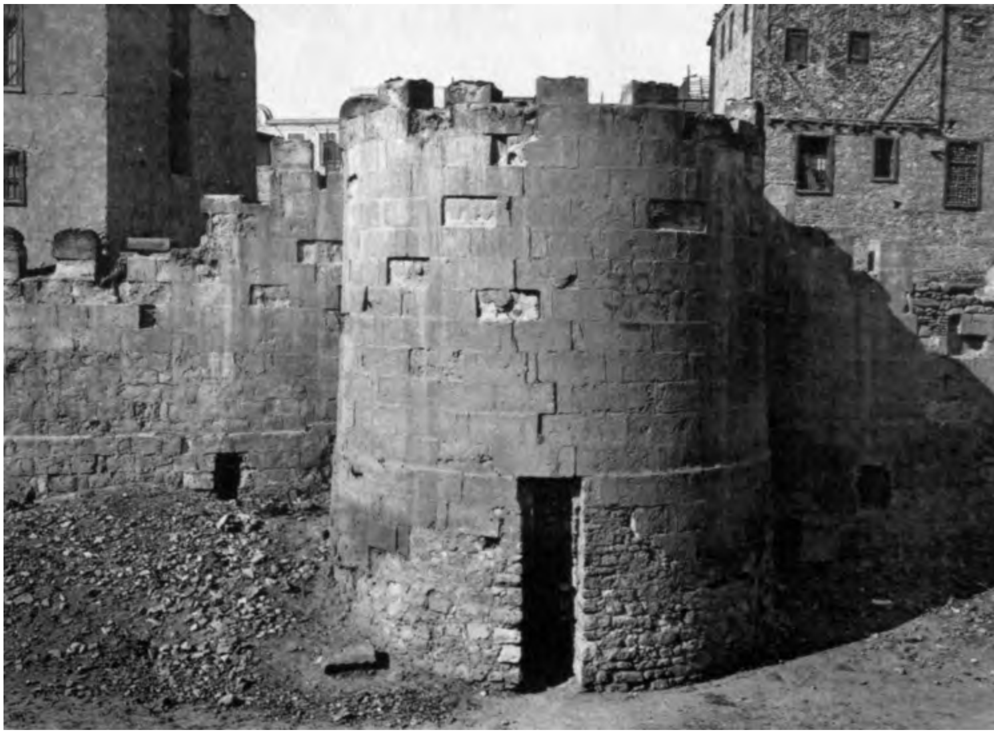
والباب الجديد بقي حتى أمر محمد علي باشا بإزالته، وقد كان واقعًا بنهاية شارع فم البحر تجاه البرج بين شارع كلوت بك وشارع إبراهيم باشا «نوبار سابقًا» حيث جامع أولاد عنان[2]، لوجود هذا الباب بهذه المنطقة من ذلك التاريخ صار علمًا عليها إلى اليوم، وفي هذا التاريخ نفسه أزيلت بوابة العتبة الزرقاء واستبدل اسمها بالعتبة الخضراء، وهي الآن الجزء المسمى بميدان الملكة فريدة من سنة (١٩٣٨م).

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٥٧، هامش ٣، ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٣٠-١٣٢، هامش١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٧٨، هامش ١؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٤٨، ٥٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٣٦٨.







باب المحروق «عن كريسويل»

وصف القاهرة

ويصف المؤرخون شكل القاهرة في أيام القائد جوهر بأنه كان مربعًا تقريبًا ضلعه ألف ومائتا متر، ومساحة الأرض المحصورة فيه ٣٤٠ فدانًا منها نحو ٧٠ فدانًا بنى فيها القصر الكبير، و٣٥ فدانًا للبستان الكافوري ومثلها للميادين والباقي وهو ٢٠٠ فدان توزع على الفرق العسكرية في نحو عشرين حارة بجانبي قصبة القاهرة، وكان سور المدينة الغربي بعيدًا عن الخليج بنحو ثلاثين مترًا، ومن سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) إلى سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) في زمن وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي هدم هذا السور، وأعيد بناء أبواب القاهرة وجعل عرض السور الجديد عشرة أذرع، وبلغت مساحة البلد ٤٠٠ فدان.

وفي سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) في زمن صلاح الدين شرع في عمل سور واحد يحيط بالقاهرة ومصر، فبنى منه ما طوله ٢٩٣٠٢ ذراع هاشمي عبارة عن ٢٢٠٠٠ متر وبقي الأمر على ذلك إلى سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)[1].

فلما وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر قاسوا سور المدينة وجدوه ٢٤٠٠٠ متر، وبه واحد وسبعون بابًا، منها ما هو داخل البلد في السور القديم ومنها ما هو في السور المحيط بها.

ولم تتغير مساحة القاهرة في القرن التاسع من الهجرة، ولكن تغير شكل المدينة قليلاً، فعلى ذلك يكون موضع القاهرة القديمة على ما كانت عليه في حدها الأول، يشمل الآن منطقة حي الأزهر والأحياء المتقاربة منها إلى الوراقين «السكة الجديدة»، والشرابشيين «الغورية»، والشوايين والعقادين والمناخليين «المناخلية»، وحارتي الروم والديلم «خشقدم»، وما اتصل بهذه الأخطاط من الحارات والعطف والدروب والأزقة من كل جهات القاهرة الأربع الداخلة تحت أبوابها أو ما كان خارجًا عن هذه الأحياء فيعد من

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٠٩-٢٢٥.

ظاهر القاهرة وكان هذا في الاصطلاح القديم، فلما اتصلت خطط القاهرة بما ظهر عنها صارت شيئًا واحدًا(١).

وقد بقي اسم القاهرة علمًا على المدينة الفاطمية مع ما ظهر عنها إلى اليوم، كما بقي اسم الفسطاط علمًا على مدينة مصر الإسلامية.

قصور الفاطميين

وأما قصور الفاطميين فكان أكبرها قصر الخلافة، وهو القصر الشرقي الكبير، وكان هذا القصر يحاكي في سمته ورونقه قصر الخلد الذي كان للرشيد ببغداد، وقد عرض لنا مؤرخو القاهرة في وصف هذا القصر ووصف إيوانه الكبير صورًا عظيمة يدهش لها.

مساحة القصر الفاطمي

وقد بلغت مساحته جميع الأرض التي تقوم عليها الآن شوارع المشهد الحسيني، وخان جعفر، والباب الأخضر، وبيت القاضي، وبيت المال، والمدرسة الظاهرية القديمة، والمدارس الصالحية، وشارع القمصانجية، وجميع الأرض التي يقوم عليها خان جركس الخليلي، ومدخل السكة الجديدة «القائد جوهر الآن»، والربع الأخير من شارع الصنادقية داخلاً فيه مشهد جعفر الصادق إلى بعض ميدان الأزهر فخط الأبارين أو شارع الحلوجي الآن، فرأس شارع الشنواني فشارع فريد فأم الغلام فرحبة الأيدمري فقصر الشوك فرحبة باب العيد فحارة القفاصين فدرب قرمز فالركن المخلق فسبيل عبد الرحمن كتخدا فقصر بشتاك فقاعة عثمان كتخدا، فمدرسة النحاسين، وجميع الأماكن الداخلة وسط هذه المناطق المذكورة كانت من حقوق القصر ويمكن تحديده كالآتي(٢): من رحبة الأيدمري إلى بين القصرين طولاً، ومن السبع خوخ «الصنادقية» إلى رحبة العيد عرضًا. **والحد الغربي له**: شارع بين القصرين والنحاسين والخردجية والأشرفية. **والحد الشرقي**: شارع قصر الشوك ورحبة الأيدمري إلى رحبة العيد. **والحد القبلي**: شارع الشرابشيين «الغوري»، المعز لدين الله الآن. **والحد البحري**: شارع التمباكشية، الجمالية، باب النصر.

وقد شاء الله أن تدرس آثار هذا القصر الفاطمي فلم يبق لنا منه إلا مكان قاعة الزهراء بنهايته القبلية، ولو بقي هذا القصر جميعه لكان اليوم محط رحال الزائرين ومطاف علماء الآثار من كل حدب وصوب، وكان رمزًا أكبر لحضارة الفاطميين ومدنيتهم العمرانية.

أبواب القصر الفاطمي

وبلغ عدد أبوابه تسعة، وهي:

- **باب الذهب**: في محل الخانقاه البيبرسية- شارع الجمالية(٣).

---

(١) عن خطط وحارات القاهرة، انظر: المرجع السابق: ٢٤٤-٢٥٣؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٤-١٣٩.

(٢) عن القصر الشرقي الكبير، انظر:المرجع السابق، مج. ٢: ٢٨٤-٤٣٨.

(٣) باب الذهب: هو الباب الذي يدخل منه قادة الجيش وكبار أهل الدولة يومي الإثنين والخميس، للموكب الذي يعمل بقاعة الذهب، وهو يقابل دار الأمير فخر الدين جهاركس الصلاحي، التي عرفت بالدار القطبية، وهي الآن المارستان المنصوري، وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس وليس كما يذكر صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٤٢٥.

- **باب الريــح**: كان في خط قصر أمير الســـلاح- درب قرمز(١).
- **بـــاب العيد**: كان بعيد درب السلامي أو درب المسمط بخطوات يسيرة(٢).
- **باب الزمرد**: في مكان المدرسة الحجازية(٣).
- **باب الديلم**: ومن آثاره المشهد الحسيني(٤).
- **باب تربة الزعفران**: باب سوق خان جركس الخليلي(٥).
- **باب قصر الشوك**: نهاية شارع القزازين شمالا(٦).
- **باب الزهومة**: بين شارع القمصانجية، ودرب خشيبة أو الخشابين «شارع المقاصيص الآن»(٧).
- **بـــاب البحر**: وهو الباب الذي بقي مـــن هذه الأبواب التســـعة حافظًا لوضعه، وموقعه بـــأول عطفة القبوة تجاه المدرسة الكاملية بشارع بين القصرين «المعز لدين الله»، أنشئ مع إنشاء القصر في سنة (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)، وتجدد في عـــصر الحاكم، وقـــد رام الظاهر بيبرس الأول هدمه فلم يتيسر له(٨).

(١) باب الريح تجاه خانقاه سعيد السعداء، على يمين السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد، ومنه يصل إلى المدرسة السابقية، ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير السلاح، وينتهي إلى بين القصرين تجاه حمام بيسري، وفي العصر الأيوبي عرف بباب قصر ابن الشيخ، لسكن الوزير الصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ في قصر بجواره، وبقي هذا الباب حتى قام جمال الدين الإستادار ببناء مدرسته برحبة باب العيد، فقام بهدم الباب ومجموعة المباني المجاورة له وقام بإنشاء قيسارية مكانه، ومحل باب الريح الآن وكالة الكتخدا المعروفة باسم وكالة بازرعة رقم ٢٥ شارع التنبكشية المجاورة لمدرسة جمال الدين الإستادار، والمسافة بين باب البحر وباب الريح كانت حوالي ١٨٤ مترًا، بينما يبلغ طول الواجهة التي يفتح بها باب الريح ١٥٠ مترًا، وهي تمثل الجانب الشمالي للقصر الفاطمي الكبير، وهي تقع الآن بين سبيل عبد الرحمن كتخدا غربًا والمدرسة الجمالية شرقًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢ :٤٢٧، ٤٢٨، هامش ٢.

(٢) باب العيد: كان الخليفة يخرج منه لأداء صلاة العيد بالمصلى ظاهر باب النصر، وفي سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م) قام الظاهر بيبرس بنقل الباب للخان والسبيل الذي بناه في القدس، وكان باب العيد يقع في الواجهة الشمالية الشرقية للقصر في مواجهة دار الوزارة الكبرى «خانقاه بيبرس الجاشنكير الآن»، وكان هذا الباب يقع داخل درب السلامي، أحد الدروب الأربعة التي حلت محل رحبة باب العيد، وموضعه اليوم ظهر مدرسة عمر مكرم الابتدائية بشارع قصر الشوق بالجمالية، التي بنيت مكان وقف الست نفيسة الشهيرة بوكالة عبده رقم ٢٠، انظر: عز الدين ابن علي بن إبراهيم بن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق أحمد حطيط، النشرات الإسلامية ٣١ (فيسبادن: فرانزشتايز، ١٩٨٣): ٣٥١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٣٠، هامش ٢.

(٣) المرجع السابق: ٤٢٩.

(٤) باب الديلم: كان يدخل منه إلى المشهد الحسيني، ومكانه في العصر المملوكي أصبح مقابلاً للفندق الذي كان دار الفطرة، انظر: المرجع السابق: ٤٣١.

(٥) باب الزعفران: يقع في الناحية البحرية من خان الخليلي، مقابل فندق المهمندار، ومنه كان يتوصل إلى تربة القصر القديمة، انظر: المرجع السابق.

(٦) باب قصر الشوك: موضعه تجاه حمام الأيدمري، ويقال لها حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمنة السالك إلى رحبة الأيدمري، ويتوصل منه إلى المارستان العتيق، انظر:المرجع السابق: ٤٣٠.

(٧) باب الزهومة: كان في آخر ركن القصر الفاطمي مقابل خزانة الدورق التي هي اليوم خان مسرور، وقيل له باب الزهومة، لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذي للحوم إنما تدخل من هذا الباب، فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر، وكان اتجاهه درب السلسلة، وموضعه قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية، تجاه فندق مسرور الصغير، أول شارع خان الخليلي على يسار الداخل من جهة شارع القمصانجية من شارع بين القصرين، انظر: المرجع السابق: ٤٣١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٦، هامش ٢.

(٨) باب البحر: أحد أبواب القصر الفاطمي، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله، وقام بيبرس في سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) بهدمه من أجل الحصول على أعمدته وإعادة استخدامها في بعض العمائر السلطانية، وموضعه يعرف اليوم بباب قصر بشتاك قبالة =

وظاهر من شكل هذا الباب أنه متين لم تؤثر فيه المؤثرات رغم مرور هذا الزمن عليه، ومركب على بابه مصراعان من الخشب المصفح بالحديد المسمر، ويتصل به مجاز يتألف سقفه من أربعة أقبية معقودة بالحجر المتين، وكان الداخل منه منذ ستمائة وعشرين سنة ينتهي إلى رحبة «ميدان» عرفت برحبة قصر بشتاك، ومن القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، اتخذ هذا الباب مقرًّا لجلوس قاضي العسكر وهو القاضي المختص بالحكم في الجنح والجنايات أو بالأحرى القاضي الأهلي، وعرف بذلك لأن أعوانه ومساعديه وما يحيط به من موظفين وخدمة كانوا عسكريين لا مدنيين بخلاف القاضي الشرعي الذي كان قصره وقتئذ «المدرسة الكاملية» التي تواجه هذا الباب، وقد جدد ما وَهِيَ من هذا الباب منذ حوالي ٥٠ عامًا.

مسالك القاهرة

وكان أطول شوارع القاهرة الشارع المار من رأس الحسينية إلى بوابة المشهد النفيسي، فقد قدر طوله بأربعمائة وستين مترًا، وكان فيه ١٢٠٠ حانوت للتجارة فيما يقال.

باب الحسينية: ولما كثر عمران هذه الحارة وزخرت بالأسواق والحوانيت والبيوت والآدر أحدث لها باب بنهايتها البحرية عرف بباب الحسينية، واعتبر من أبواب ظاهر القاهرة، في حكم باب الكافوري الذي يعرف بباب الحاجب، وباب منصور الذي عرف بباب الغدر بشارع بين السيارج، ومجموعة الأبواب التي ذكرناها آنفًا.

وكانت دور القاهرة تتكون من خمس طبقات أو ست في عهدها الأول، وهذا نهاية ما بلغ إليه الترف والمدنية في ذلك الحين، وكان الشارع الممتد من شمال القاهرة إلى جنوبها يسمى قصبة القاهرة[(١)].

وبالجملة فقد ظلت القاهرة مدينة حصينة ذات حرمة ومنعة ويسار، وما برحت تستقبل عصورًا جديدة من العظمة والبهاء حتى صارت على ما هي عليه الآن، وقد وصفها ناصر خسرو أحد الرحالة الفرس في القرن الرابع الهجري بأنها قل أن يعرض لها شبه في مدن العالم كله، وتكاد تكون معالم وأحياء القاهرة معروفة واضحة لمن عرف خططها القديمة والحديثة.

القاهرة في عهد الحملة الفرنسية

ولم يطرأ على القاهرة تغيير جدي إلا في عهد الحملة الفرنسية، فقد عمد الفرنسيون إلى إحداث انقلاب خطير في معالمها بدَّل أوضاعها وغير خططها، وقد شهد الجبرتي المؤرخ هذا الانقلاب المقصود فوصفه لنا بقوله: «وخرب في هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة، مثل جهة الأزبكية الشرقية، من حد جامع عثمان والفوالة، وحارة كتخدا ورصيف الخشاب، وخطة الساكت إلى بيت ساري عسكر بالقرب من قنطرة الدكة، وكذلك جهة باب الهواء إلى حارة النصارى من الجهة القبلية، وأما بركة الرطلي وما حولها من الدور والمتنزهات والبساتين فإنها صارت تلالاً وخرائب وكيمانًا وأتربة، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر

= المدرسة الكاملية، انظر: محيي الدّين بن عبد الظاهر، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦): ٤١٨-٤١٩؛ ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٧٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٢٥-٤٢٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٦٣.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣١٥-٣١٦.

قديمًا وحديثًا، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر، وكانت تعرف ببركة الطوابين ثم عرفت ببركة الحاجب وهي منسـوبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، لأنه هو الذي احتفرها وأجرى إليها المياه من الخليج الناصري، وبنى القنطرة المنسوبة إليه، وعمر عليها الدور والمناظـر، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورًا بهية، وكان هذا الجسر من أجل المنتزهات، وقد خربت منازله في القرن العاشر في واقعة السلطان سليم خان مع الغوري، وصار محله بسـتان عظيم قطع الفرنسيون أشـجاره وغالب نخيله، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي فقـد هدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والتكايا وردموا بركة جناق وخربوا ما فيها مـن الدور والقصور المزخرفة وهدموا جامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر، وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام، والمنارة العظيمة ذات الهلالين، واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقي ذلك كله خرابًا متصلاً واحدًا، وبقي سـور المدينة الأصلي ظاهرًا مكشوفًا فعمروه ورموا ما تشعث منه، وأوصلوا بعضـه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه في العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظامًا وأبوابًا داخلة وخارجة وأخشابًا مغروسة بالأرض مشـبكة بكيفية مخصوصة، وركزوا عند كل باب عدة من العسـكر مقيمين وملازمين ليلاً ونهارًا، ثم سـدوا باب الفتـوح بالبناء وكذلك بـاب البرقية وباب المحروق وأنشـأوا عدة قلاع فوق تلال البرقية، ورتبوا فيها العسـاكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء، وذلك من حد باب النصر إلى بـاب الوزير وناحية الصوة طولاً فمهدوا أعالي التـلال وأصلحوا طرقها وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسـهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها، وهدموا أبنيـة رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة وما بذلك الخط من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة، وهدموا أعالي المدرسـة النظامية ومنارتها وكانت في غاية من الحسـن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى في توابيت من الخشـب فظنوا داخلها دراهـم فكسروا بعضها فوجـدوا بها عظام المـوتى فأنزلوا تلك التوابيـت وألقوها إلى الخارج، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشـهدًا بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضًا بعد أن هدموا منارتها أيضًا وكذلك هدموا مدرسة القانبية، والجامع المعروف بالسـبع سلاطين وجامع الجركسي وجامع خوند الناصرية خارج باب البرقية وكذلك أبنية باب القرافة، ومدارسها ومساجدها وسدوا الباب وعملوا الجامع الناصري الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه وسـدوا أبواب الميدان مـن ناحية الرميلة وناحية عرب اليسـار وأوصلوا سـور باب القرافة بجامع أزدمر، وجعلـوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التي كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها، وجعلوها سورًا بذاتها ولم يبقوا منهـا إلا قوصرة واحدة مـن ناحية الطيبي جهة مصر القديمة جعلوها بابًا ومسـلكًا عليها الكرنك والغفر والعسـكر الملازمون الإقامة بها لقبض المكس من الخارج والداخل، وسـدوا الجهة المسـلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص، وعليه باب بقفل مقفص أيضًا وحرس ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقي المجراة التي كانت تنقل الماء إلى القلعة، وحفروا خلف ذلك خندقًا.

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الإسـكندرية ورشـيد ودمياط وبلاد الصعيد فشيء كثير جدًّا وذلك كله في زمن قليل، ومنها تخريب دور

الأزبكية وردم رصيفاتها بالأتربة، وتبديل أوضاعها وهدم خط قنطرة الموسكي وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزبك، وما كان في ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة فيسلك المار من على القنطرة في رحبة متسعة تنتهي إلى رحبة الجامع الأزبكي، وهدموا بيت الصابونجي وأوصلوه بجسر عريض ممتد ممهد حتى ينتهي إلى قنطرة الدكة وفي متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر إلى جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم وبيت الألفي حيث سكن ساري عسكر ممتد ذلك الجسر إلى قنطرة المغربي ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر حيث موردة التبن والشون وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشجار وكذلك برصيفات الأزبكية وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان وعملوا هناك بوابة وكرنكًا وعسكرًا ملازمين الإقامة ليلاً ونهارًا، وذلك عند مسكن بليار قائمقام، وهي دار جرجس الجوهري وما جاوره وكان في عزمهم إيصال ما انتهوا إلى هدمه بقنطرة الموسكي إلى سور باب البرقية، ويهدمون من حد حمام الموسكي حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية، ثم إلى خان الخليلي إلى إسطبل الطارمة المعروف الآن بالشنواني إلى ناحية كفر الطماعين إلى باب البرقية ويجعلون ذلك طريقًا واحدًا متسعًا وبجانبيه الحوانيت والخانات وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين من أولها إلى آخرها من حد باب البرقية إلى بولاق، فلما انتهوا في الهدم إلى قنطرة الموسكي تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر وشرعوا في أبنية حوائط بحافتي القنطرة ومعاطف ومزالق إلى حارة الأفرنج وحارة البنداقة وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع، وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة داخل مصر وخارجها على ذلك الشكل مثل قنطرة السد والقنطرة التي بين أراضي الناصرية وطريق مصر القديمة وقنطرة الليمون وقنطرة قديدار وقنطرة الأوز وغير ذلك.

ومنها توالى خراب بركة الفيل وخصوصًا بيوت الأمراء التي كانت بها وأخذوا أنشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام، وكانت هذه البركة من جملة محاسن القاهرة.

وخربوا أيضًا جامع الرويعي وجعلوه خمارة وخربوا بعض جامع عثمان كتخدا القزدوغلي الذي بالقرب من رصيف الخشاب وجامع خاير بك من حديد الذي بدرب الحمام بقرب بركة الفيل وجامع البنهاوي والدشطوتي والعدوي، وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح حتى لم يبق به إلا بعض الجدران وجعلوا جامع أزبك سوقًا لبيع أقلام المكوس، ومنها أنهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التي بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به لكنه لم يتم، وهي على ذلك باقية إلى الآن، ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعًا وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع، ومنها أنهم هدموا مصاطب الحوانيت التي بالشارع ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التي ينقلون عليها المتاع واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره، ووصلوا في هدم المصاطب إلى باب زويلة، ومن الجهة الأخرى إلى عطفة مرجوش، فهدموا مصاطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق إلى آخر باب الشعرية، ولو طال الحال لهدموا مصاطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين إلى آخر باب النصر وباب الفتوح»[(١)].

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٥٥–٢٦٥.

هذا ما يصفه لنا الجبرتي مما وصل إليه حال مدينة القاهرة وظواهرها في ذلك العهد، وهو يوضح ما آلت إليه القاهرة وما أصابها من حدوث وتغيير، ولقد أصيب القاهريون من هذا التغيير والانقلاب بأضرار بليغة، لعل أكبرها ضررًا تلك المشقة التي كانوا يتحملونها في دفن موتاهم من باب النصر حتى يصلوا بهم إلى مدفن البستان وخارج باب البرقية، وقد ظل هذا النصب لاحقًا بهم حتى انجلى بموقف تلك المرأة المدعوة أم الخير زينب من سكان حارة الباطلية، فإنها تحملت عن طيب خاطر نفقة فتح الطريق إلى القرافة من باب البرقية من مالها الخاص، فعهدت للعمال والفعلة بإزالة ما ألقاه الفرنسيون من الكيمان والأتربة خلف باب البرقية، وفي عرض الطريق السالك إلى داخل الجبانة حتى فتح باب البرقية، وعاد الطريق كحالته الأولى بعد أن ظل موصدًا زهاء عام تقريبًا، وبذلك تمكن الأهالي من تشييع موتاهم من هذا الطريق دون عناء ولا نصب، ولا يزال هذا الطريق يحمل اسم أم الخير هذه إلى اليوم، وهذا هو الصحيح في تسمية هذه المنطقة بقطع المرة ما ورد في تاريخ الجبرتي، حيث أشار إلى سد هذه الطريق بقوله: «وفي زمن الفرنسيس سنة (١٢١٤هـ/١٧٩٩م)، سدوا هذا الباب حتى منع المرور منه بتاتًا وصار الناس يمرون بجنائز موتاهم من باب النصر، ويقطعون لذلك مسافات طويلة».

القاهرة الفاروقية

والقاهرة اليوم هي غيرها بالأمس فقد تطورت تطورًا عمرانيًّا آخر أكسبها حلة قشيبة، وأهم ما حدث فيها من التغيير فتح ذلك الشارع الهام «الأزهر الجديد» في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ثم شارع الأمير فاروق، ثم استبدال بعض أسماء خططها وشوارعها بأسماء أخرى، منها ما أصاب الهدف ومنها ما أوقع الباحثين في ورطة عظيمة بسبب الاختلاف البعيد والبون الشاسع بين أسماء هذه المناطق ومسمياتها.

فمما وافق الهوى وصادف قبولاً في النفس حمل بعض شوارع القاهرة أسماء جماعة من المؤرخين والعلماء القدماء والمحدثين ثم الملوك والأمراء، أمثال تسمية شارع البيطار باسم المقريزي، وإطلاق اسم المعز على أجمل وأبهج شوارع القاهرة الممتدة من داخل باب زويلة إلى باب الفتوح، وإطلاق اسم جوهر القائد على المنطقة التي يخترقها شوارع السكة الجديدة أو الوراقين ثم الصنادقية والشنواني، أو خط إصطبل الطارمة ثم العرقية أو الدراسة وخط بين السورين الشرقي.

بيد أن إطلاق اسم الشيخ جمال الدين الأفغاني على شارع القشاشين أو درب حسام الدين أو حارة المدرسة في آخر تسمية له كان أولى به شارع البيطار نفسه؛ لتلاقيه بشارع تلميذه محمد عبده، ولأن هذه المنطقة لو كانت تحمل اسم القاضي أحمد بن شعبان الأربلي الصلاحي، صاحب المدرسة الشعبانية الباقية إلى اليوم لكان أولى من تسميتها بجمال الدين، الذي يجدر أن تحمله منطقة أعظم من هذه الحارة القذرة، ولأوسع من هذه المنطقة الضيقة، وليست هذه أهم الملاحظات التي نبديها في هذا الصدد، فثمت غيرها يدعو إلى التأمل وإعادة النظر، وسنحاول تصحيح ما استطعنا إلى تصحيحه سبيلاً، تنبيهًا لأذهان القائمين بهذا المشروع.

الخليج المصري

وكان يشق القاهرة آتيًا من الفسطاط الخليج الذي رغب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة (٢٣هـ/ ٦٤٤م) في تجديده وإعادة حفره لتسهيل المواصلات بين مصر والجزيرة العربية، فرسم بذلك إلى عمرو بن العاص حاكم مصر الإسلامي، فأمر بحفره من الفسطاط حيث نهر النيل؛ إلى القلزم، فابتدأ به من هذه الجهة، ثم سار به من بحري الفسطاط على خط مستقيم حتى الحمراء القصوى، وما زال سائرًا به حتى أوصله بالبحر الأحمر بالنيل، وكانت المراكب تسير فيه محملة بالميرة والمؤونة إلى أهل الحجاز، من فسطاط مصر إلى السويس، وأشهر من جدد هذا الخليج من ملوك مصر الحاكم بأمر الله، والظاهر بيبرس الأول[١].

قناطر الخليج

وأول قنطرة بنيت عليه هي **قنطرة عبد العزيز بن مروان**، أنشأها في سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)، بالحمراء القصوى، كما تدل عليه المذكرة التاريخية التي أمر عبد العزيز أن يكتب عليها ما نصه:

هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الأمير، اللَّهُمَّ بارك له في أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه في نفسه آمين، وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتبه عبد الرحمن في صفر سنة تسع وستين[٢]

(١) عن أخبار الخليج، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٦٠-٤٧٩.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٢٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٥-٤٨٦، هامش١.

ويمكن تحديدها بأنها كانت خلف المنطقة التي عرفت فيما مضى بالسبع سقايات، وهي حارة السيدة اليوم[٣]، كما يدل عليه كلام السخاوي في ترجمته لجامع تنم من رصاص الباقي إلى اليوم[٤].

وفي سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب قنطرة على فم الخليج عرفت بـ **قنطرة السد**[٥].

وفي سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، أنشأ الملك الظاهر بيبرس الأول قنطرة كبيرة ذات عقود وأقواس وسقائف وبالغ في بنائها كثيرًا، وميزها بشعاره، ونصب عليها تماثيل أربعة سباع يقابلها أربعة أخرى، وقد عرفت هذه القنطرة بـ **قناطر السباع**، حتى صار الاسم علمًا على هذه المنطقة حتى الأمس القريب[٦].

ومنذ سنوات مضت عثرت مصلحة التنظيم عند تجميل ميدان السيدة على أساس هذه القنطرة مطمورًا في باطن الأرض فأبقته كما هو حفظًا للتاريخ وتسجيلاً لمعالم القاهرة الأثرية، ومما يجدر ذكره في هذه القنطرة أن المصريين كانوا ينظرون إليها- عامتهم وخاصتهم- نظرة ازدراء واحتقار، لا لشيء سوى هذه التماثيل المركبة عليها، إذ

(٣) موضع هذه القنطرة الآن النقطة الواقعة بشارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة حكر أقبغا بأرض جنينة لاظ خلف مبنى دار الهلال، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٧-٣٨٨. (استدراكات محمد رمزي).

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤٣-٤٤.

(٥) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٣٠٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٦-٤٨٨، هامش٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٨١؛المرجع السابق، مج. ٧: ٣٨٨. (استدراكات محمد رمزي).

(٦) ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٩؛ ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩١؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٣٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨-٤٩١، هامش ١.

كانوا يعدونها كالأصنام ويرون الحرمة الشديدة في إقامتها، فمضوا على تشـويهها طيلة مدة إقامتها، بعد انقراض دولة منشئها بحقبة، وأول من علمناه قام بتشويهها تشويهًا بليغًا هو الشيخ محمد بن عبد الله التبريزي المعروف بصائم الدهر [المتوفى في رمضان سـنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)]، وقد سـخط عليـه المقريزي وعد هذا الفعل منه منكرًا، وهو تسرع من المقريزي لم يحمد عليه «انظر ترجمة مسـجد التبريزي في هذا الكتاب».

وقد أورد الشعراني عبارة في الطبقات يستفاد منها أن الناس بلغ اسـتياؤهم من هذه التماثيل الحيوانية !!! مبلغًا جعـل منهم طوائف تقذفها بالحجـارة وتبصق عليها كلما مرت بها «انظر طبقات الشعراني الوسطى».

وقد سـبق لهذه القناطـر حادثة ذكرهـا المقريزي تتلخـص في أن الناصر محمد بن قلاوون في سـنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) رغب في إزالة هذه التماثيل لسبب مذكور، وما كاد يفعل حتى تغير رأيه ثانية فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه[١]، ويلوح أن هذه السباع خفيت عن الأنظار من أوائل القرن الحادي عشر، أما القنطرة نفسـها فبقيت إلى عهد الحملة الفرنسية وكانت تعرف بـ **قنطرة السيدة**[٢].

وكان بعـد هذه القنطـرة على الخليـج قناطر أخرى منها **قنطرة عمر شـاه**[٣]، ثم **قنطرة الأمير طقزدمر الحموي الناصري**[٤]، صاحب الأثر البـاقي إلى اليوم المعروف بجامع الهياتـم- من متجددات القرن الحادي عشر- أنشـأها في عهد الناصر محمـد بن قلاوون، وقد عرفـت فيما بعد بـ **قنطرة درب الجماميز**[٥].

قنطرة آق سـنقر الناصري[٦] تجـاه الحبانية «معدية فريج»، تجـاه رحبة عابدين وجددها عبـد الرحمن كتخدا،

---

(١) المرجع السابق: ٤٩١.

(٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش٥؛ آدم فرانسوا جومار، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل: مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠**، ترجمة أيمن فؤاد سيد (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨): ١٦٦-١٦٧.

(٣) قنطرة عمر شاه: تعرف بقنطرة عمارشة، وظلت حتى سنة (١٨٩٨م) حيث ردم القسم الأوسط من الخليج، ومكانها الآن = مدخل حارة عمر شاه في شارع بورسعيد على يسار القادم من ميدان السيدة زينب التي توصل إلى سكة سويقة اللالا، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٨٥، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩١، هامش ٢.

(٤) الأمير سيف الدين طقزدمر «طقزتمر» الحموي الناصري الساقي: نائب السلطنة، توفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، ينسب إليه حكر طقزدمر والقنطرة خارج القاهرة، والربع خارج باب زويلة ودار التفاح والحمام عند قبو الكرماني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٨، ٤٩٢؛ الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠): ٨٠؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٣٢٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٤٢٠-٤٢٢.

(٥) قنطرة درب الجماميز: ظلت باقية حتى سنة (١٨٩٨م) مع ردم القسم الأوسط من الخليج، ويدل على مكانها الآن مدخل شارع قنطرة درب الجماميز بشارع بورسعيد، الموصل إلى حارتي السلطان الحنفي والهياتم حيث مسجد الأمير شوربجي، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٤، هامش ٢؛ المرجع السابق، مج. ١٠: ٧٥، هامش ٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٢، هامش ١.

(٦) الأمير آقسنقر الناصري: (سنقر: اسم طائر من الطيور الجارحة، قرا: أسود؛ وسمي بذلك لسمرته وشدته) كان مملوكًا للملك المنصور أولاً ثم صار إلى غيره، حتى كان في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أمير مائة، وأخيرًا عين نائبًا للسلطنة في غزة وصفد ثم مصر، وقد صاهر الملك الناصر في إحدى بناته، والمؤكد أنها هي خوند زهرة الناصرية المذكورة آنفًا، ولما مات الملك الناصر، بدأ نجم الناصر يأفل وما برح حتى قتل في ربيع الآخر سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ونقل إلى جامعه فدفن به علي =



قنطرة آق سنقر «عن مكتبة الإسكندرية»

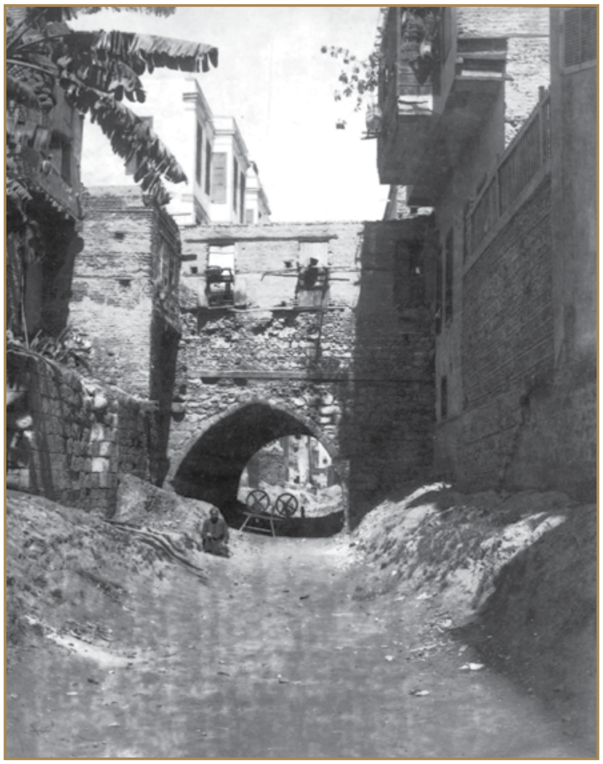


قنطرة درب الجماميز «عن مكتبة الإسكندرية»

ومن ثـم عرفت بالقنطرة الجديدة، ثم عرفت أخيرًا بقنطرة الذي كفر، واتخذت مصلحة التنظيم هذا الاسم علمًا على الطريـق الذي كان يوصل إليها من شـارع درب الجماميز، وقد أزيل الآن لسبب اتصال شارع الخليج بدرب الجماميز لتوسعته، وبإزالته اختفى هذا الاسم(١).

= ابنه الصغير، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٤٤-٢٤٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٩٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٨-١٨٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٤٩٦-٤٩٩.

(١) قنطرة آق سنقر: أنشأت نحو عام (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وكان يتوصل منها إلى قبو الكرماني وسكة الحبانية، وكان خط قبو الكرماني يقع شرقي الخليج المصري، ومكانه الآن القسم الأوسط من شارع درب الجماميز «بورسعيد»، في المسافة بين سكة الحبانية وبين حارة السادات خلف جامع بشتاك المعروف الآن بجماع مصطفى فاضل «الشيخ رفعت»، أزيلت مع ردم الخليج سنة ١٨٩٨م، وكانت تجاه مدخل شارع قنطرة سنقر الموصل إلى شارع إسماعيل أبو جبل «درب الحجر سابقًا»، انظر: ابن تغري بردي، =



قنطرة الأمير حسين «عن مكتبة الإسكندرية»

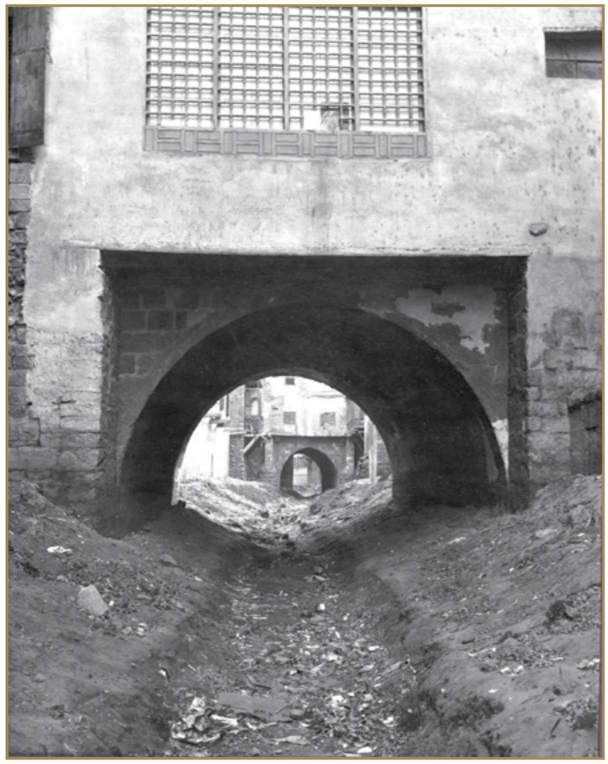
قنطـــرة باب الخرق «الخلق» كانت تجاه بســـتان العدة بميدان باب الخلق(١).

قنطرة الأمير حســـين بقي اســـمها علمًا عليها لليوم «قنطرة عبد الرحمن كتخدا»، أنشـــاها للشيخ الحفني بجوار مدرســـة أبي غالب في ســـنة (١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م)، ليمر عليها إلى داره الباقية إلى اليوم معروفة باســـم بيت المهدي بشارع الخليج المصري(٢).

= **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٩، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ١١: ٢٧٤، هامش ٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٢، هامش ٢.

(١) قنطرة باب الخرق: كانت على الخليج الكبير، وموضعها موردة السقائين في أيام الفاطميين، فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق، وعمر به المناظر في سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)، أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها إلى الميدان المذكور، وكانت هذه القنطرة تربط ما بين شارعي تحت الربع وحسن الأكبر الآن الذي يؤدي عبر شارع علي ذو الفقار «الصنافيري سابقًا» إلى موقع الميدان الصالحي، والخرق هي الأرض البعيدة التي تخترقها الرياح لاستوائها، ولاستهجان كلمة الخرق استبدلت في أيام الخديوي إسماعيل، وأطلق على الميدان اسم باب الخلق «أحمد ماهر الآن» لكثرة ازدحام الناس به، وهدمت هذه القنطرة عام (١٨٧٣م) مع فتح شارع محمد علي، وأنشئ عوضًا عنها قنطرة جديدة في عرض الشارع الجديد، ثم زالت هذه القنطرة مع ردم الجزء الأوسط من الخليج عام (١٨٩٨م)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٧٦-٧٧، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٣، هامش ١.

(٢) قنطرة الأمير حسين: أنشئت لتصل إلى الجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين حسين بن جندر بك الرومي المعروف بجامع الأمير حسين في حكر جوهر النوبي، وكانت تربط عبر الخليج بين شارع الاستئناف الحالي «شمال محكمة باب الخلق»، وشارع قنطرة أمير حسين على الجانب الآخر من شارع بورسعيد الآن، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٧-١٤٨، ٤٩٤؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٢١٥-٢١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٦٢، هامش ٢.



قنطرة بين السورين «عن مكتبة الإسكندرية»

القنطــرة الجديدة بين قــصر اللؤلؤة وبــين ميدان القمح بشــارع **بين الســورين**، وقد بقي اسمها علمًا عليها لليوم، قنطرة القائد جوهر بين المرتاحية والمقس أنشأها في سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م) بجوار باب القنطرة لجهة الجنوب، وقد وجدت آثارها مطمورة في الأرض منذ أمد قريب.

قنطرة باب الشــعرية بين أرض الطبالة والطريق إلى البيازرة وزقاق الكحل والكداشــين وبركــة جناق، وهي قديمة الوضع، وجددها زكي الدين الخروبي، ولما دفن الشــيخ بهاء الدين عبد الرحمن بن مــوسى العدوي القادري بباب الشــعرية عرفت بعد حين بقنطرة العدوي، ولا زال اســم العدوي علمًا على هذه المنطقة إلى اليوم[1].

قنطرة زقاق الكحل: بين أرض الطبالة وزقاق الكحل المســلوك منه إلى خط جامــع الظاهر، ســماها المقريزي بالقنطرة الجديدة، ونســب إنشاءها إلى الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)[2].

قنطرة الأوز: هي التي عرفت إلى عهد الحملة الفرنسية بقنطرة الظاهــر، بين خط جامع الظاهر وأرض البعل، وقد وضعها الأســتاذ محمد رمزي بك بين الحارة المعروفة بحارة قنطرة الظاهر وبين شارع زغلول، وهو ما نميل إليه[3].

---

(١) قنطرة باب الشعرية: وردت على خريطة الحملة الفرنسية (١٧٩٨م) باسم القنطرة الجديدة أيضًا، على الضفة الغربية للخليج بجوار جامع العدوي الذي كان على رأس سكة الفجالة وأزيل من مكانه عند توسيع شارع الخليج في خمسينيات القرن العشرين، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٤، هامش ٣.

(٢) القنطرة الجديدة: كان يتوصل إليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر، ويتوصل منها إلى أرض الطبالة ومنية السيرج، أنشأها الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، ظلت قائمة على الخليج المصري وعرفت بقنطرة الظاهر ويقال لها قنطرة الإمبابي، لوقوعها عند دار الشيخ محمد الإمبابي، ردمت في سنة (١٨٩٧م) حين تم ردم القسم الأول من الخليج المصري، حدد موقعها محمد رمزي في شارع الظاهر عند تلاقيه بشارع بورسيعد، انظر: المرجع السابق: ٤٩٥، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣، هامش ١.

(٣) قنطرة الأوز: كان يتوصل إليها من الحسينية، ويسلك من فوقها إلى أراضي البعل، كانت تتكون من عقدين، وظلت قائمة على الخليج المصري وتعرف باسم قنطرة الوز أو الوزة، حتى ردم القسم الأول من الخليج المصري من جهة غمرة سنة (١٨٩٧م)، وحدد موضعها محمد رمزي في شارع بورسعيد تجاه الحارة المعروفة خطأ باسم حارة قنطرة الظاهر، وكانت تقع على بعد ١٨٠ مترًا شمال القنطرة الجديدة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، =

قنطـــرة بني وائل هي التي عرفـت بقنطرة غمرة، بقي أخيرًا قنطرة الأميرية وهي تجاه هذه القرية[١].

هـــذه هي قناطر الخليج وكل أماكنهـا باقية إلى اليوم معروفة منــذ ردم الخليج في ســنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، وقد جدد السلطان الغوري هذه القناطر جميعها وعلاها في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) كمـــا في تاريخ مصر لابـــن إياس، ثم جدد بعضها عبد الرحمن كتخدا، ويؤكد الجبرتي أن الفرنســيين حينما كانوا بمــصر جددوا من هذه القناطــر بعضها كما سبقت الإشارة إليه.

الخليج الناصري

وعند قنطرة الظاهر المذكــورة آنفًا كان يلتقي الخليج المصري بالخليج الناصري، الذي أمــر بحفره الملك الناصر محمد بن قلاوون لتقوية ماء الخليج وزيادته في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وقد بدأ به من موردة البلاط قبلي القصر العيني، ثم سار به في نفس هذا الشارع، فشارع سليمان باشا، فالجزء الغربي من شـــارع توفيق، فشارع الملكة نازلي حتى ميدان الباب الجديد، وفي أثناء مروره بهذه المنطقة كان يبدو جامع الحاكم الذي جدده الوزير شـــمس الدين المقسي في سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، والبرج الذي بناه بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين في سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، وزاوية الظاهري التي حل محلها معسكر الجيش الإنجليزي في سنة (١٩١٤م)- على يمين الخليج الناصري- كما يدل كلام المقريزي[٢].

وفي هذا الجزء نفســه كانت تمتــد على الخليج قنطرة عرفت أولًا بـ **قنطرة باب البحر** ثم بـ **قنطرة الليمون**، ومن ثم يســير من الميدان المذكور حتى بدايـــة الجزء الغربي من شارع الملكة نازلي إلى أن يصل إلى قصر الأمير علي كتخدا الخربوطلي، حيث يقوم مبنى المستشــفى القبطي وشـــارع يوسف وهبة باشا المستجد.

ترجمة الخربوطلي

والخربوطـــلي هذا هو الأمير عـــلي كتخدا الخربوطلي مملــوك أحمد كتخدا الخربوطلي، ثــم وكيله وناظره الخاص، وتعين بعد وفاته جاويشًـــا، ثم كتخدا أي وكيلاً، وما برح حتى مات برشـــيد ســـنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، ومن آثاره داره التي بحارة خشـــقدم بالقاهرة، ولا زالت آثارها باقية لليوم متغايـــرة، ثـــم داره الأخرى ببركة الرطـــلي، وقد دخلت في ضمن أرض مدرســـة الفرير، ثم هذا القصر الذي كان يمر تحته الخليـــج المذكور، ويؤكد الجبرتي أنـــه كان قصرًا فخمًا يجاوره قباب عالية، وقد بقي اســـم الخربوطلي علمًا على جزء من الأرض التي كان يقوم عليها هذا القصر، تعرف بشارع وقف الخربوطلي[٣].

= مج. ٣: ٤٩٥-٤٩٦، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣، هامش ١.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٤٨.

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٤٨١-٤٨٤.

(٣) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٣٥٢.



منظر عام لقلعة القاهرة «عن كريسويل»

قلعة صلاح الدين الأيوبي

أثر رقم ٥٥٦، سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٤م)

بينما توطدت دعائم الملك لصلاح الدين كان أول ما فكر فيه تحصين القاهرة ليجعل منها معقلًا يبقى في مأمن من الطوارئ، فعهد إلى وزيره بهاء الدين قراقوج (أي الشيخ الأسود) الأسدي ببناء قلعة حصينة على شرف المقطم، ووقع اختياره على الهضبة التي كانت تقوم عليها قبة حاتم بن هرثمة الحاكم العربي(١)، والتي كانت مشغولة بمجموعة من المساجد الفاطمية التي أنشئت في أوقات مختلفة(٢)؛

(١) حاتم بن هرثمة: ولي مصر من قبل محمد بن هارون الأمين على الصلاة والخراج، فسار إلى بلبيس فصالحه أهل الحوف على خراجهم، وثار عليه أهل تُنو وتُمَيّ وعسكروا، وعقدوا عليهم لعثمان بن مستنير الجُذامي؛ فبعث إليهم حاتم بالسري بن الحكم ؛ فاقتتلوا وانهزم ابن المستنير وقُتل أخوه، ودخل حاتم الفسطاط يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)،= وهو أول من بنى قبة الهواء؛ ثم صرف عن الولاية في جمادى الآخرة سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠م)، انظر: محمد بن يوسف الكندي، **ولاة مصر**، تحقيق حسين نصار (بيروت: دار صادر، [--١٩]): ١٧٣-١٧٤.

(٢) من المساجد الفاطمية التي أنشئت على هضبة المقطم موضع قلعة صلاح الدين: مسجد سعد الدولة، ومسجد معز الدولة، ومسجد مقدم بن عليان من بني بويه الديلمي، ومسجد العدة بناه أحد الأستاذين الكبار المستنصرية وهو عدة الدولة، وكان بعده مسجد معز الدولة، ومسجد عبد الجبار ابن عبد الرحمن بن شبل بن علي، ومسجد قسطة، ومسجد الديلمي على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقها إلى البحري، ومسجد شقيق الملك الأستاذ خسروان، ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظي، وكان بعده مسجد القاضي أبي الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار، ومسجد القاضي النبيه، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق =



فهدم ما كان عليها من المســاجد والبقايا الأخرى ولم يبق منها إلا مســجد الرديني وهو أبو الحســن علي بن مرزوق من علماء الفقه والحديث مات سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ودفن بســارية جنوبي القلعة[1]، وهو موجــود بالقلعة إلى اليوم، ومسجد قسطة «سليمان باشا»[2].

= أيمن فؤاد سيد، مج. ٣ (لندن: دار الفرقان، ٢٠٠٣): ٦٤١؛ بول كازانوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، ترجمة وتقديم أحمد السيد دراج، مراجعة جمال محمد محرز، المكتبة العربية ١٤٤ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤): ٦٣-٦٤.
K.A.C. Creswell, "Archaeological Researches at the Citadel of Cairo", *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale* (*BIFAO*) 23 (1924): 89-167.

(١) الرديني: أبو الحسن علي بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث المفسر، كان معاصرًا لأبي عمرو بن عثمان بن مرزوق الحوفي، وكان ينكر على أصحابه، وكانت كلمته مقبولة عند الملوك، وكان يأوي بمسجد سعد الدولة، ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالرديني، وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل، وعليه وقف بالإسكندرية، وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره، وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكيزاني، واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٣؛ أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، مراجعة حسن قاسم، ومحمود ربيع (القاهرة: مكتبة العلوم والآداب، ١٩٣٧): ٣٦٩.

(٢) قسطة الأرمني المظفري: غلام أرمني من غلمان المظفر بن أمير الجيوش، مات مسمومًا من أكلة الهريسة، وكان من عقلاء الأمراء المائلين إلى العدل، المثابر على مطالعة الكتب، وأكثر =

وشرع في بنائها في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، حتى سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، ومات صلاح الدين ولم تتم عمارتها[١]؛ فأتمها الملك الكامل بن العادل، واحتفل باختتامها في سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)[٢]، ثم تابع ملوك الدولة الأيوبية تجديد ما عَنَّ لهم تجديده فيها وزيارتها.

وفي سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) زاد الملك الظاهر بيبرس أبراجها، وجدد بابها الغربي وهو المعروف بباب السلطة أو باب العزب[٣]، ونرى حتى يومنا على عقدي هذا الباب شارة الملك الظاهر وهي أسدان منحوتان بالحفر البارز، على مثال ما نراه على آثاره الأخرى كالقناطر الظاهرية والمدرسة الظاهرية وقنطرة أبي المنجا وسقاية تحت الربع[٤].

ولما تأسست الدولة القلاوونية اعتنى ملوكها بقلعة صلاح الدين اعتناءً كبيرًا، فأحدثوا بها مجموعة من المنشآت تغالوا فيها إلى حد كبير، فأنشأ الملك المنصور قلاوون في مكان البرج الظاهري عروسة (عرسة)[٥]، رفع فوقها قبة متقنة انتهت عمارتها في شوال سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)[٦].

= ميله إلى التواريخ وسير المتقدمين، وأن مسجده بعد مسجد شقيق الملك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤١-٦٤٢.

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مج. ٣، **من سنة ٥٤٧ الى سنة ٧٠٠** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥): ٦١؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ١، ج. ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٧٠): ١٧٣؛ أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الدمشقي الصالحي الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، مج. ٦ (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨): ٤٠٠.

(٢) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال، مج. ٢ (القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٧): ٥٣-٥٤؛ شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ممالك مصر والشام والحجاز واليمن**، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٥): ٨٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٢٨٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٨؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ١، ج. ١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢): ٢٤٢.

(٣) شيد الظاهر بيبرس البرج عند زاوية القلعة عرف ببرج الزاوية، وكان بالقرب من باب السر الكبير، وهناك برج آخر كشفت عنه الحفائر الأثرية في الثمانينيات من القرن العشرين منحوت عليه السباع رنك الظاهر بيبرس، انظر: عز الدين = ابن علي بن إبراهيم بن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، النشرات الإسلامية ٣١ (فيسبادن: فرانز شتايز، ١٩٨٣): ٢٤٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٥٥-٦٥٩؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مج. ٧، تراثنا (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣): ١٥٨-١٥٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٤٠.

(٤) إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار: في تاريخ مصر وجغرافيتها**، مج. ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [-١٩٨]): ٤٦؛ ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٨، هامش ٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٤٨، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٤٠.

(٥) عرسة: مشتقة من العرس، وهو حائط يجعل بين حائطي البيت لا يبلغ به أقصاه، ثم يوضع الجائز من طرف ذلك الحائط الداخل إلى..... وما كان تحت الجائز فهو المخدع، والمفرد يقال (عرص)، وهذا اللفظ يرادفه في الفارسية دهيشة، ويقال بيت معرس (كمقطم): أي عمل له عرس....، وكان لحضرة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معرس بذي الحليفة، يعرس فيه كما في تاج العروس، والعروسة والدهيشة مترادفان، وكان الملك الناصر يفرش له بين العروستين شقاق الديباج أيامه. (المؤلف)

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٨.

وفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) أنشأ دار النيابة عدها لنائب السلطنة[١]، ثم زاد في طباق القلعة طبقة عرفت بالحسامية.

وفي سنة (٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) أنشأ الملك الأشرف خليل قصرًا تناهى في زخرفته، عرف بالأشرفية وبنى في مقابله عروسة أخرى رفع فوقها قبة عالية وصور في صدر هذه العروسة صور أمراء الدولة وكبارها بزيهم وملابسهم[٢].

وفي سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) إلى سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون عدة متجددات بالقلعة منها جامعه الباقي إلى اليوم[٣]، والقصر الأبلق الذي حل محله قصر الجوهرة[٤]، وأنشأ برجًا وجدد أسوار القلعة وبنى في محل دار العدل الظاهرية طبلخانة[٥] بقيت إلى سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) ثم تحولت إلى دار فمسجد، وأضاف إلى المجرى الكاملية أربع سواقٍ أخرى لزيادة مياه القلعة[٦]، وجدد القناطر الظاهرية واستبدل ما تقادم منها بأخرى وأصلح مجراها[٧] إلى غير ذلك من متجددات، وفي سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م) بنى المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون دارًا للوزارة أجلس فيها الوزير نجم الدين محمود، وفي سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) إلى سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م) أنشأ الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون قاعة للعرش عرفت بالدهيشة[٨] (وهو لفظ قبجاقي مولد من الفارسية مركب من مقطعين: الأول داهي بمعنى محل أو قصر، والثاني شاه ومعناه ملك أو سلطان، والمعنى كاملًا قصر السلطان أي محل جلوسه وهو ما يسمى بقاعة العرش حاليًّا[٩]، وفي سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م) أنشأ الملك الناصر حسن قاعة أخرى للعرش[١٠].

---

(١) وقد سكن هذه الدار الأمير حسام الدين طرنطاي، ومن بعده نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، انظر: المرجع السابق: ٦٩٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٧٦.

(٣) جامع الناصر محمد: يعرف بجامع القلعة، أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، وكان يوجد قبل ذلك جامع هناك دون هذا، وهدم المطبخ والحوائجخانة والفرشخاناة، وعمل جامعًا ثم أخربه في سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) وبنى هذا الجامع، وهو متسع الأرجاء، مرتفع البناء مفروش الأرض بالرخام، مبطن السقوف بالذهب، وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مسورة هي والرواقات بشبابيك محكمة الصنعة، ويحف صحنه رواقات من جهاته، انظر: المرجع السابق: ٦٨١- ٦٨٢.

(٤) القصر الأبلق: ابتدأ الناصر محمد العمل في القصر الأبلق في سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، على الإسطبل السلطاني في أول السنة؛ فكمل في السابع عشر من رجب، وقصد السلطان أن يحاكي به قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق، واستدعى الصناع من دمشق وجميع صناع مصر؛ فكمل وأنشأ بجانبه جنينة، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ١٢٩.

(٥) المرجع السابق: ٢٣٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٩٠.

(٦) المرجعين السابقين: ١٢٤؛ ٧٤٣.

(٧) المرجعين السابقين: ٢٨٥؛ ٤٩٠.

(٨) الدهيشة: لفظ يطلق على بعض المباني المملوكية لما لها من شكل جميل يدهش الناظر إليه مثل القاعة التي عمرها الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون بالقلعة، وربع الدهيشة الذي أنشأه الناصر فرج بن برقوق خارج باب زويلة، انظر: محمد محمد أمين، وليلى علي إبراهيم، معدون، **المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية**: (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م) (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٩٠): ٤٩-٥٠.

(٩) يشير ابن إياس في حوادث سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) إلى قاعة الدهيشة بقوله:» وفيها أكمل الملك الصالح عمارة الدهيشة، التي بالقلعة المطلة على الحوش السلطاني، وكان والده محمد بن قلاوون ابتدأ في عمارتها ومات ولم يتمها، فأكملها من بعده ابنه الملك الصالح وتناهى في زخرفتها، وجلس بها مدة يسيرة ومات«، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ١٥٤.

(١٠) ذكرها المقريزي بالقاعة البيسرية، يبلغ ارتفاعها اثنين وثمانين ذراعًا وعمل بها برجًا يبيت فيه من العاج والأبنوس، وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر إليه، بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ، وشرفات ذهب مصوغ، وقبة مصوغة من الذهب، وبصدر إيوان هذه القاعة شُبَّاكٌ حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينه بديعة، انظر: المقريزي، =



قلعنة الجبل - باب المدرج «عن كريسويل»

وكان كل من يـؤول إليه حكم مصر من سـلاطين الجراكسـة يحدث بالقلعة ما يناسـبه، وأهـم ما بقي من آثارها ومتجدداتها باب المدرج وهو الباب الشمالي والنص التاريـخي الذي يحمله، وجزء من السـور الشرقي بأبراجه، ومدخل باب الجبل، وأجزاء من السـور الجنوبي والشمالي، وبئر سيدنا يوسف عليه السلام، والأبراج الكاملية بالجانب القبلي، وقاعدة البرج الكبير والساقية وباب الزيادة، وبرجا الركن الشـمالي الغربي من السـور، ودار العـدل والبرج والمسـجد من آثار الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومنبره مـن متجـددات الأشرف قايتباي[١]، وما جـدده الأمير رضوان كتخدا الجلفي[٢] تجاه باب السلسـلة أو العزب[٣]، وهما البدنتان المرئيتان اليوم، وأخيرًا جامع أحمد كتخدا[٤]، إلى آثـار أخرى ذكرناها في موضعها مـن هذا المؤلف، وفي سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) إلى سنة (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) أنشأ محمد علي الخديوي الأول عـدة متجددات بالقلعـة وبجوارها جامعه العظيم الذي أكسـب القلعة منظرًا بديعًا وألبسها حلة قشـيبة، بعد أن كانت مقفرة موحشة، وهو مثال باهر للمسـاجد العثمانية، وأنشـأ في الجانب البحري منها بابًا جديـدًا تجاه باب صلاح الدين، ودارًا لسـك النقود، ودارًا للمحفوظات[٥]، وقاعة عرش وقـصرًا فخمًا عرف بسراي الجوهـرة[٦]، ومصنعًا للسـبك والمهمـات الحربية، وجدد دار الضرب والسور الشـمالي والغربي وقوى ما تصدع من أبراجها، وأنشأ على قرنة المقطم حصنًا آخر[٧].

= **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٧٩؛ كازانوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**: ١٥٤.

(١) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٦ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٢٠٧.

(٢) الأمير رضوان: مملوك علي كتخدا الجلفي، تقلد كتخدائية باب العزب بعد قتل أستاذه، وأنشأ عدة قصور وعمر باب القلعة الذي بالرملة، مات سنة (١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م) بقرية أولاد يحي قسم جرجا، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ط. ٢، مج. ٨ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠): ١٠٥-١٠٦.

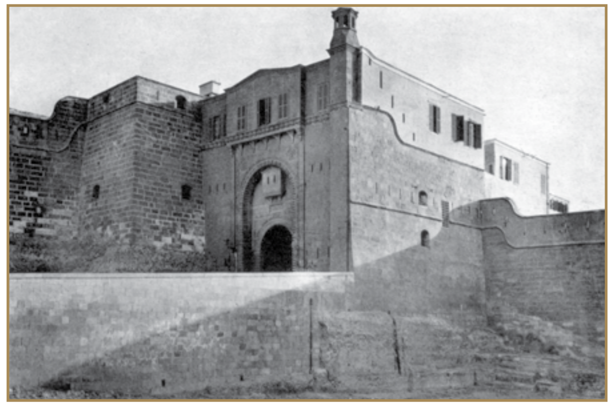
(٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تقديم عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٣٢٥.

(٤) كازانوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**: ١٨٥.

(٥) المرجع السابق: ١٩٩.

(٦) حسـن عبـد الوهـاب، «العمـارة في عـصر محمـد عـلي باشـا»، **مجلـة العمـارة** ٣، العـدد ٣، ٤ (١٩٤١): ٢٨-٣٠.

(٧) يصف الرجبي القلعة بإعجاب كبير بقوله: «بعد أن فرغوا من الطريق وإيصاله والتزامه بالجبل وتمام اتصاله، أمر أن يبنى بذروة الجبل قلعة حصينة تصد بجللها كل وجل، وأن يتخذ به سبيل جليل لخزن الماء العذب، فبنيت القلعة مع إتقان التحصن بالأبراج، وهي هناك كالكوكب السامي الساطع الوهاج (يقصد به التخطيط على شكل نجمة)، وظهر بناؤه مظهرًا جميلًا، وأقام به =



قلعة الجبل - الباب الجديد «عن كريسويل»

وفي سـنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م) تجدد سور القلعة(١)، وفي سـنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م) أضافت الحكومـة المصرية إلى دار المحفوظات جناحًا بالجهة الغربيـة إلى جهة الصوة، ومنذ أوائل هذا القرن أنشـأت القيادة العسـكرية البريطانية بالقلعة ثكنات ومسـاكن ومشـافي، وبقي بها الإنجليز من سـنة (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) حتى أُجلوا عنها في رمضان سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، وقامـت الحكومـة الحالية بتجديد ما أفسده الإنجليز فيها، وجددت الباب الغربي ولا تزال العناية متجهة إلى التجديد والإصلاح.

بئر سيدنا يوسف عليه السلام الحلزون

وبالقلعة من آثارها الأولى بئر سـيدنا يوسـف عليه السـلام أو الحلزون، وهي مسـجلة برقـم (٥٠٣- أثر)(٢)، وتقع قبـلي (شرقي) جامع الناصر محمد بن قلاوون، عمقها (٩٨٤مـترًا) وماؤها غير صالح للـشرب، وهي من الحجر النحيت، داخلها يشتمل على طبقتين: عمق الأولى (٥٠مترًا)، والثانية (٤٠مترًا)، ولكل طبقة ساقية ترفع المياه منها بواسطة الأبقـار، والبئر المذكورة وما يتصل بها من البيت المسـمى بقصر يوسـف، هي التي كان سيدنا يوسـف عليه السلام سُـجن فيها، حينما كانت البئر موجودة بالضفة الغربية على النيل بمدينة بوصير السـدر- جيزة(٣)، ثم نقلها بهاء الدين بأمـر الناصر صلاح الديـن إلى القلعة في سـنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وأودعها بالقلعة، وقد شـاهد نقلها إلى هذا المكان بالقلعـة الرحالة ابن جبير الأندلـسي، فقد ذكر في رحلته في حوادث تنقله بقرى مصر في شـهر المحرم سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) عـن زيارته لقرية دموه بالجيزة؛ حيث البيت الذي سكن فيه سيدنا يوسف عليه السلام قوله:

«وفي الثاني منه (أي في شـهر مايو سنة ١١٨٣م) زرنا المدينة القديمة المنسـوبة ليوسف الصديق ﷺ وبها موضع السـجن الذي كان فيه، وهو الآن ينقض وتنقل أحجاره إلى القلعة المبتناة الآن على القاهرة»(٤).

وهذا النص الذي يذكره ابن جبير والذي شـاهد نقله بعيني رأسـه دليل قاطع لا يدع مجالًا للشـك على أن هذا الجب «البئر» هو المطبق الذي سجن فيه سيدنا يوسف عليه السلام، واسـتخدمه صلاح الدين لخزن الماء من جهة، ثم للتبرك بالموضـع من جهة أخـرى، إذ كان هذا الجب عند المصريين من الأماكن المقصودة بالزيارة واستجابة الدعاء، فقد ذكر المقريزي في الخطط أن سـجن سيدنا يوسف عليه

= مقيمًا رئيسًا»، انظر: خليل بن أحمد الرجبي، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق دانيال كريسيليوس، وحمزة عبد العزيز بدر، وحسام الدين إسماعيل (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٧): ١٨٤- ١٨٥.

(١) كازانوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**: ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق: ٧٥.

(٣) ابن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، مج. ٤: ١٢٨؛ أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، مج. ٣ ([القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٤]): ٢٨٤.

(٤) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي، **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار التراث، ١٩٦٨): ٣٠.

السـلام أحد الأماكن التي يجاب عندها الدعاء[١]، وكان المصريون يهرعون إليه في الشـدائد والنوازل لقدسية هذا المـكان بما تقدس به من آثار النـبي الكريم الذي لبث فيه مدة أربعة عشر عامًا.

وبالقلعة آثار أخرى غير هـذه البئر، منها البئر التي حفرهـا بهاء الدين على قيد غلوة من بئر سـيدنا يوسـف عليه السـلام، والتي أشـار المقريزي إلى بنائها وأرخها في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)[٢]، وهذه البئر لا تزال موجودة بالقلعة وعمقها (٢٧٤ قدمًا) وماؤها غير صالح للشرب، وفي جوارها بئر أخرى ماؤها عذب.

وكان الماء قديمًا يصل إلى القلعة من النيل فيصل إليها في مجارٍ تحت الأرض ثـم يخزن في خزانات، وهذه الخزانات بعضها باق بالقلعة إلى اليـوم وعددها ثلاثة، قطر كل منها (٤١ قصبة، ٦ بوصات) ، وأقدم هذه المجاري المجرى القديم الموجود بالقلعة إلى اليوم، أما البئر التي أشار إليها االمقريزي أنها من العجائب فقد تخلف منها ما يسـمى الآن بسقيفة البقر قبلي بئر سـيدنا يوسـف عليه السـلام، وتأتي هذه التسمية فيما ذكره المقريزي أنها كانت تدور بالبقر[٣].

المذكرات التاريخية بالقلعة

أولى المذكرات التاريخيـة بالقلعة هي مذكرة صلاح الدين، وهي بأسكفة الباب القديم في شمالي القلعة في تسعة أسطر بالخط النسخ ونص قراءتنا لها:

البسـملة. إنا فتحنا لـك فتحا مبينـا إلى عزيزا أمر بإنشـاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهـرة بالعرصة منه التي جمعت نفعًا وتحسـينا وسعة على من التجئ إلى ظل ملكه وتحصينا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو الظفر يوسف ابـن أيوب محي دولة أمير المؤمنـين في نظر أخيه وولي عهـده الملك العادل سـيف الدين أبي بكر محمـد خليل أمـير المؤمنين على يد أمـير مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكي الناصري في سنة تسع وسبعين وخمسمائة

هذا النص بأسـكفة الباب المواجه للداخل، في الباب المدرج وهو الباب البحري، وقد قرأه كل من كتب عن هذا الأثر خطـأ، فذكر فيه العرمة «بالميم» بـدل الصاد، وكتب مؤلف قلعة مصر المشـار إليه فيما تقـدم تعليقًا على هذا اللفـظ الخاطئ «العرمة: من المحتمـل عرمة يقال عرامة تراب أي تل مـن التراب!!»، وقرئ اللفـظ الأول تحصينًا بالصاد بدل السين وهو خطأ ظاهر.

والعرصة بالصـاد معناه: عرصة الدار أي سـاحتها، قال صاحب المصباح: وهي البقعة الواسـعة التي ليس فيها بناء والجمع عراص، وفي أخبار سـعيد بن العاص في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أن سعيدًا المذكور كان له قصر مشيد بالعرصة، وقد عرف الجزء الجنوبي من القلعة القائم على رأس سـبيل المؤمني بعرصة القمح، وهو شارع السيدة عائشة حاليًّا، وتشغل القلعة من الأرض حوالي نصف فدان، والجزء الغربي منها هو مـا أعد للمنافع والمرافق واللواحق، وهو بكامل مسطحها.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٦٢؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، مج. ٣: ٢٨٤.

(٢) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ١٦٣.

(٣) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، مج. ٣: ٣٣٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٨.

وكان موضع القلعة بعد تسميته بقبة هرثمة يسمى بقبة الهواء، وسمي أخيرًا بالعرصة أي الساحة، وفي خطط القاهرة القديمة ما حمل هذا الاسم ذاته منها عرصة القمح قسم الخليفة وعرصة القمح بالأزهر وعرصة الحمير بمنشأة ابن تعلب باللوق، وعرفت أخيرًا بشارع الساحة وبساحة الحمير(١).

البسملة. أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازي في سبيل الله الحاج إلى بيت الله الزائر قبر رسول الله حصن الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور وبدؤه في جمادى الأول والفراغ في شوال سنة ثلاث عشرة وسبعماية

البسملة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمر بتجديد سلم هذا المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقابنا الإمام الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان العرب والعجم صاحب السيف والقلم والبند والعلم أفضل من حَكَم في عصره بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية والثغور السكندرية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره بتاريخ الثاني من شهر ذي القعدة الحرام سنة إحدى وخمسين وثمان مائة

البسملة. أمر بإنشاء هذا الصدر المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق عز نصر وذلك على يد المقر الأشرف السيفي جركس الخليلي أمير آخور الملك... بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ...

البسملة. صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ... أمر بتجديد هذه القلعة الشريفية السلطانية من فضل الله تعالى وحسن عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم بتاريخ سنة ست وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية

البسملة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أمر بتجديد هذه القلعة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك العادل صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع السواحلية والأقطار الحجازية سلطان الأرض الحاكم بطولها والعرض القائم بالسُّنة والفرض المجاهد المؤيد المنصور صاحب السيف والقلم والبند والعلم السلطان الملك العادل أبو النصر طومان باي عز نصره بتاريخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة.

(١) تغير هذا الاسم إلى شارع حسين رشدي، مبدؤه من رحبة خط الزرايب والبيدق حتى منشأة ابن تعلب والمدابغ القديمة. (المؤلف)

غير مذكرات لمحمد علي تبتدئ في سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) إلى سنة (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، ومذكرة الخديوي إسماعيل مؤرخة بسنة (...).

مسجد محمد علي

وأشهر ما في القلعة مسجد محمد علي، وهو يقوم على قطعة من أرض القلعة مساحتها نصف فدان (٢١٠٠متر)، كانت مشغولة بالقصر الناصري وأخيرًا ديوان قايتباي والغوري[١].

وبنيت جدرانه من الحجارة المستوردة من محاجر بني سويف، بارتفاع ٢٤ متر، وبني بداخله أربعة أجناب مربعة ترتكز عليها أربعة عقود كبيرة تحمل قبة قطرها ٢١ مترًا، وارتفاعها عن أرض المسجد ٥٢ مترًا، يحيط بها أربعة أنصاف قباب، في كل جهة نصف قبة، وفي كل زاوية من أركان المسجد نجد قبة صغيرة تتضاءل في ارتفاعها عن القبة الكبرى، ومن نوع هذه القباب وأنصافها يتألف سقف المسجد.

وأقيمت بجوار القباب ثماني مباخر يوقد فيها البخور يوم الجمعة لتنفذ رائحته العطرية في أرجاء المسجد، وهو نظام ينفرد به هذا المسجد عن غيره من المساجد القاهرة، ولا يوجد نظيره إلا في مساجد الإسلام الأولى، وأولها المسجد النبوي على مشرفه الصلاة والسلام.

وكسيت جدران المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف بالرخام الألبستر بارتفاع ١١مترًا، وطلي ما فوق هذه الكسوة من الداخل ببياض محلى بنقوش مختلفة ذات ألوان متجانسة، يتخللها التذهيب المنسق في أماكن متفرقة، كما حليت القباب وأنصاف القباب بزخارف رائعة بارزة منقوشة ومذهبة، وجعل محرابه في مقصورة متصلة بالمسجد يعلوها نصف قبة على مثال أنصاف القباب الأربع، ومنبره من أعظم المنابر في مصر، ارتفاعه ١١ متر، وفوقه قبة يبلغ ارتفاعها أربعة أمتار تقريبًا، وعدد مراقيه خمس وعشرون مرقاة، وهو من الخشب النقي محلى بالذهب وبه زخارف بارزة محلاة بالذهب الخالص.

وفي الجهة الغربية من المسجد مقصورة لصلاة النساء، محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام «الألبستر» بارتفاع ١١ مترًا، وفي محاذاتها أروقة تشرف على داخل المسجد تعلوها أروقة أخرى عند محيط قاعدة القباب الصغرى وأنصاف القباب، وفوقها أروقة ثالثة عند محيط قاعدة القبة الكبرى.

وفي الزاوية الغربية القبلية من المسجد ضريح المغفور له محمد علي باشا تعلوه تركيبة من الرخام الأبيض يحيط بها مقصورة من النحاس الأصفر المحلى بزخارف بارزة مذهبة، وعلى طرفي الجانب الغربي تقوم مئذنتان رشيقتان يبلغ ارتفاعهما من مستوى أرض المسجد ٨٤ مترًا، يصعد إليهما بمدراج عددها ٢٥٦ مدرجة[٢]، ولكل منهما دورتان.

(١) أمر محمد علي بإزالتها وإزالة ما بها من أتربة حتى وصل إلى الأرض الأصلية، ووضع أساس مسجده عليها وبنى جدرانه بالحجارة العظيمة الهائلة التي يبلغ طول كل حجر منها ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبًا، وصاروا يضعون في كل حجرين قضيبًا من حديد ويسكبون عليها الرصاص حتى ارتفعت الأساسات جميعًا بهذه المتانة إلى أن صعد على وجه الأرض، وبنى المسجد على رسم مسجد في الأستانة العلية يقال له نور عثمان، وجامع سيدي سارية بالقلعة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٧٨.

(٢) حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول**، مج.١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦): ٣٨٥-٣٨٦؛ عبد الوهاب، «العمارة في عصر محمد علي باشا»: ٦٣-٦٤.

والمســجد مفروش ببســط فاخرة ذات نقوش تحاكي القباب وأنصافها، وعلقت بقبابه سلاســل نحاســية تحمل مصابيــح الإضاءة وعددها ٢٨١مصباحًا، وهذه السلاســل معلقة بدوائر وأنصاف دوائر ومثلثات نحاسية، كما علقت بالقبــة الكبرى ثريا من البلّور بهــا ٣٨ فرعًا، وأخرى أمام المحراب بها ٥٣ فرعًا وثالثة أمام باب المســجد الغربي بها ٣٦ فرعًا، ورابعة أمام بابــه البحري بها ٢٤ فرعًا، وفي محيط قواعد القباب وأنصافها والأروقة المشرفة على المسجد أنوار عاكسة تكشف عن جمال نقوش هذه السُقف البديعة.

وبالمسجد شــبابيك مختلفة الاتساع والشكل تتألف من أربع طبقات، بعضها فوق بعض وعدد شــبابيك الطبقة الدنيا ٢٨ شباكًا، وبه ثلاثة أبواب: أحدها الباب البحري وهو المدخل الملكي، والثاني القبلي وهو الموصل إلى قصر الجوهرة، وثالثها الغربي ويوصل إلى فناء كبير يعرف بصحن المسجد، مساحته ٢٨١٢ مترًا يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة من الرخام «الألبســتر»، مسقوفة بقباب صغيرة مغطاة من أعلى بألواح من الرصاص، وبوســط هذا الصحن قبــة قائمة على ثمانيــة عقود متكئة على أعمــدة رخامية، وتحت هذه القبة قبة أخرى صغيرة قائمة على قاعدة مثمنة الأضلاع بها صنابير الوضوء «حنفيات».

وفي الرواق الغــربي للصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون داخله الســاعة التي أهداها لويس فيليب ملك فرنســا إلى منشــئ المسجد ســنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، وقيمتهــا ١٦٠٠٠جنيــه[١]، وهذا البرج قائــم على قاعدة من الحجر مغشــاة بالرخام ارتفاعها ١١مترًا، يصعد إليها بدرج خشبي حلزوني، وهو مكون من أربع طبقات: الأولى حجرة جدرانها من الحديد، بها ثمانية أعمــدة حديدية ويعلوها الطابــق الثاني يعلوه درج حديد يصــل إلى الطابق الثالث الذي به الساعة، يعلوها طبقة رابعة بها منظم الدقائق.

الملك الناصر صلاح الدين

والملك الناصر صلاح الدين الذي أنشأ هذا الأثر هو أوحد ملوك الإسلام وأعظمهم قدرًا، وأبعدهم ذكرًا، وكيف يحيط واعٍ بسيرة من دانت له الأرض بطولها والعرض، ومن نشر لــواء العدل بين الخافقين ومن أخــاف الأعداء، ومن أحيا شرعة الإســلام، وجمع الناس تحت لــواء واحد، مد بعضهم أزر بعض، أنى لي بالإحاطة بسيرته وقد ملأ الأسماع والأبصار حتى يومنــا، حتى لا نجد أنه من الأمم في الشرق ولا في الغرب إلا وقد أخذ بســيرته، وعامل على تخليده ما بقي الدهر، وحسبي أن أصف لك بعض مناقبه ومحاسنه، قال بهاء الدين بن شــداد [المتوفى سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)]: «كان رحمة الله عليه حســن العقيدة كثــير الذكر لله تعالى، وقد بنى عقيدته على الدليل بواســطة البحث مع مشايخ وأهل العلم وأكابر الفقهاء، وفهــم من ذلك ما يحتاج إلى فهمه»، وأفاد هذا المؤرخ أن عقيدة السلطان جمعها له الشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري من كبارات الشافعية[٢]، بها جميع

(١) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) هو قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود الشافعي، يعرف بالنيسابوري ولد سنة (٥٠٥هـ/ ١١١١م)، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور وتفقه بها، قدم دمشق سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، ودرس بالمدرسة المجاهدية، ثم بالزاوية الغربية من جامع دمشق، كان عالمًا صالحًا جمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في أمور دينه، توفي سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) بدمشق، ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق، انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، مج. ٥ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧): ١٩٦-١٩٧.

ما يحتاج إليه في هذا الباب، وكان من شـــدة حرصه عليها يعلمها للصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم من الصغر، ورأيتـــه وهو يأخذها عليهم وهـــم يقرؤونها من حفظه بين يديه، ومـــا عقيدته هذه إلا هي الميثـــاق الذي واثق به ربه وواثق به نفسه، والتي كانت نبراس المهتدين في المعاملة بين ربه ونفسه وشعبه[١].

ولا أستطيع حصر فضائل هذا الملك العظيم ثاني اثنين من ملوك الإسلام وخلفائه، قال ابن شداد:»مات ولم يحفظ ما وجبت عليـــه الزكاة، ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته مـــن الذهب والفضة إلا ســـبعة وأربعـــين درهمًا ناصرية، ودينارًا واحدًا ذهبًا، ولم يخلف ملكًا ولا دارًا ولا عقارًا ولا بستانًا ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئًا من أنواع الأملاك إلى آخر ما ذكره[٢]، ولا نرى في سيرته إلا سيرة الأنبياء فلو أقسم أنـــه ما كان عليه الناصر صلاح الديـــن هو ما كانت عليه بواطن الصحابة، لأبر القاســـم في قسمه، فقد كان رحمه الله خير مجاهد في ســـبيل الله، جاهد في الله حق جهاده، اشترى الله منه نفسه فكانت له الجنة، وكانت له النصرة، فرحمة الله تعالى عليه، يا له من ملك عادل ومجدد للدين ومبعوث أمين.

ولد رحمه الله تعالى سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م)، ومات سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، وهو ينحدر من أصل جركسي من أكراد روين بلد بالقوقاز، وشـــعاره النسر وهو رمز النصر، ورأينا له هذا الشـــعار بالقلعة البادية الذكر، قال المؤرخون:»وكان يوم موته يومًا لم يصب الإســـلام بمثلـــه منذ فقد الخلفاء الراشدين، وكان الناس يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم، وهذه قالة صدق فقد كان صلاح الدين أعظم الملوك، ليس في ملوك الإسلام مثله لا قبله ولا بعده[٣]، ولله در الشاعر:

هو السيفُ حتى يعرفَ اللهَ جاهلُه
ويعذرَ جيشَ الله في الحرب عاذلُه
سلامٌ صلاحَ الدين والجيشُ مائج
وعزمُك مجريه وسيفُك ساحله
رميتَ به في جفنِ كل تنوفةٍ
فما رقدت حتى اطمأنت رواحله
كتائبُ هاجَتها الحروبُ فلم تُرح
لها مقربًا حتى تحلَّت عواطله

بهاء الدين قراقوش

وقد اقترن اســـم هذا الأثر بالوزير أبي سعيد قراقوش ابن عبد الله الأســـدي الملقب بهاء الدين، من غلمان أسد الدين شـــيركوه، ثم اتصل بخدمة ابـــن أخيه صلاح الدين، فلما تغلب صلاح الديـــن على الفاطميين وآل إليه الحكم قربـــه إليه وأغدق عليه وأنابه عنـــه في الحكم، ولما رغب صلاح الدين في تحصين القاهرة أقامه شادًا لعمائره عليها، فأشرف على بناء القلعة الصلاحية، وعلى السور الذي أكمل

(١) بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم بن عتاب الأسدي الحلبي الشافعي ابن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، أو سيرة صلاح الدين**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. ٢، تراثنا (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤): ٣٣؛ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة، **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق أحمد البيسومي، مج. ٢، إحياء التراث العربي ٨٨، ٩٠ (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩١–١٩٩٢): ٣٠٢.

(٢) ابن شداد، **النوادر السلطانية**: ٣٥؛ أبو شامة، **عيون الروضتين**، مج. ٢: ٢٩٦؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، مج. ٢: ٤٢٦.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مج. ٢ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨): ٢٠. من مذهبات شاعر شعراء عصره المرحوم عبد الحليم حلمي (رحلة مهدي، طبع القاهرة سنة ١٩١٤م). (المؤلف)

به سور القاهرة، وأنشـأ له رباطًا بالمقس حل في محله الآن زاوية الجبروني بشارع إبراهيم باشا[١]، وخانًا وسقاية بشارع الكردي بالحسينية.

وكان قراقوش هذا من المشهود لهم بالاستقامة، ولم يزل حميد السيرة حتى مات في رجب سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ودفن بتربته بسـفح المقطم بصحراء التونسي جنوبي القاهرة[٢]، ونسـب له من حـارات القاهرة الفاطمية حـارة الريحان، لسـكناه بها بدار لا تزال منها بقية تعرف بحوش البهائية، بأول بـاب الغدر (حارة الراكشي)، المتفرعة من حارة بهاء الدين أو شارع بين السيارج الحالي[٣]، وقراقوج لفظ مركب من مقطعين معناه الشـيخ الأسود أو الأسمر رمزًا إلى بشرته إذ كان ملونًا.

شرف الدين قراقوش

ولتشابه اسـم بهاء الدين قراقوش هذا بشرف الدين قراقوش، وكلاهما كان وزيرًا لصلاح الدين، خلط المؤرخون بينهما خلطًا كبيرًا فجعلوهما شـخصًا واحدًا، وهذا مردود بأن قراقوش الآخر هو شرف الدين قراقوش التقوي العمري، كان مملوكًا لتقي الدين ابن أخ الملك الناصر ونشأ في خدمته[٤]، ثم خدم الناصر صلاح الدين ودخل في السلك العسكري، ولما اندلعت الثورة التي أثارها عرب بني هلال وبني سـليم في سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) وانضم إليهم أهالي طرابلس الغرب وبرقة بشأن إعادة الخلافة الفاطمية لم يجد صلاح الدين من يسـتطع إخماد هذه الثورة وإطفاء هذه الفتنة غير قراقوش هذا[٥]، فأوفده على رأس كتيبة مـن الجيش مزودة بالعتاد الحربي في مستهل هذه السنة فدخل طرابلس ولحق بزويلة، فحارب الثائريـن فيها وتغلب على صاحبها ابن الهواري ثم قبض عليه وعذبه حتى مات، ولما حل بطرابلس اسـتمال إليه عرب ذباب وسـليم ونهض بهم إلى جبل نفوسـة، وما زال يجدّ في قمع هذه الثورة ويقضي على الثائرين حتى ملك زمام البلاد كلها وخطب فيه لصلاح الدين، ثم نصب نفسه حاكمًا عسكريًّا عليها، وأخذ يستعمل مبدأ تشديد العقوبة ليسـتأصل جذور الثورة، فأنزل بالطرابلسـيين كل أنواع البـلاء والمحن من قتل وتشريد وتجريـد وفرض عقوبات مشددة.

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٤: ٩١؛ أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدُّرَر وجامعُ الغُرَر**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مج. ٧، **الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب**، مصادر تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة: المعهد الألماني للآثار. قسم الدراسات الإسلامية، ١٩٧٢): ١٥١.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مج. ٢٤، **حوادث ووفيات: ٣٢١-٣٣٠ هـ** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤): ٣١٢؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، مج. ٣: ١١٩؛ ابن العماد العكري، **شذرات الذهب**، مج. ٦: ٥٤٠؛ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق بشارة عواد معروف، ط. ٣، مج. ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤): ٣٨٩.

(٣) عن حارة الريحانية (بهاء الدين)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣-٤.

(٤) عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب: (من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب)**، تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٣): ٣٦٦.

(٥) أبو شامة، **عيون الروضتين**، مج. ٢: ١٧٥؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، مج. ١: ٢٣٦، هامش ١، ٤؛ بدر الدين محمد العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق محمود رزق محمود، ط. ٢، مج. ١، **العصر الأيوبي** (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية. مركز تحقيق التراث، ٢٠١٠): ٢٢٩-٢٣٠.

ولا يزال الطرابلسيون يذكرون قسوته في الحكم إلى يومنا ويستعيذون منها، وقد امتدت هذه الاستعاذة إلى المصريين في المثل الشعبي (حكم قراقوش)، لمن اشتط في حكمه.

وقراقوش هذا هو الذي ألف له ابن مماتي في سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) كتابه «الفاشوش في حكم قراقوش» الذي أشار إليه ابن خلكان في ترجمة بهاء الدين اختلاطًا منه بين الوزيرين[١].

وقد ذكرت أخبار قراقوش هذا في تواريخ المغرب، ولم يختلف واحد من مؤرخي المغرب في أن قراقوش طرابلس هو الموصوف بقسوة الحكم، مات قراقوش هذا قتلًا في سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، قتله يحي بن إسحق بن محمد بن غانيه[٢]، الذي كان قد تحالف معه ومع أخيه من قبل على سلب مُلك الموحدين من المغرب ثم فسد ما بينهما.

وإلى قراقوش هذا تنسب بلدة قرقارش المصحفة عن قراقوش، الكائنة على ساحل طرابلس الغرب على نحو أربعة أميال منها، ولا تزال بقايا من آثاره بها إلى اليوم منها خرائب قصره بقراقوش.

والفاشوش مؤلف ابن مماتي السابق الذكر معدوم، وما يوجد منه في دار الكتب منسوبًا لجلال الدين السيوطي أو غيره من وضع القصاص، إذ كانت قصة قراقوش هذا موضع عناية القصاص كقصة شعبية.

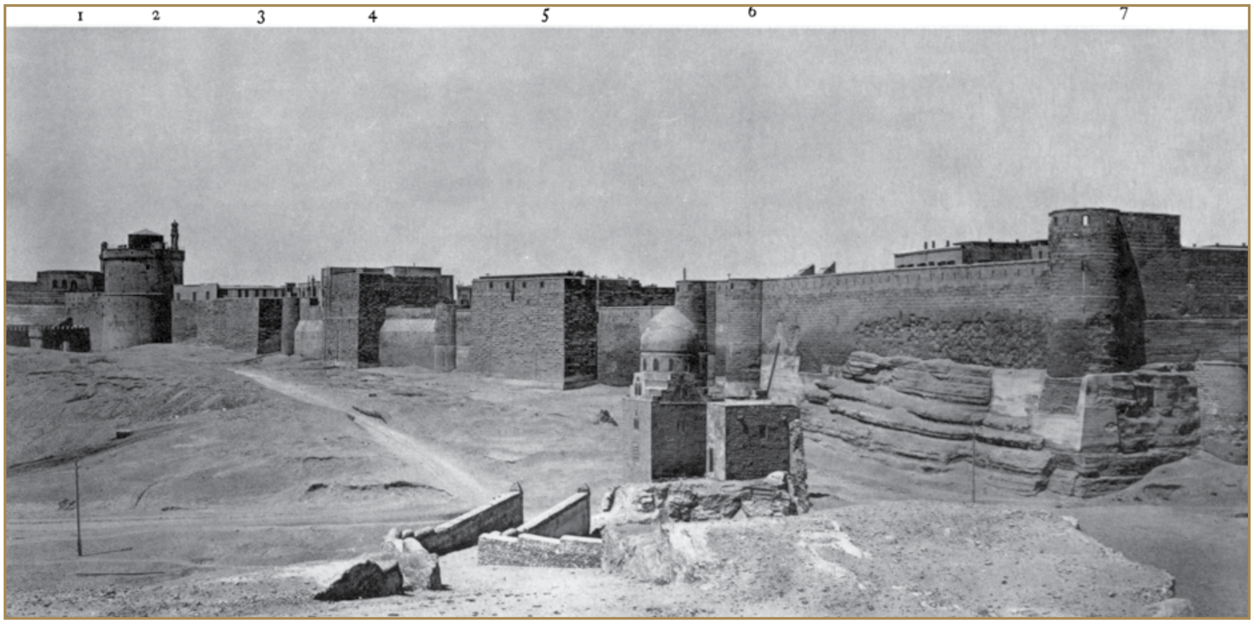
وقد حفلت كتب التاريخ المغربية بأخبار قراقوش هذا، وأشاروا فيها إلى أنه كان بآخره صنيعة لأبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ملك المغرب من الموحدين، الذي بويع له في حياة أبيه، ومات في صفر سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، ومات أبوه في رجب سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، ولبث في الحكم ما ينيف على ست عشرة سنة، كان هذا الملك على أثر عطف الملك الناصر صلاح الدين على النازحين من المغرب إلى مصر قصد الإقامة بها وتدبرها، وأغدق عليهم نعمه وآلاءه وأنزلهم بجامع ابن طولون، حتى صار مستقرًّا لهم حينًا من الزمن- كان يطمح في أن يستولي على مصر ويضمها إلى ملك الموحدين بالمغرب، فكان يرسل بهؤلاء المغاربة محتجبين تحت ستار الاغتراب والرغبة في سكنى مصر، ولم يكن السلطان صلاح الدين بالذي يشك في أنهم بمجيئهم إلى مصر يؤلفون طابورًا خامسًا لسلطانهم الموحدي لينفذ خطته المرسومة في غزو مصر والاستيلاء عليها، وكان يتذرع بأن مصر قد تدنست في عصر هذا السلطان بما كان يوجد فيها من مناكر وبدع، فكان يقول: «نحن إن شاء الله مطهروها»، قال عبد الواحد المراكشي في المعجب:«ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات»[٣]، ولم يحظ بطائل مما بيت لمصر، وحفظ الله سبحانه الكنانة من غزوه وعدوانه.

والتربة المصرية تضم واحدًا من أبناء أبي يعقوب هذا هو يحيي بن أبي يعقوب صاحب المزار والضريح المشهور بحارة الديلم بالقاهرة، أسفل مسجد المرحوم سليمان بك الخربوطلي، كما تضم قرية مجدل نعوش بأرض البقاع بسورية واحدًا آخر هو إبراهيم بن أبي يوسف يعقوب ابن أخ يحيي هذا، له ضريح يزار تنسبه الأهالي لأبيه يعقوب سلطان المغرب.

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٤: ٩١؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مج. ٢٤: ٣١٢؛ ابن الدواداري، **كنز الدُّرَر**، مج. ٧: ١٥١.

(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٧: ١٨.

(٣) المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: ٣٦٠.



قلعة الجبل - الأسوار الجنوبية «عن كريسويل»

دور القاهرة الأثرية

حفلت مدينــة القاهرة بمجموعة من القصور والدور التي تخلفت من العصــور الماضية، وكانت ذات نظام عربي روعي فيهــا أنظمة خاصة تجعل الدار مجتمعة حتى لا يعرف داخلهــا ولا يرى، وكان أصحاب هذه الدور يســاهمون في ظهورها بالمظاهر الخلابة الرائعة.

والبحث الذي نتصــدى له في مؤلفنا هذا عما تخلف منها ... صفحــة كاملة من عظمة هــذه الدور وبهائها وما كانــت عليه في الأعصر الخالية، وقد تصدى لجمع ما عرف عنها بالوصف الذي كانت تمتاز به المســتشرق ستانلي لين بــول في كتابه «تاريخ مصر المطبوع بلندن» فقد دخل مصر في وقــت كانت هــذه الدور تزهو بجمالها حافظــة لرونقها وبهائها، فوصفها في كتابه سالف الذكر وصفًا ممتعًا.

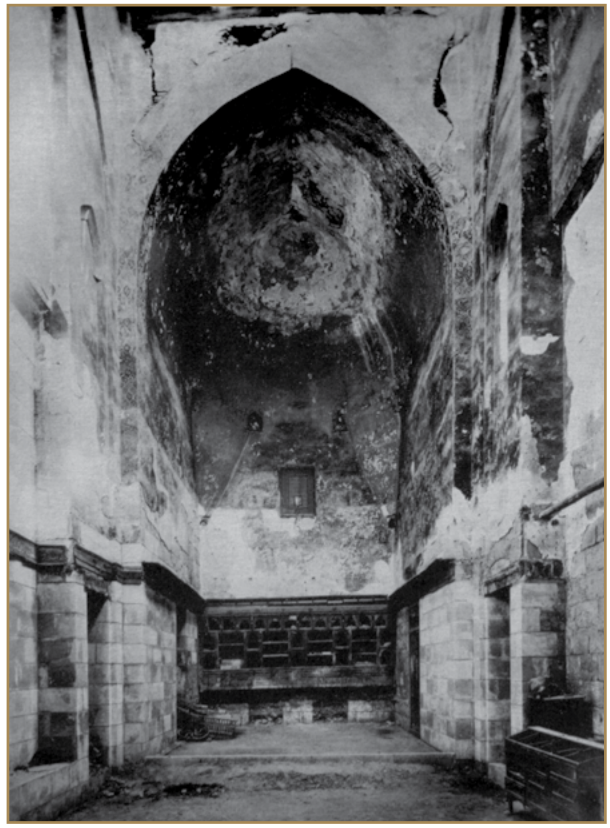
كما تصدى لها المستشرق إدمون بوتي في كتابه «دور القاهرة الأثرية» المطبوع بالقاهرة باللغة الفرنســية ســنة (١٩٣٢م)، فذكر منها ما ينيف عــن أربعين قصرًا، تكلم فيها عن نشــأتها وناحيتها الفنية، ومــا إلى ذلك، وقد ذكر المقريزي من هذه الدور نحو ٥٥ دارًا بقي منها إلى الآن بقايا من سبعة قصور ودثر الباقي.

وإدارة حفظ الآثار العربية مسجل بها ما تخلف من هذه الدور نيفًا وأربعين دارًا، منها ما هو حافظ لوضعه ومنها ما هو متأثر بالتقلبــات الزمنية، ونحن نذكر في كتابنا هذا أهمها، ونضرب صفحًا عن باقيها لدثوره أو إيالته للدثور.

دار طلائع بن رزيك

أثر رقم ٤٦٦ (سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م)

هذه الدار هي أقــدم دور القاهــرة الأثرية من عهد الخلافة الفاطمية، ذكرها المقريزي في كتابه الخطط، ووصفها بدرب الأسواني وهو الشارع المعروف حاليًا بشارع الدردير المســلوك منه شرقًا إلى درب ابن عجيــل وحارة الباطلية، وغربًا إلى شــارع الكعكيين، وهي تقابل دار الشيخ المهدي التي تحمل رقم تنظيم ١٥.



قاعة الدردير «عن كريسويل»

وقد زرنا هذه الدار فوجدنا من بقاياها **مدخل دار ابن قايماز**، وهي الدار المعروفة حاليًا بوقف الخطيب الشربيني، ومن هذه الدار نصل إلى دهليز ومنه إلى دار طلائع، بقي من مخلفاتها قاعة الاستقبال وهي ذات إيوانين، يعلو كل إيوان عقد واحد من اللبن، وبينهما رحبة وباب شرقي يفتح على منافع القاعة، وطلاء الإيوانين من الجص المنقوش بنقوش هندسية جميلة، ويحيط بالإيوانين طراز من خشب الساج مكتوب عليه كتابات تبتدئ بآيات من القرآن الكريم، تدور بالطراز إلى أن تنتهي بالنص التاريخي لإنشاء الدار وهو سنة ست وأربعين وخمسماية.

وهذه البقية من القاعة تعطينا فكرة كاملة عن ريادة القصور الفاطمية، ففي عهد المستنصر زار القاهرة ناصر خسرو فوصف القصور الفاطمية بأنها مبنية بعقود على نظام واحد بما يتشابه مع وصف هذه القاعة وعقودها، وبالرغم من أن ابن قايماز حين سكن هذه الدار هدمها كما يقول المقريزي، إلا أن الهدم لم يتناول إلا الجزء الخارجي وهو المدخل إلى القاعة، وتظهر آثار ابن قايماز فيما نراه من النماذج الخشبية بالمجنبات والمشربيات والدواليب والمقاصير والأسقف بسماواتها.

وقد قرأنا بالطراز سالف الذكر بنهاية الإيوان البحري النص التاريخي واستفدنا منه أن طلائع أنشأ هذه الدار في شهور سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م)، أي بعد قدومه إلى مصر بنحو ست سنوات وقبل أن يلي الوزارة للخليفة الفائز وهو ما أكده المقريزي في الخطط، وفي هذه الدار كان مصرع طلائع فبعد أن جاوزها إلى حكر الرصاصي خرج عليه من قتله فحمل إلى هذه الدار؛ ثم نقل منها إلى دار الوزارة لتشييعه(١)، وآلت من بعده إلى ورثته، ثم آلت في سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) إلى عز الدين بن قايماز الظاهري(٢)، فأحدث بها تغييرات لم تمس القاعة إلا قليلاً، ثم سكنها في القرن العاشر الهجري المرحوم الخطيب الشربيني المفسر ومات بها، وآخر من سكنها هو الشيخ الإمام العالم أحمد الدردير وبه عرفت

(١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٤٦-٢٤٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٧٠؛ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد (القاهرة، ١٩٨١): ١٤٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٨٣.

(٢) الأمير ركن الدين عمر بن ناصر الدين محمد بن قايماز، أستادار الأمير بيبرس بن أخت السلطان برقوق، عين وزيرًا في ١٤ صفر من سنة (٧٩٤هـ) انظر: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تحقيق أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان، ١٩٩٥): ٣٩٧.

حتى الآن[١]، وهي جارية في وقفه على المسجد، وللشربيني في هذا الأثر ما مساحته ٥/ ٤٥٤ متر مربع وقد آل وقفه إلى الخيرات[٢].

ودرب **الأسواني** الذي يقع به هذا الأثر هو من دروب القاهرة ذكره المقريزي في الدروب ونسبه إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني المعروف بابن عتاب، حده الشرقي خوخة ابن عجيل وحارة الباطلية، والغربي الكعكيين الاسم الحالي لهذه المنطقة، والقبلي خوخة الصالح «زقاق السباعي وعطفة التومي» المسلوك منها إلى حارة الديلم «خشقدم»، والبحري خط الأكفافيين «شارع حمام المصبغة»، ودرب لولو «زقاق لولو»[٣].

ولما آلت الوزارة إلى طلائع في ربيع الأول سنة (٥٤٩هـ/ ١١٤٥م) بنى دارًا أخرى بجزيرة الروضة، وصفها الشاعر عمارة في نظم له مطلعه:

أنشأت فيها للعيون بدائعًا
دقت فأذهل حسنها من أبصرا

وكان إنشاؤه لها في سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، وكانت بآخر الصناعة تجاه المقياس من البر الغربي، وقد هدمت بعد تخربها وحل محلها مبانٍ حديثة، وهذا الأثر الفاطمي من آثار طلائع هو بعض ما نحتفظ به من آثار هذا الوزير، إلى جانب آثاره الأخرى وأهمها المشهد الحسيني رضي الله عنه، وإن كانت مفرداته الأولى قد تطورت إلى ما هي عليه الآن إلا أن ذكراه لا تزال عالقة به، ثم جامعه بالقاهرة، وآثاره بالجامع العمري بقوص إلى تربته بالقرافة الكبرى، وإلى وقفه على الأشراف المستمر حتى الآن.

وقد ترجمنا لطلائع في كتابنا هذا، وأفردنا له مؤلفًا خاصًّا مع دراسة كاملة للجوانب التاريخية للخلافة الفاطمية منذ نشأتها حتى أفول شمسها في عشرة أجزاء، وتحتفظ إدارة الآثار العربية بهذا الأثر ولم تعرف عنه إلا ما ذكره كريسويل في فهرس الآثار من أنه من منشآت منتصف القرن السادس.

وقد رجعنا في دراستنا لهذا الأثر إلى الوثائق الوقفية لكل من طلائع والشربيني وتحكير ابن قايماز ووقف الدردير إلى ما ذكره المقريزي في كتابه الخطط وإلى ضبائر الأوقاف.

سراي أيتمش

هذه السراي بشارع باب الوزير، كانت في الأصل ملك الأمير ألين آق الحسامي الأشرفي، أنشأها في حوالي سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٤م)، وليست هي أول ما أنشئ بهذه المنطقة، بل ثمت أثر آخر سبقها بحوالي أكثر من ٥٠ عامًا وهو المعروف بتكية الهنود (٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، ثم آلت إلى الأمير أيتمش البجاسي صاحب الأثر المعروف به بنفس المنطقة[٤]، وفي سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) اشتراها الملك الأشرف برسباي الدقماقي ملك مصر، وأوقفها على مصالح جامعه [انظر حجة وقف باسم الأشرف بدار الكتب].

(١) يرى الدكتور أبو العمايم أن جزءًا من هذه الدار هو القاعة المعروفة بقاعة الدردير المسجلة برقم ٤٤٦ أثر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٨، هامش ٥.

(٢) ملف خيري الخطيب الشربيني محفوظات وزارة الأوقاف (٢٣٢٢/ ١). (المؤلف)

(٣) درب الأسواني: ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن ابن هبة الله الأسواني المعروف بابن عتاب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٠٨.

(٤) عن تحديد موضع دار أيتمش البجاسي بخط باب الوزير، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢.

وبعد مضي حوالي اثني عشر عامًا على حبس هذه الدار اشتراها بعد حل وقفها لأسباب مشروحة الأمير يرشباي الإينالي أمير طبلخاناه الظاهري، وأحدث بها تغييرًا طفيفًا أشار إليه السخاوي في ترجمته بقوله: «واشترى بيت الأتابك أيتمش بقرب باب الوزير وجدده وسد بابه من جهة الطريق واستمر بباب سره بجوار جامع آق سنقر»[١].

وفي سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) بنى الأمير خاير بك من بلبان الجركسي أول حاكم عثماني على مصر على قطعة من هذه الدار جامعه المعروف باسمه إلى اليوم[٢].

وفي سنة (١٠٧٠هـ/١٦٦٠م) سكنها الأمير إبراهيم أغا مستحفظان الذي ينسب إليه جامع آق سنقر اليوم، وبنى إلى جانبها القبلي حوضًا لسقي الماء لا زال يحمل اسمه إلى اليوم في عبارة هذا نصها:

جدد هذا الحوض المبارك من فضل الله تعالى وعونه
الأمير إبراهيم أغا مستحفظان حالاً بمصر سنة
سبعين وألف

قصر الأمير قوصون (يشبك من مهدي الدوادار)

هذه السراي بشارع مناخ الوقف قسم الخليفة، كانت في الأصل للأمير قوصون الناصري أنشأها في حوالي سنة (٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، ثم آلت في سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) إلى الأمير يشبك المذكور[٣]، كما يؤكد ذلك السخاوي بقوله: «ثم أخذ بيت قوصون المواجه لباب السلسلة، وزاد فيه وجعل له بابًا من الشارع».

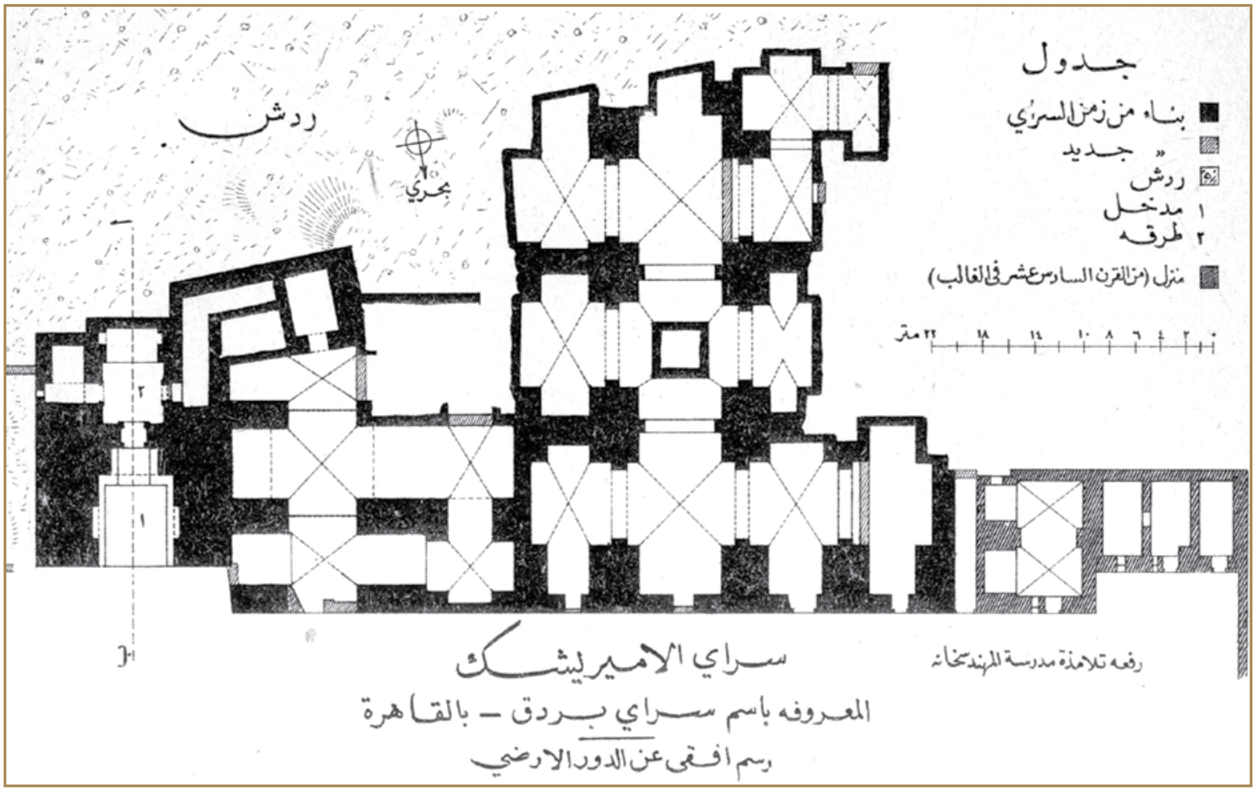
ثم إلى الأمير أقبردي الدوادار الذي كان مرشحًا لسلطنة مصر قبل السلطان قانصوه الغوري، وقد وليها يومًا كاملاً وتلقب بالأشرف، وقد عرفت هذه الدار بحوش بردق، وبقي منها إلى اليوم باب جميل تحليه مجموعة المقرنصات التي تعلوه، ولا يزال عليه طابع الأمير قوصون، وقد سكن

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٦٩.

(٢) المقر السيفي خاير بك من ملباي: قيل كان اسم أبيه ملباي الجركسي، وكان جنسه أباظيًّا، وكان له خمسة من الأولاد، وهم كسباي وخضر بك وجان بلاط وقانصوه وخاير بك، فأما كسباي فمات بالطاعون في دولة الأشرف قايتباي، ومات خضر بك أيضًا، وأما جان بلاط فإنه صار مقدم ألف ومات في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباي، وأما قانصوه فإنه كان يعرف بالبرجي فولي نيابة حلب ونيابة الشام ومات في دولة الغوري، وأما المقر السيفي خاير بك فإنه ولد بقرية يقال لها صمصوم بالقرب من بلاد الكرج ولم يولد ببلاد جركس، وقيل إن أباه ملباي قدمه للأشرف قايتباي ولم يكن قط قد دخل تحت رق، ولهذا يعرف بخاير بك من ملباي، يعني أباه ملباي، ثم إن الأشرف أنزله بالطبقة وصار من جملة المماليك السلطانية، ثم أخرج له خيلاً وقماشًا وصار من جملة الجمدارية، ثم قرره خاصكيًّا وجعله دوادار سكين، ثم بقي أمير عشرة سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، ثم بقي أمير طبلخاناه في دولة الناصر محمد بن قايتباي، وأرسله قاصدًا إلى السلطان أبي يزيد بن عثمان ملك الروم في سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، ثم بقي أمير مائة مقدم ألف في دولة الأشرف جان بلاط، وخرج إلى بلاد الشام في صحبة العسكر لما خرج إلى قتال قصروه نائب الشام، فلما تسلطن طومان باي العادل هناك سجن خاير بك في قلعة الشام، فلما حضر العادل إلى مصر أفرج عنه وأحضره إلى مصر وأنعم عليه بتقدمة ألف، فلما تسلطن الشرف الغوري جعله حاجب الحجاب، واستمر على ذلك حتى توفي أخوه قانصوة المحمدي البرجي نائب الشام نقل سيباي نيابة حلب إلى نيابة الشام واستقر خاير بك في نيابة حلب عوضًا عن سيباي = سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، واستمر على ذلك حتى تحرك على السلطان الغوري سليم شاه بن عثمان وانكسر الغوري، أخلع السلطان سليم على خير بك وجعله نائبًا عنه بمصر، عوضًا عن يونس باشا، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٢٠٤.

(٣) عن سيرة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٦، ١٧٠-١٧٥.



في هذه الدار الأمير قاني بك السيفي أمير آخور، ثم الأمير أنص باي حاجب الحجاب.

شيد هذا القصر الأمير قوصون الناصري في سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، وجدده ووسعه في سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)[١]، وكان يشغل مساحة حدها البحري سوق الخيل بالرميلة «شارع القلعة حاليًّا»، القبلي المدرسة السعدية «تكية المولوية» بخط سيف الإسلام «شارع السيوفية»، الشرقي قصر يلبغا اليحياوي وألطونبغا المارداني «أرض جامع السلطان حسن وعمارة خوشيار»، الغربي قصر طاشتمر والمدرسة السعدية.

وكان هذا القصر قبل أيلولته إلى قوصون لسنجر الجمقدار المتوفى سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)[٢]، وقبله لسنقر الطويل المتوفى سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، وهذا الأخير أول من أشاده في سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩١م)، ووجد من آثاره فيه الباب

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين قوصون الساقي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، قسم ٣: ٥٧٦-٥٩٣، ٦١٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) علم الدين سنجر الجمقدار: كان من المماليك المنصورية، قدمه الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك إلى مصر، ثم أخرجه إلى الشام، فأقام بها إلى أن حضر قطلبوغا الفخري في نوبة أحمد بالكرك، فحضر معه واستقر عند الأمراء بالديار المصرية، إلى أن مات في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) وقد أسن وارتعش، وكان روميًّا إلغ، والجمقدار «بجمقدار أو بشمقدار» لفظ يطلق على من يقوم بحمل نعل السلطان أو الأمير عند خلعه للصلاة، انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، مج. ٥: ٤٥٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٦٥، ١٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٣-١٧٤.

النحاسي الذي كان مركبًا بالبــاب العمومي الشرقي[١]، وهو ككل الأبواب النحاســية يحتل كل جانب منه أوردة مفرغة ومن أعلى إلى أســفل ٢٥ وردة مثلهــا ويمنطقه من أعلى إلى أسفل طراز كتابي قرأنا فيه هذا النص:

أمر بعمل هذا الباب المبارك الســعيد الجناب العالي شمس الدين سنقر الطويل المنصوري لا زال السعد خادمًــا له والعــز قايمًا وكان الفراغ في شــهر ربيع الأول سنة تسعين وستماية

وآل القصر بعد يشــبك إلى الأمير آق بردي الدوادار المتوفى ســنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)[٢]، وهو آخــر من تملكه من الأمراء، وبه عرف القصر منذ تملكه له حتى منتصف هذا القرن، وكانت العامة تســميه حوش بردق بدون تصحيف آقبردي[٣]، وأدركناه إلى ســنة (١٩١٢م) وبابه شارع إلى سوق الخيل، يحمل مذكرة تاريخية قرأنا فيها:

السـيفي آقبردي أمير دوادار كبـير ومدبر الممالك الشريفة الإسلامية

وسكنه بعد آقبردي المرحوم يوسف سنان باشا، ووقفه بكتاب وقف صادر في (١٧ من صفر سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م)، ثم آل إلى الأمير يوســف بك أمير اللواء في شــوال ســنة (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، وآل أخيرًا إلى المرحوم عثمان باشــا ماهر الجركسي، ووقفه وقفًا آخر بكتاب وقف صادر في (٩ من جمادى الآخر ســنة ١٣٠٦هـ/ ٩ فبراير ١٨٨٩م)، وأوصى قبيل وفاته ببناء مدرسة على جزء من أرضه، وهي المدرسة الباقية إلى اليوم بشارع القرقول حاليًّا وتحمل اسمه، هذا ما تحققته من وثائق هذا الأثر، الوقفية السالف الإشارة إليها وفيها أنه محكر من أوقاف ملاكه المذكورين.

والموجود من هذا القصر الآن باب الأستثنى الذي كان يلي الحوش، وهو باب شاهق محلى بزخارف مشغولة بأشكال هندسية ومقرنصات، ويتخللها اسم يشبك المذكور، ويحمل نصًّا تاريخيًّا ليشبك قرأناه كما يلي:

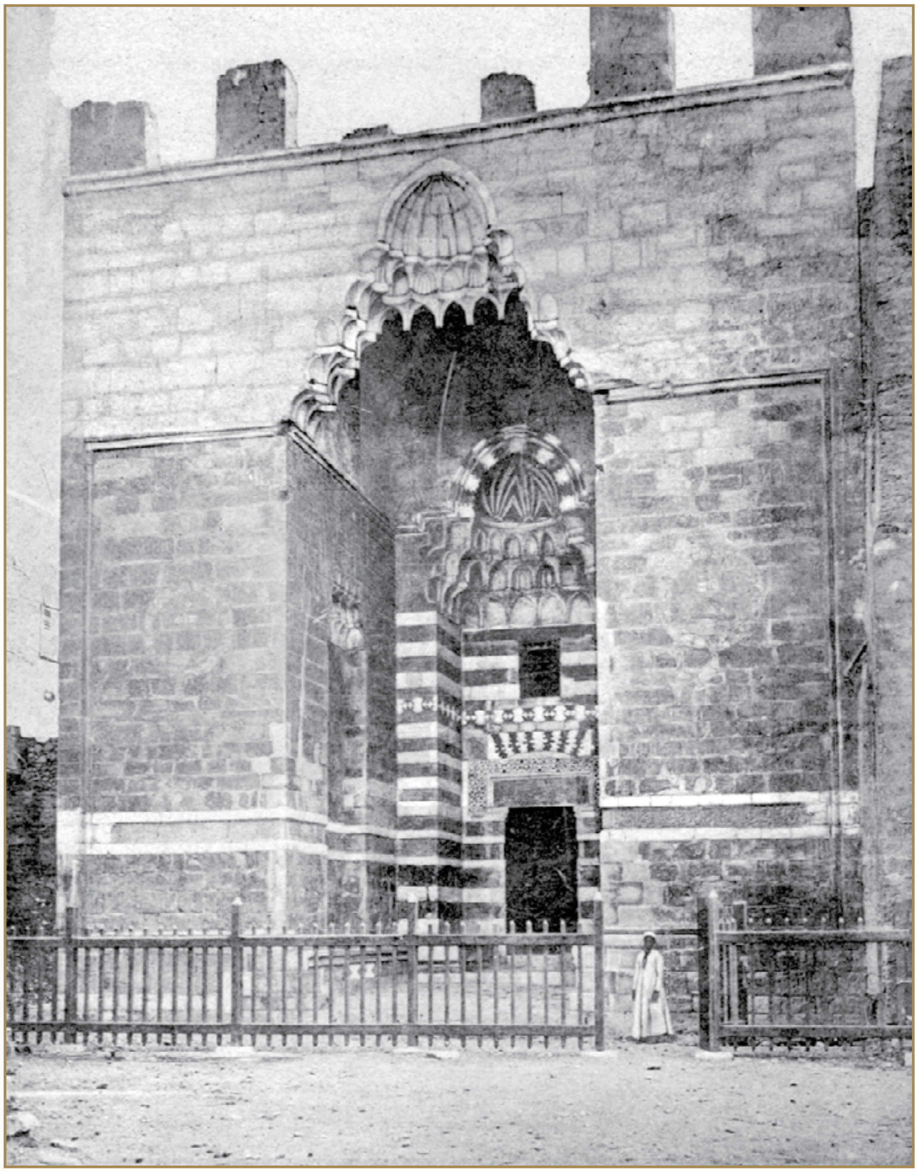
البســملة...مما أمر بإنشــائه المقــر الأشرف العالي المولوي الأميري الأجلي الكبيري المحترمي المخدومي الاسفهســلاري المجاهــدي المرابطــي المؤيــدي المنصوري الغــازي المثاغري الأكمــلي الأوحدي الأعــزي الأمجدي الأفضــلي المتفضــلي المحمدي الســعيدي الســندي الكفيلي الزعيــمي العضدي الزخري العــالي والمنقطعي مبيد الطغاة والملحدين قاتل الكفرة والمشركين قاهرة الفجرة والمتحررين، نــصرة الغــزاة والمجاهدين بغيــة الطالبين، ذخرة الأيتام والمحتاجين منصف المظلومين من الظالمين مهلــك الطاغــين والمارقين حــامي ... مظهر الحق

---

(١) نقل هذا الباب في زمن متأخر إلى مسجد تتر بدرب قراصيا ثم نقل إلى متحف الفن الإسلامي لحفظه. (المؤلف)

(٢) أقبردي الأشرفي قايتباي: ابن عم السلطان، كان خاصكيًّا سنين، ثم ترقى لإمرة عشرة، ثم تقدم دفعة بعد جانم، ثم استقر به في الدوادارية الكبرى عقب موت يشبك من مهدي، وسكن بيته العظيم، وتزوج ابنة ابن خاص بك، أخت زوجة أستاذه التي كانت زوجًا لجانم المشار إليه، وأضيف إليه الوزارة بمباشرة موفق الدين تارة وابن بدر الحسن تارة أخرى، وقاسم شقيقه لنظر الدولة معه، ثم صار المتكلم في ديوانه الشرف المعروف بأبي منصور، وولي أمر السرحة بالوجه القبلي غير مرة، فجلب الأموال منه ومن الجهات النابلسية وغيرها، وأضيفت إليه الوزارة والأستادارية وغيرها، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٦٠.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٥–٢٣٨، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٠٠، هامش ١، ١١٠–١١١، هامش ٤، ١٢١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٤، ٣٢٦.



منظر عام لمدخل قصر قوصون «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

بالبراهين بغية الملوك السيفي يشبك من مهدي أمير دوادار كبير وباش العساكر المنصورة ومدبر الممالك الإسلامية وذلك في شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وثمانماية

ونرى في هذه المذكرة إغراق المنشئ في الألقاب والتزكية شأن من تقدمه ولحقه من سلاطين وأمراء الجراكسة.

قصور أخرى ليشبك بالكافوري وبستان الخشاب

وكان ليشبك دار أخرى بأرض بستان الكافوري حلت محل منظرة اللؤلؤة، آلت إليه بالتحكير من وقف خوند بركة أم السلطان شعبان، ثم آلت آخيرًا إلى إبراهيم جوربجي بن عبد الله تابع عثمان أغا القفطانجي في (جمادى الأولى سنة ١٢٠١هـ/ مارس ١٧٨٧م) بحق النصف منها، والنصف الآخر لزوجته فاطمة خاتون بنت الحاج سليمان جميل السلاموني، وأوقفته على مصالح مسجد الشعراني بحجة وقف مؤرخة في (٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ/ ١٠ مايو ١٨١٧م) في عهد الشيخ مصطفى بن عبد الوهاب الشعراني، وأخرى في غرة شعبان سنة (١٢١١هـ)/ ٢٩ يناير (١٧٩٧م)، وتغيير في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة (١٢٤٢هـ)/ ٢٢ يناير (١٨٢٧م)، وفي هذا التغيير جعلت نصف الدار موقوفًا على تابعتها بدوية علي الطويل، والنصف الآخر لها ولأولادها من بعدها ولصالح مسجد الشعراني بعد انقراض الموقوف عليهم إلى أعمال بر أخرى.

وقد تنظر على هذا الوقف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الحليم الشعراني وحسن بن محمد بن عبد الحليم وصفر ابن عبد الوهاب بن عبد الحليم الشعراني في ٩ من يونيو سنة (١٩٢٤م) بقرار رقم ٧٨، ووجدت في دفتر مكلفات سنة (١٩٠٦م) أن الدار المذكورة بها ثلاث بيع، أرضيتها مقيدة باسم الشيخ الشعراني، مفروض عليها عوائد سنوية ٥٤ قرشًا، ورفعت هذه الضريبة بعد هدم هذه البقايا في ١٩ من ديسمبر (١٩٢٣م)، واستجد محلها في سنة (١٩٣١م) منزلان زيدت عليهما طبقة ثالثة في أول يناير سنة (١٩٣٢م)، وفرضت عوائدهما بمبلغ ٩ جنيهات و٥٠٠ مليم، وقيد باسم ناظر وقف إبراهيم جوربجي وزوجته فاطمة سليمان.

وفي سنة (١٩٣٤م) زيد عليهما طبقة رابعة وزيدت عوائدهما إلى ١٤ جنيهًا، وقيد في ضمن الأوقاف الآيلة لمسجد الشعراني نظارة السيد محمد عبد الحليم بن عمر الشعراني، وبلغت تكاليف البناء إلى ٢٢٨٨ جنيهًا ودفعت من مال الأوقاف الخيرية على مسجد الشعراني، والمحكر فيه لوقف يشبك مقرر له مبلغ ٤٥٠ نصف فضة في كل سنة ١٠٠ قرش (٦٠ نصف فضة) لوقف خوند بركة أي حوالي ٢١ قرشًا.

ولم يتخلف من هذه الدار سوى قاعة ومقعد كانا يحملان رقم ٦٣ أثر من عهد يشبك وخوند مع تغيير زمني فيهما[1]، ثم قضي عليهما بهذا البناء الجديد، وهما الآن يحملان رقم ٣ تنظيم من شارع قاضي البهار بالخرنفش، وقد ورد في مستندات هذه الدار ما حقق لي موضع منظرة اللؤلؤة الفاطمية بحارة مرشد بأرض بستان الكافوري بخلاف الموضع الذي ذهب إليه كل من محمد رمزي ومصطفى منير أدهم بناء على رواية خاطئة للمرحوم علي باشا مبارك.

واتخذ يشبك دارًا أخرى بأرض بستان الخشاب ظاهر القاهرة، وهذه الدار هي الآن مقر وزارة المعارف «التربية والتعليم» بشارع الطرقة الغربي[2]، ومسطح أرضها ثمانية أفدنة وكسور، وقد آلت أخيرًا إلى المرحومة الأميرة جميلة فاضلة ابنة الخديوي إسماعيل من زوجته جهان قادن،

---

(١) منزل وقف الشعراني «مقعد وقاعة الشعراوي» بحارة القاضي بهار خلف جامع القاضي عبد الباسط بالخرنفش، وقد انهار المقعد منذ حوالي ٢٠ سنة، ولا تزال القاعة موجودة وهي فريدة من نوعها.

(٢) شارع الطرقة الغربي يعرف الآن بشارع إسماعيل أباظة.

واستمرت في ملكها حتى وفاتها بالآستانة في أواخر شعبان سنة (١٣١٣هـ)/ فبراير (١٨٩٦م).

وفي التاسع من المحرم سنة (١٣٢٧هـ)/ ٣٠ يناير (١٩٠٩م) صدر إذن شرعي من محكمة مصر الشرعية بتأجير سراي الأميرة جميلة فاضلة لوزارة المعارف بإيجار سنوي قدره ٩٠٠ جنيه لمدة تسع سنوات، وكان المرحوم إبراهيم لطفي وكيل زوجها يعقوب باشا حسن قد باع السراي لإسماعيل بك عاصم بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه ولكن المحكمة الشرعية «هيئة التصرفات» حين عرض عليها هذا البيع لقصره طعنت فيه وعينت لتقييم السراي خبيرًا فقدر ثمنها بمبلغ ٤٥٢٩٤ جنيهًا وانتهى قرارها بإلغاء هذا البيع لجهة وقف جميلة فاضلة.

ولا تزال هذه السراي إلى يومنا هذا جارية في ملك وقف المرحوم يشبك من مهدي الدوادار «رقبته» وفي ملك الحكومة «منفعة».

قصر الأمير بشتاك الناصري

هذا القصر بدرب خاص بك[1] «خط أمير سلاح»[2]، المعروف بدرب قرمز قسم الجمالية، بشارع المعز لدين الله

(١) علي بن خليل بن الحسن بن خاص بك: العلاي بن خاص بك صهر السلطان قايتباي، تركي الأصل، كان رئيسًا حشمًا دينًا خيرًا، من أعيان أولاد الناس، توفي في شهر رمضان من سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، كانت جنازته حافلة وصلى عليه السلطان بمصلى المؤمني، ولد قبل سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٦٢م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠٢.

(٢) الأمير بدر الدين الصالحي مات في ربيع الثاني سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، ترجم له المقريزي في الخطط، وكان له بهذا الخط دار درست منذ أمد بعيد، وآل بعضها إلى القاضي أحمد بن شعبان العمري، ومحلها الآن المنزل رقم ١١ وما بعده من درب قرمز. (المؤلف)



منظر عام لقصر الأمير بشتاك «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

«بين القصرين سابقًا» وهو قصر فخم ومرآة صادقة لجمال الفن الإسلامي في ذلك العصر الزاهر، ذكره المقريزي في السلوك وأفاد أنه كان أحد القصور الفاطمية[3]، ثم آل إلى الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح[4]، وذكر أن ارتفاعه أربعون ذراعًا وأساسه أربعون، ثم اشتراه بشتاك وقد أطال

(٣) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٥٠٢.

(٤) عن سيرة أمير سلاح بدر الدين بكتاش الفخري الصالحي النجمي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٩٥-٩٦؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ٢٠٢، ٢٧٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٤-١٥؛ العيني، **عقد الجمان**، مج. ٤: ٤٤٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٨٥- ٣٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٢٤.

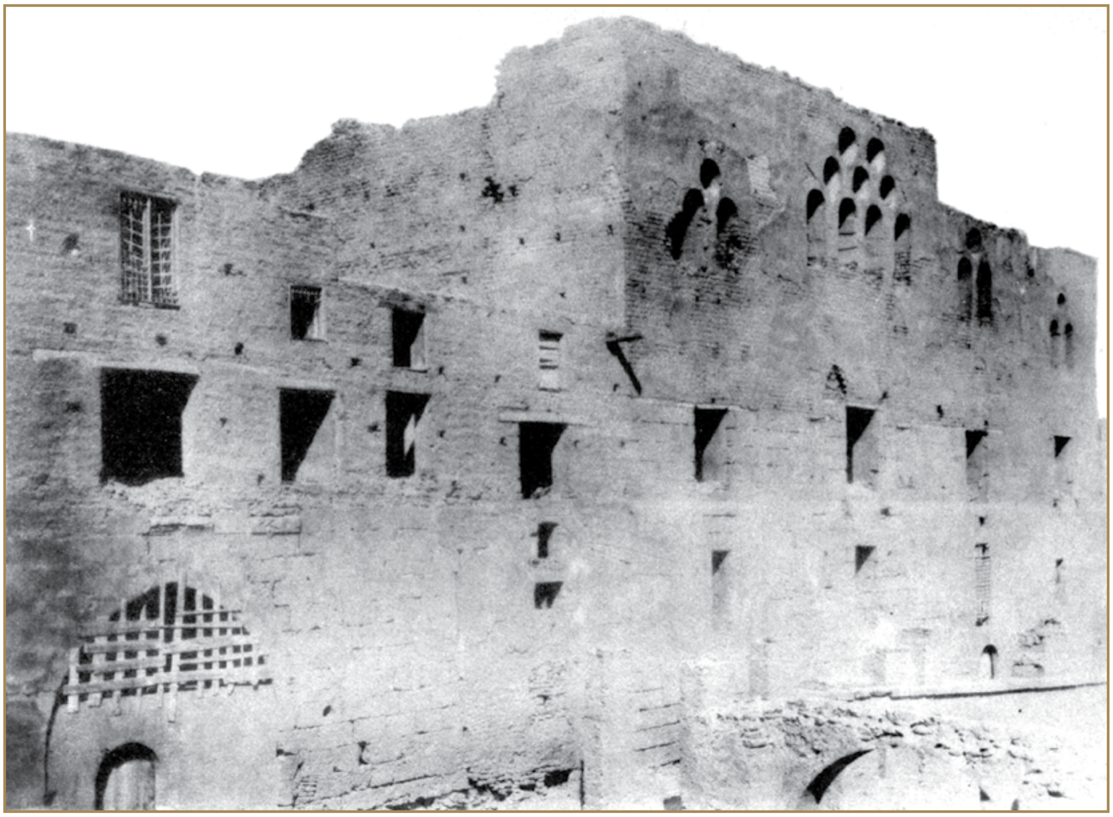
المقريـــزي في ترجمته، وابتـــدئ بعمارته في ســـنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)، وكمل في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وهو جزءان: شرقي وغربي، والأخير هو الجزء الأثري[1].

وما برح هذا القصر قائمًا يتمتع به صاحبه وأولاده من بعده حتى آل إلى غيرهم ثم إلى آخرين، وفي عهد الناصر فرج ابن برقوق آل بطريق الشراء إلى الأمير جمال الدين يوســـف البجاسي الإستادار صاحب المدرسة المشهورة بالجمالية أول التمباكشـــية، ويقول ابن بهادر المؤمني أنه اشـــتراه بأبخس الأثمان، ثم آل بعد ذلك إلى الأشرف برســـباي ملك مصر فوقفـــه على مصالح الجامـــع الأشرفي بالوراقين والمدرســـة الأشرفية بمنشـــأة سرياقوس «الخانكة ظاهـــر القاهرة»، والتربـــة الأشرفية بالصحراء، ثـــم آل القصر بعد الأشرف برسباي إلى الغرس خليل بن خاص بك، الذي عرف باسمه الدرب المذكور[2].

وقد وصفته حجة الوقف المشـــار إليها بوصف دقيق، فجاء فيها بأنه: «كان يشـــتمل على ١٣ بابًـــا، أحدها يدخل منه إلى حانوت يعرف بسكن السقا، والثاني يصار إليه من سلم على يسرة الســـالك من القبو طالبًا القاعة ويدخل منه إلى مكتب وســـبيل يعلو الحانوت المذكـــور، وحده البحري إلى الطريق المســـلوك وفيه الباب المذكور، والقبلي إلى وقف الجمالي، والـــشرقي إلى وقف الواقف المشـــار إليه، والغربي إلى وقف الجمالي «يوســـف الإستادار البجاسي»، من أسفله الرواق، والباب الثاني والثالث والرابع والخامس يدخل من كل منهـــا إلى مخزن يحتوي على مرافق وحقوق، والســـادس يدخل منه إلى ســـلم يصعد من عليـــه إلى رواق كبير مطل على الشـــارع يعرف برواق النصر بمرافق وحقوق، والثامن والتاسع يدخل منه إلى الإســـطبل، والعاشر يدخل منه إلى رواق وثلاث مســـترقات بمنافع وحقـــوق، والحادي عشر يتوصل منه إلى قاعة تشـــتمل على باب مربـــع عليه زوجا باب يدخل منه إلى دركاة مفروشـــة بالرخام الملون مسقفه ســـكندريًا ملمعًا بالذهب والـــلازورد، وعلى يمنة الداخل بيت أزيار، يتوصل من بقية الدهلـــيز إلى قاعة حرمية، ثم إلى بـــاب مربع عليه زوجا باب مطعـــم بالعاج والأبنوس، يدخل منـــه إلى قاعة كبرى تحوي أربعـــة أواوين متقابلة بينها دورقات بوسطها فسقية كبرى مفروشة بالرخام الملون بوزرة رخام دائرة من صوان ملـــون، وبأحد الأواوين وهو الذي على يسرة الداخل شـــاذروان وصحن وسلسال وخزانة نوم وخرســـتان وباداهنج ومرافق أخرى، كالطلق والمطبخ والأبواب المطعمة والأروقـــة والمراحيض والسرب «المخبأ» والأقبية الخالصـــة والبير الماء المعين، والأســـطحة العالية، وكافة المرافـــق والحقوق، ولذلك حدود أربعـــة «القبلي» إلى وقف المرحوم الجمالي، و«البحري» إلى الطريق المسلوك وفيه الحانوت والمكتب والســـبيل، و«الشرقي» إلى وقف الواقف،

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين بشتاك الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٩٩-١٠١؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦١٣؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٠-١٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٧٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٦٧-٣٧٢.

(٢) ذكر أيمن فؤاد سيد أن إحدى نسخ مخطوطة كتاب الخطط قد ذكر في هامش منها أن هذا القصر جرى استبداله لصالح الأمير قطلوبيه المحمودي الأشرفي برسباي، أحد أمراء العشروات بدولة الظاهر خشقدم، وأنه رمم ما تشعث منه، وسكنه إلى أن مات في أوائل أيام دولة الأشرف قايتباي في واقعة شاه سوار، فصار بيد الأمير علاء الدين بن خاص بك صهر قايتباي، ثم استبدل للأمير ماماي أمير دوادار ثاني، والذي عمره وزخرفه بالرخام المثمن، وتأنق فيه إلى الغاية مع وضع يده عليه، وصرف عليه من الأموال ما لا يحصى، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٠، هامش٢.



منظر عام لقصر الأمير بشتاك «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

و«الغربي» من سفله إلى الرواق إلى الواقف، ومن علوه إلى وقف المرحوم الجمالي».

من هذا الوصف نستطيع القول بأن هذا المنزل بلغ أرقى ماوصلت إليه المنازل الحالية، فقد جمع إلى محاسن العمارة وجمال الفن، كل المواصف الصحية المتبعة في بيوت وآدر هذا العصر، بل زاد عليها بالمخبأ، وهو النظام التي تنبهت إليه مصلحة المباني بوزارة الأشغال الآن، تحقيقًا لمصلحة وقاية المدنيين من الغارات الجوية، وهو نظام سبق إليه الفاطميون كل سابق، وما هذه الأسراب التي كانت ممتدة بين القصر الفاطمي حتى المقس إلا مخابئ استطاع الفاطميون أن يقوا بها أنفسهم من الطوارئ والمفاجآت.

وما برح هذا القصر وقفًا على ما ذكر، حتى سنة (١١٦٥هـ/ ١٧٥١م)؛ حيث آل القصر بالجزء الغربي (الأثري) إلى السيد نجم الدين صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن محمد بن عبد الله الدمرداشي الغزي الحنفي قاضي القاهرة في سنة (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)، وكان المذكور من أهالي غزة ومن علماء الأحناف بها، قدم القاهرة في سنة (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) واشترى هذا القصر وسكنه، ولم يبرحه حتى مات في (٢٧ من رمضان سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، ثم سكنه بعده ابنه صالح جلبي إلى وفاته في سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)، وآل الجزء الشرقي في سنة (١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م) إلى السيد عثمان الدمرداش المتوفى في سنة (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م)، وكان السيد عثمان المذكور بعد وفاة ابن القاضي المذكور وهو صالح جلبي عن غير وارث،

استولى على الجزء الغربي «الأثري» وضم الاثنين معًا وسكن فيهما مع زوجته المرحومة ستيتة محمد مصطفى الدمرداش.

ثم آل بعدها إلى المرحوم السيد مصطفى الدمرداش المتوفى سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) عن ولده المرحوم عبد الرحيم باشا الدمرداش، وبعد وفاة عبد الرحيم باشا في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) أسقطت ابنته السيدة قوت القلوب الجزء الأثري من القصر إلى الحكومة المصرية، بعد امتناع من والدها رحمه الله لأسباب مشروحة، ومن ثم عهدت الحكومة إلى لجنة حفظ الآثار العربية بتصليحه وترميمه فقامت اللجنة بكشف ما كان يحيط به من الأماكن التي حجبت واجهته وأصلحت بعض أبوابه ومفرداته، حتى بقي حافظًا لشكله نوعًا ما[١].

ولا يزال القصر مطبوعًا بطابع بشتاك ويحمل نصًّا تاريخيًّا على جانبيه غير كامل، ونصًّا آخر على المسجد الذي أنشأه أسفل هذا القصر بشارع بين القصرين، وهذا ما تحققته من مستندات وقف وتمليك ملاكه المذكورين آنفًا.

سراي منجك

بنهاية شارع سوق السلاح، من إنشاء الأمير منجك اليوسفي في سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، صاحب الأثر المعروف به بالحطابة[٢]، وقد تخرب هذا القصر وبقيت منه إلى اليوم بوابة جميلة، بها كتابة نصها:

البسملة أمر بإنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري المحترمي المخدومي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي المنصوري السيدي السندي المالكي الهمامي القوامي النظامي العضدي النصيري الكفيلي الزعيمي المقسمي الإسفهسلاري عمدة الملوك اختيار السلاطين السيفي سيف الدين منجك السلاح دار الملكي المظفري أدام الله له السعادة وبلغه في الدارين ما أراده.

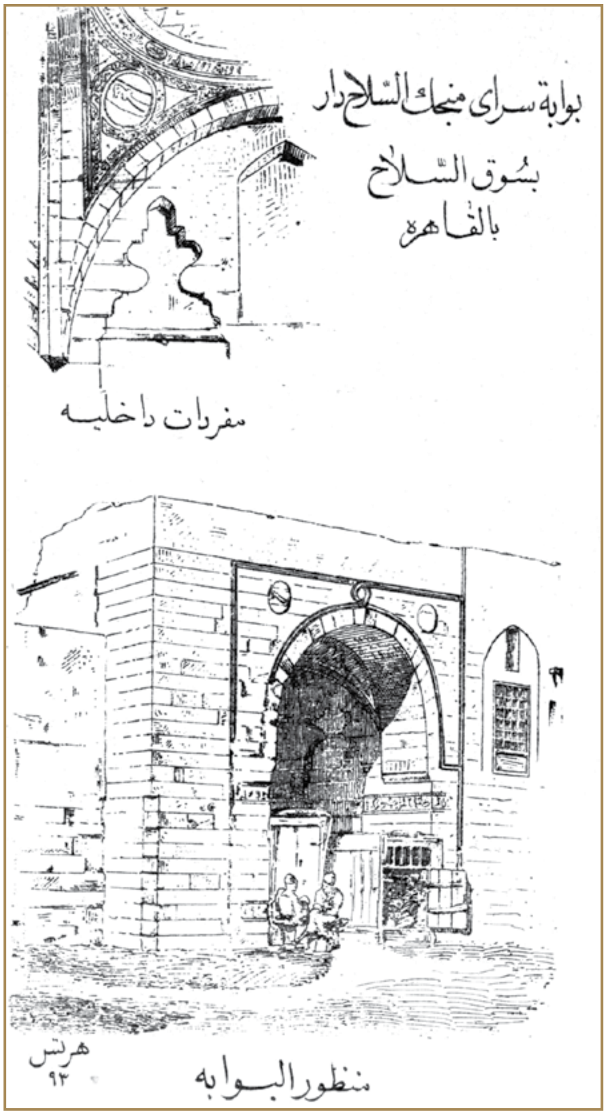
وقد آل هذا القصر بعد وفاة منشئه إلى الملك الظاهر تمربغا ثم إلى الأمير يشبك الدوادار، ويؤكد السخاوي أنه أضاف إليها زيادات وأدخل عليها تحسينات جمة[٣].

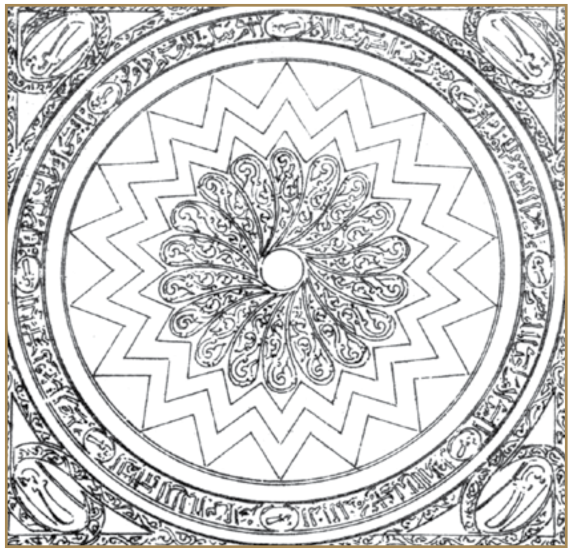
---

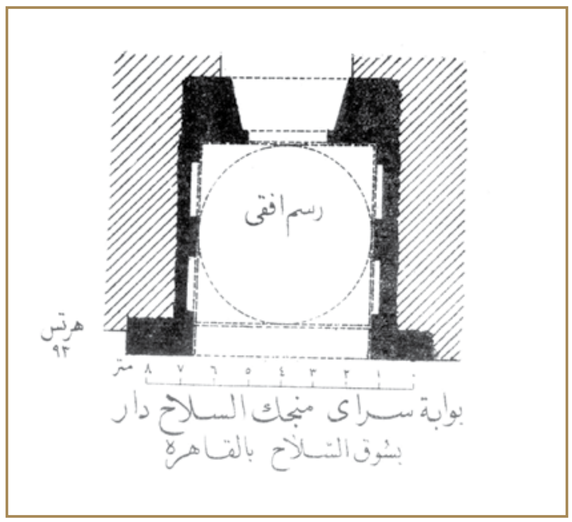
(١) عن هذا القصر انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار** (كراسة رقم ٢٦، ١٩٠٩م): ١٦٦.

(٢) منجك اليوسفي أو سيف الدين منجك السلاح دار: تنقل في خدمة الناصر محمد حتى رتب السلاح دار، ثم كان هو الذي أحضر رأس الناصر أحمد، ومن حينئذ أمر واشتهر وتردد إلى الشام في المهمات، ثم استقر حاجبًا بدمشق في رجب سنة= (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ثم أعيد واستقر وزيرًا أو إستادارًا في شوال من السنة، فباشر بحرمة ومهابة وتمكن من الدولة، وكان بيبغا روس نائب السلطنة أخاه، وأبطل ديوان العمائر جملة، وكان الناصر استجده، وغير ولاة الأعمال، وفتح باب الأخذ على الولايات والنزول على الإقطاعات، لكن ترتب ذلك من المفاسد، فحصَّل من ذلك مالاً كثيرًا جدًّا، ووصل الأوباش إلى المراتب، واستقرار العوام وآحاد الباعة في الجندية، فتلاشى أمر أجناد الحلقة بسبب ذلك، وصرف عن الوزارة مرة، وأعيد بعد أربعين يومًا، ثم قبض عليه بعد سفر أخيه إلى الحجاز، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد ذلك، وأعيدت له أملاكه، واستقر أمير ألف، فلما كانت كائنة بيبغا روس اختفى، ثم قبض عليه من مطمورة في دار إستاداره، فسجن بالإسكندرية سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) ثم أفرج عنه وسار إلى صفد بطالا، في ربيع الآخر سنة (٧٥٥هـ)، ثم استقر في نيابة طرابلس، ثم ولي حلب سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، ومات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، انظر: شمس الدين الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، تحقيق وترجمة بربارة شيفر، مصادر تاريخ مصر الإسلامية ٢ (فسبادن: فرانز شتاينر، ١٩٧٨): ٢٦٩-٢٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٠- ٣٦١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٧-٢١٩.

(٣) يذكر السخاوي أن إقامة يشبك من مهدي أثناء توليه الدوادارية كانت بقاعة ألماس، ثم بعدها في بيت تمربغا المعروف=







تفاصيل من قصر الأمير منجك «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وفي هذه الدار ولد المؤرخ جمال الدين يوسف بن تغري بردي، مؤلف كتاب النجوم الزاهرة وغيره، حيث كان أبوه قد سكنها، ثم سكنها بعده الأمير قجماس الظاهري نائب الشام، والنص الكتابي المذكور يدور بسقف عقد الباب يتخلله دوائر رنك «إشارة» المنشئ، وهي السيف بوسط الحلقة.

= ببيت منجك اليوسفي، وأدخل فيه زيادات ضخمة من جهات متعددة، كل زيادة منها دار إمرة على حدة، ثم أخذ بيت قوصون المواجهه لباب السلسلة، انظر:السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٣.

دار العمري

بالسبع قاعات القبلية بشارع الأزهر، كانت في ملك الأمير بيبرس المنصوري[١]، وفي سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، آلت إلى محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر الناصري[٢].

وفي سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) آلت إلى ولده علاء الدين علي[٣]، ثم آلت بطريق الإرث الشرعي إلى ولديه بدر الدين وعز الدين[٤]، وتوارثها بنوهما من بعدهما حتى أول القرن التاسع، فانتزع ملكيتها منهم الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الأمير جمال الدين يوسف البجاسي وزير المملكة المصرية في عهد الناصر فرج بن برقوق[٥].

بيد أنها لم تستمر في ملكه طويلًا، حتى اغتصبها الأمير تغري بردي الناصري فلبث بها حتى سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بها الأمير دمرداش أحد الأمراء الناصرية[٦]، وفي أثناء هذه المدة أرادت زوجة الشهابي أحمد الحاجب استرجاع هذه الدار فرفعت دعوى مطالبة وقدمت لذلك المستندات، ورأت المحكمة عند فحصها عدم وجود الدليل الكافي لحق وضع اليد عليها، فحكمت بها لتغري بردي المذكور فسكنها هو وبنوه، حتى انقرضت ذريته[٧].

فلما كان في أيام السلطان الغوري اشتراها القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة المصرية، فحولها مسجدًا[٨]، بيد أنه حافظ على بابها العمومي، فأبقاه مع بعض مفردات منها، ولا زال هذا الباب إلى الآن يشرف بمقرنصاته على هذه المنطقة، وعليه طابع الأمير أحمد الحاجب إذ هو الذي أحدث بها تغييرًا كبيرًا غير معالمها الأولى جملة، وقد كشف فتح شارع الأزهر عن هذا الباب الذي كان محتجبًا بحمام ابن عبود وما يجاورها من المباني أزمانًا طويلة[٩].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٩١.

(٢) عن سيرة الأمير محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري، انظر: المرجع السابق: ١٨٦-١٨٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٤٥٧؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ١٩٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣١٦.

(٣) عن سيرة علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله العمري، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ٣: ٣١٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢١٢-٢١٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ١٦٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٧-١٨٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٠٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٢٤٠-٢٤١.

(٤) عن سيرة بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤:٢١٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٩-١٩١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٤٠.

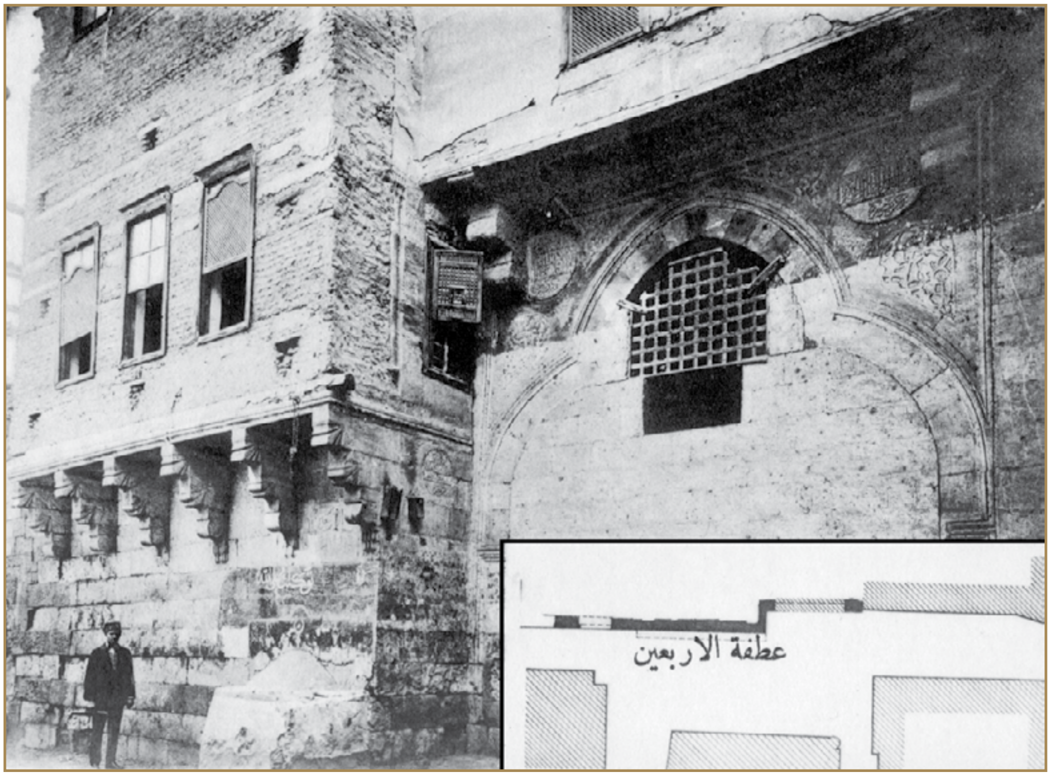
(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٦٧-٢٦٨.

(٦) الأمير سيف الدين دمرداش المحمدي الأتابكي الظاهري: نائب حلب ثم نائب دمشق، توفي سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٣١٠؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٧٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٣١٦-٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٣٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢١٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٨.

(٧) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٩١-١٩٢، ٢٤٧، هامش١، ٢٦٨؛ عبد اللطيف إبراهيم، «وقفية ابن تغري بردي»، في **المؤرخ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٧٨٤- ٨١٣هـ): مجموعة أبحاث** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤): ٢٠٠-٢٠٥.

(٨) كان لهذا المسجد منارة مربعة هُدمت عند عمل كوبري شارع الأزهر الحالي، وهو أثر رقم ١٧٦.

(٩) حمام ابن عبود: موضعه فيما بين إسطبل الجميزة، وبين رأس حارة زويلة، عرفت قديمًا بحمام الفلك، وهو القاضي فلك الملك العادل، ثم عرفت بالأمير علي بن أبي الفوارس، ثم عرفت بابن عبود، وهو الشيخ نجم الدين أبو علي الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عبود القرشي الصوفي، مات في يوم=



منظر عام لواجهة قصر الغوري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

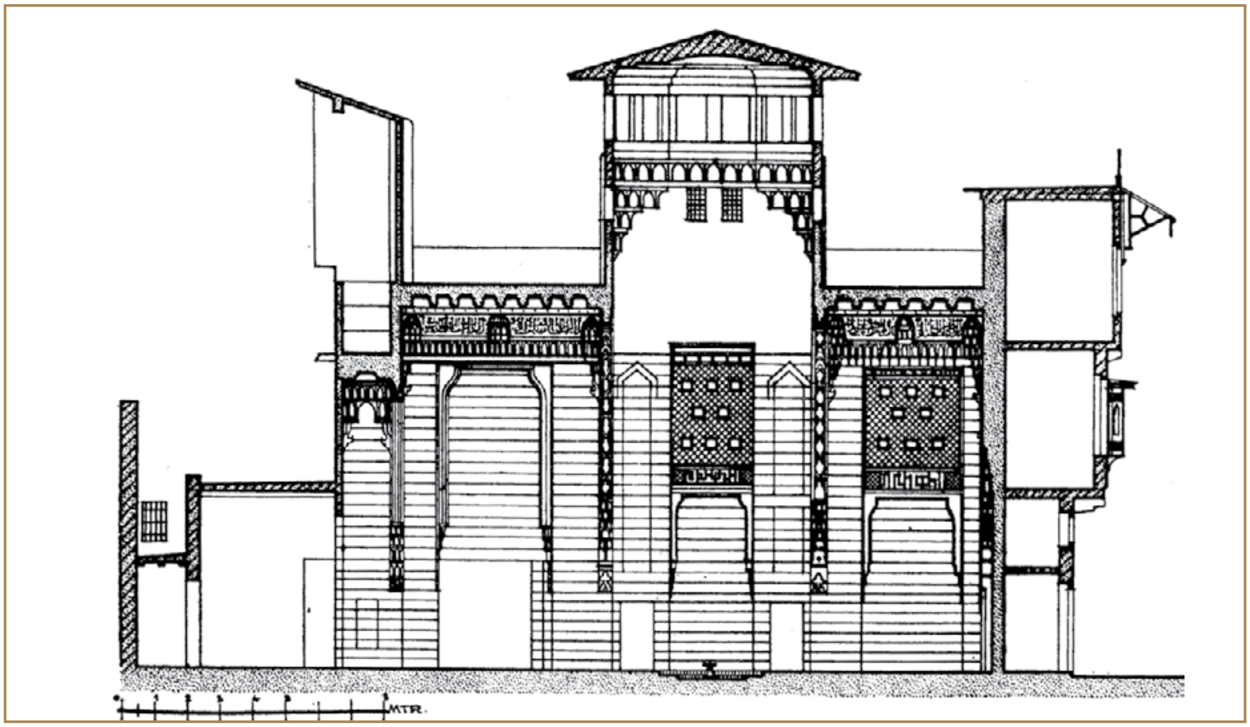
دار الأشرف برسباي

بشارع الصليبة أنشأها السلطان الملك الأشرف برسباي في حوالي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) لابنته فاطمة المدعوة ستيتة المدفونة بمدرسته بالقاهرة[١]، ثم سكنها الأمير سودون البلاط الأشرفي[٢]، ثم آلت إلى السلطان الغوري وهي باسمه إلى اليوم، وقد تخلف منها بقايا [مسجلة برقم ٣٢٢].

= الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، بعد ما عظم قدره، ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره، وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الجبل قريبًا من الدينوري من القرافة الصغرى، ولم يزل هذا الحمام جاريًا في أوقاف التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر، فاغتصبها ابن أخته الأمير شهاب الدين أحمد، واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٦٧- ٢٦٨.

(١) على ناصية حارة الأربعين، انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار رقم ٢٦**: ١٥٩.

(٢) سودون البلاطي الأعرج شاد شربخاناه الناصر فرج، يقال له خجا سودون، خدم بعد قتل أستاذه الناصر عند نوروز الحافظي، ثم اتصل بالمؤيد شيخ، وصار خاصكيًا ثم بجمقدارًا، ثم قربه الأشرف وأمره عشرة وجعله رؤوس النوب، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وكانت داره تجاه مدرسة تغري بردي المؤذي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٧٧- ٢٧٨.



رسم معماري لمنزل وقف عثمان كتخدا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

القاعة السعيدية (قاعة محب الدين بن الموقع)[1]

هذه القاعة بشارع بيت القاضي رقم٩، وهي بقية من قصر أنشأه الملك الظاهر بيبرس لولده السعيد في سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) كما نص عليه المقريزي، ثم آلت إلى المرحوم القاضي محب الدين محمد بن الحسيني، المعروف بابن الموقع الشريف الحسيني القاضي العسكري «قاضي التركات والمواريث»، فجدده وأحدث به القاعة التي تخلفت منه الآن بعد افتتاح شارع بيت القاضي في سنة (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)، وسكنه حتى وفاته في سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، ونقرأ اسم المنشئ والتاريخ في روسم بالجنب البحري للدورقاعة ونصه:

البسمله... فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين أمر بإنشاء هذا المكان من فضل الله الواحد المنان مع العجز وعدم الإمكان العبد الفقير الذليل الحقير محمد محب الدين الموقع الشافعي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ورحم والديه في مدة آخرها في ختام سنة إحدى وخمسين وسبعماية أحسن الله عاقبتهما آمين

وبالإيوان القبلي آيات كريمة من سورة البقرة.

وفي سنة (١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م) امتلكه المرحوم عثمان كتخدا القازدوغلي بطريق الإسقاط «التنازل» من قبل الشيخ أحمد الخضري شيخ طائفة الصحافيين بسوق الكتبيين[2]، وقد صدر بهذا الإسقاط إشهاد شرعي صادر في

(١) أثر رقم ٥٠، سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). (المؤلف)

(٢) عن قاعة وقف عثمان كتخدا، انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار العربية** (القاهرة، ١٩١٣): ١٣٩- ١٤٠.

نصف المحرم من هذه السنة، وتحقق لنا من هذا الإشهاد أن الأمير عثمان المذكور ملك في هذا القصر منفعته فقط «أي مبانيه» واحتفظ بالرقبة «أي الأرض» لمحب الدين الموقع المذكور، وكان المسقط المذكور يتولى نظارة أوقاف المرحوم جمال الدين يوسف البجاسي أحد ملاك هذا القصر في أوائل القرن التاسع الهجري.

وبهذا الأثر فسقية «نافورة» من آثار بيت المرحومة عائشة بيزادة زوجة المرحوم إبراهيم باشا الألفي كتخدا مصر في عهد الخديوي عباس الأول بحارة الألفي نقلت إليه في سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)[١].

سراي الأشرف قايتباي[٢]

أنشأ هذه السراي السلطان الملك الأشرف في سنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م)، وبعد وفاة السلطان قايتباي آلت إلى الملك الظاهر خشقدم فأسكن بها ولده، ثم آلت من بعده إلى أناس ثم إلى آخرين حتى وصلت إلى الأمير لاجين بيك، ثم تنازل عنها لخليل أغا التركي ناظر زراعته، فورثها عن خليل أغا المذكور ابنه الأمير حسن كتخدا، ثم آلت بعد وفاته سنة (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) بطريق الإرث الشرعي إلى مملوكه الأمير رضوان أغا جوربجي الرزاز، ثم ورثها عنه ابنه أحمد كتخدا الرزاز وهو آخر من تملكها، وقد مات عن غير وارث، فآلت إلى وزارة الأوقاف، وهي الآن خراب، بقي من آثارها واجهة بحرية، وباب شرقي مكتوب عليه:

سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان الملك المالك أبو النصر قايتباي عز نصره، أنشأ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى

ويعلو الباب بحر من صورتين فيه اسم السلطان قايتباي، وقد سكن هذه الدار الشيخ حسين بن خلف الحسيني، وفيها ولد الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد شيخ المقارئ المصرية، المتوفى في ذي الحجة سنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ولهذه الدار باب آخر بسويقة العزي «شارع سوق السلاح» تجاه مدرسة قطلوبغا الذهبي[٣].

سراي قايتباي باليانسية

ولهذا السلطان سراي آخرى باليانسية بسكة المارداني[٤]، أنشأها لولده الناصر محمد في سنة (٨٩٧- ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م)، وهي الآن في ملك بعض الأهالي، وبها مقعد جميل مكتوب عليه في طراز ما نصه:

البسملة... أمر بإنشاء هذا المقعد المبارك المعظم السعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه سيدنا ومولانا ومالك رقنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أدام الله تعالى أيامه وأعز أحكامه بمحمد وآله وكان الفراغ من هذا المقعد المبارك السعيد في شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمان مائة من الهجرة النبوية

(١) عن بيت عائشة بيزادة، انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار العربية** (القاهرة، ١٩٠٩): ١٦٥، لوحة ١٦.

(٢) بالتبانة رقم (٥٦ وقف خيري)، أثر رقم ٣١٨. (المؤلف)

(٣) جرى لهذا البيت أعمال ترميم، إلا أن باب شارع سوق السلاح هدم منذ حوالي ٢٠ سنة، ولم يُعَد إلى أصله.

(٤) منزل رقم ١٦ حارة المرداني، أثر رقم ٢٨٨.



منظر عام لبيت الكريدلية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

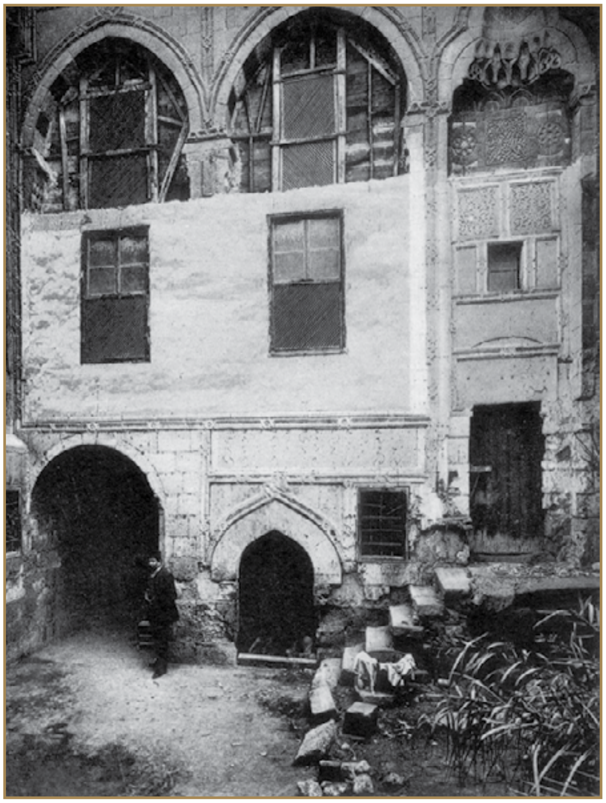
سراي قايتباي بالكبش بطولون

وله سراي أخرى [مسجلة برقم ٥٥٩]، على مقربة من باب جامع ابن طولون، مقابلة لدار ابن جلمام، أنشأها في سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) إلى سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، وتعرف الآن باسم الست آمنة بنت سالم، وبعبد القادر بن عبد الرحمن الشهير نسبه بالحداد التونسي[1].

وقد تخلف منها نص تاريخي فيه الآتي:

البسملة... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأرامل والمحتاجين صاحب الصدقات والمعروف الغيث لكل ملهوف ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم والملك المكرم مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي وأوقفه على مصالح المدرسة المباركة الجاولية على ما شهد به كتاب الوقف الذي

(١) يوجد لبس بين هذا الأثر وبين الأثر المندثر رقم ٥١٨.

منظر لمقعد داخل بيت الكريدلية قبل وبعد الترميم «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

أنشأه وكان ابتداء العمل المبارك السعيد. في شوال سنة تسع وثمانين وثمان مائة، وانتهاؤه في شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وقد آلت هذه الدار بعد قايتباي إلى مالك فآخر، حتى ملكها أخيرًا الحاج عبد القادر بن عبد الرحمن التونسي الشهير بابن الحداد، وذلك في سنة (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) ثم أوقفها على ذريته من بعده، ثم أسقطت بالتبادل الشرعي بعد انقراض ذريته إلى الحاج محمد بن سالم جلمام الجربي الشهير بابن الجزار وهو صاحب الدار الشرقية المقابلة لهذه الدار، وهذا تحقق لي من المستندات الوقفية لهذا الأثر.

سراي محمد بن قايتباي

وهذه السراي أنشأها السلطان برسم ولده الناصر محمد بخط بركة الفيل، ذكرها السخاوي في منشآته، بيد أن هذه الدار لم تدم طويلا حتى دثرت وفيها نزل السلطان سليم فاتح مصر حينما حل بها، وعلى جزء من أرض هذه الدار تقوم المجموعة الصحية بشارع السيوفية، وما في خلفها من المباني الواقعة بشارع نور الظلام من الحلمية[١].

سراي محمد بك سويدان

بعطفة الصاوي «خط المسطاح سابقًا» بدرب سعادة، وهي من الدور المتقدمة تنسب لحسام الدين طوران طاي،

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٨.

ثم جددها محمد بك سـويدان في سنة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٧م)، ثم آلت إلى علي باشا برهان[1]، ولا زال سقف قاعتها بسماواته حافظًا لشـكله تحفه كتابة تاريخية مؤلفة من سطرين هذا نصها:

البسـملة... أمر بإنشاء هذا المقعد المبارك من فضل الله تعالى الأمـيري الكبيري المخدومي المجاهدي المرابطي الأمير محمد بيك ابن سـويدان زاده أمير اللواء الشريف السـلطاني حفظـه الله تعالى وكان الفراغ من ذلك أواسـط شـهر جمادى الثاني سنة ثمانية وعشرون وألف صلى الله على سيدنا محمد

دار ابن جلمام

هـذا القصر بلصق جامع أحمد بـن طولون من الجهة الشرقية، أنشأه المرحوم الحاج محمد بن سالم بن الحاج جلمام الجربي المغربي عرف بابن الجزار في سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، كما أنشأت أخته بنت سالم دارًا آخرى إلى جانبها، وكلتا الدارين مثال لجمال الفن الإسلامي في الدور في هذا العصر.

وهـو ككل قصور القاهرة يتألـف من مقعد مصري وشرفـات ومشربيات وتختبـوش «صالون» وطشـتخانه «حجرة غسيل» وإسطبل وتنتة «فراندة» وما إلى ذلك، ووقفه على نفسه وعلى ذريته من بعده بكتب وقف مشترك آخرها مؤرخ في السـابع عشر من شـهر ربيع الأول سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) [مسـجل برقم ٤٨]، وقد آل القصر من بعده لولده المرحوم قاسـم جوربجي ثم لابنته سـليمة، وهذه تزوجت المرحوم يوسـف أوده بـاشي رزقت منه بابنتـه المرحومة جلسن، التي تزوجت المرحوم ولي أغا من طائفة المتفرقة ابن قاسم جوربجي بن علي الجريدلي «نسبة إلى جزيرة أقريطش وهي كريد أو كريت» وعرفت هذه السيدة بالست الجردلية، ومن هنا مآتى تسمية البيت بالجردلية، ومات زوجها المذكور سـنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، وهذا ما تحققته من الإضافة رقم ٣٨٢، صفحـة ٣٦٧، وفيـات هذه السـنة، وهي بمحكمة القاهـرة الابتدائية من محفوظات هذا التاريخ، وقرأنا بإزار مار بالمقعد هذا النص التاريخي:

البسـملة إنا فتحنا لـك- إلى حكيمًا- صدق الله العظيم أنشأ هذا المقعد المبارك من فضل الله تعالى وعونه الحاج محمـد ابن المرحوم الحاج سـالم ابن المرحوم الحاج جلمام الجزار وكان الفراغ سنة واحد وأربعين وألف

والمنشـئ المذكور كان من المغاربة التي سكنت حول مسـجد ابن طولون، وكان هذا مـن سراتها وله وقف على مسـجد ابن طولون والأزهر ورواق المغاربة، وله بجوار هذا الأثر سقاية ماء تحمل نصًّا كالسابق ذكره أنشأها هي والمقعد سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، ولشقيقة المنشئ أثر آخر في مواجهة هذا القصر من إنشاء الملك الأشرف قايتباي لصالح مدرسة سلار وسـنجر الجاولي وهو المذكور فيما تقدم- وقد آل إلى هذه السيدة واسـمها آمنة بنت سالم بن جلمام- وأحدثت به بعض تغييرات ومتجددات- ووصف هذا المنزل وسابقه وصفًا دقيقًا في كتب أوقاف المنشئ المذكور.

وقد اتخذ هذا القصر وسـابقه اللواء روبرت جرنفيل جاير أندرسـون متحفًا لعادياته وقطعه الأثرية التي جمعها من ممالك شـتى، فأودعها بها منذ سنة (١٩٣٢م)، واستمرت حتى غادر مصر بعد سـنة (١٩٤٢م)، ومات بمدينة لاقنهام

(١) ثم آلت آخيرًا إلى المرحوم الشيخ مصطفى الصاوي وبه عرف الدرب، [السجل رقم ٣٣٦] صفحة ٣١٥ حفظ شرعية مصر. (المؤلف)

بإنجلترا في رجب سنة (١٣٦٤هـ)/ يونية سنة (١٩٤٥م)، وهما على ذلك إلى اليوم[١].

وكتب أوقــاف هذا الأثر بمكتبة المؤلف مأخوذة عن صورهــا الأصلية المودعة بقلم حفــظ شرعية مصر وأولها مؤرخ في العاشر من شــوال ســنة (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)، وهو خاص بإنشاء الســبيل والمقعد المتدخل في القصر، وثانيها خاص بالقصر وفيه أنه اشــتراه أرضًا خربــة وأنقاضًا من تركة المرحوم الحــاج متروك بن عبد الله التونسي، ثم عمره وجــدد بناءه وبعد شرائه له أوقفه بتاريخ مســتهل جمادى الآخرة ســنة (١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م)، ضمن عقــار له آخر وهو الوكالة المعروفة باسمه بشــارع جامع السنانية قسم بولاق، كما له عقارات أخرى بحي طولون بدربي العبد[٢]، والسايس وبسوق الصوافين (درب الوطاويط) وملك قبل تملكه لهذا القصر الدار الأثرية المواجهة له غربًا والتي كانت جارية في وقف السلطان قايتباي على مدرسة الأميرين سنجر وسلار، ثم آل في سنة (٩٤٨هـ/ ١٥٤١م) إلى المرحوم الحاج عبد القادر ابن عبد الرحمن التونسي الشهير بالحداد، وهذا ما تحققته في السندات الوقفية لهذا الأثر.

بيت جمال الدين الذهبي

هذا المقعد بحارة خشــقدم «الديلم ســابقًا»، أنشــأه المرحوم جمال الدين بن عبد الله الذهبي شــاه بندر التجار «كبــير تجار القاهرة» في ســنة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، ووقفه في الخامس من رمضان سنة (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م) بكتاب وقف [مســجل برقم ٤٧٩] صفحة ٨٨٩، وآل من بعده إلى ابنته فاطمة خاتــون، ثم خرج بالتحكــير الطويل إلى أحمد أغا جمليان عتيق «أبو الدهب» واستمر به إلى وفاته فآل بالميراث إلى زوجته فاطمة عتيقة نذير أغا في سنة (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) وهذه وقفته وقفًا آخر في الخامس من شــهر جمادى الأولى ســنة (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م)، وبعد وفاة هذه السيدة وضع ديوان الأوقاف يده على القصر إلى سنة (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، وفي هذه الســنة رفع المدعو أحمد فريد بن أحمد بن إبراهيم دعوى اســتحقاق ضد وزارة الأوقاف وكان يحتلها وقتئذ المرحوم محمد عبد الهادي الجندي، وانتهى الحكم فيها باستحقاقه في وقف فاطمــة المذكورة بالحكم رقم ١٨ ســنة (١٩٤٢-١٩٤٣م)[٣]، ووضع المذكور يده على البيت، ولكن الحكومة تداركت هــذا البيت إذ وجدت أن بقــاءه في أيدي هؤلاء الورثة ربما يغير معالمه فابتاعتــه منهم لصالح لجنة حفظ الآثار العربية، وهذا البيت بمفرداته ومنافعه ولواحقه وما فيه من زخارف وأبهاء ومناظر وغرف يعد تحفة فنية رائعة في بيــوت القاهرة الأثرية، ولا يزال البيت حافظًا لأوضاعه لم تؤثر فيه التقلبات الزمنية وقرأنا في طراز ســقف المقعد اسم المنشئ وتاريخ الإنشــاء في هذا النص، وبسقفه كتابة تاريخية نصها:

أنشــأ هذا المكان المبارك الخواجا جمال الدين الذهبي
شاهبندر التجار سنة سبعه وأربعين وألف

ولمنشئ هذا الأثر ســقاية ماء وفندق (وكالة) بشارع المقاصيص بالقاهرة، وهما باقيان للآن.

---

(١) أعلام التاريخ المصري (ترجمة أندرسون باشا) للمؤلف.

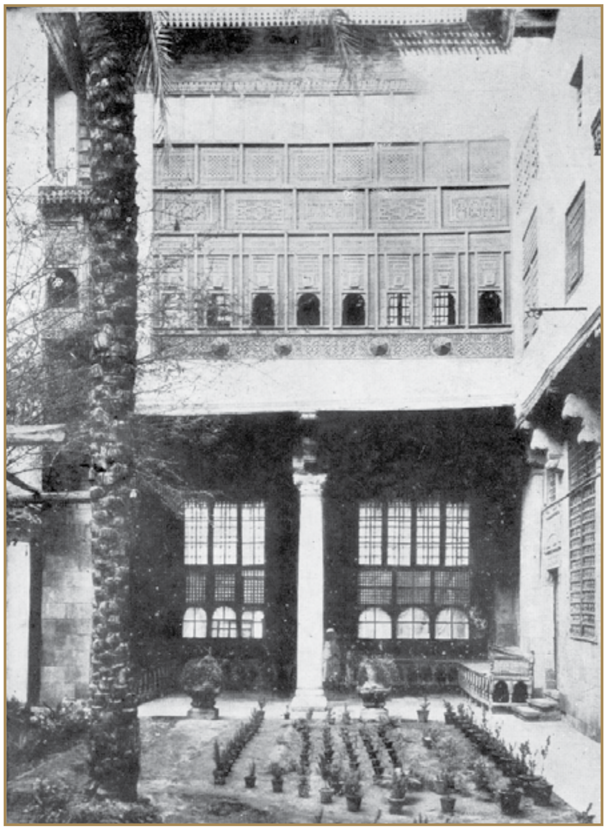
(٢) حارة العبيد من الدرب المسدود بحي طولون.

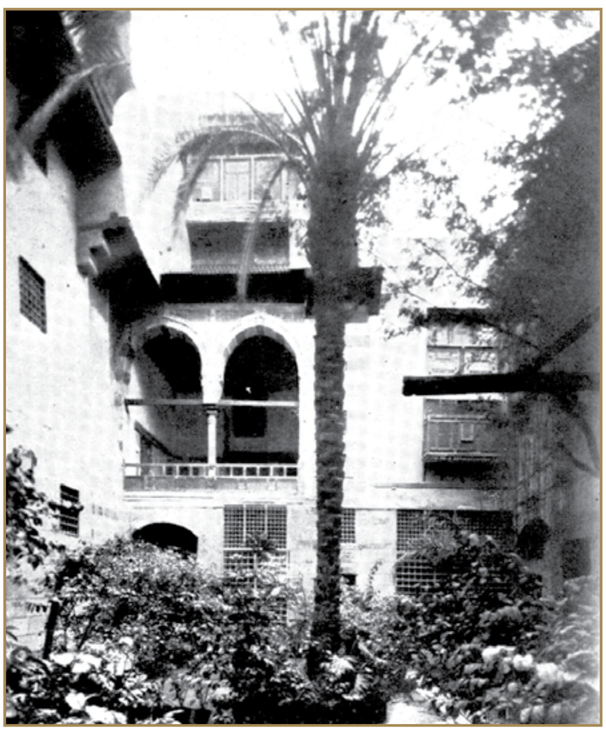
(٣) تضمن هذا الحكم أن المرحومة فاطمة خاتون المذكورة أنشأت وقفها لهذا القصر على نفسها، ثم على عتقائها وانحصر الوقف بعد وفاتها في عتيقها حسن شويكار الذي مات عن بنته صلوحة وهذه ماتت عن ولديها فاطمة بدوي وسليم محمد وتسلسل التوريث إلى المحكوم له ومن يشركه. (المؤلف)

بيت الطبلاوي (السحيمي)

بالدرب الأصفر (المنحر سابقًا)، أنشأ القسم الأول منه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي في سنة (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)، وأنشأ القسم الثاني منه الحاج إسماعيل جلبي في سنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م)، فجدد فيه جانبًا، وهو مثال للمنازل الجميلة من بقايا هذا العصر[1].

ثم آل إلى شهاب الدين أحمد السحيمي في سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، وشقيقة شمس الدين محمد فوقفاه في ١٨ رجب سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، ثم آل من بعدها إلى الست بجبار خاتون السحيمي وتوفيت سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، وهي صاحبة الوقف المعين بحجج صادرة من شرعية مصر بتواريخ آخرها، ٢٩ من جمادى الآخر سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م)، وهي أمة الشيخ شهاب الدين السحيمي المذكور، وقد تزوجت المذكورة بالسيد محمد حسين القصبي شيخ الجامع الأحمدي وتنظر على موقوفاتها إلى وفاته في ٢٨ ربيع الآخرة سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م)، فخلفه ابنه السيد محمد إمام القصبي إلى وفاته في ذي الحجة سنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، فتنظر عليه ولدها الشيخ محمد أمين السحيمي شيخ رواق الأتراك، وهذا عمل بعض إصلاحات في البيت سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)، وبقي حتى مات سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م)، فتنظرت عليه زوجته حسن كل البيضاء في (٢٦ من فبراير سنة ١٩٢٨م)، وفي سنة (١٣٤٩هـ/ سبتمبر سنة ١٩٣١م) باعت هذه الناظرة البيت إلى لجنة حفظ الآثار العربية بمبلغ ستة آلاف من الجنيهات، واشترت بدلاً عنه عمارة بشارع نوبار بالقاهرة،





منظر لمقعد بيت السحيمي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢١٥؛ المرجع السابق، مج. ٦: ١٤٤- ١٤٥.

بزائد مبلغ ٥٠٠ جنيه، وفي أول أغسطس سنة (١٩٣٦م) ضمت إلى الناظرة المذكورة سرية سعيد العبد.

وهذا البيت في بيوت القاهرة الأثرية من أنفسها إذ أن فيه مجموعة من الريادة العربية لا توجد في كثير من غيره، فالمجنبة القبلية منه بقاعتها وفصتها وأبهائها وأواوينها وما إلى ذلك تعطينا فكرة واضحة عن عناية المنشئ بهذا الأثر، كما أن مجنبته البحرية تظهر فيها مغالاة الحاج إسماعيل جلبي في مفرداته ومنافعه ولواحقه تجعلنا نقف أمام هذا الأثر الذي يتجلى فيه الفن الإسلامي في البيوت بشكل يثير العجب والغبطة، وقرأنا في هذا الأثر من النصوص التاريخية النص الآتي:

البسملة. آية الكرسي. أنشأ هذا المكان المبارك من فيض فضل الله تعالى العبد الفقير الراجي عفو ربه الفاضل الهمام الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي في عام ثمانية وخمسين وألف

دار ذو الفقار

بالجمالية[1]، أنشأها الأمير ذو الفقار كتخدا مستحفظان في سنة (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م)، وهو المعروف بمنزل وقف أوده باشي، وبهذا المنزل قاعة متسعة مغطاة بسقف ذي سماوات بمربعات مكشوفة وبها غرفة تجاورها لها مشربيات جميلة، وبالسقف إفريز مستطيل به نقوش كتابية ورد بها اسم المنشئ المذكور وتاريخ الإنشاء، ويتبع هذه الدار سبيل من إنشاء المذكور في السنة نفسها.

هذه أهم دور القاهرة الأثرية، منها ما دثر أو تحول إلى وكائل أو مساجد:

(١) منزل رقم ٥ شارع الجمالية، ١- ٣ حارة المبيضة.

- **دار خوند طلبية الناصرية**، التي آلت بعد تخربها إلى وكالة جارية في وقف سليمان أغا سلحدار، تجاه درب الرشيدي بأول الحارة الجوانية بالجمالية، وأصلها للوزير سنقر الأعسر شاد دواوين الحكومة المنصورية سابقًا[2].
- **دار الأمير بهادر اليوسفي الناصري السلاح دار**، وهي الآن وكالة القرب، بأول عطفة الجوانية[3].
- **دار الأمير بكتمر الأتابكي** المعروف بالحاجب التي أصلها للأمير كهرداش المنصوري الزراق، وقد تخربت هذه الدار، وكانت هي ومدرسة بكتمر المذكورة على رأس شارع نجم الدين والقصاصين مقابل مصلى الأموات[4].
- **دار الأمير أحمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون**، التي آلت بعد تخربها إلى حانة لبيع الفقاع، ثم تحولت إلى زاوية تعرف اليوم بزاوية الشهداء بالجمالية[5].
- **دار الأمير علم الدين سنجر الجاولي** بباب النصر، وفي محلها وكائل منها ما يعرف بوكالة الزجاج ووكالة القناديل[6].
- **دار الذهب الفاطمية** بشارع جامع البنات «بين السورين سابقًا» وقد آلت إلى بهادر الأعسر، وسكنها المأمون البطائحي، ثم الوزير عبد الغني بن أبي الفرج، وآلت منه إلى آخرين حتى الشيخ شهاب الدين

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٠٤-٢١٦.
(٣) المرجع السابق: ٢١٨-٢٢٠.
(٤) المرجع السابق: ٢٠٧-٢١٠.
(٥) المرجع السابق: ٢١٠-٢١١.
(٦) المرجع السابق: ٢١٠.

المرحومي من علماء أوائل القرن الحادي عشر، وأخيرًا إلى ممتاز قادن المعروفة بأم حسين بك بن العزيز محمد علي باشا[١].

- **دار تنكز بالخرنفش،** كانت في ملك أيبك البغدادي، ثم آلت إلى تنكز نائب الشام، ومنه إلى ولده، وسكنها القاضي برهان الدين بن جماعة ثم آلت إلى القاضي زين الدين عبد الباسط وتملكها أخيرًا الخديوي إسماعيل، ثم ما لبث أن وهبها للسيد البكري بدلاً من أخرى أخذت منه في المنفعة العامة، وفي مكانها مبنى صندوق الدين الآن، وهي الدار التي تعرف بالبكري، ولا زالت في ملك السيد أحمد مراد البكري الذي تولى مشيخة الصوفية بعد وفاة أبيه السيد عبد الحميد البكري في سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)[٢].

- **قاعة خوند بركة أم السلطان شعبان،** أصلها للأمير أيدغدي العزيزي، ثم آلت إلى موسى بن علي بن المنصور قلاوون، ومنه إلى خوند المذكورة، وفي سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) اغتصبها جمال الدين يوسف البجاسي الإستادار، وهي في وقفه إلى الآن بشارع التمباكشية، تعرف بوكالة التفاح وبوكالة المراكشي، وكان يجاورها قاعة أخرى آلت في سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) إلى الملك الأشرف برسباي[٣].

- **دار الأمير ألدمر الناصري أمير الحج،** بشارع التبليطة «الشرابية سابقًا»، آلت إلى وكالة عرفت بوكالة الزيني، ثم اتخذها محمد إبراهيم خليفة متجرًا، وما برح بها حتى هدمت بفتح شارع الأزهر الجديد.

- **دار الأمير بهادر رأس نوبة الأشرفي** المقتول في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وقد آلت إلى الحاج آل ملك الجوكندار في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، وبنى إلى جانبها مدرسته الآتية[٤].

دار بيسري

وأهم هذه الدور المتخربة جميعًا دار الأمير بيسري، التي كانت واقعة على رأس شارع الخرنفش وبين القصرين «المعز لدين الله»، أنشأها المذكور في سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)، وقد كانت دارًا فاخرة، بالغ ابن بهادر المؤمني والمقريزي في وصفها، ويقول إن مساحتها نحو فدانين، ولما بناها نقم عليه السلطان لمبالغته فيها إلى حد الإسراف والتبذير، فخلص منه بأنه إنما بالغ في إظهارها بهذا المظهر ليظهر عظمة السلطان في نظر الأجانب من القصاد والرحل وغيرهم، فسر السلطان ثم أنعم عليه بألف دينار.

وما برحت هذه الدار بيد بيسري هذا وورثته حتى أحل وقفها الأمير قوصون الناصري في سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) بفتوى من قاضي الحنابلة، وقد رسم له السلطان الناصر بذلك، ثم اشتراها بعد ذلك بألف دينار، وفي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) آلت إلى الملك الأشرف برسباي فأعاد وقفها وحبسه على مصالح جامعه، وتؤكد حجة وقفيتها المحفوظة بدار الكتب أن السلطان استجد فيها مخازن وخانات ومرافق حددتها الحجة المذكورة بأنها تحد من الناحية القبلية بحوانيت جارية في وقف المدرسة الظاهرية

(١) المرجع السابق: ٢٠٦-٢٠٧.
(٢) المرجع السابق: ١٧٩- ١٨٠.
(٣) المرجع السابق: ٢٠٥-٢٠٦.
(٤) المرجع السابق: ٢١٨-٢٢٠.

المستجدة، وفيه الباب من جهة بين القصرين، وباقيه إلى المسجد وإلى وقف بيبرس، والبحري إلى المسجد الأرضي وإلى دار شرع أبوابها من إسطبل القطبية، والشرقي إلى الطريق، والغربي إلى المدرسة الظاهرية المستجدة، خلا قطعة أرض محتكرة لأوقاف المدرسة القطبية[(١)].

وهذا التحديد يصف ما كان مشمولًا به فيما سلف، فالناحية القبلية هي الشرقية على التحديد اليوم، والبحرية الغربية، والشرقية البحرية، والغربية الجنوبية، ومنه نستطيع وضع هذه الدار في الأرض التي تقف عليها مجموعة المباني القائمة من بحري المدرسة الكاملية حتى عطفة المستوقد من شارع الخرنفش، وهي القصبة المحصورة بين المسجدين المذكورين في الحجة وهما مسجد الكامل ومسجد بلبان البيسري المعروف بعبد اللطيف القرافي كما جاء بنفس الحجة، وقد عبرت عنه بالمسجد الأرضي لنزول منسوبه عن منسوب مسجد الكامل من مستوى الطريق، ويبدو أن هذه الدار آلت بعد الأشرف برسباي إلى الأشرف إينال، بدليل أنه جدد الحمام البيسرية في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) كما سيأتي بيانه[(٢)].

(١) المرجع السابق: ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) يذكر أيمن فؤاد سيد أن الدار البيسرية قد اندثرت بعد أن هدمها الأشرف برسباي في سنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م)، ويدل على مكانها الآن مجموعة المباني الواقعة في المنطقة التي تحد من الشرق بشارع المعز لدين الله، ومن الشمال بشارع الخرنفش، ومن الغرب حارة البرقوقية، ومن الجنوب دار الحديث الكاملية، في مواجهة قصر بشتاك، انظر: المرجع السابق: ٢٢٥، هامش ٤؛ المقريزي، **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**: ٤١١- ٤١٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٤٠.

منشئ هذه الدار

ومنشئ هذه الدار هو الأمير بيسري الصالحي أحد المماليك البحرية، ومن كبار موظفي حكومة الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان رفيقًا للأمير بيبرس البندقداري، فلما دالت دولة بني أيوب واعتلى بيبرس عرش مصر قربه إليه وأنعم عليه بوظيفة كبيرة، ومن هذا التاريخ يعلو نجمه، فيحدثنا المقريزي وغيره أن مماليكه بلغت حوالي الألف مملوك، وكان له دولة وصولة وخدم وحشم وتمتع تمتعا زائدًا، وما برح كذلك حتى انقرضت الدولة الظاهرية وتلتها الدولة القلاوونية، فبدأ نجم المترجم يأفل، فامتحن أولًا وثانيًا ثم سجن، فما برح حتى مات في (١٩ من شوال من سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م).

وإليه ينسب الأمير بلبان البيسري المعروف بعبد اللطيف القرافي، صاحب الجامع المعروف به بشارع الخرنفش، الذي جدده عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م)، [انظر ترجمة هذا الجامع فيما يأتي من هذا الكتاب][(٣)].

وقد أحدث في عهد الدولة العلوية دور أخرى أجملها سراي الجوهرة بالقلعة، ثم سراي محمد علي باشا بشبرا، وأجمل الدور الشرقية الحديثة دار الأمير عمرو بالروضة، ثم دار الأمير محمد علي، ودار هدى هانم شعراوي، وبهي الدين

(٣) عن سيرة الأمير شمس الدين الشمسي الصالحي النجمي بيسري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٢٦-٢٢٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٨٨٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٤٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٥٠٠-٥٠٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ١٨٥.

بركات باشا إلى غير ذلك، وفيه أفرد بعض المستشرقين كتابًا خاصًّا لهذه الدور، بيد أنه لم يذكر فيه ما أتينا على مجمله هنا(١).

قاعة العرش بقصر عابدين

وأجمل القاعات التي أنشئت حديثًا قاعة العرش في قصر عابدين التي أنشأها المنعم الملك العادل فؤاد الأول في سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٢٢م)، وهي أكبر قاعات القصر تبلغ مساحتها ٤١٦ مترًا وربعًا، ويمر الداخل إليها بعد اجتياز بهو جميل مبني على النمط الإفرنكي، وقوام زخرفة القاعة مجموعة نقوش يتجلى فيها الفن الإسلامي بصورة بديعة، بيد أن بابها الكبير روعي فيه النمط الإفرنكي ليتناسق مع طراز البهو، وبسقفها سماوات بلغت أرقى ما وصل إليه الفن الإسلامي في مختلف أدواره، ويتدلى منه ثريا على النمط الإسلامي يقدر ثمنها بأربعمائة جنيه مصري، ويحيط بالجزء العلوي من القاعة طراز قوام زخرفته آيات قرآنية كريمة، ذكر فيها قوله تعالى:

رب أوزعني أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه

ووضعت المذكرة التاريخية لهذه القاعة خلف كرسي العرش، وقد كتب فيها ما نصه:

أنشئت في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول سنة ١٣٥٠ الهجرية

وفي أركان القاعة مجموعة زخارف جميلة منها ما يمثل أشكال المحاريب الأيوبية، ويقوم سقفها على دعائم من الجص المزخرف ترتكز على أسطوانات، وتعتبر هذه القاعة بمجموع مفرداتها وأجزائها تحفة فنية رائعة من جمال الفن الإسلامي، وهي في الوقت نفسه تعطينا فكرة ثابتة عن بقاء هذا الفن ودولته ما بقيت الأرض والسماء، ويماثل هذه القاعة- قاعة العرش الأخرى في قصر رأس التين بالإسكندرية.

وفي تاريخ الجبرتي مجموعة هامة من الدور التي أنشئت في العصر العثماني الأخير كدار عبد الرحمن كتخدا برحبة عابدين، ودار البارودي وغيرها من الدور، وقد صور الفرنسيون منها أهمها بمصورهم [انظر كتاب وصف مصر ومفرغته]، ومن نوع هذه الدور ما يسمى بالمقاعد وأشهرها:

مقعد قايتباي

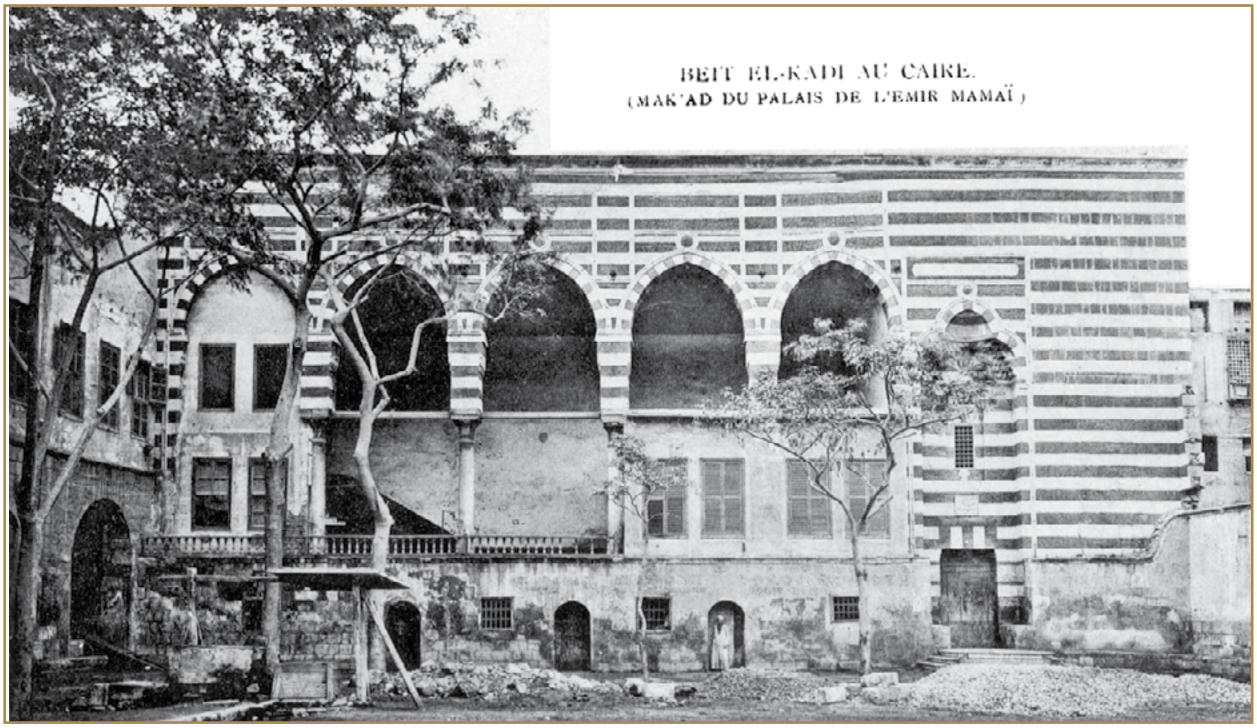
بالقرافة بالصحراء خارج باب البرقية، إلى جانب تربة أبي بكر مزهر، المعروفة باسم الكلشني مكتوب بأعلاه طراز جاء فيه:

البسملة... إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر صدق الله العظيم، أمر بإنشاء هذا المقعد المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة والفرض، ملك البحرين حامي الحرمين الشريفين

وهنا تنقطع الكتابة وتصلها كتابة أخرى حديثة بخط الأستاذ يوسف أحمد، ونصها:

جددت هذا المقعد لجنة الآثار العربية في عصر عباس حلمي الثاني سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف

(١) Edmond Pauty; Les palais et les maison au Caire d'époque musulmane, *MIFAO* LXII (le Caire, 1932).



منظر عام لمقعد ماماي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

مقعد ماماي

بشارع بيت القاضي، أنشأه الأمير ماماي من خداد اليوسفي قبل مقتله بسنة واحدة في سنة (٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، وكمل في سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م)، وهذا المقعد في شكله الحالي يماثل المقاعد الكبيرة التي أنشئت في عصور المماليك، ويمتاز باتساعه وبعقوده المقامة على أعمدة من الرخام مرتكزة على حائط مبني باللبن، وله خمسة عقود ووجهة مطلة على ميدان بيت القاضي، متناسبة الأوضاع طولاً وعرضًا، ويعلو عتب الباب رنك «شارة» الأمير ماماي وهو عبارة عن دائرة مقسمة بالخطوط إلى ثلاثة أقسام، في السفلي منها صورة كأس وفي الوسطى كأس آخر يحيط به هلالان وبعض النقوش من الكتابة المصرية القديمة، ويجاوره بأعلى الواجهة طراز فيه اسم المنشئ وألقابه، وقوام زخرفة سماوات السقف الكتابية آيات كريمة[1].

وكان القصر يشغل جميع الأرض المجعولة الآن ميدان بيت القاضي، وكان بابه الشارع من جهة الشمال بحذاء قصر القاضي أحمد بن شعبان، واستخدم هذا القصر بعد وفاة منشئه لسكنى قضاة القضاة بالديار المصرية «**محكمة عليا**»، كما جاء في حجة وقف القاضي أحمد بن شعبان المذكور

(١) ماماي من خداد: أحد المقدمين وكان شابًّا رئيسًا حشمًا وافر العقل، شجاعًا بطلًا، وكان من خواص الأشرف قايتباي، توجه قاصدًا إلى ابن عثمان غير ما مرة، وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية، ثم بقي مقدم ألف، وهو الذي جدد الدار المعظمة التي بين القصرين، وصرف عليه جملة مال، قتل في واقعة قانصوه خمسمائة وحز رأسه بواسطة الأمير آقبردي، في رجب سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٣٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٥٠- ٣٥٣.

المؤرخة بالعاشر من ذي القعدة سنة (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م)، صفحة ٤، وقرأنا فيه اسم المنشئ في موضعين الأول بجانب باب المقعد ونصه:

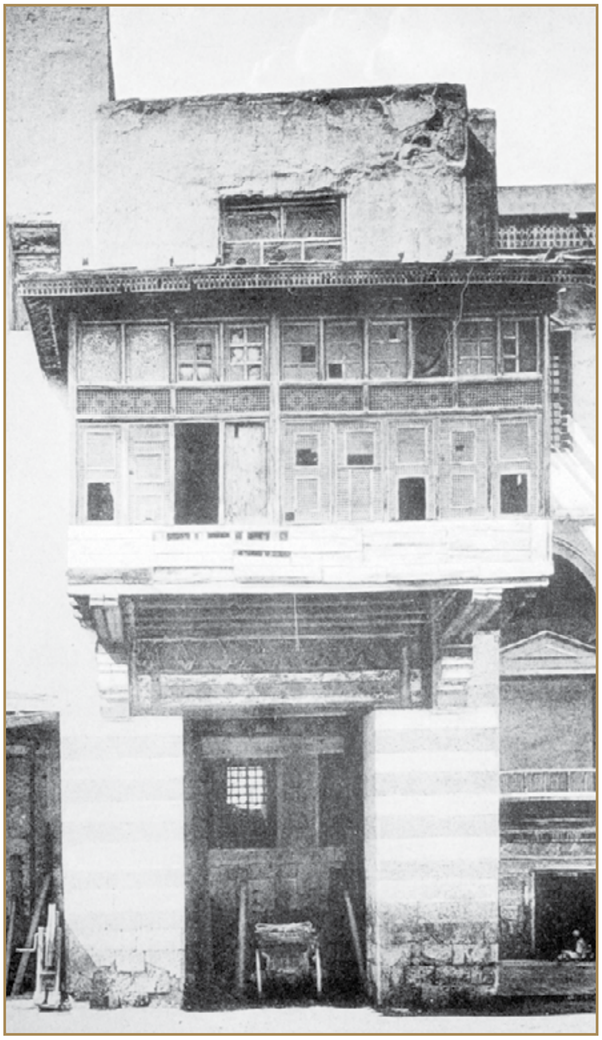
أنشأ هذا المقعد المبارك المقر الكريم العالي السيفي ماماي عين مقدمين الألوف بالديار المصرية الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره بتاريخ شهر محرم الحرام سنة إحدى وتسعماية والثاني بسقف المقعد ونصه: البسملة آية الكرسي، أمر بإنشاء هذا المقعد المبارك المقر الأشرف العالي المولوي الأميري السيفي ماماي عين مقدمين الألوف الملكي الأشرفي

وهذا المقعد في شكله الحالي يماثل المقاعد المألوفة في دور القاهرة الأثرية ويمتاز عنها برخارفه المقومة من العقيقة الذهبية، وباتساعه وعقوده ومنافعه، وبه خمسة عقود تقوم على أساطين رخامية ووجهة تطل على بهو قصره «الميدان»، ويحمل الأثر شارة المنشئ وهي الكأس دلالة على قبيلته الجركسية الجنوبية[١].

مقعد رضوان بك

بشارع قصبة رضوان داخل الوكالة المعروفة بوكالة خليل بك وهو مقعد جميل يعتبر مثالًا لمقاعد هذا العصر، وإلى رضوان بك تنسب الزاوية المنشأة في سنة (١١٦٤هـ/ ١٧٥١م)، ثم قصبة الأمير رضوان وما يعلوها من مساكن

(١) شارع بيت القاضي الجديد فتح بعد سنة (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)، وكان في محل رأس هذا الشارع المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، فلما فتح هذا الشارع زالت هذه المدرسة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٩٠.



منظر عام لمنزل الأمير رضوان بك «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وبيوت يمينًا وشمالًا حتى جانب المدرسة المحمودية بنهاية المنطقة المذكورة[٢]، ثم ربع الدهيشة[٣].

(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٢٩٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٣٢، ١٣٦؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٧٧-٧٨.

(٣) المرجع السابق، مج. ٢: ١٣٥- ١٣٧.

قصر محمد أغا جمليان (علي لبيب)[١]

هذا المقعد بالمصنع الظاهري (درب اللبانة حاليًا)، بين مسجد قانباي أمير آخور وجامع محمود باشا، أنشأه المرحوم محمد أغا بن عبد الله أغات طائفة كوملیان في سنة (١٠٥٠- ١٠٥١هـ/ ١٦٤٠-١٦٤١م)، ووقفه بحجة وقف صادرة من محكمة الديوان العالي بتاريخ (٢٨ من ذي القعدة سنة ١٠٥١هـ، [مسجلة برقم ٣٦٣ ج٢] وقفيات أهلية بديوان عموم الأوقاف وحررت بهذه الحجة قائمة بالعقار الجاري في الوقف [محفوظة بقلم الإيجارات بدار المحفوظات بالقلعة رقم ١٧/ ١٢٧١هـ]، وقد ورد فيها هذا الأثر بأنه خارج القاهرة بالرميلة أسفل القلعة المنصورة قريبًا من مدرسة المحمودية ومدرسة أمير آخور تجاه الصاعد من سوق السلاح طالبًا للقلعة المنصورة، وهو الوضع الطبيعي للأثر حاليًا، وقد مات الواقف المذكور وآل وقفه إلى مستحقيه طبقًا لشرط الواقف، فتنظر عليه أولًا ذو الفقار أغا عتيق الواقف، وأخيرًا بمبا محمد سليمان كاشف، وهو الآن معروف باسم علي لبيب أحد نظار وقف عمر الملطيلي أحد ملاكه الآخرين، والبيت من الآثار الجميلة التي تحتفظ بها من هذا العصر ونرى فيه لونًا من تجارة أخشابه لم نراها في بيوتات أخرى مما يدل على عناية المنشئ به، وإلى محمد أغا كوملیان هذا ينسب الأثر الآخر بالصوة خلف هذا الأثر وقد ذكرناه في كتابنا هذا.

وكان هذا الأثر منذ أول هذا القرن مجمعًا لهواة فن التصوير والرسم وأدركنا جماعة منهم يشتغلون بهذا الفن في هذا الأثر، وتحقق لي من حجتي وقف وتغيير إبراهيم وعمر الملطيلي الصادرتين بتاريخ ١٧ ذي الحجة سنة (١١٩٥هـ/ ١٧٨١م)، و٢٥ من ذي الحجة سنة (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م)، ومن قرار نظر كل من علي ومحمد وصديقه لبيب الصادر بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة سنة (١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م)، أن الواقفين المذكورين يملكان منفعته فقط[٢].

(١) أثر رقم ٤٩٧، سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م). (المؤلف)



منظر عام لمنزل زينب خاتون. «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

قصر الأمير محمد مدني جوربجي (زينب خاتون)[٣]

هذا القصر بحارة كتامة وهو مثال للقصور الأثرية الجميلة أنشأه المرحوم محمد مدني جوربجي بن القاضي شمس الدين محمد مواهب بن زين الدين عبد الغني بن

(٢) ملف الدعوى رقم ٨٩٣ سنة (٣٤- ١٩٣٥م) شرعية مصر. (المؤلف)

(٣) أثر رقم ٧٧، سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م). (المؤلف)

أبي المواهب بن محمد محب الدين بن الشيخ زين الدين عبد الحق السنباطي الشافعي الأزهري في سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)، والمنشئ من ذرية عالم الشافعية الشيخ عبد الحق السنباطي المدفون بمسجده برحبة التبن بشارع السنباطي، وهذا ما تحققته من [القرار ٦٣ صفحة ٢١ لسنة ١٩١٠م]، ومن كتب وقف المنشئ ثم وقفه بحجة وقف صادرة من الديوان العالي بمصر في الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وأنشأ وقفه من بعده على ذريته وأولادهم بترتيب الطبقات، وآل وقفه على الذرية وإلى ولده رجب جوربجي ثم إلى ولده عمر الذي مات عن ابنته خديجة؛ وهذه تزوجها المرحوم الشيخ محمد أمين المهدي مفتي مصر السابق [المتوفى في سنة (١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م)]، ورزق منها بابنته زينب خاتون التي يسمى الأثر باسمها اليوم.

وأهم ما في هذا البيت من مفرداته القاعة الكبيرة بأخشابها، أما الحمام بهذا الأثر القائم بحذاء القاعة فهو آية في الفن الإسلامي للحمامات يلفت النظر فيه مقرنصاته الجصية.

قصر أبو الأسعاد (السادات الوفائية)[(١)]

هذا القصر ببركة الفيل بشارع السادات الوفائية، أنشأه المرحوم السيد أبو الأسعاد يوسف بن أبي العطا عبد الرزاق ابن أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل ينتهي نسبه إلى الشيخ الصوفي العالم الكبير محمد وفا الشاذلي الحسني كبير البيت الوفائي بمصر، في سنة (١٠٤٢- ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٢- ١٦٣٣م)، ووقفه بكتاب وقف صادر من محكمة الباب العالي بتاريخ ١٨ من شوال سنة (١٠٤٣هـ/ ١٦٣٤م) ورأينا في هذا الكتاب أن أبو الأسعاد المذكور: وقف جميع المكان الكائن خارج بابي زويلة والخرق بخط درب الجماميز المستجد الإنشا والعمارة المطل على بركة الأفيلة «الفيل»، المشتمل على شقتين إحداهما غربية والأخرى شرقية، فأما الشقة الغربية فإنها تشتمل على واجهة مبنية بالحجر الفص النحيت، بها باب كبير مقنطر بعتبة صوان، يغلق عليه فردة باب خشبي نقي، يدخل منه إلى دركاة كبيرة بصدرها مسطبة سفلها خزانة للبواب مسقفة سكندريًّا، وبها على يسرة الداخل باب كبير مقنطر يغلق عليه فردة باب بوسطه بوابة صغيرة يدخل منه إلى حوش به بئر ماء معين وجنينة صغيرة أرضها متخللة بأنشاب البلح والنارنج والكباد والكرم، وغرب ذلك، بدرابزي خشب داير عليها، وبالحوش المذكور قبلي وبحري وغربي أحد عشر بابًا أحدها باب الدخول المذكور، والثاني يدخل منه إلى إسطبل مقام ثمانية رؤوس خيل، والثالث يدخل منه إلى مطبخ غطاسي، والرابع يدخل منه إلى سلم يُسار من عليه إلى قاعة معلقة يعلوها رواق وحمام لطيف، والخامس يدخل منه إلى كرسي راحة، والسادس والسابع والثامن والتاسع أبواب طشتخانات أربعة سفل المقعد الآتي ذكره، والباب العاشر صدر الحوش المذكور مربع يدخل منه إلى حوش به بئر ماء معين وجنينة صغيرة وإلى قاعات أربع منها قاعة كبرى مرخمة تجديد مولانا الواقف المشار إليه، ومساكن للحريم، والباب الحادي عشر بصدر الحوش المذكور أولاً بجوار البئر المذكورة أيضًا أولاً مربع يدخل منه إلى قاعة من القاعات الأربع المذكورة التي منها اثنتان مطلتان على البركة المذكورة معروفتان بإنشاء والد عم مولانا الواقف المشار إليه أعلاه وهو أبو الفضل ابن وفا المستثنى ذكرهما أعلاه ويعلوهما رواقان كبيران مطلان على البركة المذكورة وأحدهما مطل أيضًا على الجنينة الكبرى الآتي ذكرها بالشقة الغربية وأربع طباق إحداها حبيسة والأخرى

(١) أثر رقم ٤٦٣، سنة (١٠٤٣- ١١٨٥هـ/١٦٣٣-١٧٧١م). (المؤلف)

مطلة على حـوش الحريم، واثنتان مطلتان على الجنينة الآتي ذكرها كل ذلك إنشاء مولانا الواقف المشار إليه، ويقابل الجنينة التي بالحوش المذكور أولاً سلم بدرج حجر يُصار من عليه إلى مقعد علو الطشتخانات المذكورة، الموعود بذكره أعلاه به خزائن كتبيات وخورنقات بدرابزي خشب نقي، سقف سكندريًّا ومبيت لطيف يعلوه قصر لطيف به بيت راحة ومبيت آخر كبير وبصدر الحوش المذكور علو بابي القاعات خرجتان من الخشب كبيرة وأخرى صغيرة محمولتان على عامود خشب في الوسط وعلى بناء حجر ومنافع ومرافق وحقوق ومساكن ولواحق وغير ذلك مما هو مشتمل عليه الآن.

والشقة الشرقية الموعود ذكرها أعلاه فإنها ملاصقة لذلك ويتوصل إليها من باب من حوش الحريم المذكور أعلاه ومن باب سر يأتي ذكره وهي مستحدثة الإنشاء والعمارة مشتملة إجمالاً على جنينة كبرى أرضها متخللة بأنشاب البلح والليمون والكباد والنارنج والفل وغير ذلك بدرابزي خشب داير عليها وبصدرها من الجهة الشرقية بئر ساقية ماء معين بعدة خشب مركبة على فوهتها يجاورها باب يدخل منه إلى منظرة لطيفة مفروشة الأرض بالرخام الملون وبها فسقية لطيفة كاملة المجاري والأقصاب والفواوير الرصاص مطلة على البركة المذكورة وإلى جنينة صغيرة وقوطون يتوصل منه إلى البركة المذكورة يعلو الباب المذكور سلم يصار من عليه إلى قصر لطيف مربع بواجهتين مطلتين على البركة المذكورة والجنينة المذكورة وهذا القصر المربع المذكور له أربعة وجوه واحد مطل على البركة يقابله آخر مطل على الجنينة والثالث إلى مقعد قماري أيضًا على القماري الآتي ذكره الذي يقابله مطل على الجنينة وترى منه البركة أيضًا تجاه السلم المذكور واجهة غربية مبنية بالحجر الفص النحيت بها باب موتور به جلستان يمنة ويسرة يدخل منه إلى منظرة كبرى مرخمة بالرخام الملون مشتملة على دور قاعة بوسطها فسقية ولها ست مراتب إحداها قبلية مطلة على البركة والثانية بحرية بشباكين على الجنينة بينهما شادروان الفسقية المذكورة واثنتان شرقيتان مطلتان على الجنينة المذكورة واثنتان غربيتان مطلتان على البركة المذكورة لكل واحدة منها شباك شقتين بينهما قائم خشب خرط شغل النجار كاملة الأبواب بسقف رومي شيشة برفرف على البركة مسبلة الحيطان والجدران بالبياض ويعلو المنظرة الكبرى المذكورة قصر كبير مستجد الإنشاء والعمارة مطل على البركة المذكورة بغير بياض ومطل أيضًا على الجنينة المذكورة وبه ممشاة خشب يتوصل منها إلى القماري الآتي ذكرها وبأقصى الجنينة المذكورة من الجهة الغربية تجاه شباكي المنظرة المذكورة من حوش الحريم المذكور أعلاه منظرة لطيفة بها فسقية مثمنة بوسطها عامود رخام فوار برأسه نوفرة زبدية رخام أرطوفاتخا علوًّا وسفلًا بالرخام الملون كاملة المجاري والأقصاب والفوارات الرصاص بدرابزي خشب داير عليها مسقفة فرخ شامي على ثمانية أعمدة خشبًا نقيًّا يعولها مقعد قماري بدرابزي خشب داير عليه بسقف من مكعب الكرم وبه ممشاة القصر المذكورة أعلاه وما لذلك جمعيه من المنافع والمرافق والحقوق ويحصؤه حدود أربعة: الحد القبلي ينتهي إلى الجنينة المذكورة أعلاه وفيه الرفرف والشبابيك والحرمدانات والخرجات والقماري وغير ذلك، والحد البحري ينتهي إلى الزقاق غير النافذ بعضه والبعض منه إلى بيت يعرف بأم صالحة وبعضه إلى المجاز وفيه باب السر الموعود بذكره وباقيه إلى بيت جلدم سكن مولانا محمد باشا عجم زاده، والحد الشرقي ينتهي إلى

بيت جلدم المذكور، والحد الغربي ينتهي إلى البيت المعروف بتجديد عبد الرحمن جلبي كاتب المتفرقة سابقًا.

وقد زرنا هـذا الأثر أكثر من مرة فوجدناه يحمل رقم ٧ حارة السـادات[١]، ويحده على الطبيعة الآن بحدود أربعة الغربي حارة السـادات البحري شارع الوفائية ومنزل عبد اللطيف الصفتي القبلي ميدان بركة الفيل، الشرقي سـكة عبد الله باشا، والملك الخاص بالسيد قطب.

وقرأنا بقاعة الأفراح أبياتًا شـعرية تنتهي بالشـطر الأخير بما يفيد أن منشئها هو أبو التخصيص المذكور سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، وبقاعة الأنوار روسـم من الرخام مؤرخ بسـنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) وآخر بقاعة الغزال ينتهي بسـنة (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م)، والبيـت لا يزال إلى يومنا مطبوعًا بطابع منشئه (أبو الأسعاد) وزيادات أبي التخصيص وأبي الأنوار، والأولى تبتدئ من سـنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، كما يدل عليه الشـطر التاريخي (**إشراقها زائد من رسـم بانيها**)، والثاني من سـنة (١١٨٥هـ/ ١٧٧١م)، وهي السنة الأولى لتحكير أبي الأنوار له.

وهذا ما تحققناه عن هذا الأثر من واقع مسـتندات وقفي أبي الأسعاد وأبي الأنوار وخاتم الحفظ وملف الدعوى رقـم ١٥٨ كلي مصر، وقـد أوردنا هذه النصـوص من واقع المستندات التي أشرنا إليها لبيان التطورات المعمارية التي طرأت على هذا الأثر الإسـلامي الذي عز وجود مثيل له في قصور القاهـرة الأثرية ولتصحيح الوضـع الصحيح له في الزمن المعاصر.

(١) منزل وقف السادات رقم٩ حارة السادات حاليًا، وهدمت العقارات القديمة المجاورة له وحل محلها مدرسة الحلمية وعقارات حديثة، وقد انهارت قاعة أم الأفراح وجرى تجديدها.

إلى غير ذلك مـن الدور الثرية التي لا زلنا نحتفظ بها من عصور مختلفة، وأجملها وأكثرها شـهرة ما ذكر، ويليه **دار خوند زينب شقرا، ودار الشيخ عبد الجواد الأنصاري،** وكلتاهما بحـارة كتامة (الدويداري)؛ ثـم **دار الحاج عبد الواحد الفارسي** بالسبع قاعات البحرية؛ **دار الست حفيظة الألفية** ظاهر، باب الخلق، خلف بسـتان العدة؛ **دار الأمير طاز** الناصري بحكر سـيف الإسـلام؛ **دار إبراهيم كتخدا** السناري بحارة النبقة قسم الخليفة؛ **دار مصطفى جعفر بك** بنهاية الدرب الأصفر «المنحر سابقًا» كانت لناصر الدين بن الأصيل؛ **دار الموصـلي** بدرب الدليل بحيضان الموصلي؛ **ودار العروسي** خارج باب القنطرة.

ولدينا من دور القاهرة الأثرية ما تحول إلى مسـاجد: **كدار الأمير خشـقدم الأحمـدي؛ دار الأمير صلاح الدين أحمد بن شـعبان** الأربـلي الصلاحي، المعروفة بالمدرسـة الشعبانية؛ **دار أحمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون**، برحبة العيد؛ ودار **محمود كاتم السر** بقنطرة سنقر إلى غير ذلك.

قصر محمود محرم (سراي المسافر خانة)[٢]

هذا القصر بدرب الطبلاوي أنشـأه محمود محرم أحد تجار القاهرة في سنتي (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م) ووقفه على نفسـه أيام حياته ومن بعـده على ورثته، ومات الواقف سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م)، وانتهى وقفه إلى عتيقه أحمد عبيد وفي سنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) استولى عليه الخديوي محمد علي، وفيها ولد الخديوي إسـماعيل باشا، ثم استعملت دارًا للضيافة كان ينزل به الوافدون عليه من الدول وغيرهم.

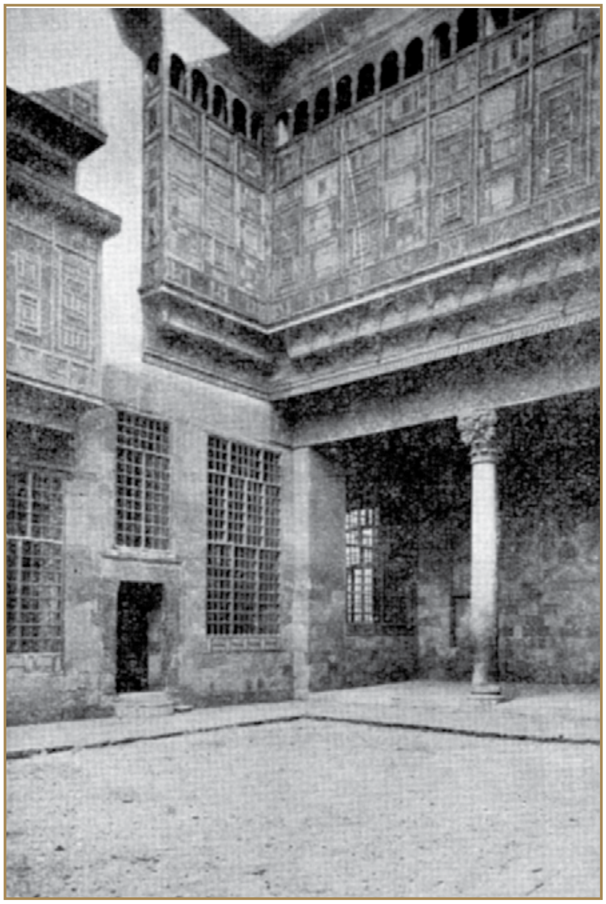
(٢) أثر رقم ٢٠، سنة (١١٩٣- ١٢٠٣هـ/ ١٧٧٩- ١٧٨٨م). (المؤلف)

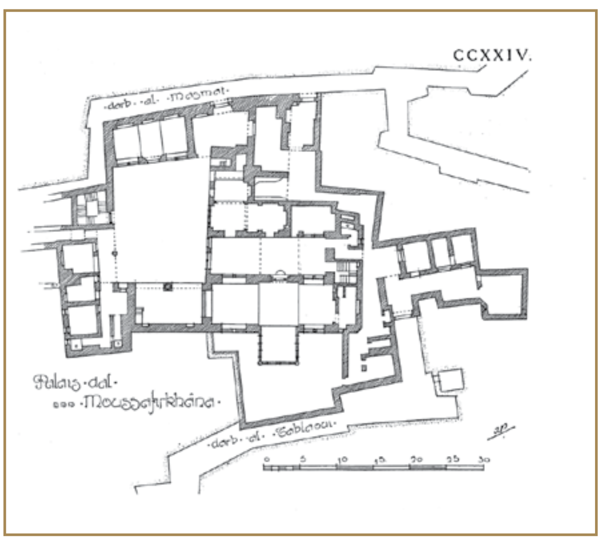
وفي سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) وضع يده عليه إبراهيم ابن محمد علي ووقفه بحجة وقف صادرة من الباب العالي بمصر في ٢٥ من صفر سنة (١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م)[1]، واتخذه سكنًا لعتيقته خوشيار، ولمنشئ هذا القصر أثر آخر في حده الغربي وهو جامع إبراهيم البقاعي (محمود محرم) برأس درب النشارين المعروف بالمحطة حاليًّا.

وهذا الأثر وإن كان قد تشعث إلا أن ما فيه من بقية تنبئ بأنه كان مثالاً للقصور الفخمة التي ازدانت بها هذه المجموعة، ويلفت النظر فيه أخشابه الدقيقة في الباذهنج والتنهات ودوائر النافورة، وبالأثر بعض مفردات ليست منه، وقد قرأنا ما فيه من النصوص التاريخية ونثبتها فيما يلي:

ألا أن هذي روضة الحسن واليها
وجنة فردوس السرور المقيم
نفق على الجوزا بحسن جمالها
وببهجة منشئها الكريم
وأقم داعي الخط فيها مؤرخًا
لقاعة أنس وسط دار النعيم ١١٩٣
لك يا ذا العزيز قاعة حسن
هي في مصر جنة القاعات
صانها الله من حسود ودامت
بك مأوى العلياء واللذات
من يشاهد إشراقها وآل أرخ
أنها قاعة من الجنات ١٢٠٣
شاد العلا قاعة من حسن رونقها
أضحى السدير لها من جملة الخدم
على قواعد حفظ الله قائمة
وقد غدت بمزيد الأمن كالحرم
في بيت عز لك العليا تؤرخه
بشراك فيه بطول العمر والنعم

١٢٠٣





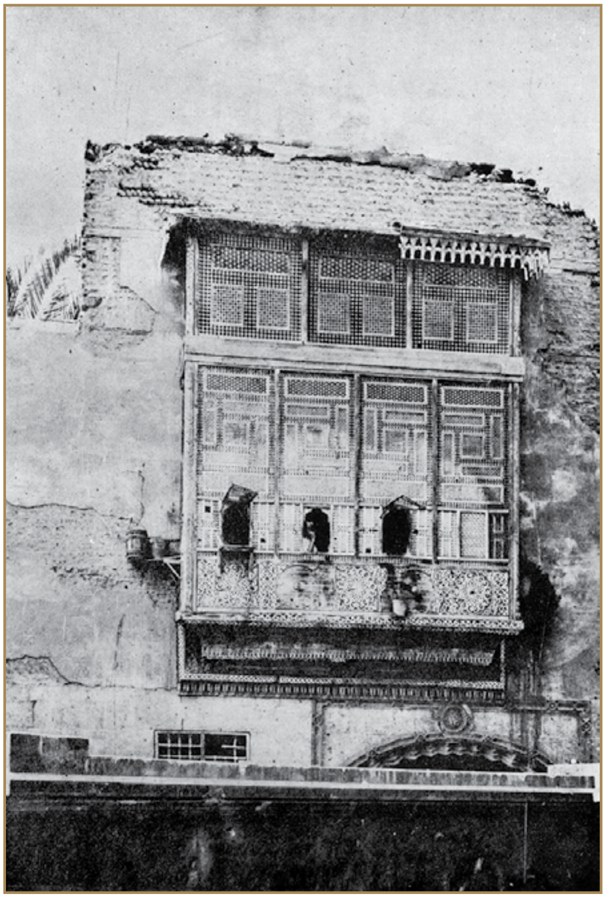
منظر عام ومسقط أفقي لسراي المسافر خانة «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) سجل الأوقاف السلطانية: ١٠؛ وحجة وقف محمود محرم المؤرخة في ١٥ من ربيع الأول سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م)، ومسجلة برقم ٣١٥، صفحة ٨٢.

قصر إبراهيم كتخدا السناري[1]

هذا القصر بحارة منج «عطفة النبقة سـابقًا»، أنشأها الأمير إبراهيم كتخدا السـناري في سنة (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م)، ومات منشؤه بالإسـكندرية في سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، كان من أخص المقربين إلى الأمير مراد بك محمد، وهو منسوب إلى سنار بلدة بالسودان، وهو ككل القصور الأثرية بالقاهرة في مفرداته بيد أنه يقل عنها شـأنًا في روائه وبهائه، ولكن هذا القصر أخذت الأنظار تحدق به حينما استخدمه علماء الحملة الفرنسـية ندوة لأبحاثهم الفنية، ومن بين جوانب هذا القصر ظهر المعجـم الفرنسي «تاريخ وصف مصر» في عشرين جـزءًا عدا مصوراته ومفرغاتـه، وقد ألقت هذه المعلمة التاريخية الكبرى ضـوءًا كثيرًا من ماضي مصر في كل عصورهـا المختلفة بحيث لم يكتب مثله ولا قبله ولا بعـده، وقد احتضن هذا القصر من هـؤلاء العلماء جمهرة كان لهـم اليد الطولى في جمع هـذا التراث المصري ونشره، بيد أن هذا التأليف لم يعرب للآن رغم شـدة الحاجة إليه؛ للمصرين خاصة وللناطقين بالضاد بوجه عام.

وأذكر من هؤلاء العلماء «جاسبار مونج» الذي عرف القصر والمنطقة باسـمه، وهو من كبار علماء الرياضيات بفرنسـا وله في هذا الفن الباع الطويل والشـهرة العالمية، وكان مهندسًـا من الرعيل الأول وشهرته عالمية، ولما جلت الحملة الفرنسـية عن مصر صحبها وعين في فرنسا مدرسًا في كلية الهندسـة ومنح لقب «كونت بيلوز» اعترافًا بعلمه وفنه، واشترك مع مونج هذا فيفيان دينون كاتب قدير وفنان موهوب له مجموعة نفيسـة من الصور التي تضمنها المؤلف



منظر عام لمشربية لبيت السناري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

سـالف الذكر، وريجو هـذا أيضًا فنان مطبوع من أشـهر رسـامي الحملة الفرنسـية، وردونيه وهو أحد أخوين بهذا الاسم واشتهر هذا بصور الزهور وحيوانات مصر وأسماكها وأشجارها، وآلات الزراعة إلى غير ذلك مما هو وارد بالمؤلف الفرنسي، وقد نشر بعضها في كتـاب زراعة مصر في عهد نابليـون الذي قامـت بترجمته وطبعه الجمعيـة الجغرافية سـنة (١٩٤٢م)، ولانكريه الريـاضي العظيم، وجالوا أحد المنقبين عن الآثار، وقد شغلت أبحاثه الأثرية جزءًا عظيمًا من الكتاب المذكور، ومالدي وجومار بك وهو آدم فرانسـوا جومار، وهذا الأخير له شـهرة عالمية وله مواقف حميدة في نواح شـتى من نشر الثقافة، أبدى فيها جهودًا موفقة [انظر

(١) أثر رقم ٢٨٣، سنة (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م). (المؤلف)

ترجمة جومار بك في كتابنا أعلام التاريخ المصري في القرن الثالث عشر الهجري الذي أكملنا به تاريخ الجبرتي].

وتظهر أهمية هـــذا القصر باختصاصه بهؤلاء النوابغ الذين خدمـــوا وادي النيل أجل الخدمـــات بأبحاثهم التي ظهرت آثارها ونتائجها البالغة في كتابهم المذكور، واستخدم هذا القصر متحفًا لجليياردو بك ســـماه «متحف نابليون»، جمع به كل تراث الحملة الفرنســـية عن مـــصر، ولقي هذا المتحف كل عناية جلياردو بك حتى وفاته في سنة (١٩٢٧م)، وظل حتى ســـنة (١٩٣٣م)، ثم أغلق سنة ١٩٤٢م، وكان هذا القصر بآخره مركزًا عامًّا للدعاية لدول الاســـتعمار، واستمر هذا إلى سنة (١٩٥٢م) ثم ذهبوا حين لا رجعة.

قصر الأمير سليمان ططر (القاياتي)(١)

هذا القصر بســـوق الخلعيين (حارة الأليلي - القاياتي حاليًّا)، بحذاء بـــاب زويلة وواجهته تشرف بمشربياتها على أول شـــارع الدرب الأحمر تجاه مســـجد الصالح طلائع بن رزيك، أنشـــأه الأمير سليمان أغا ططر بن عمر بن مصطفى ابن قسطنبولي في سنة (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، ووقفه بحجة وقف صادرة في غرة رمضان سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م).

كان المنشـــئ ططريًّا (أي سفيرًا) بين محمد علي وبين الدول، وهو منسوب إلي قسطموني ولاية بالأناضول، ومات سنة (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م) عن زوجته سعيدة علي العطار، وعن ابـــن أخيه فرحات أغا ووفاته ثابتة بالســـجل رقم ٧ تركات [ســـجل١١٢]، وآل البيت بعد وفاته إلى المرحومة شـــمس جهان البيضاء، ثم آل إلى المرحومة زبيدة وهما من عتيقات الواقف الموقوف عليهن، وهذه تزوجها المرحوم الشيخ خليفة بن عبد الرحمن السفطي الشهير بالفتني، وماتت معه فتزوج بعدها بالمرحومة حليمة بنت الشـــيخ عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتي المتوفى سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، وتنظر على البيت الشيخ محمد القاياتي وفي عهد نظارته استأجر الشيخ خليفة المذكور البيت من ناظره المذكور بأجرة معجلة قدرها ٧٨٣٦٦ قرشًـــا وكان ذلك في ســـنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)، ثم آل البيت بعد وفاة الشيخ خليفة إلى ورثة الشيخ محمد القاياتي ثم إلى ورثتهم، فقام هؤلاء بتقسيم البيت عليهم فخص كلا منهم نصيب فيه وكان ذلك سنة (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م)، وهذا ما تحقق لي من ضمتهـــم المحكمة الشرعية الكبرى التي تضم مســـتندات هذا البيت، ثم كان هذا البيت بعد ذلك ندوة للعلماء يطارحون فيه ألوانا من الأدب الرفيع يتزعمهم كبير بيت القاياتي المرحوم السيد حسن القاياتي.

ومسطح هذا القصر ٥١٧,٨١م وقد بيع إلى لجنة حفظ الآثار العربية من محمد فؤاد مجدي وآخرين بعقود [مسجلة برقم ٦٥٢٢، سنة (١٩٣٦م)؛ ٢٢٣٣، سنة (١٩٣٨م)؛ ٤٩٠٩، سنة (١٩٣٨م)]، واســـتمر محتفظًا به إلى أن تقرر إزالته للمنافع العامة ونقلت مفرداته الأثرية إلى متحف الفن الإسلامي(٢).

هذه أهم القصـــور الأثرية القائمـــة بالقاهرة والتي يستطيع الزائر لها أن يمعن النظر فيها بجمال الفن الإسلامي الذي يتجلى في هذه القصور بشـــكل يثير العجب والغبطة، وقد اعتمدت فيما ذكرته عن هذه القصور على مستنداتها الموقف منها والمملوك، ووصلت من أبحاثي لهذه المستندات إلى وضعها الصحيح من الناحيتـــين التاريخية والفنية معًا، ولم أذهب إلى ما ذهب إليه المشتغلون بدراسة هذه الآثار،

(١) أثر رقم ٣٦٨، سنة (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م). (المؤلف)

(٢) لا تزال بقاياه من جهة عطفة الحمام قائمة، أما الواجهة على شارع الدرب الأحمر فقد هدمت.

فإن أبحاثهم عنها تقوم على أساس من الحدس والتخمين أو المقارنة وقد قل أن تصيب.

وثمت قصور أخرى من القصور الأثرية وهذه قد تشعثت بفعل التقلبات الزمنية وعدم توجيه العناية لحفظها، ونذكر منها ما انتهت إليه أبحاثنا فيها، منها:

يوسف أغا الحين (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م)، محمد سويدان (١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م)، وسيلة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، ومنها قصر خسرو باشا بحارة الديلم[١]، وقصر حسن قاضي البهار (الشعراني) (١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م)، علي أوده باشي (١١٣٨هـ/ ١٢٢٦م)، عبد الرحمن الهواري (١١٤٤هـ/ ١٧٣١م)، قرا عبد الله (١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م)، البارودي (١٠٢٦- ١١٥٤هـ/ ١٦١٧-١٧٤١م)، عثمان كتخدا مناو (١١٦٩هـ/ ١٧٥٦م)، الشيخ احمد ابن موسى بن داوود العروسي شيخ الجامع الأزهر (١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م)، أحمد حسين (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م)، إبراهيم أغا (الشعراني) (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م)، البكري (١٢٦٥هـ/ ١٨١٠م)، شطرات هانم بالرويعي، الحريثي بحارة الأمراء «شمس الدولة» محمد الحريري بدرب سعادة، ومن هذه القصور بقايا ومنها ما عفت آثاره ومنها غير مسجل بإدارة الآثار العربية، مع بقاء الكثير من تفاصيله كالحريثي والحريري.

الفنادق الأثرية

كان يوجد بالقاهرة نوع من المنشآت يسمى الفنادق، كان الغرض من إنشائها تسهيل حركة التجارة وإعداد وسائل الراحة للتجار القادمين من البلاد الأجنبية لتسهيل بيع سلعهم في نقطة محصورة، وكانت تضم إليها مساكن للغرباء لسكناهم فيها مدة إقامتهم بالقاهرة.

جاء ذكر هذه الفنادق في حديث لحضرة النبي ﷺ، أخرجه ابن سعد في كتاب بارق الأزدي لقومه: «ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام».

وفسر ابن عباس البيوت- التي ذكرت في قوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور/ ٢٩]- بالفنادق [انظر كتاب الحكومة النبوية لنا].

وقد كان بمصر والقاهرة فنادق أنشئت في أوقات مختلفة أشهرها:

فندق تقي الدين: بشارع السويدي بالفسطاط، أنشأه تقي الدين عمر ابن أخ السلطان صلاح الدين ملك حماة[٢].

فندق بكتمر الناصري: صاحب الخانقاه بالقرافة، أنشأه في عهد الناصر وتملكه من بعده أولاده، ثم آل إلى الظاهر برقوق[٣].

فندق الأشراف: بدار النحاس أنشأه وردان الرومي غلام عمرو بن العاص، فعرف به زمانًا ثم عرف بدار النحاس، ثم بفندق الأشراف، وما برح أن عفى أثره، وإلى جانبه بنى الأمير طيبرس جامعه الذي تهدم الآن، وأزيل من المنطقة نهائيًا رغم بقاء مئذنته الأثرية من عهد الظاهر أبي سعيد جقمق[٤].

(١) أصله للأمير حسن جوربجي طائفة عزبان الشهير بخشقدم، الذي عرفت به حارة الديلم وآل بعد وفاته إلى أحمد بن طاحون بالبيع من العلائي علي جلبي بن خشقدم المذكور [السجل رقم ٢٩١، صفحة ١٣٤، سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)]. (المؤلف)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٧.

(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٩٩.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤: ٢٠٥.

فندق مسرور: بشارع المعز لدين الله (الخردجية سابقًا) وفي محله الآن وكالة الفراخ والوكالة الأخرى التي تقابلها[١].

وأحسن فنادق القاهرة القائمة إلى اليوم:

فندق قوصون: بشارع باب النصر، وعليه بقية من كتابة ورد فيها اسمه وقد آل بالانتفاع إلى وقف علي كاشف الصابونجي في سنة (١٢١٨- ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٣- ١٨٠٨م)، وعرف بوكالة الصابون، ومساحته مع الربع الذي يجاوره المعروف بربع الصابون ٤٢/ ١١٧٠ مترًا مربعًا، وقد هدم هذا الفندق وملحقاته، وبقي من مخلفاته الباب الذي يحمل اسم قوصون بشارع باب النصر رقم ٤.[٢]

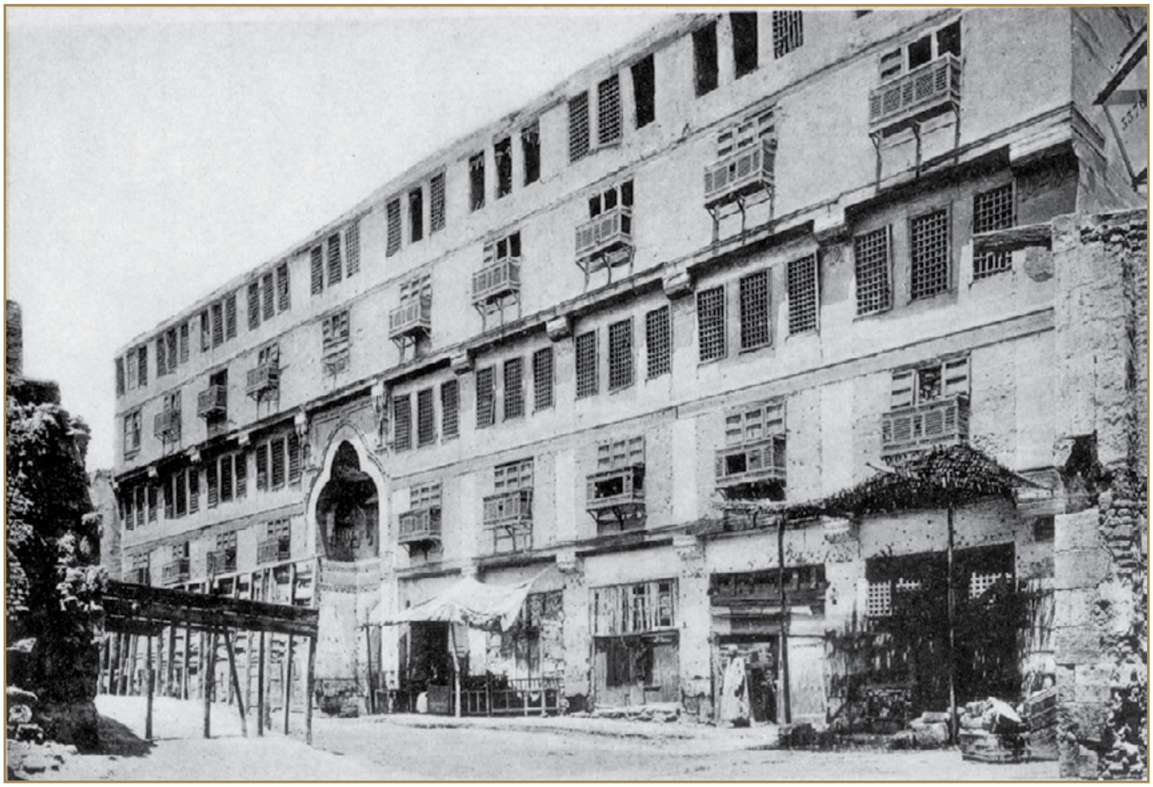
فندق قايتباي: بشارع باب النصر، وهو مثال كامل للفنادق التي أنشئت في هذا العصر الزاهر بالعمارة الإسلامية، وبواجهته طراز يتضمن كتابة تحيط بها أخرى ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى سيدنا محمد وافر الصلوات وأكمل التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين أمر مولانا المقام الشريف الأعظم والخاقان المنيف المعظم السلطان الأعدل الأفخم الأكرم الملتجئ إلى ظل عرش الله الأورف مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين ناشر ألوية العدل في العالمين خادم حرمي الله ورسوله بلغه الله غاية سؤله ونهاية مأموله وأنار بسعوده الأفلاك الدائرة وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، بإنشاء هذه الوكالة المباركة السعيدة وما باطنها وظاهرها وأعلاها من المساكن العديدة وقفًا شرعيًّا صحيحًا وحبسًا مرعيًّا صريحًا مقصودًا به العمل الصالح الذي لا انقطاع له ولا انبثاث كما أشار إليه الحديث في عدم انقطاع الثلاث، مصروفًا ريعه في أحسن القربات وأولى أنواع البر والمتوبات وهو إطعام الطعام لجيران النبي عليه الصلاة والسلام من الخبز والدشيشة، والتوسعة في المعيشة، القاطنين في ذلك الحرم الشريف، والواردين إلى ذلك المحفل المنيف بحيث لا يصد عنه أحد من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمنقطعين جاريًا ذلك عليهم أبد الآبدين، ودهر الداهرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين تقبل الله ذلك منه قبولًا جميلًا، وأثابه عليه ثوابًا جزيلاً بمحمد وآله وصحبه

لحبي رسول الله عمرت ما ترى
وأنفقت فيه كل ما طاب كسبه
وأجريته برًّا بجيران قبره
على روحه صلى وسلم ربه
وأرجوه في يوم القيامة شافعًا
إذا اشتد بالعبد المقصر كربه
فكن منجدي يا سيد الخلق إنني
بحبك ممن قد تعلق قلبه
ويا رب فاقبل قربتي واجعلني
فتى حبه يوم القيامة قربه
وفي حزبه احشرني بجاه محمد
فما فاز إلا تابعوه وحزبه
فحبي فيه خالص وهو واعد
بتقريب عبد مخلص فيه حبه

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) المرجع السابق: ٣٠٩-٣١٠.



منظر عام لوكالة قايتباي بباب النصر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وكتابة أخرى نصها:

البسملة... أمر بعمارة هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقنا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، وجعله وقفًا معروفًا أجرته على جيران النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة يشترى به قمحًا وتعمل منه الدشيشة للمجاورين والواردين ابتغاء لوجه الله وقد جدد ما وهي من هذا الفندق، من واجهته وداخله في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

فندق قايتباي بالأزهر: ولهذا الملك فندق آخر بشارع الأزهر، مكتوب على جانبي بابه ما نصه:

البسملة... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقنا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر رجب الفرد الحرام سنة اثنين وثمانين وثمان مائة

ويحيط به من الجانب الغربي ربع ثم سبيل جميل يجاوره مكتب، وفي الجانب الشرقي بفاصل حوض ماء، لا زالت آثاره مطبوعة بطابع قايتباي.



منظر عام لوكالة قايتباي بالسروجية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

فندق قايتباي بالسروجية: وكان له أيضًا فندق آخر بشارع السروجية (سوق الطيور سابقًا)، وقد أدركناه بعد أن تهدمت مبانيه العلوية.

ومما هو جدير بالذكر أن الرغبة في إقامة هذه الفنادق والوكائل كانت متجهة إلى استعمالها أسواقًا لاستيراد ما يرد على مصر من السلع والبضائع من كل من الهند والشام والمغرب وآسيا الوسطى، لبيعها للأهالي عن طريق وكلاء لأصحاب هذه السلع من أفراد الشعب المصري، وكان لكل وكيل منهم معلوم يتقاضاه من صافي الربح، وهذا مأتى تسميتها بالوكالة «البيع بالوكالة»، وكانت هذه السلع ترد إلى مصر محملة مع أمناء من أصحابها فيقضون في مصر وقتًا يكون محل سكناهم فيه هذه الفنادق التي تعلو الوكائل سالفة الذكر.

وقد كان هذا الفندق إلى عهد ليس ببعيد يحمل كتابة تاريخية هذا نصها:

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأعمال الفراتية والقلاع الرومية والحصون الإسماعيلية والثغور

السكندرية صاحب السيف والقلم والبند والعلم أفضل من حكم في عصره بالحكم صاحب البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين اللَّهُمَّ أدم العز والبقاء والعلو والارتقاء والنصر على الأعداء لسيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين حامي حوزة الدين أبو الفقراء والمساكين كهف الأرامل والمنقطعين منصف المظلومين من الظالمين الملك المكرم والخاقان المعظم أبو المعالي والهمم شيمة ملوك العرب والعجم والترك والديلم أفضل من حكم في عصره بالحكم عبدك وابن عبدك القائم بشريعتك وفرضك سيفك المرهف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي

عز نصره

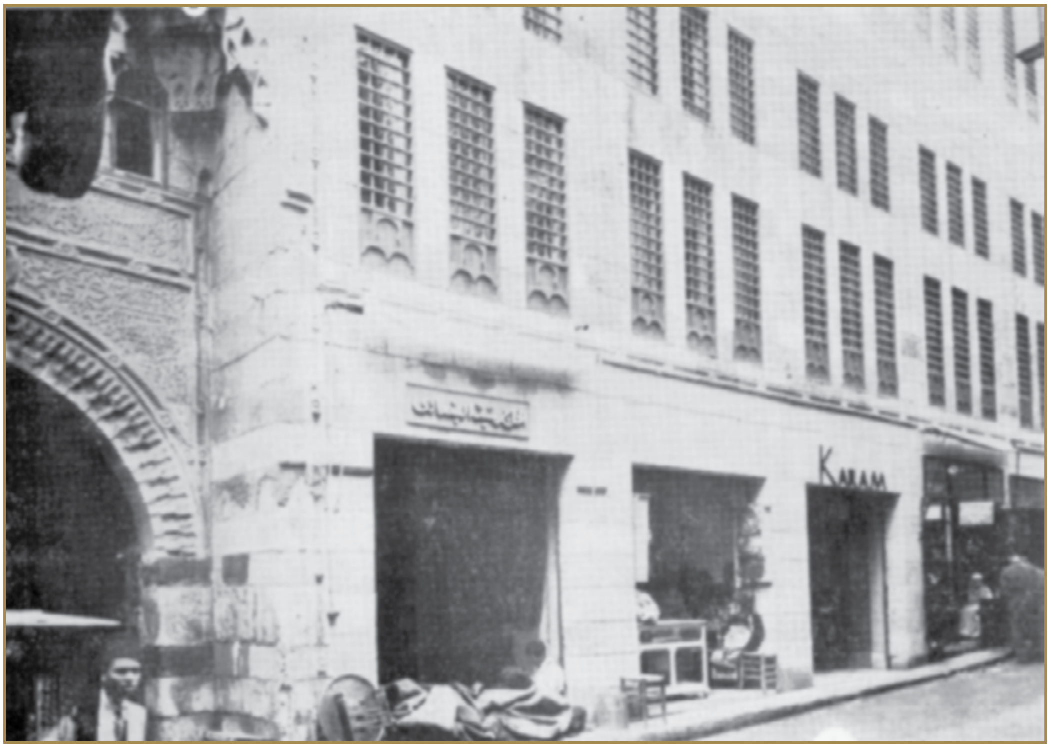
فندق الملك الظاهر برقوق: هذا الفندق تجاه باب الجوانية من القاهرة، فيما بين درب الرشيدي ووكالة قوصون، أنشأه الأمير جمال الدين محمود الإستادار في سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩١م) برسم فندق وألحق به ربعًا للسكنى، ولما كملت عمارته رسم الملك الظاهر برقوق أن يكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة من متجر الشام، ثم حبسها على الخانقاه التي أنشأها بالقرافة بحجة وقف مؤرخة، واستمرت جارية في الوقف الظاهري حتى خربت في ٢١ من رجب سنة (١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م) بالتحكير إلى المرحوم سليمان بك محمد، وفي سنة (١٩٦٣م) استبدلتها وزارة الأوقاف بمبانٍ حديثة للسكنى، حدها الشرقي شارع الجمالية رقم ٤٠، والغربي العقار رقم ٣ درب الرشيدي، والبحري شارع الضبية رقم٢، والقبلي درب الرشيدي، ومساحتها ٣٢/ ١٥٧٥ مترًا مربعًا.

فندق الغوري: بشارع التبليطة معروف بوكالة النخلة، ويجاوره يمينًا وشمالًا مساكن أنشأها الغوري في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، للمنقطعين والوافدين، وقد أصلح القسم المعروف منها بوقف سعيد باشا في سنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

هذا الفندق هو الوكالة التي تعرف حاليًا بوكالة النخلة وقديما بوكالة المصبغة نسبة إلى جانم مصبغة أحد الأمراء في عصر الغوري، وهي جزء من عمارة أنشأها السلطان قانصوة الغوري في سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) تتألف من هذا الفندق وربع في جدارها، ومساكن جارية في وقف الغوري، ووجدت تسميتها بالاسم المذكور آنفًا في [السجل رقم ٨]، صفحة ٢٤٥، سنة (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)، وكان هذا الأثر فيما سبق معدًّا لسكنى تجار المغاربة لبيع الأقمشة الهندية ولمؤلف هذا الكتاب خلوة وسكنى في هذا الأثر وفي منافعه المجاورة له آل إليه بالميراث، وقد تقلب على هذا الأثر من يد حتى كانت بآخره قد أوشك الخراب أن يشن عليها فتداركت الحكومة هذا الأثر وانتزعته من غاصبيه وأصلحته حتى عادت إليه حالته الأولى، وكان ذلك في ذي القعدة سنة (١٣٦٥هـ/ أكتوبر سنة ١٩٤٦م)، وهذا الفندق مثال رائع لفنادق القاهرة.

وللغوري آثار أخرى ذكرناها مفصلة في هذا الكتاب كما نحتفظ له ببقية من قصر آل إليه في سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، بسوق الأساكفة «شارع الصليبة» على رأس حارة الأربعين، أنشأ هذا القصر الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) لابنته ستيتة خاتون، وسكنه الأمير سودون البلاطي[1]، ثم آلت الدار أخيرًا إلى المرحوم راشد

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٧٧، وانظر أيضًا ترجمة راشد باشا المذكور في أعلام التاريخ الهجري في القرن الثالث عشر الهجري للمؤلف. (المؤلف)



منظر عام لوكالة الغوري بالأزهر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

باشا حسني، ونسب له المستشرق كريسويل وكالة القاضي أحمد بن شعبان بالخراطين «شارع الصنادقية» المعروف بالجلابة، وهذا مردود بما ثبت في كتاب وقف القاضي المذكور [انظر تحقيقنا لهذا فيما يأتي من هذا الكتاب].

فندق نفيسة البيضاء: بشارع السكرية أنشأته السيدة نفيسة بيضاء بنت عبد الله معتوقة الأميرة شويكار قادن، وزوجة الأمير مراد بك في سنة (١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م)، وأنشأت إلى جانبه سبيلًا، وقد أصلحت واجهة المساكن التي تعلو هذا الفندق وجددت شرفاته في سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) بيد أن الجزء البحري منها لم يتناوله التجديد.

رباع القاهرة

الرباع مفردها ربع، منازل كانت تتسابق إليها الحكومات المختلفة في مصر من ذوي اليسار من الأهالي لإقامتها لطوائف من الشعب من محدودي الدخل نظير العشر من تقييم أجرتها حتى لا يثقل كاهل العاجزين منهم عن دفع الأجرة كاملة، وكانت هذه الرباع تتألف من طابق أو أكثر في كل منها منازل تتألف من طابقين في كل طابق منها حجرة ومرحاض ومطبخ وفسحة.

ويرتقي عهد إقامة هذه الرباع لهذا الغرض إلى عصر الفتح العربي لمصر، وقد كتب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص أن ينزل كل قبيلة من العرب الذين اشتركوا في الفتح في مرابعهم، فأقام لهم مرابع سكنوها ثم آلت إلى ورثتهم من بعدهم، وشاهد ناصر خسرو من هذه الرباع في عهد المستنصر

حوالي ثمانية آلاف ربع في القاهرة ومصر، قال: «والسلطان «الخليفة المستنصر» يؤجرها ويحصل على أجرتها في كل شهر».

ربع الظاهر بيبرس الأول: وأشهر رباع القاهرة وأكثرها ذكرًا الربع الذي أقامه الملك الظاهر بيبرس الأول في سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، بسوق الخروفيين، بين بابي زويلة والفرج، وقد بلغ عدد بيوته تسعين بيتًا «شقة»، كل شقة تشتمل على ثلاث حجرات بمنافعها، وبني بأسفله مائة دكان للمرتزقة، وأنشأ في مؤخره السبيل والمكتب الذي تبقى من أثر ذلك، وموضع هذا الربع اليوم في المستطيل الذي يمتد من حارة سليم بشارع تحت الربع إلى عطفة الفقراء المعروفة بالهوا حاليًا، وقد دثرت أغلب مساكن هذا الربع وبقيت منه بقية داخل حارة سليم، وأقيم على ما دثر منه مباني المرحومة عائشة عبد الرحمن الرويني، ورضوان المؤيدي، وحسن كاشف نور الدين، وجوهر أغا الحبشي، وتقوم هذه المباني لهؤلاء الملاك على أرض الربع بالتحكير من وقف الظاهر بيبرس المذكور كما رأينا في وثائقهم الوقفية[1].

ويأتي بعد هذا الربع **ربع صرغتمش** بلصق مسجده من الجهة الشرقية، ثم **ربع قانصوه الغوري** الذي يعلو مبنى الوكالة المعروفة به بشارع التبليطة بالقاهرة، وهو من آثار القاهرة بقائه سليمًا إلى يومنا.

ثم **ربعا رضوان الفقاري** بقصبة رضوان خارج باب زويلة[2]، **وربع نفيسة قادن** بسوق الخلعيين «حارة الألايلي أو القاياتي بالقاهرة»، **وربع قايتباي بالأزهر**، **وربع سليمان باشا بتبليطة الأزهر**، **وبسوق العصر ببولاق**، **وربع الملك الأشرف برسباي بالمناخلية** بالقاهرة، **وربع قوصون** بشارع باب النصر وكان به ٣٦٠ بيتًا يسكنه أربعة آلاف نفس كما يذكر المقريزي[3].

وكانت القاهرة تغص بهذه الرباع كمنازل شعبية لمحدودي الدخل من الأهالي، ويقوم مقامها الآن المساكن الشعبية التي دأبت حكومتنا الحاضرة على إقامتها لنفس الغرض.

(١) عن وصف هذا الربع، انظر: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٤.

(٢) تنسب هذه القصبة إلى الأمير رضوان بك الفقاري الجركسي أمير الحج المصري في القرن الحادي عشر الهجري، كان وافر الحرمة، مسموع الكلمة ملازمًا للصوم والعبادة، عَمَّر القصبة في سنة (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)، وجعل بها مجموعة من الدور والحوانيت المجاورة = لباب زويلة والتي بنيت على أرض ربع الدهيشة الذي بناه الأمير جمال الدين الأستادار بأمر من الناصر فرج بن برقوق في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، والمعروفة بزاوية الدهيشة وبه عرف شارع تحت الربع، وأنشأ الزاوية التي بها والزاوية التي بحارة القربية، وتربته بصحراء الإمام الشافعي قرب عين الصيرة داخل حوش يعرف بحوش رضوان بيك، وخط قصبة رضوان أوله تقاطع شارعي تحت الربع والدرب الأحمر وآخره أول شارع الخيامية، والتي أراد رضوان بك أن يحاكي بها القصبة القديمة بالقاهرة وأعظم أسواقها، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٢٩٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٣٢، ١٣٦؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٧٧-٧٨.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٩-٣١٠.

سقايات القاهرة

تمتاز القاهرة بمجموعة من السقايات «الأسبلة» يتمثل فيها الفن الإسلامي تمثيلاً رائعًا، ويبدو فيها عامل التدرج والتبدل الزمني في الريادة متأثرًا تأثيرًا بليغًا، يجعل منها منظرًا جميلاً، وقد يكون مشتركًا في بعض الأحيان، ومما زاد هذه السبل جمالاً وبهاء ورواقًا؛ استعمال الرخام الملون باللونين الأحمر والأسود في وجهات هذه السبل وأرضيتها، وكانوا يصنعونه فيها كما يصنعونه في المحاريب بطريقة هندسية جميلة، يتألف منها مجموعة أشكال في غاية النفاسة والإبداع والدقة، قد تضارع في بعض الأحيان غضائر القاشاني المفصصة كما نرى في محراب جامع المادراني، فقد اجتهد مهندسه ابن الطولوني «ابن السيوفي- في النسخة المخطوطة» أن يظهر هذا الرخام في المحراب بمظهر يرفع من قيمة هذه المادة ويضع في موضع الفيسفساء، وقد نجح في هذه العملية نجاحًا كان قدوة لمن خلفه من المهندسين حتى اليوم.

ولدينا أمثلة من ذلك في مجموعة مساجد وسبل أنشئت بعد سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وهي السنة التي شاع فيها استعمال هذا النوع من الرخام، بعد أن تضخمت أسعار الفسيفساء وتعذر استيرادها لأسباب مشروحة، ومن ثم ظهرت المحاريب في المساجد والسبل وغيرها بهذه البلاطات الدقيقة ذات اللونين الأسود وهو الغالب فيها، ثم الأحمر بما يتخللها من أسلاك الفضة وقطع الصدف أو السن، بمظهر يعادل ظهور القاشاني والفصة قبل ذلك التاريخ، وشملت بعد واجهات المساجد وأرضيتها وجدرانها؛ وواجهات السبل والمآذن في النادر، وقد فصلنا الكلام عن هذه الناحية من الوجهة الفنية لدى كلامنا على أول مسجد ظهر بهذا المظهر الفائق البديع في القاهرة الأثرية.

ونرى في السقايات النسوية ظاهرة جديرة بالإعجاب، شاءت المرأة فيها أن تعبر عن نفسها بنفسها بإبداع أعز شيء لديها وأحسن ما يزين صدرها في واجهات هذه السبل، مثال ذلك ما نراه واضحًا في سقاية السيدة رقية دودو بسوق السلاح، ذات النهدين البارزين، وسبيل السيدة نفيسة بالسكرية، وقد اشترك الرجل مع المرأة في هذه الظاهرة في

هذا العصر ومنذ ألف سـنة فقد بلغنا عن ميمون دبه أنه أراد أن يمـيز بابه تمييزًا لم يسـبق له، فصور بأعلى وجهته بالبارز صورتي نهدين، وبهذا اسـتطاع أن يترك لنا أثر هذا الرمز في شارع يخترق القاهرة وهو شارع بين النهدين الذي كان يسـمى فيما مضى بشارع بين السورين، وكان الباب هو المسمى بباب النهدين [انظر الكلام على ترجمة جامع الخوخة والمدرسة الزينية بهذا الكتاب].

والسقايات أو السبل التي تنشأ في الطرق العامة لسقي المارة هي نظام اختص به الإسلام وحده، فقد نوه بها كتاب الله تعالى في غير ما آية كريمة، وروي عن رسـول الله ﷺ قـوله: «في كل ذات كبـد حرَّاء أجر»، كما سـئل ﷺ «أي الأعمال أفضل، قال: سقي الماء».

وأول السـقايات العموميـة في الإسـلام هي تلـك السـقايات التي أقامها عمر بن الخطـاب في طريق المدينة بينها وبين مكة، وقد كانت النواة الأولى لما أنشـئ بعد ذلك من السقايات في الممالك الإسلامية إلى يومنا هذا.

وقد بالـغ الملوك والأمـراء في كل عصر من العصور الإسـلامية بإظهار هذه السقايات بمظهر العظمة والفخار، فبنوها مفردة في بـادئ الأمر، ثم ما لبثـوا أن حولوها إلى جوانب المساجد، وأنشؤوا فوقها طبقة أو أكثر لجعلها مكتبًا لتحفيظ القرآن الكريم للصغار، وبلغت السـبل في القرن التاسـع الهجري في المملكة المصرية مبلغًا عظيمًا من الفن الإسـلامي، كما توحي إلى منشـئيها بتخليد ذكراهم وبقاء أعمالهم جزاء قيامهم على إجراء هذه الصدقة الجارية.

ويوجد لدينا من مخلفات هذه الأسـبلة نحو الأربعين، ولا نذكر منها إلا ما كان قائمًا ويحمل طابعًا يلفت النظر، أما ما اندرس منها أو تحول فسـنعرض عنها لكثرتها، وسنتتبع في ذكرها ودراستنا لها من الناحية الفنية.

الأسبلة المفردة

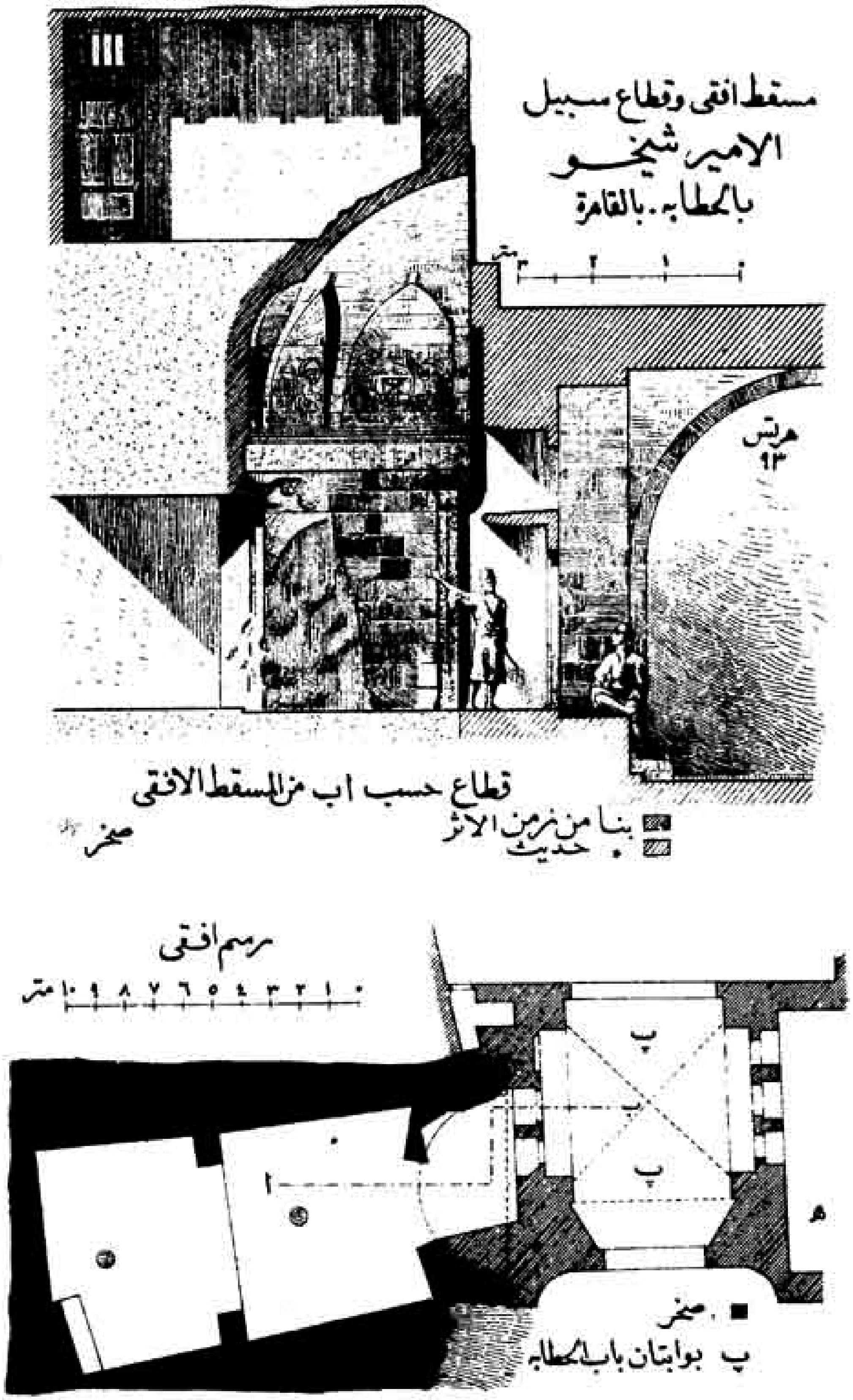
وكان لدينا من الأسبلة المفردة؛ سقاية أنشئت في أواخر القرن السـابع الهجري تنسـب للمنصور قلاوون بيد أنها اختفت عن الأنظـار الآن، ويمكن تحديـد موقعها من شارع المنجدين المعروف بسوق الخلعيين سابقًا(١).

سبيل شيخو العمري: ومن الأمثلة المفردة الماثلة لدينا سبيل شيخو العمري بشارع باب الوداع (باب الوزير)، أثر رقم ١٤٤، وهو يرجع إلى سـنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، وهو سبيل فريد من نوعه، مكتوب عليه ما نصه:

البسملة... إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلاً - إلى - ولا شكورًا. أمر بإنشاء هذا السبيل المبـارك المبرور العبد الفقير إلى الله تعالى شـيخو الملكي الناصري تقبله الله. وغفر له بمحمد وآله البسـملة... قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم، في كل ذات كبد حرا أجر سـئل الرسـول صلى الله عليه وسـلم: أي الأعمال أفضل، قال: سـقي الماء. أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى شـيخو الملكي الناصري. وكان الفراغ في شهر ذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة.

وقد سبقه في هذه الميزة أسبلة أخرى، بيد أنها اندرست وبقي لنا منها:

(١) أقدم السبل المفردة القائم إلى الآن سبيل الملك الظاهر بيبرس (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، بشارع تحت الربع وهو المعروف بمصطفى حبشي، ولا يزال مطبوعًا بطابع هذا الملك، ويحمل شارته الأسد الرابض. (المؤلف)


مسقط افقي وقطاع سبيل
الامير شيخو
بالحطابة . بالقاهرة
متر ٣ ٢ ١ ٠
هرتس
٩٣
قطاع حسب اب من المسقط الافقي
بنا من زمن الاثر
حديث
صخر
رسم افقي
١٠ متر ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
ب
ب
ا
هـ
صخر
ب بوابتان باب الحطابه

سبيل الحاجة سالمة: بخط المقس (شارع باب البحر) رقم ٤٠ تنظيم، وقد دثر هذا السبيل وعفي أثره، وكان بأعلاه لوحة كتب فيها في أربعة أسطر ما نصه:

أنشأ هذا السبيل المبارك تقربًا إلى الله تعالى، الفقيرة إلى الله تعالى الراجية عفو الله ورحمته، الحاجة سلما زوجة الجناب المرحوم العلاي الأمير علي بن التركماني وذلك في شهر ربيع الأول سنة ... وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية أحسن الله ..... بمحمد وآله وصحبه

وهذه اللوحة محفوظة الآن بجامع شقيق زوجها الأمير محمد بدر الدين التركماني، بدرب التركماني بباب البحر رقم ٢٣، على قيد غلوة من السبيل (انظر ترجمة هذا الجامع)، ثم نقلت وأودعت هذه المذكرة بدار الآثار العربية، وهو من منشآت سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م).

سبيل الأمير تاني بك: وأحسن الأمثلة المفردة القائمة بالقاهرة إلى اليوم، سبيل الأمير تاني بك قرا المعروف بسبيل السلطان قايتباي برأس سويقة منعم «شارع صلاح الدين أو الصليبة»[1]، وهو مثال للسقايات الفريدة في نوعها، وتحفة فنية رائعة يتجلى فيه الفن الإسلامي بوضوح، مكتوب على جانبي بابه ما نصه:

أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك السعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي بتاريخ شهر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وثمانمائة.

وكتابة أخرى بسقفه، نصها:

البسملة..... أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه . وكان الفراغ من هذا السبيل المبارك السعيد في شهر رمضان المعظم قدره سنة أربع وثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية الحمد لله.

وقد جاء عن هذا السبيل في تاريخ السخاوي وابن إياس ما خلاصته: «الأمير تاني بك قرا، أصله من مماليك السلطان إينال ثم ترقى في دولة الأشرف قايتباي، وتولى عدة وظائف منها تاجر المماليك والدوادارية الثانية، ثم بقي مقدم ألف، ثم حاجب الحجاب، ثم رأس نوبة كبير، ثم أمير مجلس، توفي في شعبان سنة (٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م) قتيلًا بالقدس، ومن آثاره السبيل والصهريج الذي أنشأهما برأس سويقة منعم تجاه الرميلة، وصرف على ذلك من ماله مالًا له صورة، فلما كمل بناء ذلك قدم هذا السبيل والصهريج للسلطان قايتباي، فصار من ذلك يعرف بسبيل السلطان، وقد افتتحه السلطان في ربيع الأول من هذه السنة (٨٨٥هـ/ ١٤٥١م)، ومن آثاره المسجد اللطيف الذي أنشأه بجوار بيته عند خوخة القردمي».

وقد كثر إنشاء نوع الأسبلة المفردة في العصر العثماني، إلا أنها تطورت بهذا الفن الجديد، وأول ما أنشئ منها في هذا العصر سبيل الأمير خسرو بك بالنحاسين الآتي نصه التاريخي، وتلاه عدة سبل أخرى منها[2]:

(١) للسلطان قايتباي من هذه الأسبلة مجموعة ذكرناها في منشآته، أنشئت فيما بين سنة (٨٧٩-٨٨٤هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٩م). (المؤلف)

(٢) عن الأسبلة في العصر العثماني، انظر: محمد أبو العمايم، آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، مجلد ٢، جزء ١ الأسبلة =

سبيل الأمير قيطاس: بشارع الجمالية إلى جانب الدرب الأصفر، أنشأه الأمير قيطاس بك المذكور في سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م)، وهو من السبل المفردة الجميلة التي أنشئت في هذا العصر، مكتوب عليه ما نصه:

أمير اللوا قيطاس بك الذي علا
ورب السما بالفضل في مصر أظهره
بنى مكتبًا لله قصد ثوابه
وخير سبيل قد سقى الناس كوثره
لقد قلت فيه مادحًا ومؤرخًا
سبيل فريد الحسن قيطاس عمره

ثم **سبيل السلطان محمود** بشارع درب الجماميز (١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م)، و**سبيل السلطان مصطفى** بميدان السيدة زينب (١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م)، و**سبيل بشير أغا** (١١٣١هـ/ ١٧١٩م)، وعدة أسبلة أخرى من هذا النوع.

سبيل إبراهيم بك: بيد أن الأسبلة في العصر العثماني الأخير أخذت تشق طريقًا آخر جعل منها منظرًا خلابًا، كسبيل الأمير إبراهيم بك، بسوق لاجين «شارع سوق العصر حاليًّا»، وبالنظر إلى أصل هذا السبيل نجد فيه ميزة فنية انفرد بها، وهي استدارة وجهته وجمال نقوشه، وطبقته العليا التي كان بها الكتاب، وقد تخرب هذا السبيل وبقي رسمه إلى الآن ماثلاً بالمنطقة المذكورة.

وبأعلى هذا السبيل مذكرتان الأولى نصها:

سبيلاً صفًّا وردًا
وتم محاسنا
كزمزم بالمأمول
يظفر قاصده
بما حاز من نفع
البرية قد سما
مقامًا بابراهيم
تزهو مشاهده

والمذكرة الثانية نصها:

كسته أيادي السعد عقدا من البها
به زينت جيد الزمان فرائده
وألسنة البشرى تؤرخه زكا
سبيل صفت للوافدين موارده

ومنشئ هذا السبيل هو الأمير إبراهيم بك الكبير، وهو المترجم له في تاريخ الجبرتي، مات في صفر سنة (١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م)، ودفن بتربته المقدم ذكرها بالشافعي[١].

وقد آل هذا السبيل في سنة (١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، إلى مملوكه إسماعيل بك، وأدرجه في كتاب وقفه الصادر بتاريخ ٨ من صفر سنة (١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، [مسجل برقم ٢٩١]، ضمن موقوفات أخرى له بهذه المنطقة، ومات إسماعيل بك في سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، وآل وقفه إلى عتقائه بالشرط، وتنظرت عليه وسيلة بنت عتيقة عبد الرحمن أغا، وفي عهد نظارتها للوقف بدأ الخراب يشن على هذا الأثر، فنقض وبيعت مفرداته، وذهب عنه ذلك النظام البديع الذي كان مطبوعًا به، وهو الآن بقية من أصله تظهر في أجزاء منه إلى جانب النص التاريخي.

تزوج إسماعيل بك بابنة مولاه المذكور وهي المرحومة الست عديلة في سنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦١م)، وزفت إليه من بيت

= وأوجواض السقاية (استانبول، ٢٠١١). André Raymond, "Les fontaines publiques (sabīl) du Caire à l'époque ottomane (1517-1798)", *Annales Islamologiques* (*AnIsl*)15 (1979): 235-291.

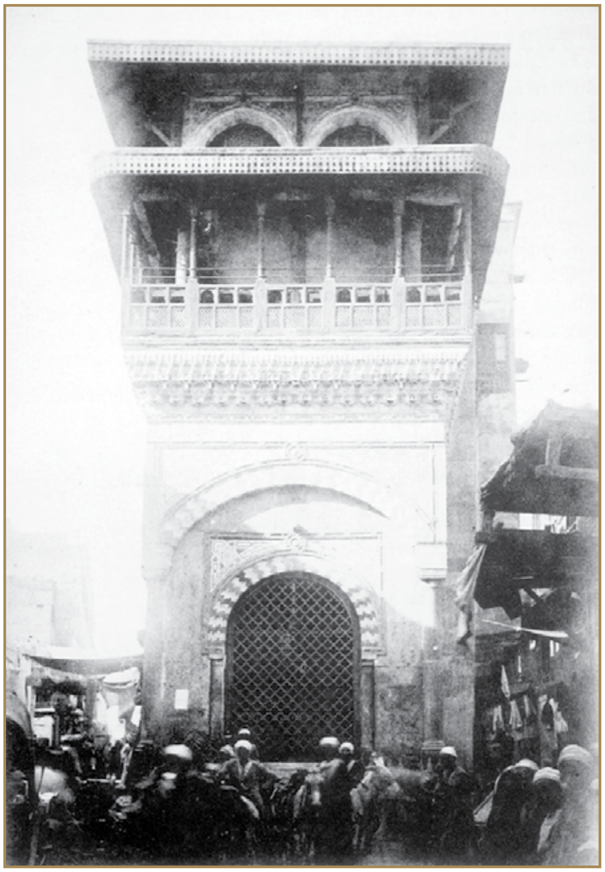
(١) عن سيرة إبراهيم كتخدا، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٣٢٣-٣٢٤.

أبيهـا بباب الهواء، وهو البيـت الذي آل آخيرًا إلى المرحومة شـطرات هانم عتيقـة محمد علي وزوجة محمد خورشـيد الكرجي، ماتت أواخر سـنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، ولم تعقب من زوجها المذكور، وآل البيت إلى ورثة خورشيد باشا، وباع أخوه عثمان غالب نصيبه في البيت.

وبعد وفاته في سـنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، تنظرت الوزارة على وقف كل من إبراهيم بك وإسـماعيل بك وشـطرات هانـم، وهذا الأخير صدر في سـنة (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، وفيه وصف للبيت حين كان قائمًـا بمفرداته، أما الآن فلم تبق منـه إلا بقية تظهـر في قاعته العلوية بسـقفها المزخرف باللمعة الذهبية، ووقف إسـماعيل بك وقفًا مشتركًا آل إلى عتقاء الوقف وإلى ذريتهم من بعدهم.

سبيل عبد الرحمن كتخدا: وبـنى الأمير عبد الرحمن كتخدا في سـنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م) سـبيلًا في شـارع بين القصرين، استطاع أن يجعل منه سبيلًا فاق كل الأسبلة التي أنشـئت في هذا العصر[1]، ويمكن القول بأن هذا السبيل مجموعة مستقلة يتمثل فيها الفن الإسلامي من سائر نواحيه بصورة مكبرة جدًّا، إذ كل ما فيـه من مفردات تدل دلالة واضحة على تقرير هذه النظرية، ولست الآن بصدد وصف هذا السـبيل من ناحيته الفنية، بيـد أني أعرضه عرضًا في هـذا المقام حتى لا يفوتنا ذلك، وهو لا يزال قائمًا لليوم على رأس شارعي التمباكشية وبين القصرين رقم ٢، ويحمل نصًّا تاريخيًّا في هذه الأبيات:

هاتف العز بالسعادة نـادى
حين أمسى طرف الحسود كليلاً


منظر عام لسبيل عبد الرحمن كتخدا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

منذ أنشأت ذا السبيل وأضحى
مـاؤه السلسبيل يشفي العليلا
وغـدت ألـسن الـقـول تنادي
نلت عبد الرحمن أجـرًا جزيلاً
قـال كل أرخـه إن دعانـا
ربنا اجعل لنا النجاة سبيلاً
١١٥٧

ويماثله سـبيل آخر بناه هذا الأمير نفسه إلى جانب المدرسة السيوفية.

وقرأنا في دائرة فوق الشبك اسم المنشئ كاملاً في هذا النص:

(١) عن سيرة عبد الرحمن كتخدا، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٥.

أنشأه الأمير عبد الرحمن جاويش مستحفظان ابن المرحوم حسن كتخدا مستحفظان القازضغلي غفر الله لهما سنة ١١٥٧

وتحت هذه الدائرة أسـماء أصحاب الكهف!! وصورة للكعبة المشرفة.

سبيل الشريف هيزع (١٠٥٩هـ/ ١٦٥٠م): بحارة الغلمان الصالحية، تجاه المدرسة البردبكية «شارع أم الغلام»، قرأنا بسقفه مذكرة تاريخية هذا نصها:

البسملة، إن الأبرار - إلخ- أنشأ هذا السبيل المبارك مـن فضل الله تعالى وعونه مولانا السـيد علي بن هيزع، وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع آخر سنة ١٠٥٩

وتحقـق لي من حجة وقف المنشـئ لهذه السـقاية الصادرة بتاريخ ٢٠ من ذي القعدة سـنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، [المسـجلة بحفظ شرعية مصر برقم ١١٤ صفحة ٢٢٥]، أن الشريف المذكور اشترى جميع المكان بخط رحبة الأيدمري، تجاه المدرسة البردبكية بالقرب من المشهد الحسيني.

وفي سنة (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) بنى على ما اشتراه في التاريخ المذكور هذه السـقاية، ووقف عليها ما يملكه بحجة وقف صادرة في ٢١ من رمضان من هذه السنة.

وآل النظر على مـا وقفه وعلى هذه السـقاية لحفيده الشريف ناصر بن هاشم بن علي هيزع المذكور، بقرار صادر من شرعية مصر بتاريخ ٢٠ من شعبان سنة (١١٥١هـ/ ١٧٣٨م)، مسجل برقم ٢١٩، صفحة ٣٢٧ بحفظ شرعية مصر.

والشريف المذكـور هو علي بـن الشريف هيزع بن الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمر بن حسن ابـن علي بن قتادة، من أحفـاد الشريف عبد الله بن محمد ابن الحسـن بن موسى بن عبـد الله بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسـن المثنى بن الإمام الحسن السبط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان لأسلافه اتصال بمصر أيام الملك الظاهر برقوق، وكان هو معينًا بحكومـة مصر بوظيفة متفرقـة بالديوان العالي بمصر، وهذا السـبيل [مسـجل برقم ٢٣ ووارد في خريطة الآثار الإسلامية بالمربع (١/ ٤/ ح)].

سبيل رقية دودو (١١٧٤هـ/ ١٧٦١م): أثـر رقم ٣٢٧، بشارع سوق السلاح (سويقة العزي)، قسم الدرب الأحمر، يحمل النص الآتي:

البسملة، أسأل الله الكريم بنصر السلطان ويرحم من كان على اسمها هذا الكتاب والسبيل رقية دودو بنت بدوية شاهين سنة ١١٧٤

سبيل محمد كتخدا مستحفظان: بشـارع التبانـة، ويحمل النص الآتي:

البسملة، إنا فتحنا أنشأ هذا السبيل المبارك الأمير محمد كتخـدا مسـتحفظان كان الله له على الدوام ١٠٨٨

بأعلى الشباك من الخارج بالتركي ما نصه:

أمر بإنشـاء هذا المحل العظيم فيه إحياء كل حسن قديم

سبيل ذو الفقار كتخدا: بشـارع باب النصر، وبإزار سقف السبيل:

أنشأ هذا السـبيل المبارك من فضل الله تعالى المير محمد كتخدا ذو الفقار ١٠٨٤

بالإضافة إلى بعض أبيــات ركيكة بهذا المعنى ضربنا عنها صفحًا، وبالقاعة البحرية من الوكالة المجاورة للسبيل:

البسملة، إنا فتحنا لك- إلخ- أنشأ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى وعونه العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو القدير المتوسل بسيد المرسلين ذو الفقار كتخدا مستحفظان كان له الله معين في الآخرة وكان الفراغ في أوئل ســنة أربع وثمانين وألف من الهجرة النوبية على صاحبها الصلاة

سبيل صالحة خاتون (١١٥٤هـ/ ١٧٤١م): بميدان السيدة على رأس درب الشمسي

سبيل خليل المقاطعجي (١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م): شـارع الدردير، ويوجد أعلى الشباك البحري كتابة نصها:

وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا...أنشأ هذا السبيل المبارك الأمير خليل...سنة ألف واثنتين واربعين

وبإزار السقف من الداخل:

أنشأ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى الجناب الكريم العالي خليل ... من أمراء الجراكســة أعزه الله تعالى ... وجعل الجنة مثواه بمحمد وآله في شهر رجب المبارك من شــهور سنة ســبع وأربعين بعد الألف من الهجرة

سبيل نفيسة خاتون الدوادية: بشارع السكرية.

سبيل سعادة ومراد وعز وإقبال لمحسنة رئيسة

سبيل يوسف بك: بشارع مراسينا (الجسر الأعظم).

البســملة، إن الأبرار يشربون-إلى-شــكورًا صدق الله ربنا العظيم، أنشــأ هذ المــكان المبارك الجناب الكريم العالي أمير اللوا الشريف يوســف بك أعزه الله تعالى بتاريخ أوائل شعبان من شهور سنة أربع وأربعين بعد ألف من الهجرة (١٠٤٤هـ)

سبيل علي الدمياطي: بين المحمودية والوزيرية «سكة النبوية، درب سعادة»، قرأنا عليه هذا النص:

سبيل به الأجر في الدهر يكتب
لبانيه حـاوي الكمال المهذب
على المــقــام كــذا اسمـه
عـلي الدمـيـاط الأصـل ينسب
فيا واردًا بـه اشربــوا مـاءه
هنيئًا مريئًا من الشهد أعذب
لمنشئيه فـادعـوا فتاريخه
عليا سقيفة الرحيق الطيب ١١٢٢هـ

السقايات في عصر الدولة العلوية

وقد كان هذا التدرج العمراني في الســبل مدعاة لأن تتجه اتجاهًا آخر أكسبها جمالًا وبهاء، مثال مجموعة السبل العلوية التي تزدان بها مدينة القاهرة الأثرية ومنها:

سبيل محمد علي باشا: بشــارع المعــز لديــن الله «العقادين»، أنشأه في سنة (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م)، صدقة جارية على روح ولده الأمير أحمد طوســون، المولود سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م)، في قرية نصرتلي التابعة لدراما، المتوفى برشــيد في سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، ودفن بمدافن الأسرة بالإمام.

وقرأت على باب المزملة أبيات بالتركية مطلعها:

أول خديو حشــم ديارهم بحر كرم يعني من قوالي
من أفعالي عين واردات ١٢٥٤

وهذا النص يدعم الزعم السائد بأن لقب خديوي كان يحمله محمد علي وخلفه قبل الخديوي إسماعيل.

سبيل محمد علي باشا: وأنشأ في سنة (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م)، سبيلاً آخر بشارع المعز لدين الله «بين القصرين»، صدقة جارية على روح ولده الآخر إسماعيل كامل باشا المولود سنة (١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م)، المتوفى في شندي بالسودان في سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م)، ودفن بمدافن الأسرة بالإمام بعد نقله.

سبيل الأمير سليمان السلحدار: وأنشأ الأمير سليمان السلاح دار سبيلاً جميلاً بشارع المعز لدين الله «أمير الجيوش»، في سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، إلى جانب مدرسته بوسط سوق حارة برجوان على رأس الحارة.

سبيل الأميرة ألفت قادن: بشارع درب الجماميز تجاه جامع بشتاك، أنشأته الأميرة ألفت قادن في سنة (١٢٧٩-١٢٨٠هـ/ ١٨٦٢- ١٨٦٣م)، وهي زوجة الخديوي إبراهيم باشا، وأم المير مصطفى بهجت فاضل باشا، توفيت في سنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) بالآستانة، ودفنت في جامع أبي أيوب الأنصاري.

وقرأنا على السبيل نصًّا تاريخيًّا جاء فيه:

هـذا سبيل مـاؤه مـن زمـزم
أم كـوثـر أم مـن ثـغـور تجلى

يعطيك مختوم الرحيق معطرًا
هي ثغرة العذب الذي لا يبتلا

هل تدر من أمـرت برسم بنائه
وبجـودهـا تلك المـنـاهـل تحلى

هي عـين جـود الـقـطـر والدة
المفخم مصطفى باشا المكمل فضلا

نجل العزيز الشهير إبراهيم باشا
المستطاب على الـبريـة أصلا

فهو ابن محيي قطر مصر محمد
بـاشـا عـلي مـن أحـل وأجـلي

هي قد بنت هذا السبيل وما ترى
من مسجد لمن ارتـوى أو صلى

ولكم لها أفـعـال خـير دائمًا
سرًّا وجـهـرًا في الـبريـة تتلى

الله يحفظها ويحـفـظ بدرها
مـا دام أفـق الـكـواكـب أهلا

وسبيلها قد تم حسنًا أرخـوا
بـشرى لبنانية السبيل الأعلى

[١٢٨٠= ٥١٢ ٤٩٣ ١٣٣ ١٤٢]

وهذا النص ذاته بالتركية يوجد على المزملة البحرية جانب باب السبيل في ١٠ أسطر، وقد هدم هذا السبيل في فبراير سنة ١٩٧١م[١].

سبيل حرم أحمد باشا رفعت: وأنشأت زوجة الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا، أخي الخديوي إسماعيل- المولود سنة (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م)، المتوفى سنة (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)، سقط من قطار كان يقله إلى كفر الزيات، ودفن بعد الاحتفال به بمدافن الأسرة بالإمام- سبيلاً جميلاً يعلوه مكتب لتعليم الأطفال، بشارع المشهد الحسيني، تجاه الباب الغربي القبلي لمسجد الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مؤرخ بسنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م).

سبيل ممتاز قادن: بشارع جامع البنات، أنشأته ممتاز قادن مستولدة العزيز محمد علي باشا، وأم ولده الأمير حسين بك المولود سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م)، المتوفى بباريس

(١) هدم المكتب الملحق بالسبيل بحجة توسيع شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد). (المراجع)

سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م)، ونقل منها إلى الإسكندرية، فدفن بمدافن الأسرة بجامع الإسكندر! المعروف بالنبي دانيال.

وتوفيت المنشئة سنة (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، ودفنت بمدافن الأسرة بالصحراء بجبانة العفيفي، وهي صاحبة الوقف المعروف باسمها بجهات درين والمنشأة الكبرى وصرد، وتبلغ مساحته ٣٦٦٥ فدانًا، خصصت منها متحصل أربعمائة فدان على مدفن ابنها حسين بك المذكور بالإسكندرية، وباقيها للأعمال الخيرية، ولهذه الأميرة محاسن وآثار من فعل الخير منها هذا السبيل، وقد قصدت به عمل الصدقة الجارية على روح ولدها حسين بك[1].

وجددت دار الذهب الأفضلية «المذكورة في الدور فيما تقدم»، وسكنت بها، كما جددت مدرسة فخر الدين عبد الغني التي تجاور الدار المذكورة من الجهة البحرية.

وجاء بيت التاريخ لإنشاء هذا السبيل فيما نصه:

ليخلد اسمها ممتازا

[٦٧٤ ١٠٧ ٤٨٩ ١٢٧٠]

سبيل بمبا قادن: بشارع الصليبة على رأس شارع السيوفية، أنشأته الأميرة بمبا قادن أم الخديوي عباس الأول في سنة (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م).

على أرض حكرت لها أخيرًا من وقف مصطفى جوربجي تفكجيان المعروف بأبي الدهب في رمضان سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م).

ومساحتها ٢٥٧٠,٨٦ مترًا، أقامت عليها السبيل والمدرسة بأول سوق الأساكفة، ونهاية حكر سيف الإسلام، وشيدت عدة دكاكين في الجانب الغربي إلى المدرسة إلى حارة الخازن «شارع الألفي»، ومنزلاً واسعًا بدرب المتراس وسوق الأساكفة، ووقفت جميع ذلك بحجة وقف موثقة في ٢٨ من ذي الحجة سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م).

سبيل الخديوي إسماعيل: أنشأه الخديوي إسماعيل في سنة (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، وهو بشارع الحنفي- تجاه المسجد الذي أنشأه بهذه المنطقة للشيخ صالح أبي حديد.

سبيل زيبا قادن: وأنشأت الأميرة زيبا قادن المدعوة مستولدة العزيز محمد علي باشا- المتوفاة بالقاهرة سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، ودفنت بمدفنها بصحراء ابن الفارض بالقرافة- سبيلاً جميلاً فاخرًا بأول شارع إبراهيم (نوبار سابقًا)، رقم ٨٧ بميدان الباب الجديد، صدقة على روح ولدها الأمير محمد علي المولود بالآستانة سنة (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، المتوفى بها في سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)، ودفن بجامع أبي أيوب الأنصاري، وقد جاء بيت التاريخ منه:

سبيل زبا عذب سني الموارد

[١٠١٠٢ ٧٧٢ ١٢٠ ٢٨٢]

[١٢٨٦]

سبيل الخازندار: بشارع العباسية رقم ٢٧، أنشأه مصطفى باشا الخازندار في سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م)، وبيت التاريخ منه:

هذا السبيل لوجه الله أنشأه

وقد هدم هذا السبيل وحل في محله عمارة سكنية بميدان الجيش بالعباسية.

(١) علي مبارك، الخطط التوفيقية، مج. ٣: ٦، مج.٤: ٦٧.

حمامات القاهرة

وكان بالقاهرة مجموعة من الحمامات الأثرية لم يبق لنا منها إلا بعضها.

وقد بلغ ما كان منها في القاهرة إلى سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م)، ثلاثة وسبعون حمامًا بالقاهرة، وسبعة بالفسطاط وبولاق، وأحصت الحملة الفرنسية المفتوح من الحمامات فبلغ إلى ثمان وستين حمامًا، وقد استغني عن الحمامات اليوم بما يوجد منها في البيوت، وقد بلغت الحمامات في عصر المقريزي إلى ثلاثة وأربعين حمامًا، بقي لنا مما ذكره منها سبع حمامات ودثر الباقي[1].

(١) عن الحمامات في مدينة القاهرة، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٠٤-١٠٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٦١؛ جومار، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل**: ٢١٥-٢٢٣؛ Edmond Pauty, "Les hammams du Caire", *Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale (MIFAO)* 64 (1933); André Raymond, "La localisation des bains publics au Caire au quinzième siècle d'après les Khitat de Maqrîzî", *Bulletin d'Études Orientales* 30 (1978): 347-358.

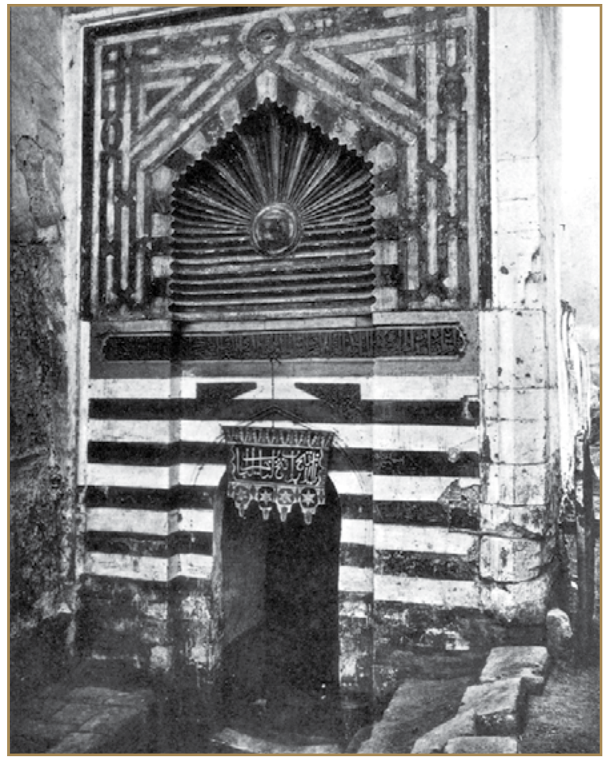
حمام بشتاك: بشارع سوق السلاح، مكتوب على بابه ما نصه:

أمر بإنشاء هذه الحمام المبارك المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري السيفي بشتاك الملكي الناصري دام عزه

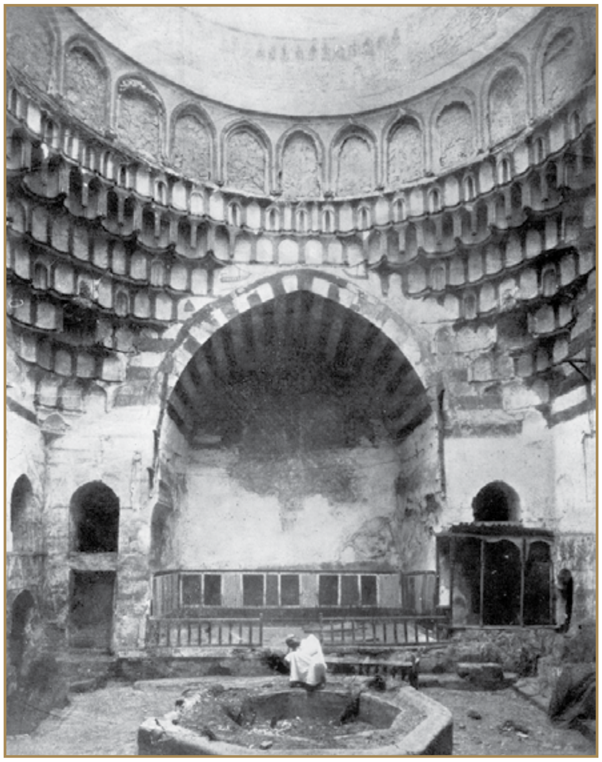
حمام المؤيد: بشارع الأشرقية (المحمودية سابقًا)، وقد أعيد تجديد هذا الحمام منذ سنوات.

حمام الخوند خديجة مراد (البارودية): بباب الخرق نمرة ١٧، أنشأتها المرحومة الست خديجة البارودية بنت الأمير مراد بك البارودي، وزوجة سليمان أغا البارودي سنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م).

وعلى واجهة هذا الحمام بلاطة من الحجر مكتوب عليها في اثني عشر سطرًا أبيات شعرية هذا نصها:



مدخل حمام بشتاك «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



داخل حمام المؤيد «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

إذا رمت أن تخلو بأنس وفرحة
فبادر لحمام الخوند خديجة
ببنت مراد قد سكنت وسترها
منيع ومقرون بحجب رفيعة
بنت ونجم السعد لاح ضياؤه
على رغم حساد لنفع أحبة
يضاجعه حمام لبلقيس في البنا
بناه سليمان لها حين حلت
بماء لجيني وحيطانه مرمر
معد لدفع الدار في كل علة
ويشفي من الأدوا إذا عز الدواء
أرى الحظ فيه قد تناهت حدوده
كذا البسط والإشراق مع كل بهجة
وليس له في الشكل ثان بأرضنا
نفيسًا يفوق الكل في حسن صنعته
يقول لداخله إذا جاء مقبلاً
نعيمًا لك البشرى بأذهاب غمة
فنسأل مولانا يديم تبارها
مع العز والإكرام في خير نعمة
وصل إله العرش ربي وسلما
على المصطفى والآل في كل طرفة
له أحمد العربي أضحى مؤرخًا
رعى الله حمامًا حوى طيب راحة
[٢٨٠ ٦٦ ٩٠ ٢٤ ٢١ ٦٠٩]
[١٠٩٠]

حمام بيسري: هذا الحمام ذكره المقريزي في عبارة مختصرة، وأفاد أن الأمير بيسري أنشأه إلى جانب داره في سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)، وبالبحث عن هذا الحمام وجدناه بشارع المعز لدين الله «بين القصرين»، في نفس المكان الذي وضعه فيه المقريزي في كلامه على خط قصر أمير السلاح،

وهو الخط المعروف الآن بدرب قرمز، تجاه باب هذه الحمام البحري الشرقي الموصد الآن، وهو الذي قال عنه المقريزي في الخطط: «هذا الخط تجاه حمام البيسري بين القصرين، يسلك فيه إلى مدرسة الطواشي سابق الدين المعروفة بالسابقية، وكان يخرج منه إلى رحبة باب العيد من باب القصر»[1].

وقد جدد الملك الأشرف إينال هذا الحمام في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، كما جاء في الطراز الذي يعلو بابها الشرقي القبلي، ونصه:

أمر بإنشاء هذا الحمام مولانا السلطان الملك الأشرف إينال عز نصره بتاريخ شهر رجب سنة أحدى وستين وثمانماية

وفي بقاء هذا الحمام بموضعه هذا ما يصحح ما ذكره علي مبارك باشا بشأنه حيث جعله بشارع سوق السمك بنهاية الخرنفش وهو خطأ نتج عن لبس بينه وبين حمام القطبية.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٩٤.

مسجد الأدفوي (القرافي)

أثر رقم ٥١٣ (سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)

هذا الأثر بقية من مسجد بصدر القرافة الكبرى بطريق البساتين، أنشأه العزيز بالله ابن المعز لدين الله الفاطمي في سنة (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) للشيخ محمد بن علي بن أبي بكر الأدفوي المصري، من أئمة القراءات وحفاظ الحديث، ألف تفسيرًا للقرآن الكريم في مائة وعشرين مجلدًا، وأهداه للعزيز، فأعجب به وبسعة علمه، وطول باعه في علوم القرآن الكريم، وقوة فهمه لكتاب الله تعالى، فكافأه عليه ببناء هذا المسجد استجابة لطلبه، قرأ القرآن الكريم على أبي غانم ولزم أبا جعفر النحاس وحمل عنه كتبه.

قال الداني في ترجمته: «انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة نافع ورواية ورش»، ومات الأدفوي في يوم الخميس السابع في ربيع الأول سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، عن ٨٤ سنة ودفن بمسجده هذا[١]، ترجمه الداني وابن الجزري في «طبقات القراء»، والسيوطي في «طبقات النحاة»، وذكر مسجده هذا جمهرة من شيوخ الزيارات، أمثال ابن عثمان في «مرشد الزوار»، وابن الناسخ في «مصباح الدياجي»؛ وابن الزيات في «الكواكب السيارة»، والسخاوي في «تحفة الأحباب»، والسكري في «الكوكب السائر»، ومعه في المسجد ضريح ولده أبو القاسم عبد الرحمن مات سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)[٢].

والمسجد لا يعرف باسم الأدفوي الثاوي فيه، بل يعرف بالقرافي، وهو الشيخ محمد بن حسين بن يوسف القرافي، من علماء المائة التاسعة، مات سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع»، و«التبر المسبوك»، وذكر إقامته بهذا المسجد ودفن به[٣].

وقد اختفت معالم هذا الأثر وبقيت منه بقية في حوش «أبو علي»، ومسجد الأولياء، وقبة طلائع بن رزيك بطريق البساتين.

(١) الشيخ الأدفوي: قيل أنه من العلماء المحدثين، وكان من السبعة الأبدال، واسمه محمد بن محمد الأدفوي، وكان مشهورًا بالعلم، ذكر السخاوي الحنفي تاريخ وفاته بسنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، دفن مع والده، وأدرك جماعة من القراء، وقرأ عليهم وله كتاب الاستغناء في تفسير القرآن، كتبه إلى أمير مصر، فكتب إلى جانبه الاستغناء عنه، ورده عليه، فدعا عليه فلم يقم غير ثلاثة أيام، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن: كان من العلماء الزاهدين في الدنيا، وله مناقب كثيرة، وكانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة سبع وعشرين وثلثمائة، ودفن مع والده الشيخ الأدفوي، وله من الإخوة محمد بن محمد بن هارون الأسواني، وهو أخوه لأمه وقبره قبلي عبد الحسيب صاحب الجلبة، انظر: المرجع السابق: ٢٧٧.

(٣) الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن عبد الله القرافي المصري: خادم جامع الأولياء، وخادم تربة الشيخ العارف الأستاذ أبوبكر الأدفوي، المعروف بالمغربل، توفي في يوم السبت سابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وثمانمائة، ودفن بالقرافة الكبرى شرق تربة الصالح طلائع، انظر: المرجع السابق: ١٨٣؛ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق لبيبة إبراهيم، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب، ٢٠٠٥): ١٢٢.

مسجد الأولياء وتربة بني النعمان

(سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)

ويلاصق هذا المسجد من الجهة العربية بقايا مسجد الأولياء[١]، وهو من إنشاء السيدة تغريد زوج الخليفة المعز لدين الله وأم العزيز نزار في رمضان سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)[٢]، أنشأته على مثال الأزهر وخصصت منه قسمًا للدرس والتعليم، وقام بتصميمه لها المهندس الحسيني بن عبد العزيز الفارسي وهو الذي وضع تصميم الأزهر لجوهر غلام المعز[٣].

توفيت السيدة تغريد في سلخ ذي القعدة سنة (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، ودفنت بتربة الزعفران بالقاهرة، وعند الباب الغربي بقايا تربة بني النعمان قضاة القاهرة، ودفن فيها القاضي محمد بن النعمان مؤلف دعائم الإسلام في الفقه الجعفري وأفراد أسرته، وفي حذاء هذه التربة تربة الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك، وقد أدركت بقايا مسجد الأولياء وما تخلف من ترب بني النعمان وطلائع وخلفه[٤].

(١) عن التفاصيل المعمارية ومحاولة وضع مخطط افتراضي لمسجد القرافة، انظر: حسن عبد الوهاب، أثر المرأة في العمارة الإسلامية، **مجلة الهندسة**، عدد ٤ (القاهرة، ١٩٣٥): ١٣٢. J.M. Bloom, "The Mosque of the Qarafa in Cairo", *Muqarnas* 4 (1987): 20; Y. Ragib, "La mosquée d´al-Qarafa et Jonathan Bloom", Arabica 41, no. 3 (1994): 419-421.

(٢) عرف هذا المسجد بجامع القرافة، وكان موضعه يعرف قديمًا عند فتح مصر بخطة المغافر، وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن موزع، ويعرف بمسجد القبة، وهو يعرف اليوم بجامع الأولياء، ثم بني عليه الجامع الجديد، بنته السيدة المعزية وهي أم العزيز بالله الفاطمي يقال لها تغريد، وابتداء بنائه في شعبان سنة ست وستين وثلثمائة، وكان الفراغ من بنائه في رمضان من العام الذي يليه، والمحراب القديم منه هو المحراب الأخضر، وكان على بنائه طلحة مولى عامر بن لؤي، وبداخله قبة مال مخصصة للأيتام، قيل إنها من بناء أسامة بن يزيد متولي خراج مصر أيام سليمان عبد الملك، ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى الآن على الزيادة التي في قبلته، وهو موضع شريف مجاب الدعاء فيه، ومازال أهل الخير والصلاح يتبركون بهذا المكان إلى الآن ولهذا اشتهر بجامع الأولياء، وهو ليس بحوش أبي علي كما يعتقد الناس؛ لأن حوش أبي علي في مكان آخر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨٨-٢٩٤، ٨٧٠؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٨٤، ٢٨٩-٢٩٠ هامش ١.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨٨.

(٤) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٥١، هامش ١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٤؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٦٠-١٦١، ٣٠٧-٣٠٨.

جامع الحاكم بأمر الله (الجامع الأنور)

أثر رقم ١٥ (سنة ٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠- ١٠١٢م)

هذا الجامع بشارع باب الفتوح «الجزء البحري من شارع المعز لدين الله» أنشأه العزيز بالله ابن المعز في سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، بيد أنه لم يتم في عهده رغم أن الصلاة أقيمت فيه في سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، فلما تولى الحاكم بأمر الله أمر بإتمام بناء هذا الجامع، فبدئ به في سنة (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)، وكمل في سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، وافتتح رسميًّا في رمضان من هذه السنة، ووقف عليه الحاكم أوقافًا بينها المقريزي في خططه[١]، والمدخل إلى هذا الجامع من بابه العمومي الذي تعلوه المذكرة التاريخية بعطفة الجامع من الشارع المذكور[٢].

قبة قرقماس: تصحيح خطأ

وهو باب شاهق تجاوره قبة حجرية تسودها البساطة من الداخل والخارج، يظن بعض الناس أنها من جامع الحاكم أو أنها لبدر الجمالي، والصحيح أنها للأمير قرقماس من ولي الدين الأتابكي أحد أمراء دولة السلطان قانصوه الغوري وأتابك الجيوش المنصورة «رئيس الجيش»، أنشأها السلطان الغوري لمملوكه قرقماس هذا في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) وتمت في شعبان من هذه السنة، ولما تمت نزل إليها السلطان واحتفل بافتتاحها في ١٨ منه[٣]، و[السجل رقم٥٧٧ ص٤٨٦ بحفظ شرعية مصر].

وطريق الوصول إلى هذه القبة، من باب يحمل رقم ٤ تنظيم، ومنه إلى فناء يحيط به سور قصير وله باب بحري، يضم بقايا من مقابر قديمة، وقد انكشفت هذه المقبرة في سنة (١٩٤٧م)، منذ بدئ بتنفيذ مشروع إصلاح وجهات جامع الحاكم وباب الفتوح وقد آل إلى قرقماس هذا

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٠٧-١١٨.

(٢) يذكر أيمن فؤاد السيد أن هذا النقش قد فقد في سنة (١٨٧٥-١٨٧٦م)، ولم يعثر عليه فان برشم في سنة (١٨٩١م)، إلى أن عثر عليه في سنة (١٩٨٠م) أثناء أعمال الترميم، تمكن بعدها محمد شاكر من تجميع اللوحة مرة أخرى، انظر: المرجع السابق: ١١١، هامش ٤؛ Sir Gardner Wilkinson, *Topography of Thebes, and General View of Egypt* (London, 1835): 299-300; Baron Von Hammer-Purgstall, "Inscription coufique de la mosquée de Hakim bi-Emrillah", *Journal Asiatique* 5 (1838): 388-391.

(٣) «وفي يوم الأحد ثامن عشرة نزل السطان، ثم توجه إلى باب الفتوح وكشف عن عمارة الأتابكي قرقماس التي أنشأها هناك، ثم عاد إلى القلعة، ويبدو أن صاحب المزارات قد اعتقد أن المقصود بهذه العمارة هي القبة المذكورة، في حين أنه بالرجوع إلى كتاب وقف قرقماس تبين لنا أنها كانت بشأن الوكالة، وعلى هذا فالقبة مجهولة النسبة، ويبدو من خلال عناصرها المعمارية أنها تنتمي إلى قباب منتصف القرن التاسع الهجري، انظر: محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ٢٤٣.

سجن المقشرة أحد سجون القاهرة[١]، وهو الآن وكالة تعرف باسم قرقماس «أمير كبير» -رقم ١٥٤ شارع باب الفتوح - أوقاف مندثرة[٢].

ويجاور هذا الباب باب آخر نصل منه إلى القبة، وليس في داخلها ما يسترعي النظر غير زواياها الأربع التي تتحلى بمجموعة من المقرنصات، وفي جانب منها تابوت خشب عارٍ عن الكسوة، ويتوسطها قبر لم يدفن فيه المنشئ كما يبدو، بيد أن بعض المصادر تؤكد أن السلطان نقل رفاته من قريته ودفنه بهذا القبر، وقد كان المنشئ بدأ بإنشاء هذه القبة في أوائل عام (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، وبقي العمل مستمرًّا فيها حتى أنشبت المنية أظفارها فيه لثلاثة وعشرين يومًا مضت من شهر رمضان من هذه السنة، فدفن بقريته التي أنشأها بالصحراء في سنة (٩١١-٩١٣هـ/ ١٥٠٥-١٥٠٧م)[٣]، ومن ثم توقف العمل في القبة حتى إذا بلغ السلطان عزم الأمير قرقماس في بناء هذه القبة وحيلولة الموت بينه وبين إتمامها، أمر باستمرار العمل فيها حتى نجزت في التاريخ المتقدم.

ويجاور هذه القبة بقايا زاوية قديمة يتصل بها قبر عليه قبة من الطوب حديثة الوضع تعزى إلى الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن سليمان بن عبد الله الصقلي خطيب الحرم النبوي، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من إنباء الغمر بأبناء العمر: «قدم القاهرة ثم سكن بجامع الحاكم ومات به في سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)»[٤]، وهذه القبة تعرف عند العامة باسم الساعي[٥].

وصف جامع الحاكم

وداخل الجامع مكون من أربعة أواوين بينها صحن مكشوف أكبرها إيوان القبلة، وسقفه من خشب وعلى طرفي محرابه قبتان يتوسطهما قبة ثالثة تعلو المحراب على نظام مساجد الغرب، ومئذنتاه من حجر ترتكزان على قاعدة

(١) سجن المقشرة: كان هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمي، كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح، استجد بأعلاه دور لم تزل إلى أن هدمت خزانة شمائل، فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم، وهدمت الدور التي كانت هناك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، وعمل البرج والمقشرة سجنًا، ونقل إليه أرباب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها، يقاسي فيه المسجونون من الغم والكرب ما لا يوصف، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٠١.

(٢) نقلت لجنة حفظ الآثار العربية هذه القبة لمنطقة القرافة بصحراء المماليك وهي أولى القباب الجركسية من الناحية الشمالية ومجاورة لقبة الأشرف برسباي، من دون فسقية الدفن (المراجع).

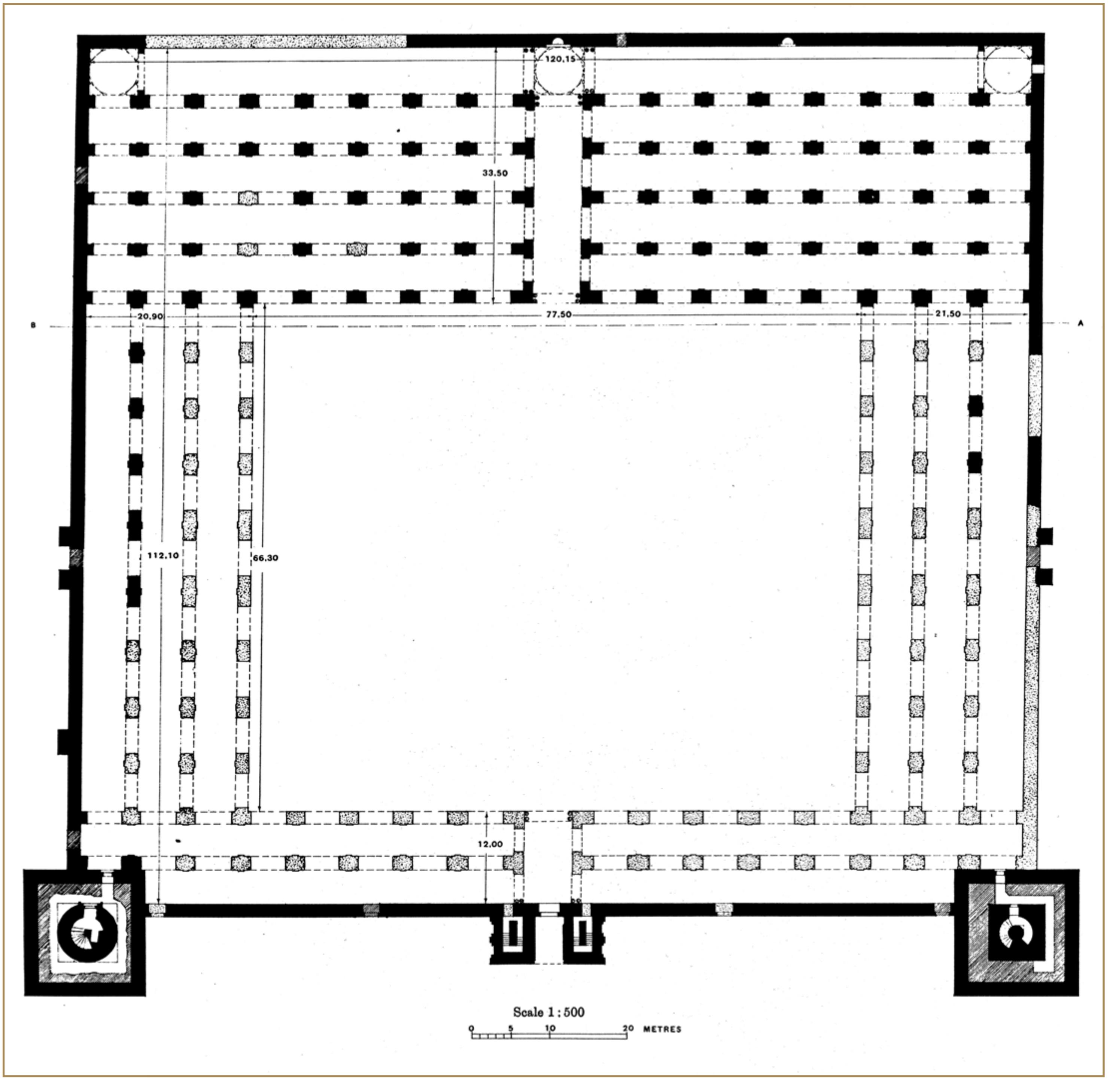
(٣) توفي الأمير قرقماس من ولي الدين أتابك العسكر بدولة الغوري، ليلة الثلاثاء ثالث عشرينه من رمضان سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، ودفنه السلطان بقبته التي بصحراء المماليك بجوار تربة الأشرف إينال، وكان أميرًا جليلًا من مماليك الأشرف قايتباي الذي أعتقه، وتولى إمرة أخورية الثانية، ثم مقدم ألف، ثم رأس نوبة النوب، وقرر في نيابة حلب في دولة الأشرف جان بلاط، ولم يتم ذلك، ثم= سجن بقلعة الشام لما توجه مع الأمير طومان باي الدوادار، فلما تسلطن هناك سجنه، فلما تسلطن الغوري، أفرج عنه من سجن دمشق، وقرره في إمرة السلاح، ثم بقي أتابك العسكر بمصر عوضًا عن قيت الرجبي لما نفي في سنة عشر وتسعمائة، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١٩٧-١٩٨.

(٤) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، مج. ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.): ٢٠١.

(٥) وقد أزيلت الترب التي كانت هناك ومنها مقام سيدي الساعي، وكان جنوبي المانرة البحرية للجامع الحاكمي (المراجع)، انظر: مبارك، الخطط التوفيقية، مج. ٢: ٢٠٠.



مئذنة جامع الحاكم بأمر الله
الشمالية «عن فييت»



مسقط أفقي لجامع الحاكم بأمر الله «عن كريسويل»

مربعة تصغر كلما ارتفعت، وقد جددت أعاليهما في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[١].

ويكتنف صحنه مجموعة شرفات جصية مفرغة ومحلاة بإطار مزخرف بنقوش كتابية، وهذه النقوش توجد بكثرة في الجامع الحاكمي منها طراز كامل دائر بالسقف بجزء من الإيوان الشرقي قوام زخرفته آيات قرآنية من سورة الفتح وطراز آخر بكل من المئذنتين في بعضه مذكرة تاريخية[٢].

ويمتاز باب جامع الحاكم عن أبواب الجوامع الأخرى ببروزه واستقلاله عن واجهة المسجد، ولهذا النظام أمثلة في جوامع المغرب، وأهم ما في الجامع زخارفه الجصية الجميلة وقد وجدت فيها بقية دلت على رقة الصحن وبلوغه مبلغًا عاليًا، ونستطيع القول بأن هذا المسجد في مجموعه وتفصيله قريب الشبه جدًّا بالمساجد المغربية في فاس والقيروان ومراكش، ولا يميل بنا القول إذا قلنا إنه نسخة منها، وقد ظل هذا الجامع موضع رعاية الفاطميين ومبلغ عنايتهم طوال مدتهم، وعني به الظاهر بيبرس بعد زوال الدولة الفاطمية فأقام الشعائر فيه وفتح أبوابه للمصلين[٣].

وفي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) نكبت القاهرة بزلزال عظيم قوض أركان هذا الجامع فسقط سقفه وأعالي مئذنتيه وبعض عقوده وأساطينه، فرسم السلطان الناصر محمد بن قلاون إلى الأمير بيبرس الجاشنكير بتجديد ما وهن منه، فجدده وأصلحه وأعاد إليه حالته الأولى، وقد تناول ذلك الإصلاح ما تقوض من مئذنتيه وما سقط من زخارف شرفاته[٤].

وفي سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م)، أمر الناصر حسن بن محمد ابن قلاون بتجديد بعض أجزاء من مفرداته[٥].

وفي سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، في عهد الملك الصالح أحدث به ابن كرسون المراحلي الصالحي دورة مياه بمرافق كاملة[٦].

وفي سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)، في عهد الملك الأشرف برسباي أحدث به فاعل خير مئذنة وجدد مئذنتيه الكبيرتين.

وفي سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، جدد الأمير دولات باي الدوادار المتوفى سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، سقاية ماء ومكتب بجامع الحاكم[٧].

---

(١) عن العناصر المعمارية والتغييرات التي حدثت لعمارة المسجد طوال العصر الإسلامي، انظر: **فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، مج. ١: ٦٣-٨٥؛** Max Herz, "Mosquée du Khalife al-Hakem bi amr Illah", *Comité de conservation des monuments de l'art arabe*, vol. 23, (1907): 132-134; K.A.C. Creswell, "The Great Salients of the Mosque of Al-Hakim at Cairo." *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* 55. 04 (1923): 573-584.; Louis Hautecoeur et Gaston Wiet, *Les mosquées du Caire*, vol. 2 (Paris, 1932): 220-225; K.A.C Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 65-106; Jonathan M. Bloom, "The Mosque of al-Hākim in Cairo", *Muqarnas*, vol. 1 (1983): 15-36; Jonathan Bloom, *Minaret: Symbol of Islam* (Oxford, 1989): 133.

(٢) Samuel Flury, *Die Ornamente der Hakim-und Ashar-Moschee: Materialien zur Geschichte der älteren Kunst des Islam*. (Heidelberg: C. Winter 1912).

(٣) فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ١: ٦٣-٨٥.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١١٦.

(٥) جدد الجامع وبلطه جميعه على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)، انظر: المرجع السابق: ١١٦-١١٧.

(٦) المرجع السابق: ١٢٣.

(٧) دولات باي الجاركسي المحمودي: نسبة للخواجا محمود جالبه للإسكندرية، المؤيدي نسبة إلى سيده نائب الإسكندرية أقبردي المنقار، الذي أعتقه وجعله خاصكيًا ثم خازندارًا ثم صار ساقيًا، إلى أن أخرجه الأشرف منها، واستمر خاصكيًا مدة، فلما صاهر جانم قريب الأشرف صار أمير عشرة ورأس نوبة، ثم جعله=

وفي سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، جدد الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ما وهن من جنبات المسجد وأمر بتزويقه[1].

وفي سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، أمر الملك الأشرف قايتباي بتجديد مطهرة الجامع وأخليته وأنشأ خلف قاعة الخطابة فندقًا[2].

وفي شوال سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، أصلح الشيخ محمد بركات بن عبد الكريم القليوبي أحد صوفية خانقاه سعيد السعداء المعروف بابن المغاربة المتوفى سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م) خلوة بسطح جامع الحاكم، وجدد مسجدًا بدرب متفرع من شارع سوق الليمون عرف به إلى اليوم (انظر ترجمة مسجد ابن المغاربة بدرب المغاربة بشارع المعز لدين الله) سوق الليمون سابقًا.

وفي سنة (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، استعمل المسجد محكمة افتتحت في السابع من ربيع الثاني من هذه السنة وبقيت إلى غرة ربيع الأول سنة (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)، ثم ألغيت.

وفي سنة (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م)، جدد السيد عمر مكرم نقيب أشراف مصر السابق، أربعة أروقة بالإيوان الشرقي وغشى المحراب بالرخام الدقيق، وأحدث به منبرًا، وأقام الشعائر فيه، وإلى هذه العمارة تشير المذكرة التاريخية الواردة ضمن أبيات من الشعر في نفس الجامع؛ وما برح حتى تخرب؛ فاتخذ منه ديوان الأوقاف مخزنًا لقسم المساجد.

وفي سنة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، استعمل جزء من إيوانه الشرقي معرضًا للآثار والتحف العربية، فظلت به إلى أن انتقلت منه إلى دارها الجديدة بباب الخلق سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) وحلت محلها مدرسة ابتدائية.

وفي سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، أجريت فيه أعمال تقوية تناولت بعض أجزاء من أواوينه وعقوده وانتزاع الكسوة الرخامية التي كانت حاجبة للمحراب الفاطمي.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: في ستة أسطر

البسملة... إنما يعمر إلخ، ونريد أن نمن إلى الوارثين مما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو علي المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة[3]

المذكرة الثانية: بأعلى الباب العمومي في روسم من سطرين:

البسملة... إنما يعمر إلخ ، دلائل الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين

= الظاهر في أول تملكه أمير طبلخاناه وأمير أخور ثاني، ثم بعد أشهر بعد أسنبغا الطياري دوادارًا ثانيًا، سافر أميرًا للمحمل في سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، ثم صار أحد المقدمين بعد تمراز القرمشي في سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م، ودام فيها إلى أن استقر في الدوادارية الكبرى عوضًا عن قانباي الجركسي، ثم قبض عليه المنصور ابن الظاهر وحبسه بالإسكندرية، ثم أطلقه الأشرف بعد شهر وخلع عليه، ثم مرض وتوفي سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، ودفن بتربته في الصحراء خارج القاهرة، له مآثر حسنة منها مكتب للأيتام وسبيل في جامع الحاكم وعمارة الميضأة به، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٢٠-٢٢١.

(١) المرجع السابق: ٧٣.

(٢) المرجع السابق، مج. ٦: ٢٠٩.

(٣) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ١٢٩؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 150

الحاكم بأمر الله

تــولى بعد أبيه العزيز بــالله[1]، فلم يوفق في الخلافة توفيــق آبائه، فســاءت المملكة وعمت الفــوضى الأنحاء والأرجاء وما برح أن قتل تخلصًا من طيشــه وعبثه، وتولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله، وقد قتل الحاكم ولم يبلغ الأربعين من عمره وقبض على قاتله بعد مرور خمس سنوات من مقتله في ســنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، فلما قدم للمحاكمة لم يمهل نفســه حتى انتحر قتلًا بجســم الجريمة نفسها بعد أن اعترف بقتله قبل أن ينتحر وعلل أســباب إقدامه على قتله بتهاون الحاكم وطيشه؛ وللحاكم آثار ومتجددات ذكرناها في مواضعهــا من هذا الكتاب، وقد غالى المؤرخون فيما نســبوه إليه من أعمال، ولم يكتب منها ما كتب إلا بعد ذهاب الخلافة الفاطمية والقضاء عليها نهائيًّا[2].

زيادة جامع الحاكم: ضريح الشيخ الكليباتي

لما تولى الظاهــر لإعزاز دين الله عــلي بن الحاكم في ســنة (٤١١- ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠- ١٠٣٥م)، رغــب في ضم زيادة إلى الجامــع الحاكــمي من جهتــه القبلية، تبلغ مســاحة القســم البحري منه فأعد لذلك مشروعًا مات قبل تنفيذه رغــم أنه بدئ بالبناء فيه[3]، فبقيت هــذه الزيادة بعد هذا التاريخ مهملة حتى اتخذت منها الحكومة الفاطمية ســجنًا للأجانب، فظل هذا السجن قائمًا مدة العصر الفاطمي، فلما انقرضــت الدولة الفاطمية وحلت محلهــا الدولة الأيوبية، أبطــل الملك الناصر صلاح الدين هذا الســجن وحوله إلى اصطبلات للركائب السلطانية، وفي عهد خلفه تحولت هذه الاصطبلات إلى أهراء (شون) للغلال، فبقيت كذلك حتى عصر الملك الصالح نجم الدين أيوب، فرفع الأهالي التماسًــا إلى الوزير معين الدين حسن (ابن شيخ الشيوخ)، بضم هذه الزيــادة إلى الجامع الحاكمي، واعتبارها جــزءًا منه وإقامة الشــعائر فيها، فرفع الوزير هذا الالتماس إلى الســلطان، فأصدر أمــره بإخلائها من الغلال وضمهــا إلى الجامع[4]، ونقــل ما كان فيها مــن الغلال إلى مكان آخــر بجوار باب الفتوح عرف بالمقشرة[5]، وهو ما يسمى الآن بوكالة قرقماس أمير كبير رقم ١٥٤ شــارع باب الفتوح[6]، ومنذ ذلك الحين ضمت هذه الزيادة إلى الجامع الحاكمي واستمرت جزءًا من الجامع تؤدى فيه الشعائر، وفي خلال سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) رسم الملك المعز أيبك إلى وزيره ركن الدين الصيرفي بإحداث بعض تجديدات فيها[7]، فكانت هذه الزيادة بعد ذلك التاريخ عبارة عن مسجد آخر مستقل عن جامع الحاكم.

وبقيت كذلــك فترة مــن الزمن كانــت العناية في توجيه إصلاح ما يتخرب منها قليلة فتطرق إليها الخراب، واســتعمل الجزء البحري منها حانة لشرب الفقاع، واتخذ منها الشــيخ محمد شرف الدين مأوى له دفن فيه بعد موته وهو الزاوية المعروفة به للآن قبلي المئذنة وما تبقى من هذه الزيادة وهو الجزء القبلي اتخذ منه الشــيخ أبو الخير الكليباتي أحد شــيوخ القرن العاشر الهجري مسكنًا له، فظل مقيمًا به حــتى توفي، فلما بلغ نعيه الســلطان الغوري أمر بدفنه

(١) عن سيرة العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز لدين الله، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ١: ٢٣٦-٢٩٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٣٢-١٣٥.

(٢) عن سيرة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله، انظر: المرجعين السابقين: ١٤٠؛ ١٣٥-١٤٦.

(٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٢: ١٥٤.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١١٣-١١٤.

(٥) المرجع السابق، مج. ٣: ٦٠١.

(٦) هذه الوكالة هدمت الآن (المراجع).

(٧) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١١٤.

في هذا المكان، ورسم إلى ناظر دولته القاضي شرف الدين الصغير بالبناء عليه، فبنى فيه ماجعله مستقلًّا فكان أشبه شيء بزاوية صغيرة قائمة بذاتها، فإنه سد شرفات عقود المدخل وبيض القبو الذي يعلوه، وحفر للشيخ أبي الخير قبرًا في القوس الشرقي ودفنه فيه، فاعتبر هذا المدخل مزارًا لهذا الشيخ من ذلك التاريخ وجهلت حقيقته، فذهبت فيه الآراء إلى مذاهب شتى: ما بين أنه زاوية جمال الدين شويخ بن صيرم، الكائنة أطلالها على اليوم بمدخل شارع الضببية رقم ١٥، وما بين أنه أثر فاطمي أو مملوكي(١).

والذي نميل إليه هو أنه لا أقل ولا أكثر من مدخل لأحد أبواب هذه الزيادة الظاهرية التي ابتدئ في ضمها سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)(٢)، وهذا ما تؤيده التفاصيل المعمارية لهذا الجزء الباقي، مضافًا إليه ما يذكره الشعراني الذي عاصره ولازمه وهو أصدق من أرخ وفاته كما سنبينه، وذلك بالرغم من أن الحمصي وهو مؤرخ معاصر يقول في ترجمته: «إن القاضي شرف الدين بنى على قبر أبي الخير قبة، وانتهت عمارتها في رجب سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)».

صفوة القول أن هذا المسجد الكائن في الجهة القبلية الغربية لجامع الحاكم بشارع باب الفتوح «سوق المرحلين سابقًا»(٣)، تجاه خط خان الوراقة أنشأه القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة المصرية في عصر السلطان الغوري في سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)، بزيادة جامع الحاكم للشيخ أبي الخير الكليباتي أحد الأولياء المجاذيب المتوفى في يوم الخميس ٣ من جمادى الآخرة من هذه السنة، وهو من معاصري الشيخ الشعراني وقد ترجمه في «طبقاته الوسطى» وأرخ وفاته في سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، كما ترجمه الغزي في «الكواكب السائرة»، وأفاد: «أن القاضي المذكور بنى له بأمر السلطان هذه الزاوية والقبة التي تعلوها»، قال: «وانتهت عمارتها في ختام رجب من سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)»(٤).

ونقل ذلك عن الحمصي المؤرخ المعاصر للقاضي شرف الدين الذي يحتمل أن يكون شهد حدوث عمارة الزاوية والقبة، ويؤيد ابن إياس في تاريخه في حوادث وفيات سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) ما ذكر بقوله: «وفي يوم الخميس ثالثة (جمادى الآخرة) كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدي أبو الخير الكليباتي وكان من أعيان الأولياء، فلما توفي دفن بجوار جامع الحاكم، وبنى له السلطان هناك زاوية»(٥).

ويقول الشعراني في «طبقاته الكبرى»، وقد أدرك الشيخ أبا الخير هذا لأول دخوله مصر في سنة (٩١٠هـ/

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢١٠-٢١١.

(٢) محمد أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**، مج. ١ (استانبول، ٢٠٠٣): ٧٦- ٨٢.

(٣) سوق المرحلين: هذا السوق أدركه المقريزي برأس حارة بهاء الدين إلى بحري المدرسة الصيرمية معمورًا بالجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه، فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الناصر فرج ابن برقوق إلى محاربة الأمير شيخ والأمير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج إليه الجمال من الرحال = والأقتاب وغيرها فإما لا يدفع ثمنها أو يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن، فاختل من ذلك حال المرحلين وقلت أموالهم، بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقي منها، ولم يتأخر فيه سوى القليل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣١٧.

(٤) الغزي، **الكواكب السائرة**، مج. ١: ٢٢٨.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٠.

١٥٠٤م): «ودفن في المكان الذي يجلس فيه قريبًا من زيادة جامع الحاكم وبنوا عليه زاوية»[1].

وهذه النصوص التي أوردناها في ترجمة هذا الأثر للوصول منها إلى حقيقة مجهولة في تاريخه تدحض كل رأي يخالفه، بيد أننا نأخذ برأي الشعراني في تاريخ الوفاة؛ لأنه عاصره وحضر وفاته، وقد يكون المراد من البناء المذكور في رواية هؤلاء المؤرخين هو تجديد ذلك العقد الظاهري تجديدًا روعي فيه تماثل قديمه، ومهما يكن في هذا الأمر من شيء فإن مسحة الفن الفاطمي على هذا الأثر بادية للعيان حتى الآن.

وهنا يحدثنا الشعراني في ترجمة أبي الخير هذا، أنه كان لا يفارق الكلاب في أي مجلس يجلس فيه حتى في جامع الحاكم، وأنه كان يستخدمها في البحث عن الضائع والمفقود فكان كل من راح له بغلة أو بقرة أو جارية أو غير ذلك، يأتيه فيطلق الشيخ أحد الكلاب التي ترافقه إلى مكان الضائع فيدل عليه، فهل لنا أن نعتبر هذه الكلاب التي كانت ترافق الشيخ في المجامع والجوامع والمعابر والطرقات أنها كانت تؤدي ما تؤديه الكلاب البوليسية اليوم، والتي تسعى في الحصول عليها الدول سعيًا حثيثًا للدلالة منها على المسروق والجناة والضائع والمفقود وغير ذلك، وإذ قد علم ذلك فالحط من شأن هذا الرجل لمجرد مرافقته لهذه الكلاب كبيرة لا تغتفر، فقد علم السبب الذي من أجله كان توجد عنده هذه الكلاب، والذي من أجله سمي بالكليباتي[2].

الكلاب البوليسية

للمرحوم الشيخ سليمان أحمد الوكيل قصيدة في هذه الكلاب البوليسية قال فيها:

عزيز علينا أن دعوناك بالكلب
فهل ثم كلب يعلم السر بالغيب؟
بدائع مولانا بأحقر خلقه
تجلت مقالي مودع السر في الكلب
ويخلق ما لا تعلمون وكلها
دلائل قد قامت على قدرة الرب
إذا قيل تدريب فهاتوا مدربًا
يجيء لكم بالمعجز البدع كالكلب
وهل فاقد للشيء يعطيه غيره
لعمري هذا منتهى الخلف والريب

(١) هذه الزيادة على الطبيعة الآن تشكل العقار رقم ١٧ بسوق الجملون الصغير «ش الضببية»، وفيه الواجهة والباب القبلي للزيادة والعقار رقم ١٧٥ ش باب الفتوح، وهو الوكالة المعروفة بحنا باخوم وما في امتدادها من الشارع حتى حوش الزيادة الذي عرف بحوش الغوازي وتحول الآن إلى حانة لشرب الفقاع، وهذا ما تحقق لي من دراسة الوثائق الوقفية لهذه المنطقة التي تقع فيها هذه الزيادة، وأخصها حجة وقف على كاشف الصابونجي، وحجج وقف وتبادل زيبا وبمبا زوجتي سليمان السلاحدار إلى حجة وقف مصطفى عبد الغني النابلسي الواقف الأول لحوش الزيادة المذكور آنفًا. (المؤلف)، انظر: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بالطبقات الكبرى**، تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٤٨٧.

(٢) أبو الخير الكليباتي: كان من الأولياء المعتقدين، وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره، وكانت الكلاب تسير معه ويرسلها في قضاء الحوائج، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب الذي يذهب معه رطل لحم، وكان يقال إنها من الجن، وكان يدخل الجامع بالكلاب فأنكر عليه بعض القضاة، فقال هؤلاء لا يحكمون باطلًا، ولايشهدون زورًا، فرمي القاضي بالزور، وجرسوه على ثور بكرش على رأسه، وكان الشيخ قصيرًا يمسك عصًا فيها حلق وشخاشيخ وكان يعرج، مات رضي الله عنه سنة عشر وتسعمائة، ودفن بالقرب من الجامع الحاكم في المكان الذي كان يجلس فيه أوقاتًا، انظر: الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ٤٨٧؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١١٥– ١١٦.

لقد ظل يخشى بأسه كل عائق
يمتد لذكراه القلوب من الرعب
وقد بايعوه أن يتواجدوا ويرجعوا
وعاهدهم الأبعد ودا إلى ذنب
فيا كلب هـول إن أمـرك هالهم
وأوقعهم في غمرة الهول والخطب
بعثت رسول السلم والأنس في الدرس
وفي دولة الإجرام أرسلت بالحرب
فقلمت أظفار الوحوش ولم تزل
تطارد ذئبًا ثم تنبئ عن ذنب
أتانا بما لم يستطعه أولو النهى
وفاجأنا بالمعجزات على كتب
فكم مخبر ينبش شرقًـا وغربًا
غيرهم كالعزل في ساحة الحرب
ألا حبذا بالواعظ الصامت الذي
أتانا بما لم يأته الناطق النبي
كفى معشر الأشرار بالكلب وازعًا
إذا وازع القائمون لم يكف في الرهب
تباركت يا من أودع الكلب رهبة
بها يستتب الأمن في سائر الشعب؟

قباب بني المغربي

أثر رقم ٤٧٣ (سنة ٤٠٥هـ/ ٩٩٢م)

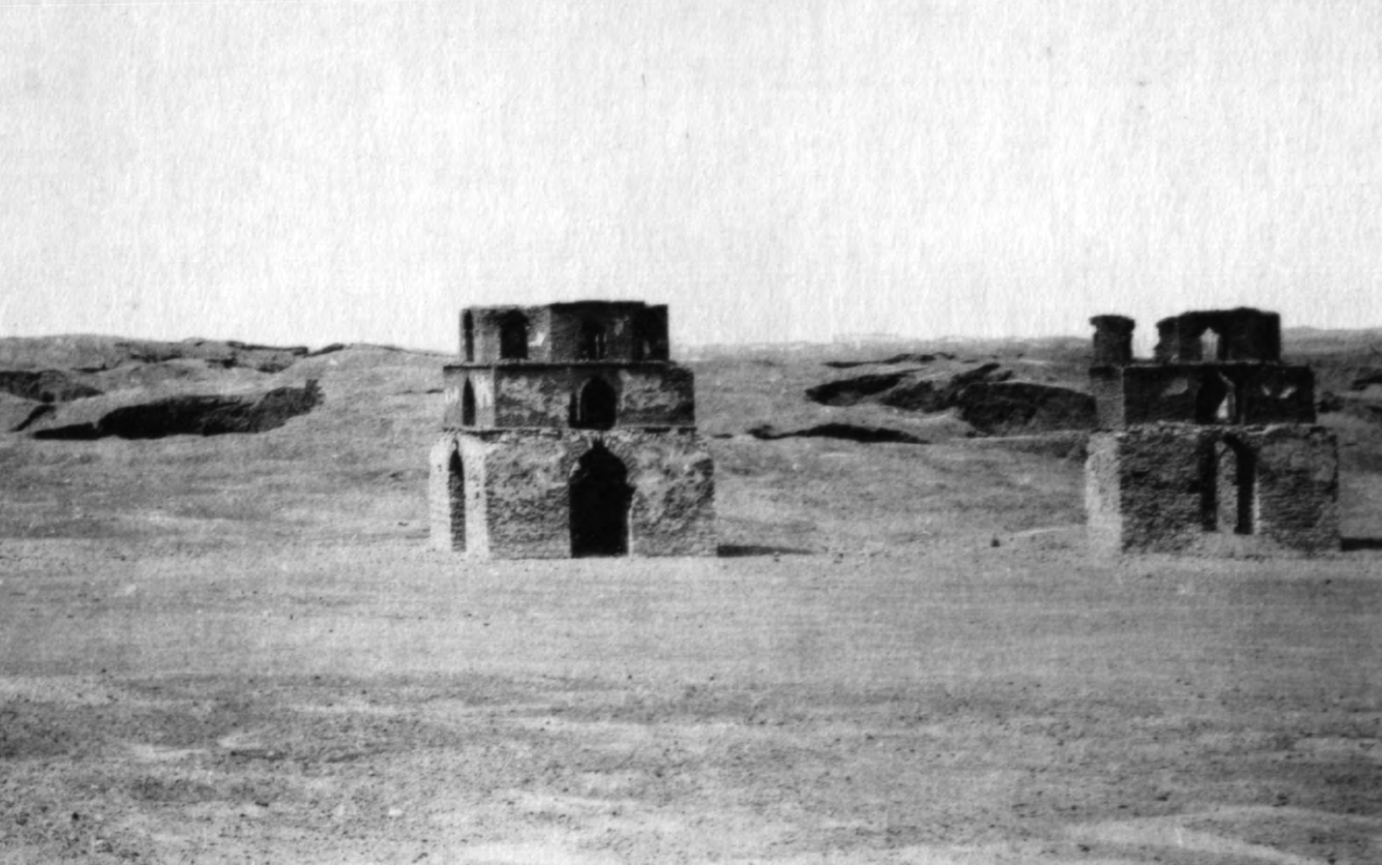
هــذه القباب أقيمت على قبور سـبعة من أفراد أسرة بني المغربي، وكانت لهم منشـأة ظاهر الفسـطاط اشتملت على بساتين ومسـجد جامع وقصر وتربة إلى مرافق أخرى، وقد دثرت جميعها وتخلف منها أربع قباب من السبعة وهي القائمة إلى اليوم بغرب البسـاتين ظاهر مدينة الفسطاط، حدها القبلي منية السـودان أو العدوية «عزبة أبو نصيري ومعادي الخبيري»[١]، والبحري الوادي ١٠٥ المسلوك منه إلى القرافة الصغرى والـشرقي وديان المقطم [١٣٠- ١٣٥- ١٠٥- ١٩٠] والغربي عزبة أبو نافع وسـكة حديد حلوان، والجزء الغربي منها يشغل عزب البسـاتين وعزبة محمد الدسوقي، والبقايا المتخلفة مـن هذا الأثر تقع بمنطقة في الشـمال الغربي تعـرف بالمطبعة، خلف الرصد وهضبة المقطم المقام عليها طواحين الهواء الناصرية، وتعرفها الأهالي باسم السبع بنات، ويبدو فيها الطابع الفاطمي الممتاز[٢].

بنو المغربي

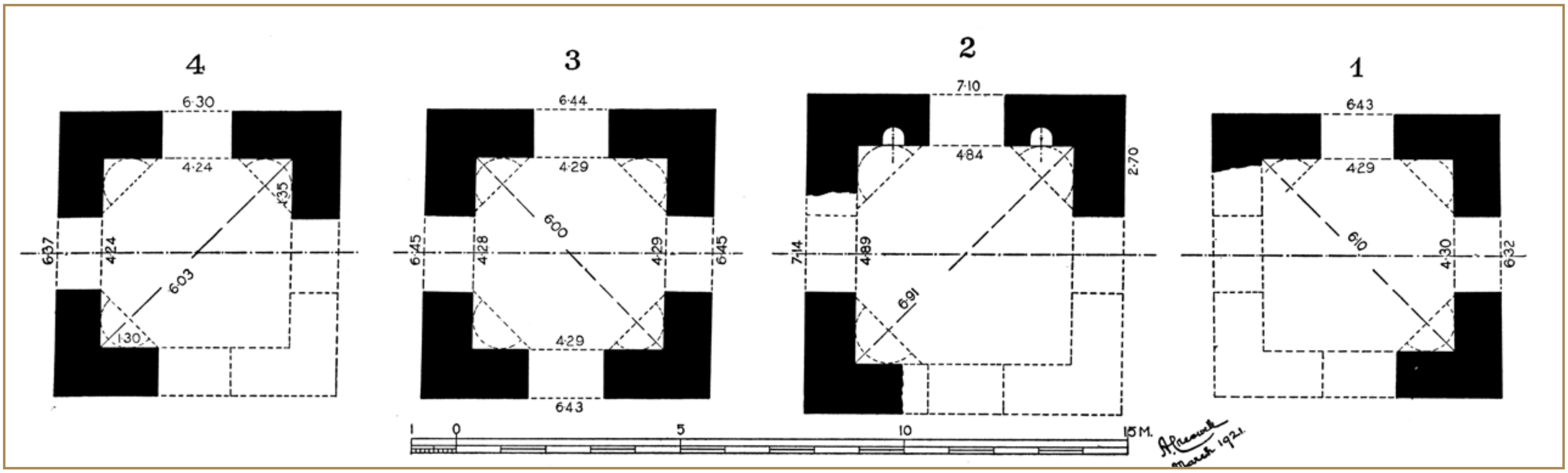
وبنو المغربي الذين نسـب إليهم هـذا الأثر هم أفراد أسرة تنحدر من أبي الحسـن علي بن الحسـين بن علي بن محمد المغـربي من أشراف البصرة، قـدم أولهم إلى القاهرة من زمن العزيز بالله في جمادى الأولى سـنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) واستقر بها واتصل خلفه بالخلفاء الفاطميين وحظوا لديهم بمناصـب عالية، وظهر منهم علماء أجلاء، كأبي القاسـم الحسـيني بن علي من علمـاء اللغة والنسـب وله فيهما مؤلفات مفيـدة، مات في رمضان سـنة (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)،

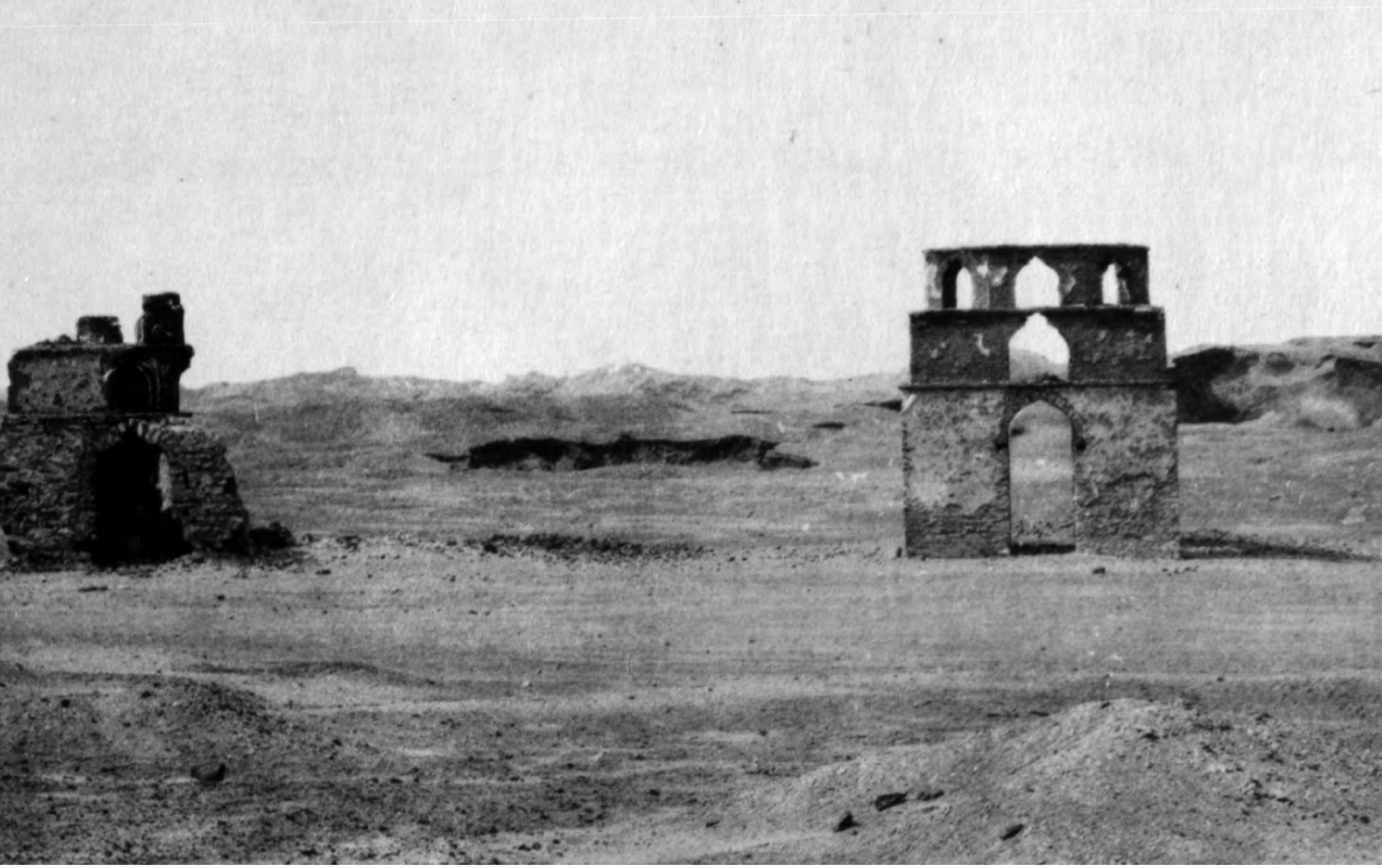
(١) معادي الخبيري: يقال لها المعادي، وهي من ضواحي القاهرة القبلية، على السكة الحديد الموصلة بين القاهرة وحلوان، من القرى القديمة وكانت تسمى منية السودان، أو منية السندان، قال عنها الإدريسي منية جليلة تتصل بها العمارة بضروب من الغلات، وهي على الضفة الغربية للنيل، والصواب الضفة الشرقية؛ حيث دير العدوية أو كنيسة العذراء، وهي قرية ذات بساتين قرب مصر القديمة بين بركة الحبش وطرا، ثم عرفت بمعادي الخبيري حيث مرسى المراكب المخصصة لعبور الناس والجند المتجهين من وإلى مصر والقاهرة وبلاد الصعيد، وكان متولي رياسة تلك المعادي يسمى الحاج علي الخبيري وبه عرفت المنطقة، وأصبح اسمها رسميًّا منذ عام ١٩٣٠م المعادي، انظر: رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣: ١٧-١٨.

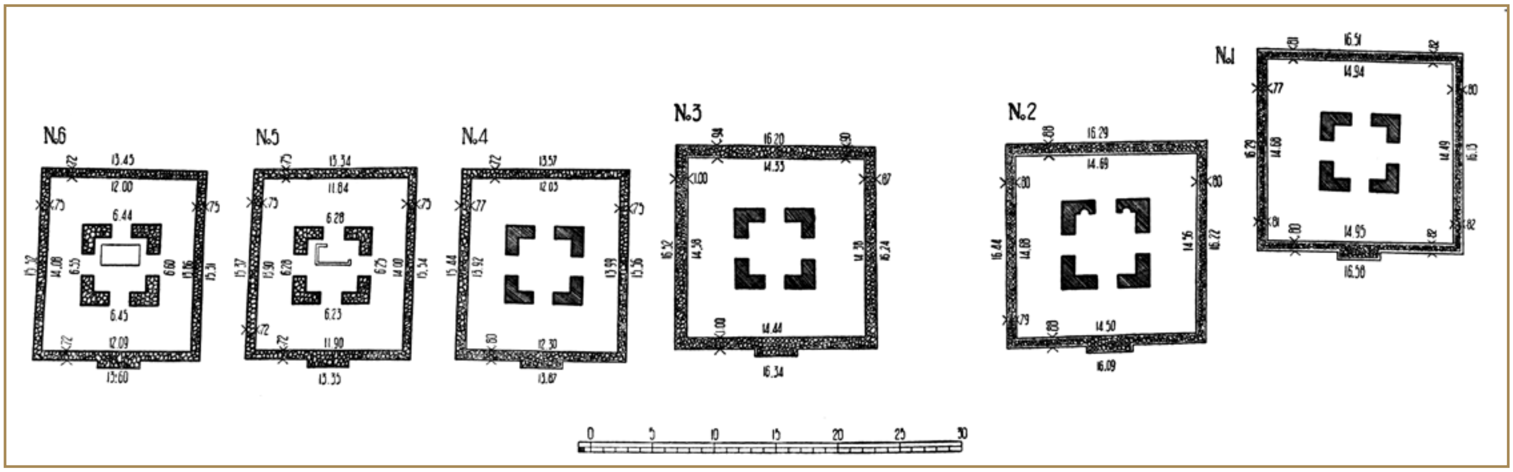
(٢) توجد أطلال هذه القباب في المنطقة الخالية المتسعة الواقعة شرق طريق صلاح سالم على بعد نحو كيلو متر جنوب عين الصيرة، وهي تعرف عند العامة بقباب السبع بنات، وما تبقى منها الآن ثلاث قباب على خط واحد، وأطلال قبة رابعة إلى الجنوب تنحرف قليلًا عنها، وهم ست قباب وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى تربة أبي الطاهر الإطفيحي المجاورة لهم، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩٠٠، هامش ٤؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٩٣، أحمد فكري، **مساجد القاهرة**، مج. ١: ٣١- ٣٣.



قبة السبع بنات «عن كريسويل»






N.6
N.5
N.4
N.3
N.2
N.1
0 5 10 15 20 25 30

ودفن بالمشهد العلوي، وطبع له بالقاهرة كتابه «الإيناس في علم الأنساب»، وقد انتهت إليه الرياسة في العلم والأدب بمصر والعراق وكان قد خرج على طاعة الحاكم بأمر الله وهرب من مصر ودعا لنفسه بالخلافة لكنه أخفق حين تتبعه الحاكم فحال بينه وبين هذه الدعوة[١]، وظهر منهم أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسيني بن علي، ولي الوزارة للمستنصر سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، ثم كتابة السر وما برح حتى مات في سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٢]، ودفن تحت قبة من هذه القباب أنشأها في سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، إلى جانب قبتي جده محمد وأبيه علي بن الحسيني[٣]، ترجم المقريزي لهذه الزاوية في كتابه الخطط[٤].

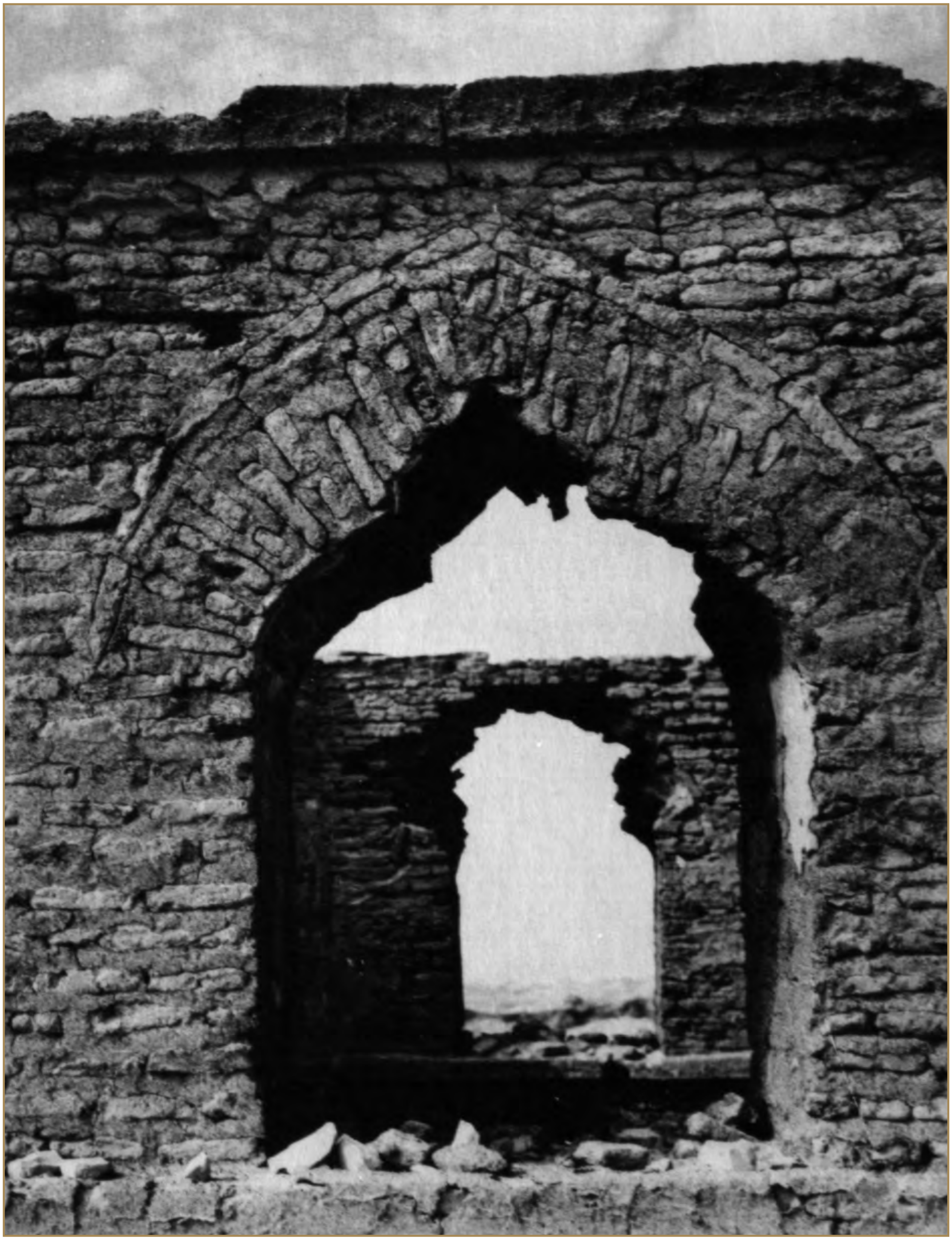
---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٢٣- ٥٢٧، مج. ٤، ج. ٢: ٩٠٢- ٩٠٤؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٧٠-١٧١.

(٢) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد (القاهرة، ١٩٨١): ١٨، ٤٧؛ هامش ٦٣، ١٩٢، المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٢٦.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٤٣- ٤٤٤.

(٤) وهذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلي مدينة مصر، والقباب السبع المشهورة بظاهر الفسطاط هي مشاهد على سبعة من بني المغربي قتلهم الحاكم بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين بن علي بن المغربي إلى أبي الفتوح بن جعفر بمكة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩٠٠.



قبة السبع بنات «عن كريسويل»

مسجد اللؤلؤة

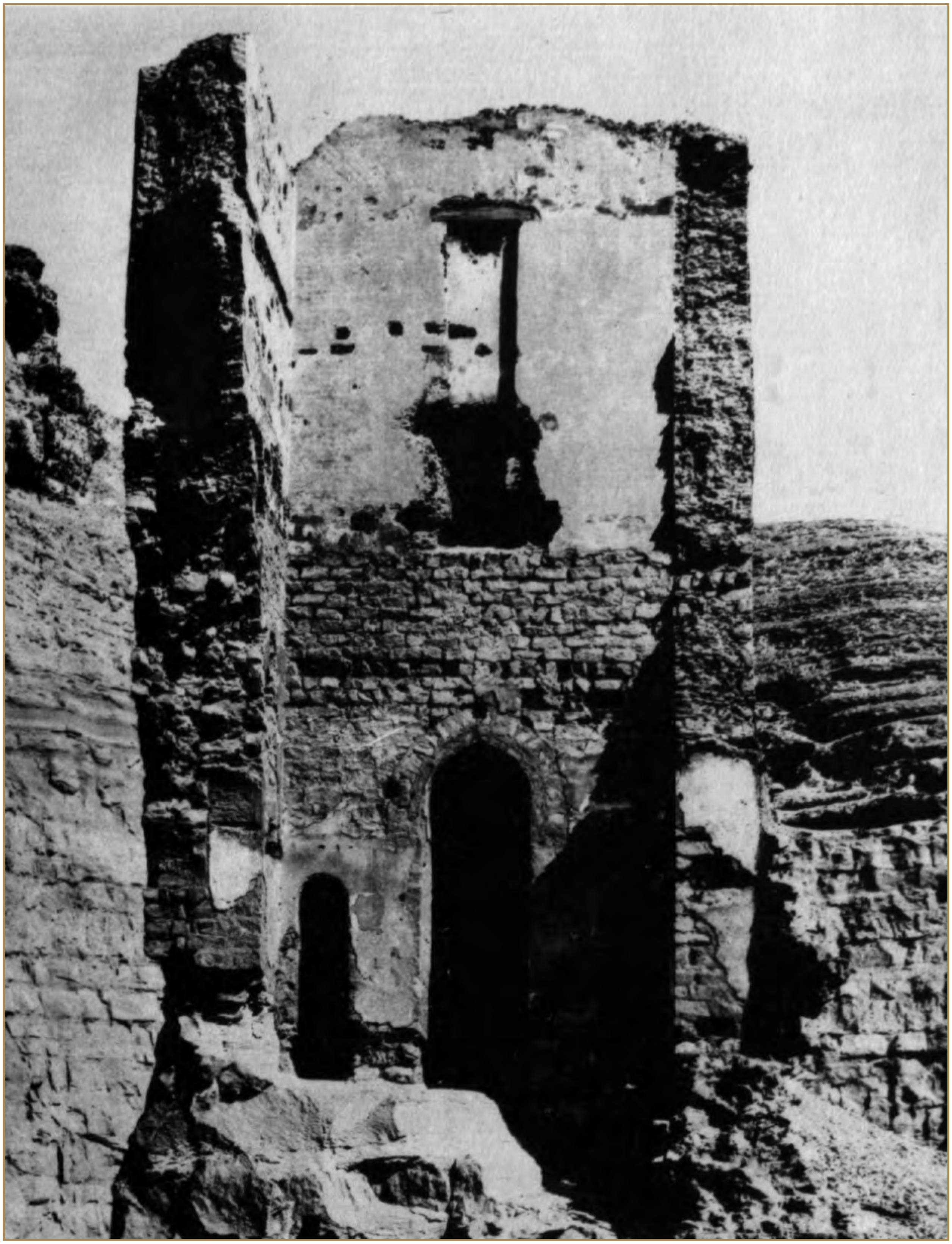
أثر رقم ٥١٥ (سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)

هذا الأثر بقايا من مسجد أنشأه الحاكم بأمر الله في سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، وسماه بمسجد اللؤلؤة، وهو بجبانة ابن الفارض بحري القبة، بين مسجد ابن الفارض وبين مشهد إخوة يوسف، وقد دثر هذا الأثر وتخلفت منه بقايا تعرف بلولو[1].



بقايا مسجد اللؤلؤة. «عن كريسويل»

(١) هذا المكان كان مسجدًا خربًا في سفح الجبل، فبناه الحاكم بأمر الله وسمي اللؤلؤة، وقيل كان بناؤه في سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، وهو بناء حسن، وهو على بعد أمتار من مشهد أخوة يوسف في سفح المقطم، كان في الأساس يستند إلى جبل المقطم لكن الحجارين عزلوه تمامًا عن هذا الموقع وأصبح قائمًا وحده بعد ان ابتعد عن جدار الجبل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٤، ج. ٢: ٨٨٧، هامش ٤؛ ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٤، ٢٩٦؛ أحمد فكري، **مساجد القاهرة**، مج. ١: ٣٠- ٣١.
K.A.C Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 113-118.



بقايا مسجد اللؤلؤة «عن كريسويل»

كهف السودان (المغاوري)

أثر رقم ٥١٧ (سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)

هذا الأثر جنوبي القاهـــرة خلف قلعة صلاح الدين يعرف بالمغاوري يطــل على وادي دجلة[١]، والمغاوري الذي نســب إليه هذا الأثر، هو أحد شيوخ الطريقة البكتاشية، واســمه بابا فيغو وفد إلى مصر في ســنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) وتدبرها برفقة ثم غادرها إلى العــراق، وعاد منها إلى مصر في سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، واســتقر بزاوية بنيت له في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) بمنشأة المهراني[٢]، وقد عرفت أخيرًا بتكية القصر العيني، وبقيت حتى هدمت في سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) في مشروع بناء كلية الطب، ومات ســنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وقد دفن بكهف الســودان بوصية منه قبيل وفاته؛ حيث كان يتردد إليه في حياته، وتتابع خلفاؤه الدفن فيه منذ سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)، ثم اتخذوه زاوية لهم منذ ســنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) بعد وفاة شــيخهم صادق بابا، وأدركنا من شيوخ هذه الطريقة الشــيخ محمد لطفي بابا بــن يحيي لانصو[٣]، وهــو ألباني الجنســية ولد بقرية دونــاوات بمدينة أركري بألبانيا، وقدم إلى مصر ســنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، وأســندت إليه مشيخة السجادة البكتاشــية بعد وفاة شيخها حيدر بابا باسي الرومي، وبكتاشي الذي ينســبون إليه هو الشيخ محمد خنكار الحاج بكتاش النيســابوري، ولد بها ســنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، ومات بناحية صوليجة قرة سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)؛ وهذه الطريقة أخذها عن لقمان أقف عن الشيخ

(١) كهف السودان: مغار في الجبل لايعلم من أحدثه، ويقال إن قومًا من السودان نقروه فنسب إليهم، وكان صغيرًا مظلمًا فبناه الأحدب الأندلسي القزاز، وزاد في سفله مواضع نقرها وبنى علوه، ويقال إنه أنفق فيه أكثر من ألف دينار، ووسع المجاز الذي يسلك منه إليه، وعمل الدرج النقر التي يصعد عليها إليه، وبدأ في بنيانه مستهل سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه في شعبان من هذه السنة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٦.

(٢) منشأة المهراني: موضعها فيما بين النيل والخليج، وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديمًا، وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها أقنة الطوب، فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان؛ ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك، وأنشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع، فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني دارًا وسكنها، وبنى مسجدًا فعرفت الخطة به، وقيل لها منشأة المهراني، فإن المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع، وتتابع الناس في البناء= بمنشأة المهراني، وأكثروا من العمائر، حتى يقال إنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة، سوى من كان هناك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت، وبها الآن بقية يسيرة من الدور، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ١٦٤-١٦٦.

(٣) مات في العاشر من ذي الحجة سنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، ودفن بالمدفن الخاص به وخلفه في المشيخة أحمد سري بابا وهو آخر شيوخها. (المؤلف)

أحمد العيسوي التركستاني أحد مشايخ الخلوتية بتركستان، وقد اعتبر هذا الكهف بمثابة ثكنة ألبانية لا يسكنه إلا هذا الجنس الألباني، وألبانيا هي القطر الأوروبي الوحيد الذي يؤلف المسلمون فيه أكثرية السكان، وهي واقعة بين بلاد اليونان وبين اليوغوسلاف وأراضيها جبلية، ويبلغ عدد المسلمين فيها إلى ٧٢٠ ألفًا أي نحو ٧٠٪ من مجموع السكان وأكثر إقامتهم في عاصمتها تيرانا وفي إشقوردة، أو مايسمي الألبانيون أنفسهم «شكسيبتاري» ومعناه رجال النسر، نسبة إلى النسور التي تعيش بين صخور جبالهم الداخلية، والشعب الألباني يقول إنه أقدم شعب استقر في البلقان وأنه أقدم من الشعب اليوناني، وقد دخل الإسلام هذه البلاد منذ أواسط القرن التاسع الهجري وانتشر في القرن الحادي عشر، وابتدأت ألبانيا تظهر في المحيط الدولي كدولة عصرية منذ ٢٨ نوفمبر سنة (١٩١٢م)، عندما اجتمع زعماؤها في فالونا وأعلنوا الاستقلال أيام حرب تركيا مع البلقان واستمرت مستقلة حتى أغارت عليها إيطاليا في سنة (١٩٣٩م) فاحتلتها، وخرج الملك أحمد زوغوين جمال باشا زغو - الذي انتخب رئيسًا للجمهورية الألبانية في يناير سنة (١٩٣٥م) ونودي به ملكًا عليها في سنة (١٩٢٨م) - من البلاد نهائيًا واستقر أخيرًا بمصر منذ سنة (١٩٤٦م)، مع زوجته الملكة جيرالدين أيوني الهنغارية وولده إسكندر وشقيقة زوجته.

وقد زرنا هذا الأثر في أوقات مختلفة، وهو يقوم على أرض صخرية مساحتها [٧ س ١٥ ط ٥ف] أي ما يعادل تقريبًا ٨٤, ٦٨٣, ٢٣م٢ وهو عبارة عن بناء متداخل في أكمة من جبل المقطم بداخله عدة مغارات يتخللها مساكن ومرافق وحدائق غناء يصعد إليه بنحو ثلاثين درجة، ومنها يصعد الصاعد إلى باب المغارة العمومي وهو يطل على أطلال القاهرة والقلعة الصلاحية، ومساحته موزعة كالآتي:

الحديقة القبلية ومساحتها	٤ س ٢٢ط	= ٣٨٩٧/٩٤متر
الحديقة البحرية ومساحتها	٢٢س ١٨ ١ط	= ٧٥١٥متر
المساكن ومساحتها	١١ س ٧ ط	= ١٣٠٥/٤٧متر
المغارة الشرقية ومساحتها	٤ س ١١ط	= ١٩٥٤/٥٥متر
المغارة الكبرى ومساحتها	١٥س ٢١ ط	= ٣٧٨٥/١٣متر
مغارة سري بابا ومساحتها	٢س ٢ ط	= ٣٦٤/٦٦متر
مغارة حيدر بابا ومساحتها	١٢س	= ٨٧/١٢متر
مغارة ومقابر ومساحتها	١٧س	= ١٣٣/٦٩متر
خزائن المياه ومساحتها	١٠س	= ٧٢/٩٣متر
طريق التكية ومساحتها	٠س ١١ط	= ١٩٢٥/٣٨متر
أرض صخرية ومساحتها	٦س ١٥ ط	= ٢٦٦٩١٥٧م٢
مجموع ذلك		= ٢٣/٦٨٣/٨٤م٢

والداخل إلى هذا الأثر من شارع بوابة الجبل وهو المدخل العمومي يجتاز سقاية ماء «سبيلًا» ومنه إلى طرقة لطيفة بالجهة القبلية منها حُجر لثلاثة دراويش ومسجد صغير للصلاة، ومنها إلى المغارة الشريفة المدفون بها شيوخ التكية، والجهة البحرية بها مغارة باسم حيدر بابا ومغارة أخرى وعدة مقابر والإدارة العامة للتكية[1]، وفي نهاية الطرقة مستطيل نصل منه إلى قبر المغاوري عليه دربوز «حاجز» من الحديد، وعلى تابوته كتابة يقرأ فيها :

(١) أزيلت هذه القبور عندما استولت القوات المسلحة على التكية في ٢٨ فبراير سنة (١٩٥٧م)، ونقلت رفات دفناها إلى مقبرة بجهة بساتين ابن الوزير «البساتين»؛ كما أخليت التكية من دراويش البكتاشية إلى دار بجهة معادي الخبيري «المعادي» واستعملت التكية بعد ذلك ثكنة للعمليات الحربية، ولم يزل دراويش البكتاشية بالدار الجديدة بالمعادي حتى توفي شيخهم أحمد سري بابا فتفرقوا بعده بحيث لم تبق منهم بقية اليوم. (المؤلف)

«هذا مقام فيغو سرسلكان علائية لي» ويتصل بالجهة البحرية أرض صخرية يليها مقبرة الأميرة روحية زوغو.

المذكرات التاريخية

والكتابات والنصوص التاريخية التي قرأناها بهذا الأثر أولها مكتوب بالباب على بلاطة من الرخام في أبيات شعرية باللغة التركية هذا تعريبها:

إن دار العارفين هذه هي مقام السلطان المغاوري
وهي صومعة عشاق الطريقة البكتاشية وهي دار
الصدق والصفاء فادخل إليها بقدم الإخلاص جدد
حيدر بابا بناء هذا الباب بناء متينًا ١٣٠٢

وتوجد وراء الباب العمومي لوحة من الرخام تحوي بيتين من الشعر ترجمتها:

يفتح هذا الباب العظيم مواجهًا للعرش الأعلى حيث
يفتح في وجه المؤمنين جنات النعيم كلما يفتح هذا
الباب يفتح باب السماء ويقرأ الملائكة «بسم الله
الرحمن الرحيم» ١٣٣٤ أثر لطفي بابا

وبعد أن يرتقي الزائر عدة درجات أخرى يجد ميدانًا فسيحًا في وسطه سبيل مربع من الرخام الثمين ذو منظر لطيف يسترعي الناظرين وبأعلاه الشعار البكتاشي، وهو عبارة عن العمامة التي يلبسها منتسبو الطريقة العلية، وهذا السبيل أنشأه الشيخ الحالي لطفي بابا ومحرر بالخط الجميل على واجهاته الأربع هذه الكتابات:

بسم الله الرحمن الرحيم . وجعلنا من الماء كل شيء
وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا . أنشأه لطفي بابا فأشرب
ماء النيل

وفي يمين هذا الميدان الصغير حديقة غناء وعدة قبور وفي الجهة اليسرى توجد الحديقة الواسعة التي تشتمل على المقبرة التي أنشأها المرحوم ساكن الجنان الأمير كمال حسين نجل السلطان حسين كامل، وفي مواجهة الباب العمومي باب آخر عليه لوحة من الرخام منقوش عليها ما ترجمته:

هذا المكان من آثار خيرات الخديو الأفخم الذي
أصدر أمره العالي بتجديد هذه التكية أرخه وجهي
قائلاً ملك مصر بنى هذه التكية

ويجد الداخل من هذا الباب طرقة فيها عدة حجرات على اليمين والشمال مخصصة لإقامة الدراويش وبعد الخروج من هذه الطرقة يجد الناظر إلى أعلى الباب آية الكرسي محررة بأحرف كبيرة، ويجد الزائر حديقة صغيرة وفي اليمين توجد حجرة خاصة لشرب القهوة وبجوارها مطبخ مكتوب على بابه في لوحة رخامية ما ترجمته:

بقيت تكية المغاوري خرابًا عدة سنين وان ينعق
البوم في سقوفها ومبانيها إلى أن قيض الله لها
خيرات العادل فجددت مبانيها بهمته العالية فلا
غرور إذا كتب عطارد تاريخًا ذهبيًّا لهذه التكية في
ديوانه ١٢٩٠
فندعو الله أن يطيل في عمر بانيها ونأمل أن يقبل
الله دعانا لقد كتب وجهي هذا التاريخ جدد بناء
هذه التكية في عهد عباس بابا ١٢٩٠

وفي الجهة اليسرى حديقة صغيرة في وسطها نافورة بها أنواع من السمك الأحمر وبها طريق ينتهي إلى مسكن شيخ التكية وإلى مغارة تقام فيها الأذكار وتوجد لوحة معلقة على باب الصالة الكبرى فيها هذه الأبيات:

عمر محمد لطفي بابا هذه التكية في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف لأن مساكنها كانت تخربت قضاء وقدرًا فتجدد مأوى الدراويش ومسكنهم هذه التكية مخصصة لطريقة الحاج بكتاش الولي فليكن عامرًا هذا المكان المفرح على الدوام يا إلهي ! أطل عمر محمد لطفي بابا ليروي ظمأ أهل الطريقة بماء إرشاده قرأ حلمي دده هذا الدعاء وأرخ ما أجمل تجديده خانقاة المغاوري

وعلى مدخل المغارة الكبيرة التي يقصدها الزوار توجد كتابة بخط كبير محفورة على الصخر مكتوب فيها ما نصه:

﴿البسملة ... أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ صدق الله العظيم ورسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذه الزاوية المغارة باسم الشريف نعمة الله الحسني الولي سنة تسعمائة وخمس).

ويدخل الزائر من هذا الباب العظيم فيجد إلى يمينه مسجدًا جميلاً وممرًّا يؤدي إلى نهاية المغارة وعلى جانبي الممر قبور المشايخ الذين تولوا المشيخة، وفي نهاية المغارة يوجد سياج من الحديد به باب ينتهي إلى قبر المغاوري والضريح الخاص به عبارة عن لحد منقور في الصخر عليه تابوت من الرخام حفرت عليه آيات من القرآن الكريم وشاهد القبر مكتوب عليه اسمه وتاريخ وفاته وعلى القبر قبة منحوتة في الصخر تتدلى منها نجفة نحاسية ثمينة، وجدران القبة مكسوة بالرخام المائل للحمرة ويوجد في جهة القبلة محراب جميل من الرخام الملون الثمين وبجانبي المحراب لوحتان من الرخام الأبيض مكتوبتان بالقلم الفارسي الجميل بخط الأستاذ الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي الشهير، فاللوحة اليمنى محرر بها ما ترجمته:

إلهي أطل عمر الحاج كمال الدين نجل السلطان حسين والعائلة الكريمة فهو الذي عمر مقام السلطان المغاوري وسرت أرواح الأولياء من هذه القبة وبعد أن رأى صبحي هذا العمران أرخ تأريخًا هجريًّا جددت هذه التكية السلطانية بفضل جود الأمير ١٣١٥ كتبه الشيخ محمد عبد العزيز

واللوحة اليسرى مخطوط بها ما ترجمته:

إن السلطان المغاوري مدفون في هذا الكهف وهذا القبر الطاهر يعتبر مركزًا للأرواح الطاهرة جدد عمرانه الحاج محمد لطفي بابا عندما كان شيخًا لهذه التكية فأصبح مطافًا للزائرين فزره بقلب مخلص وتزود بالفيض فهو المكان الذي يتجلى فيه أخيار الدراويش إن غار أهل الله هذا مأوى لأهل الطريقة فادخله بشوق واحترام لأنه مكان السالكين كتب هذا التاريخ البديع حلمي دده[1] ما أحلى عمران هذا القبر حقًّا إنه مكان مقدس ١ محرم سنة ١٣٢١

ويوجد في أول المدخل من الجهة اليسرى القبر الفخم الذي شيده الحاج محمد لطفي بابا شيخ التكية في حياته لنفسه، وقد توفي في سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م بعد ما لبث شيخًا

(١) دده: كلمة أعجمية معناها المربي أو الأستاذ. (المؤلف)

للتكية مدة ٤١ سنة وهو السادس والثلاثون من شيوخها، وخلفه أحمد دده سري بابا وهو آخر شيوخها.

السودان الذين نسب إليهم هذا الأثر

والسودان الذين نسب إليهم هذا الأثر هم طائفة من صلحاء السودان كانوا يقيمون في زمن المعز لدين الله وصدرًا من زمن العزيز وتخلفت منهم بقية إلى عهد المستنصر؛ قدموا إلى مصر في عهد الدولة الإخشيدية في منتصف القرن الرابع الهجري واتخذوا في هذا الغار المصري القديم سكنًا لهم، وكان أبو الحسن الفقاعي أحد العلماء الأعلام يتخلف إلى زيارتهم ويوصي بهم، وقد ذكر ابن الزيات في الكواكب السيارة - حادثة علاقته بهم فقال: «إن بعض أصحابه أصابه وجع في ركبتيه فجاء إليه وقال: ياشيخ أسألك الدعاء لي، فقال له: امض إلى الجبل (جبل المقطم) فإنك تجد اثني عشر رجلًا من الصالحين فاسأل أحدهم الدعاء يدعُ لك، قال فمضيت إليه فرأيت رجلاً قائمًا يصلي فجلست حتى فرغ فسلمت عليه، وشكوت إليه ما أجد من الوجع، وسألته الدعاء، فوضع يده على ركبتي فوجدت العافية من ساعتي، ثم قال: من دلك علي؟، فقلت: الشيخ أبو الحسن الفقاعي، فقال لي: إذا وصلت إليه فسلم عليه، وقل له أنت باقٍ على شهوتك، فجئت إليه وأخبرته بذلك، فبكى بكاء شديدًا، وقال: والله لو علمت أنه يقول لك ذلك ما دللتك عليه، فقلت له: يا سيدي عرفني ما السبب، فقال: قم إلى حالك، فقلت: والله ما أقوم حتى تعرفني، فقال لي: هؤلاء كانوا اثني عشر يعبدون الله في ذلك المكان، كانوا كل ليلة تنزل لكل واحد منهم مائدة عليها اثنا عشر رغيفًا وحوتًا، فجلست معهم حتى جاءت نوبتي، فقالوا: قم، فقمت ودعوت الله تعالى وقلت إلهي لا تفضحني بين هؤلاء القوم، فلم أشعر إلا وقد وضع بين يدي مائدة وعليها ثلاثة عشر رغيفًا وحوتًا، فقلت في نفسي لو كان معها القليل من الملح تذهب به حلاوة السمك، وإذا بالملح قد وضع على المائدة، فقلت أنا سببه، فقالوا هل اشتهيته أم جاء بلا شهوة، فقلت لهم وأنا كالفرحان أنا اشتهيته، فقالوا نحن في هذا المكان لا نشتهي شهوة وأنت تتعرض وتشتهي، فلا يصحبنا صاحب شهوة، فتركتهم ومضيت وها أنا أبكي على ما وقع مني»[١].

وقد ذكرنا هذه العبارة للدلالة على معرفة هؤلاء السودان الذين نسب إليهم هذا الكهف وفي أي عصر كانوا، وفي أي عصر أحدث هذا الكهف؛ لأن المقريزي حينما ترجم له في خططه لم يتعرض لذلك وسكت عليه[٢].

آثار الفقاعي في هذا الكهف

والفقاعي هذا هو أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله الفقاعي من علماء مصر وصلحائها، صحب في نهاية أمره الشيخ أبا الحسن الدينوري صاحب الجنيد المتوفى سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م)[٣].

قال ابن الزيات: «ولما احتضر الدينوري قال له أصحابه لمن تخلفنا، قال الله خليفتي عليكم، قالوا بمن نقتدي بعدك، فقال بأبي الحسن هذا، فلما مات الدينوري اجتمع الناس على ابن الفقاعي هذا؛ ونسب إلى الفقاعي

(١) ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٣٠.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٦.
(٣) علي بن محمد بن سهل الصانع الدينوري أحد صدور الصوفية أرخ وفاته ابن الجوزي في سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)، وتبعه المناوي في طبقات الصوفية، قال ودفن بالقرافة تحت الجبل وله في الكواكب الدرية للمناوي ترجمة وكذا في مصادر أخرى. (المؤلف)

هذا مسجد الفقاعي أحد مساجد القرافة، وهو الذي أنشأه كافور الإخشيدي برسم الفقاعي المذكور»[1].

قال عنه المقريزي: «مسـجد الفقاعي هو أبو الحسن علي بن الحسـن بن عبد الله كان أبـوه فقاعيًّا بمصر، وهو مسـجد كبير بناه كافور الإخشـيدي ثم جـدده وزاد فيه مسـعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجراي وكان في وسـط هذا المسجد محراب مبني بطوب يقال إنه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، ويقال إنه أول محراب اختط في مصر، وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه بناء قبل ذلك»[2].

ونسـب إليه محراب كان قد أنشـأه بذلك الكهف في المصلى الذي كانت به، وقد عرف بمحراب ابن الفقاعي وقد سبق له أن سـكن بهذا الكهف وخالط هؤلاء السودان ثم انعزل عنهم، توفي أبو الحسن المذكور في سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) وغسله عتبة الزاهد ودفن بمسجده المذكور.

مسجد القرقوبي

وفي سـنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) بنى أبو الحسـن القرقوبي الشـاهد -وكيل مصلحة التجارة بمصر- في موضع محراب ابن الفقاعي بهذا الكهف المذكور، مسجدًا عرف بمسجد القرقوبي، وقد ترجم له المقريزي نقلًا عن القضاعي[3].

مسجد البزاز

وفي مستهل المحرم سـنة (٤٣١هـ/ ١٠٣٩م) بنى الشيخ عبد الله بن يحيى الـبزاز الأندلسي المعروف بابن الأحدب بهذا الكهف مسـجدًا، وزاد فيه مواضـع نقرها من الجبل وبنى بأعلاها مسـاكن وعمل له درجًا نقرًا في الحجر ولم تكن هذه الدرج موجودة قبل ذلك بل كان سـفحًا يتسلق الصاعد إلى الكهف منه بعد مشقة زائدة وتم العمل فيه في شعبان من السـنة المذكورة وقيل إنه صرف في هذه العمارة نحو ألـف دينار فاطمي بما يقدر بخمسـمائة جنيهٍ مصريٍّ الآن، ومـا زال هذا الكهف على هـذه الصفة حتى تغيرت معالمـه، وكان به مقابر هؤلاء السـودان ومقابر أخرى ومع مرور الزمن دثر معظمها، وتخلفت منها بقية وما برحت أن صارت أطلالًا ماثلة فلمـا دفن فيه بابا غيبي المذكور، عاد الكهف إلى شبه حالته الأولى[4].

الشريف نعمة الله الحسني

والشريـف نعمة الله الحسـني الذي وجد اسـمه في النقوش السابقة، هو من شيوخ الطريقة الجلالية المنسوبة لمولانا جلال الديـن الرومي، ترجمه الحافظ السـخاوي في الضوء اللامع، وله تراجم مطولة في كتب الإمامية «الشيعة»، وهو نعمة الله ابن عبد الله بن محمد بن نور الدين الحسيني الإيجي المشتهر بالشـاه نعمة الله الولي الكرماني، مولده في سـنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) بكرمان من بـلاد فارس (إيران)، وكان أسلافه من شرفاء مدينة حلب، وانتقل والده منها إلى

(١) ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٣١.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٩٠.

(٣) هو المسجد المعروف بالقرقوبي على قرنة الجبل المطل على كهف السودان، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٣.

(٤) لم يذكر هذا المسجد في النسخة المحققة للدكتور أيمن فؤاد سيد من كتاب المواعظ والاعتبار طبعة لندن سنة (٢٠٠٣م)، وقد ورد ذكره في النسخة المطبوعة في بولاق، والتي اعتمد عليها مؤلف المزارات، وكذا النسخة الموافقة لها في دار الجيل ببيروت، انظر: المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مج. ٢ (بيروت: طبعة دار الجيل، د. ت): ٤٥٦.

إيران وتدبر بلدة كرمان، وتزوج بسيدة من شيراز رزق منها بابنه نعمة الله هذا[١].

واتجه نعمة الله هذا بعد نشأته إلى طلب العلم، فأكثر من الأخذ عن الشيوخ بشيراز وإيج[٢]، ثم خرج إلى الحج واجتمع في مكة بالعارف اليافعي الشافعي صاحب التاريخ، وبقطب الدين محمد بن الرازي صاحب المحاكات، وقدم إلى مصر سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، واجتمع فيها بالشيخ حسني بن ناصر الدين محمد بن علاء الدين الخلاطي[٣]، وأقام كلاهما بهذا الكهف زمنًا، واتخذ الشيخ نعمة الله منه زاوية للجلاليين، ثم عاد إلى إيران واستقر بكرمان، ثم انتقل منها إلى مدينة يزد وأسس زاوية للصوفية، ثم دخل بلده تفت واستمر قائمًا بأعباء الطريقة ودرس العلم والتذكير حتى مات في بلده ماهان سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م) عن نيف ومائة سنة[٤]، وبنيت على قبره قبة جليلة بأمر الملك أحمد شاه البهمني سلطان بلاد الهند، وله تآليف في التصوف بلغ عددها إلى ثلاثمائة، ورزق من الأولاد ابنه برهان الدين خليل، ولد له بجبل يقال له بنان من جبال كرمان، نشأ ببلدة دكن واستقر بها إلى وفاته، وخلف أولادًا عدة منهم خديجة التي تزوجها نور الدين أحمد بن الصفي عبد الرحمن بن محمد الأيجي نزيل مصر، وهو الذي اجتمع به السخاوي ونقل عنه ما ترجم به للشريف نعمة الله هذا، وإلى نور الدين هذا ينسب تجديد هذا الكهف وكتابة النص السالف الذكر عليه في سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، وبرز من أحفاد نعمة الله هذا حفيده النواب أمير خان بهادر أمير كابول مات سنة (١١٩٥هـ/ ١٧٨١م)، وقد دفن بهذا الكهف بمدفن الأمير كمال حسين دلبرجهان في ١٤ أغسطس سنة (١٩٠٠م)، وعين الحياة، ودفنت به أخيرًا روحية شقيقة أحمد زوغو ملك ألبانيا، ماتت في ١٩ من ربيع الأول سنة (١٣٦٧هـ)/ ٣٠ من يناير سنة (١٩٤٨م)، وآخر ما جدد من هذا الكهف، التجديد الذي أحدثه حيدر ياسي الروبي، فقد أضاف إلى هذا الأثر ما مساحته ٣١٥٧/٥٠م، أقام عليها مساكن ومرافق وغرس به غراسًا ورتب لدراويش البكتاشية فاضل ريع ما وقفه عليهم بكتاب وقفه المحرر في ثاني صفر سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، المسجل برقم (١٠١- ٥٨٤ ص٧).

(١) نعمة الله بن عبد الله بن محمد السيد الماهاني الكرماني- وماهان من عواليها- الحنفي، تجرد وساح وحج قديمًا، وأخذ عن اليافعي وغيره، وارتقى إلى قدم عظيم في العبادة، وصار له مريدون وأتباع، وجلس بزاويته بماهان، فتسلك به جماعة، وصنف في التصوف نظمًا ونثرًا، وذكرت له كرامات وأحوال بحيث تزايد اعتقاد الناس فيه ومحبتهم إياه، وارتفعت حرمته وتزايدت وجاهته، كل ذلك مع كثرة تحجبه حتى لايظهر لأصحابه إلا بعد العصر، وإذا رأوه خروا بأجمعهم حتى تصل وجوههم إلى الأرض ثم رفعوا رءوسهم وقاموا بين يديه وهم منسكون، وهو يتكلم معهم حتى يفرغ ولبس جماعته اللبابيد، وكانت له كلمات بالعجمية لطيفة، سجعًا ونظمًا، على طريق القوم فيها ما هو رقيق اللفظ والمعنى، وللهنود والأعاجم فيه اعتقاد عظيم، مات بماهان سنة تسع وعشرين عن مائة وتسع سنين، وإن أتباعه كانوا يجهرون بما لايحتمله أهل الشرائع، عفا الله عنه، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) إيج: بلدة وسط الجبال جنوب شرق شيراز، وشمال حسن آباد (المراجع).

(٣) ناصر الدين هذا هو صاحب الزاوية بباب النصر مات بها سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، وهي بحوطة التربة المرجوشية، وخلفه فيها ابنه حتى يومنا هذا. (المؤلف)

(٤) يذكر السخاوي أن الشريف نعمة الله قد توفي سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)، انظر: المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٠٢.

مشهد إخوة يوسف (المشهد المستنصري)

أثر رقم ٣٠١ (سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)

هذا المشهد[١] بسفح المقطم بصحراء ابن الفارض بالجهة التي كانت تسمى قديمًا بمدافن محمود، ذكره ابن جبير في رحلته، وقد دخل مصر في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، وسمى الحالِ به روبيل بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين[٢].

وذكره شمس الدين محمد بن الزيات في الكواكب السيارة، وسماه بمشهد اليسع وروبيل، ونقل عن ابن عثمان مؤلف كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المؤلف سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، إنه مشهد رؤيا وذكر لذلك حكاية ملخصها «أن رجلًا بات في هذا المكان، فرأى في منامه من قال له أنا روبيل أخو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٣]، وظهر هذا المكان على أثر هذه الرؤيا، والعقل يميل لتصديق ذلك لوجود التواتر بدفن إخوة يوسف في هذا المكان قبل حدوث هذه الرؤيا.

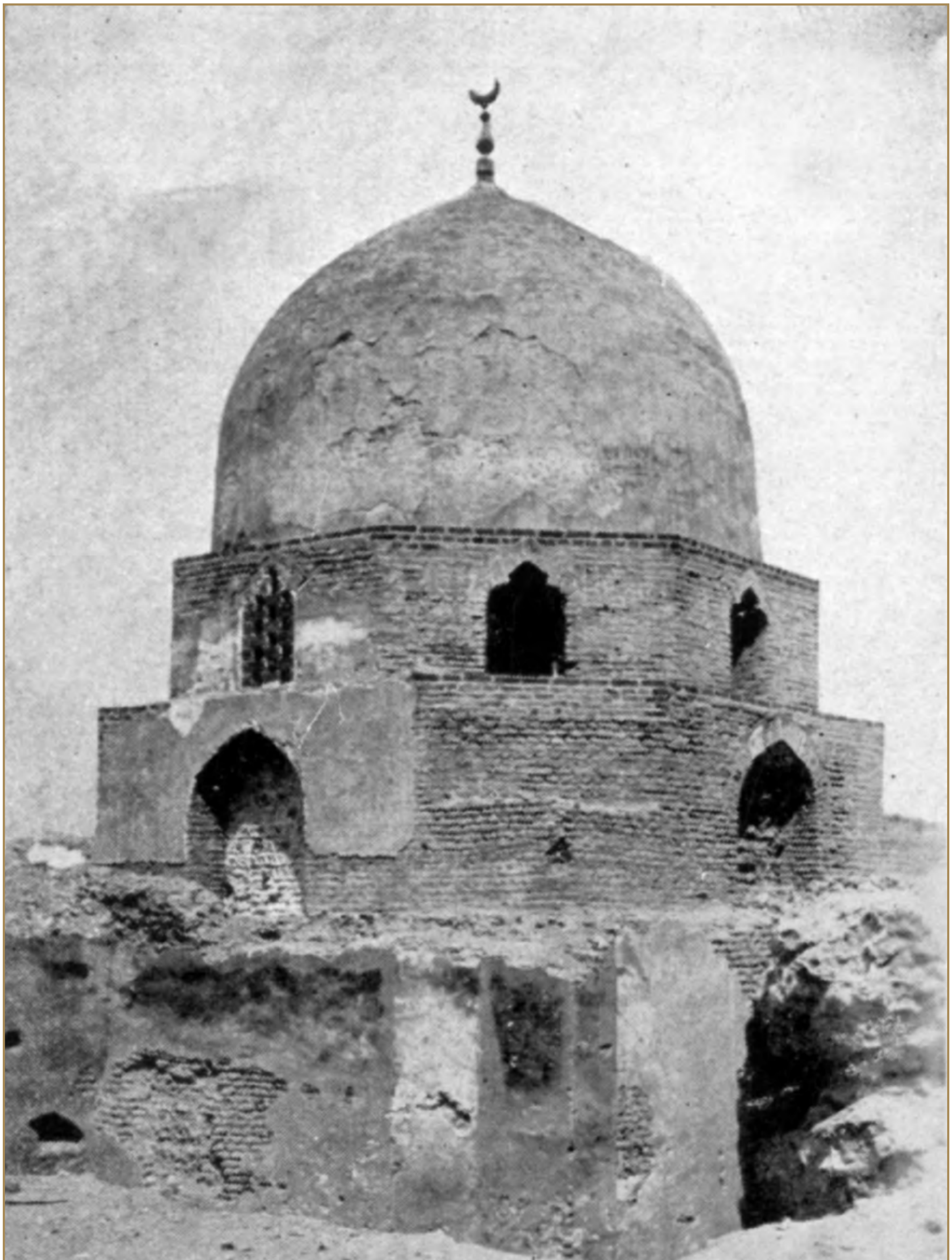
وذكره السخاوي في تحفة الأحباب وأوضح مكانه من خطة جامع محمود ونقل عبارة ابن الزيات المتقدمة[٤]، وذكره القضاعي صاحب الخطط وأفاد أنه كان سكنًا ليهوذا بن يعقوب حين دخل مصر، وذكره الشيخ جوهر السكري في كتابه الكوكب السائر إلى زيارة المقابر مخطوط بمكتبتنا عن نسخة المؤلف) قال: «ثم تمشي قليلًا جهة الشرق تجد مشهد نبي الله اليسع والعيص وروبيل، ويهودا وهم أولاد نبي الله يعقوب -عليه الصلاة والسلام- على ما نقله الإمام ابن الجامي»، وقد تعقبنا هذا النقل فوجدناه لنور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي الحنفي المولود في بجام سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، والمتوفى بهراة في المحرم سنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م)، دخل مصر في طريقه إلى الحج في سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، وزار القرافة ومشاهدها وعرج على ضريح عمر بن الفارض واجتاز منه إلى هذا المكان، وذكره بالعبارة المتقدمة في كتابه الذي سماه «نفحات الأنس» الذي ألفه سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، ضمنه تراجم ٦١٤ عالمًا من علماء التصوف، وختمه بتراجم من بقي من شيوخ في ترحاله بمصر والحجاز،

(١) قام جاستون فييت بتأريخ هذا المشهد بسنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، في حين أن كريسويل قد أرجعه إلى نهاية الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، في حين وضعه جروهمان في عام (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)، في حين يرجعه فرج الحسيني ما بين عامي (٥٢١-٥٢٧هـ/ ١١٢٧- ١١٣٢م)، تبعًا لتطور أشكال الحروف في النصوص التأسيسية بالمشهد مقارنة مع نصوص المسجد الأقمر ومسجد الشريف بدمياط، انظر: فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج.١: ٣٥؛ الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٨٠.

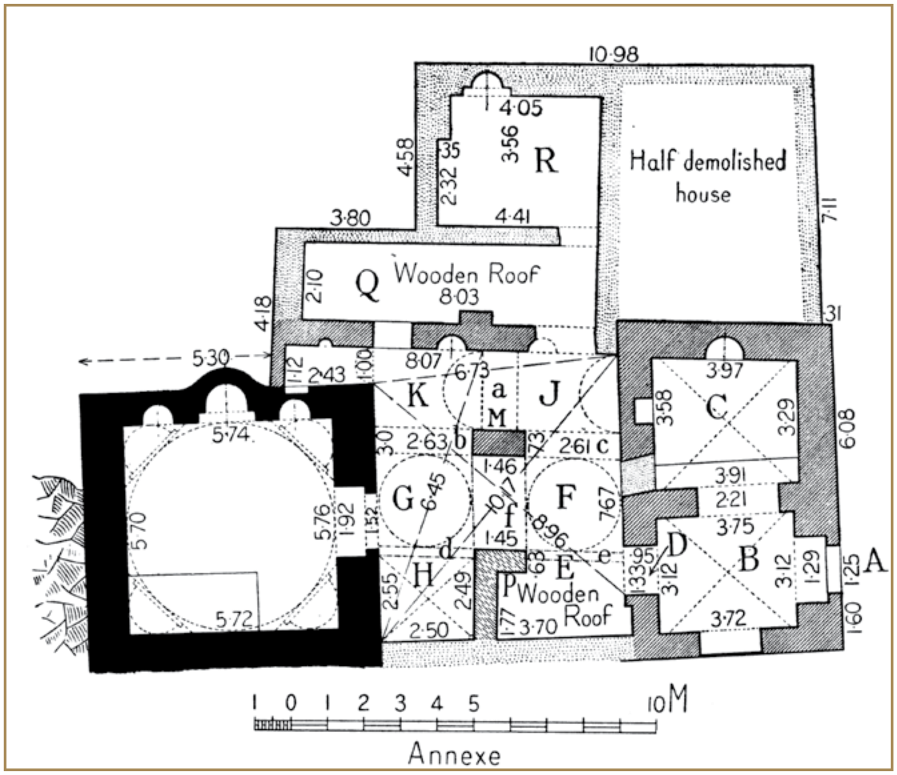
(٢) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تحقيق محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠): ٥٦.

(٣) ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ٢٨٢.

(٤) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٧٣-٣٧٤.



قبة إخوة يوسف «عن كريسويل»



مسقط أفقي لقبة إخوة يوسف «عن كريسويل»

وفي ترجمة المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن حسن ابن عمر الأجهوري المالكي [المتوفى في رجب سنة (١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م)]، أنه مات ودفن على باب المشهد المنسوب لإخوة يوسف عليه السلام.

وترجم المقريزي في كتابه «الخطط» لمسجد التنور وأفاد أنه في أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرقيها- قال: «أدركته عامرًا وفيه من يقيم فيه»- ثم نقل عن القضاعي من علماء المائة الثالثة «أنه من بناء أحمد بن طولون في صفر سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)»[١]، قال «ووجدت في كتاب قديم أن يهوذا ابن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع إخوته على يوسف وجرى من أمر الصراع ما جرى تأخر عن إخوته وأقام في ذروة الجبل المقطم في هذا المكان، وكان مقابلاً لتنور فرعون الذي كان يوقد له فيه النار[٢]، ثم خلا ذلك الموضع إلى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع ومقام يهودا فيه فبنى فيه هذا المسجد والمنارة التي فيه، وجعل فيه صهريجًا فيه الماء،

(١) علي بن عبد الله القضاعي من صحابة الإمام المزني، ومعاصري أحمد بن طولون، مات سنة (٢٩٩هـ)، وقد ذيل كتابه الخطط حفيده الشهاب القضاعي [المتوفى سنة (٤٥٤هـ)]، في المختار من الخطط والآثار. (المؤلف)

(٢) تنور فرعون اسم لمصحة من آثار الفرعون رمسيس الثاني كانت تضم مباخر ترسل دخانًا مما كان يوقد من الطرفا وحصا اللبان «الدكر» والصندورس عند تفشي الوباء «الكوليرا - أو الشوطة» بمصر، وقد امتدت هذه الوقاية من المرض المفاجئ إلى أيامنا حتى منتصف هذا القرن، فكان يوقد في مآذن بعض المساجد بالقاهرة وهي المآذن التي أطلق عليها اسم المباخر كمئذنة المدرسة الصالحية والسعدية ومدرسة ألجاي بلاط «تكية الهنود». (المؤلف)

وجعل الإنفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التي بالمعافر وغير ذلك»[١].

وقد ورد ذكر هذا المسجد في «الكواكب السيارة» لابن الزيات، فنقل ما في خطط المقريزي المنقول عن القضاعي، وأوضح أن التنور الذي كان يوقد لفرعون فيه النار كان أشبه شيء بالمباخر التي أدركناها منذ أوائل هذا القرن يبخر منها لرفع الوباء قبل استخدام وسائل الطب الحديثة، وأفاد أن الوقود الذي كان يستخدم في هذا التنور لهذا الغرض هو الطرفا واللبان والصندورس، وهو ما كان يبخر به منذ نصف قرن زاندا الكافور وأجزاء أخرى، ومسجد التنور المذكور لا علاقة له بهذا المشهد وقد دثر الآن فلا تعرف له قائمة، وكان موضعه خلف (قبة هرثمة) القلعة الصلاحية من الجهة الشمالية بأعلى ذروة سفح المقطم[٢].

وقد زرت هذا المشهد فوجدته قائمًا بهذه المنطقة يدخل إليه من باب شرقي، ومنه إلى فناء ويعلوه قبة مجصصة تشبه القباب الفاطمية التي بنيت في عهد المستنصر بالله الفاطمي، وداخلها ثلاثة محاريب مجصصة حافلة بالزخارف والنقوش النباتية والهندسية مطبوعة بالطابع الفاطمي المستنصري، ووجدت على باب المشهد بلاطة مكتوب عليها بالخط الكوفي القديم ما نصه:

البسملة. هذا قبر إبراهيم بن اليسع بن العيس من
ولد إبراهيم الخليل عليهم السلام

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٢.
(٢) هدم هذا التنور أحد قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف قاطرميز، أثناء الحفر تحته بحثًا عن المال أو كنز قديم، فلم يجد شيئًا وزال رسم التنور وذهب، انظر: المرجع السابق، ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٣- ١٤.

وهذه المذكرة وإن كانت خالية من التاريخ وترتقي إلى نصف القرن الثاني الهجري إلا أنها توضح أن المدفون بهذا المشهد يسمى إبراهيم بن اليسع بن العيس، وأنه من ذرية سيدنا إبراهيم ﵇، وأنه من الدفن القديم، والأثر إلى يومنا مطبوع بالطابع الفاطمي المستنصري[٣].

إخوة سيدنا يوسف ﵇

ويترامى بنا القول إلى ذكر نبذة عَمَّا عرف عن إخوة سيدنا يوسف ﵇ من الأخبار الصحيحة، إيضاحًا لما تقدم فنقول، ولد سيدنا يعقوب ابن سيدنا إسحاق عليهما السلام في زمن سيدنا إبراهيم ﵇، ونبئ في زمنه، وهو وأخوه العيص توأمان، وأمهما السيدة رفقا، ومات أبوه سيدنا إسحاق في الشام عن سن عالية، ودفن بحبرون (مدينة الخليل) مع أبيه سيدنا إبراهيم، وتزوج سيدنا يعقوب من ابنتي خاله السيد لابان، وهما السيدتان ليا وراحيل.

- رزق من الأولى بستة أولاد وهم: روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، بساكر وهو العيص، زبولون وهو اليسع.
- ورزق من الثانية: بسيدنا يوسف ﵇ والسيد بنيامين، وماتت أمهما نفساء في بنيامين.

(٣) المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، خامس الخلفاء الفاطميين في مصر، وثامنهم بعد المهدي، ولي الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وكان عمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يومًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٣٥٥-٣٥٦؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٢: ١٨٤-٣٣٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ١-٢٣، ٢٤-١٤١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ٢١٥-٢٢٠.

- فتزوج بعدهـــا أخرى رزق منها بأربعـــة أولاد، هم: دان، نفتالي، جاد، أشير، فهؤلاء اثنا عشر أولاد سيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم الأسباط «الأول».

وكان سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أحب أبنائه إليه، وقد كان هذا الحب ســببًا في حسد إخوته عليه، فاحتالوا في التخلص منه بالطريقة التي قصها علينا القرآن الكريم، ولم نكن نعرف قبل نزوله، وكان روبين أخو سيدنا يوسف وابن خالته يتعهده مدة الثلاثة أيام التي لبثها في الجب الذي ألقي به فيه في طريق مصر والشـــام، حتى عثر عليه السيارة وابتاعوه، ثم ذهبوا به إلى مصر فدخلوا به إلى مدينة منف وهي يومئذ عاصمة ملك الحيثيين، والملك فيهم هو العزيز (آبي فيس) وهو آخر ملوكهم في مصر، فقدموا على أحد كبار حكومته وهو فوني غار أمين بيت المال، فقصوا عليه قصته فابتاعه منهم، ثم قدمه لمليكه العزيز المذكور ليتبناه؛ حيث لم يكن له ولد يعهد له بالملك من بعده، فأخذه العزيز وعني بتربيته حتى كبر، ثم كان بعد ذلك حادث امرأة العزيز وظهور براءة سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مما نسب إليه وإدانة امرأة العزيز بعد ظهور مكيدتها واستغفارها بعد ذلك، ثم ما كان من طلب سيدنا يوسف وتوجهه إلى ربه ســـبحانه في أن يبعده عن امرأة العزيز وحاشيتها من النساء خشية الفتنة التي حدثت في القصر من وراء ذلك وبعدًا عن شرهن، فأحب الســـجن على إرادتها فأخذه العزيز على هواه واستجابة لطلبه فسجنه بالمطبق، ولبث سيدنا يوسف بالسجن أربعـــة عشر عامًا ثم أطلقه واصطفـــاه العزيز وجعله وزيرًا لمملكة مصر وأمينًا لبيت المال بطلب من سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يلبث أن خلع عليه بالملك وبلقبه العزيز، وقد بقي سيدنا يوسف بعد ذلك ملكًا لمصر داعيًا إلى التوحيد وإلى نبذ عبادة الأوثان حتى وصلت رسالته أعالي الصعيد ودان بها فريق من سكان مصر الوسطى والعليا كما آمن به سكان مصر السفلى، واســـتطاع ســـيدنا يوســـف أن يدرأ عن مصر غائلة الجوع والفقـــر والعوز بما دبره لها قبل حلول ســـني الجدب؛ حيث عمد إلى اختزان الفائض من الأقوات والأموال واستولى على المحصولات وأخذ يوزعها على النـــاس بقدر معلوم ويخزن الباقي منها إلى آخر ما قصه علينا القرآن الكريم، وفي تخزين سيدنا يوسف للقمح في سنابله حفظًا لبقائه سليمًا من الآفات ومن التسوس والتعفن ما لا يعرفه غيره من أقطاب الشئون الاقتصادية إلى يومنا، وعندما حلت المجاعة بالشـــام وجاء إخوة يوســـف يمتارون في مصر وجدوا الحكومة قد استولت على شـــون التموين فقصدوا العزيز «ســـيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ» ليمتاروه ثم حـــدث بعد ذلك ما قصه علينا كتاب الله تعالى إلى أن جاء والده ســـيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وجمع شمله بولده إلى غير ذلك، وقد تدير ســـيدنا يعقوب مصر مدة ثلاث سنوات تحقيقًا ومات بها ونقله ســـيدنا يوســـف إلى حبرون فدفن مع أبيه وجده بمســـجد الخليل، وقد مات من إخوة يوسف بمصر البعض منهم، قال السيوطي في حسن المحاضرة: «وهم مدفونون بمصر بلا خلاف»[1].

وإلى أخيه يهوذا ينســـب الضريح القائم بإحدى قرى الشرقية التي تسمى تل يهوذا وهذا غير محقق، كما ينسب إلى سيدنا يوسف قرية غيتا الواقعة في شمال ترعة الإسماعيلية جنوب غـــرب بلبيس والمقول إنها القريـــة التي آوى إليها يوسف أبويه وإخوته وامتار لهم فيها، وهذا أيضًا غير محقق؛ إذ المكان الذي آوى إليه يوســـف أبويـــه وإخوته هو وادي غسان المعروف حاليًا بوادي الطميلات شرقية وفيه كانت الحوادث التي وقعت بينه وبين إخوته.

---

(١) السيوطي، **حسن المحاضرة**: ٢٩١.

وقد بقي سيدنا يوسف عليه السلام بمصر إلى أن لقي ربه سبحانه فدفن في جانب من مقياس النيل بحديقة الفيوم؛ التي مصرها وأعاد تخطيطها، وبقي فيه بتابوته حتى نقله سيدنا موسى عليه السلام؛ حيث دفنه في بلوطة بالشام، وقد عثر على المكان الذي دفن فيه سيدنا يوسف عليه السلام في نهر النيل أمام المقياس في صفر سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) في عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهو ما أشار إليه المقريزي في السلوك بقوله: «وفي صفر ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذي كان في جوف قبر يوسف الصديق وتابوته، ولم يتكشف قط منذ نقله سيدنا موسى عليه السلام؛ إلا حينئذ عند نقصان الماء في قاع المقياس فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس»[١].

ويبدو أن المقريزي اختلط عليه القول بين مقياس مصر والفيوم، أما سجن سيدنا يوسف عليه السلام الذي سجن فيه في بوصير التي كانت تسمى قديمًا بوصير السدر[٢]، والآخر أبوصير مركز الجيزة وتبعد عن شمال سقارة بنحو ساعة[٣]، فقد بقي إلى سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)- فأمر صلاح الدين بنقب حجارته ورفعها للدلالة عليها حتى لا يختلط حجر بآخر[٤]، ونقلها إلى القلعة وإعادته إلى ما كان عليه فيها، ثم استخدمه لخزن الماء وتبريدها، ويعرف هذا المطبق إلى يومنا بجب يوسف، والنسبة فيه إلى سيدنا يوسف عليه السلام وليست إلى يوسف صلاح الدين باني القلعة كما يزعم المشتغلون بهذه المعالم [انظر ما كتبناه عن هذا الجب في آثار القلعة من كتابنا هذا].

وإلى سيدنا يوسف عليه السلام، ينسب مقياس منف، وصوامع بوصير، ومدينة الفيوم، وبحر يوسف بها، وطواحين المياه، ووادي الريان، وهو تعريب اسم العزيز، ولسيدنا يوسف فضل في تمصير مدينة الفيوم وغنى أراضيها وعمارتها[٥].

---

(١) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٩.

(٢) بوصير اسم مصري قديم يطلق على نوع من النبات الطبي يتداوى به وأجوده الذهبي اللون، وكانت هذه البلدة مزرعة طبية لهذا النبات أيام الحكم المصري القديم، والسدر شجر النبق وهو أيضًا من النباتات الطبية يتداوى بثمره وحبه، انظر: رمزي، القاموس الجغرافي، القسم ٢، ج. ٣: ٣.

(٣) عن سجن يوسف، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٦٢- ٥٦٥.

(٤) لم يعرف نقل المباني من مكان لآخر مع المحافظة على وضعها التي ظهرت به في العالم الحديث إلا في سنة (١٩١٢م)، ففي هذه السنة كثر حصولها في الولايات المتحدة، وابتدأت الشركات = الأمريكية بنقل ما لا يزيد وزنه عن ٢٥٠ طنًا، ثم زاد هذا الوزن حتى وصل في بعض الأحيان إلى ٢٠٠٠ طن، وهو وزن عمارة سكنية نقلت من موضعها لموضع آخر يبعد عنه بمسافة ٣٥٠ قدمًا، وأهم من ذلك نقل عمارة تياترو مونتوك بنيويورك، وطولها ١٥٣ قدمًا وعرضها ٤٥ قدم ووزنها ٥٠٠ طن، وكان ذلك لتوسعة شارع دي فيليب، والشركة التي تولت نقلها اسمها (شركة أفدسن)، ويختلف نقل هذه المباني في أمريكا عنها فيما نقل به صلاح الدين جب يوسف، وفيما نقلت به لجنة الآثار الإسلامية بالقاهرة زاوية الدهيشة وسقاية المشهدي ومسجد البزدار، وفي أمريكا كانت تنقل المباني بواسطة تحريك المبنى المراد نقله كما هو بدون فك لمفرداته، فكانت تنقلها محمولة على آلات أعدت لذلك، أهمها العفاريت ذات القوة الكبيرة، التي تستطيع دفع العمارة بأجمعها للوراء، فإذا تم الدفع في تحوط زائد ركزت في الموضع الجديد على أساس جديد لها قبل البدء في النقل، وقد استطاع مهندس مصري معاصر أن ينقل مسجدًا من مكانه إلى مكان آخر بنفس الطريقة التي تتبعها أمريكا في نقل المباني، وقد فصلت الأهرام في ١٩٥٧/١١/١٧ خبر هذا النقل فيما سنورده هنا بنصه تسجيلًا لهذا الحادث الذي هو الأول من نوعه في مصر. (المؤلف)

(٥) عن قصة سيدنا يوسف ومدينة الفيوم، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٥٨- ٦٦٨.

قبة بستان الجيوشي (العرابي)

أثر رقم ٦٢١ (سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)

هذه القبة بشارع بين الجنايـن بأول شارع أحمد سعيد بالعباسية الغربية، وهي قبة من الآجر الأحمر تشبه ما وجد في نوعها من القباب الفاطمية التي بنيت في عهد الخليفة المستنصر ووزارة أمير الجيوش بدر الجمالي بمدينة أسوان بالصعيد الأعلى، وداخل القبة ضريح يعرف عند العامة بسيدي العرابي[١]، وقد سجلت إدارة حفظ الآثار الإسلامية القبة في غاية فبراير سنة (١٩٤٨م)، أي بعد مضي أكثر من نصف قرن على تأليف اللجنة وقبل أن نبحث عن ماضي هذا الأثر وحاضره نقول:

إن المنطقة التي يدخل في محيطها هذا الأثر هي جميع الأرض الفضاء المعروفة بالجنينة المحدودة من قبلي بشارع مختار ويخترقها من الشرق إلى الغرب شارع بين الجناين ومن البحري إلى القبلي، شارع أحمد سعيد، وهي عبارة عن أربع قطع، الأولى مساحتها (٢٤٦١٠ متر مربع)، والثانية مساحتها (١٠٦٩٦٢٥ متر مربع)، والثالثة مساحتها (٩٤٤٥ متر مربع)، الرابعة مساحتها (٥٤٥٧ متر مربع)، ومجموع ذلك (١٠٩,١٣٧. ٢ متر مربع).

وهذه الأرض مملوك رقبتها لأوقاف خيرية مشمولة بنظر وزارة الأوقاف وهي وقف المرحوم الأمير جوهر أغا الحبشي المعروف بالعيني، الصادر به حجة وقف من الباب العالي في التاسع من جمادى الأولى سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) [مسجلة برقم ٢٢٨]، ووقف جني كتخدا وشهاب الدين، ويملك منفعتها المرحوم الأمير محمد كتخدا الخربوطلي، بحجة وقف صادرة من محكمة طولون بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)، وكانت هذه الأراضي مشغولة بالزرع وبها أشجار ونخيل ومباني وجواسق «أكشاك» وقد أدركناها عامرة بالمزروعات وشجر الليمون الحامض وما إلى ذلك[٢].

بساتين أمير الجيوش

كانت هذه الأراضي قبل بناء القاهرة فضاء جرداء تتصل بصحراء الأهليلج[٣]، وهي أرض الحصوة التي يخترقها

(١) في حجة الخربوطلي «سيدي علي التراب». (المؤلف)

(٢) نسبة هذا المسجد إلى أبي تراب حيدرة بن المستنصر بالله الفاطمي بعيدة جدًا؛ حيث كان موضع دفنه في رحبة أبي تراب داخل القاهرة فيما بين الخرنشف وحارة برجوان، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥٩-١٦١.

(٣) الأهليلج: نبات بري يستعمل في الأدوية ومنه الكابلي والهندي، وهذه البقعة شرقي الخندق في الرمل، وإليها كانت تنتهي عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الأهليلج الهندي، فعرفت بذلك، وأظن أن الأهليلج كان من جملة بستان ريدان الذي يعرف اليوم موضعه بالريدانية، انظر: المرجع السابق: ٤٦١.

الآن شارع المأمون وما إليه بالعباسية البحرية، ثم غرس به الإخشيديون بستانًا، ولما بنيت القاهرة اتخذ جوهر الصقلي الجزء البحري منها حتى أرض الخندق وهي قرية الدمرداش وغرسه بستانًا عرف به وعرفت المنطقة بالريدانية(١).

ثم عرف الجزء القبلي منها بالسمبساطية، وهو الوايلية نسبة لقبيلة من العرب من (بني وائل)، والسمبساطية طائفة من العسكر من سمبساط(٢)، ولما أسكن الحاكم بأمر الله طوائف العسكر الأرمن بأرض الريحانية (التي تعرف بالحسينية) ظاهر باب الفتوح(٣)، اتخذت هذه الكتائب من أرض السمبساطية قطائع استخدمتها لأغراضها العسكرية وحفرت بها بحيرة واسعة عرفت ببركة الأرمن(٤)، وقد بقيت هذه البركة حينًا من الدهر ثم انحسر الماء عنها تدريجيًّا وآخر ما أدركناه منها بركة صغيرة كانت تعرف ببركة الليمون ثم ردمت ومحلها الآن جميع الجزء البحري من هذه الأرض.

ثم كانت هذه الأرض بعد ذلك بساتين سماها المقريزي البساتين الجيوشية، قال: «وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية، والآخر من خارج باب القنطرة إلى الخندق»(٥)، ثم ذكر المقريزي ما كان بهذين البستانين من شجر السنط(٦)، والأثل والجميز والليمون التفاحي وغير ذلك، ثم خلص من ذلك إلى قوله: «وكان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشي، وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالي حبس عدة بلاد؛ منها هذان البستانان المذكوران على عقبه واستمرا بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة أيام الوزير المأمون لم تخرج عنهم، واتصل ذلك إلى أيام الخليفة الحافظ، فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يتبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل، فصار للديوان السلطاني يتصرف فيه ويحمل متحصله مع أموال بيت المال»(٧).

ولما وصل السخاوي مؤلف تحفة الأحباب إلى هذه المنطقة حيث موقع هذا الأثر، ذكر: «أن في ظاهر باب الفتوح منظرة من مناظر الخلفاء تجاه البستانين الكبيرين،

(١) الريدانية: تنسب إلى ريدان الصقلي وكان خادمًا من خدام الخليفة العزيز بالله، كان يحمل المظلة على رأس الخليفة، واختص بالحاكم، ثم قتله في سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، وموضعها الآن شارع بين الجناين وكانت الريدانية مكان إقامة الخديو عباس باشا الأول والتي نسبت إليه فيما بعد وسميت بالعباسية، انظر: المرجع السابق: ٣٦٨، ٤٦٢- ٤٦٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ١٣٧، هامش ٦؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٢: ١٠٧، هامش ٣؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٣-١٤.

(٢) مدينة مشهورة بالأناضول تسمى حاليًا حباسون وهي مدينة يونانية قديمة. (المؤلف)

(٣) الحسينية: وهي الريحانية إحدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين، وهي حارة كبيرة خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح، وقد خطت هذه الحارة في أعقاب الشدة المستنصرية، ويتوسطها اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومي، من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٩-٦٣، ٤٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٤٥، هامش ٣؛ مج. ٧: ٣٧٥.

(٤) بركة الأرمن: عرفت ببركة قراجا، وسميت بهذا الاسم نسبة لسكن طائفة من الجنود الأرمن تجاوز عددهم سبعة آلاف، وذلك أيام الحاكم بأمر الله، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٥٣.

(٥) يحدد محمد بك رمزي زقاق الكحل اليوم بالشارع المعروف بسكة الظاهر أو شارع المنسي خارج باب الفتوح جنوب جامع الظاهر بيبرس، والخندق يعادل منطقة الدمرداش الآن خلف رمسيس، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٥٨٢، هامش ٢؛ مج. ٣: ٤٥٣.

(٦) اسمه الحالي (القرض) ومسحوقه دواء نافع للتسلخ الذي يصيب فواصل أصابع القدمين. (المؤلف)

(٧) المرجع السابق، مج. ٢: ٥٨٣.

وأفاد أن أول البســتانين من زقاق الكحل «شارع المنسي بالظاهر»، وآخرهما منشية مطر المعروفة الآن بالمطرية»[١].

والمطريــة «منية مطــر»[٢]، هي حاليًّــا منطقة سراي القبة[٣]، وقد آلت ملكية هذين البستانين أخيرًا إلى جوهر أغا الحبــشي المعيني المار الذكر، ثــم انتقلت ملكيتهما إلى محمــد كتخدا الخربوطلي المذكور فيما تقدم، من هذا البيان الذي قدمناه نســتطيع الوصول بهذا الأثــر إلى عصر أمير الجيوش بدر الجمالي، والأثر كمــا ذكرنا فيما تقدم لا يزال إلى يومنــا مطبوعًا بطابع هذا العــصر الجيوشي، وهو واحد من تلك القباب الأسوانية التي وجدت ما بين سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، وسنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م).

---

(١) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٢.

(٢) المطرية: من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق ووردت في معجم البلدان المطرية من قرى مصر، عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه نوع من الدهن، ووردت في قوانين الدواوين لابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية، وفي التحفة من ضواحي القاهرة، ووردت في الخطط المقريزية منية مطر ويقال لها المطرية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٦٧؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١١؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ١: ١١.

(٣) القبة: أنشأ الأمير يشبك من مهدي الدوادار سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، بأرض ناحية المطرية قبة فخمة عالية كان ينزل فيها السلطان قايتباي عندما يقصد التنزه خارج القاهرة، ولما تولى الغوري حكم مصر سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، اتخذها مقعدًا ينزل فيه كلما أراد التنزه والرياضة، وأنشأ جوارها فساقي وبئرًا للمسافرين، فعرفت من هذا الوقت بقبة الغوري، وفي أوائل القرن الحادي عشر تكونت قرية جديدة عرفت باسم القبة، وأصبحت من توابع ناحية المطرية، ويقال لها قبة الغوري أو قبة العزب؛ لأنه كان يسكنها بعض عساكر طائفة عزبان متولين حماية القلاع، فصلت عن ناحية المطرية في سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٣٤، ١٦٠؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ١:: ١٥.

مشهد الجيوشي (ضريح المستنصر)

أثر رقم ٣٠٤ (سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

هذا المشهد بأعلى جبل المقطم على قرنه الغرب شرقي قلعة صلاح الدين، نصل إليه من زلاقة تجاه باب القلعة الشرقي القبلي المقابل لسفح المقطم من شارع بوابة الجبل[(١)]، أنشأه أمير الجيوش أبو النجم بدر المستنصري في عهد الخليفة المستنصر بالله، وتمت عمارته في شهر المحرم سنة (٤٧٢هـ) / إبريل سنة (١٠٨٥م)[(٢)]، وقد رام بدر أن يجعل من هذا المشهد وقفًا له ولأسرته ومسجدًا، لرغبته في الدفن بأعلى جبل المقطم، ثم عدل عنه إلى مدفن آخر بناه في سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٠م) خارج باب النصر، وهو المعروف بالقبة المرجوشية.

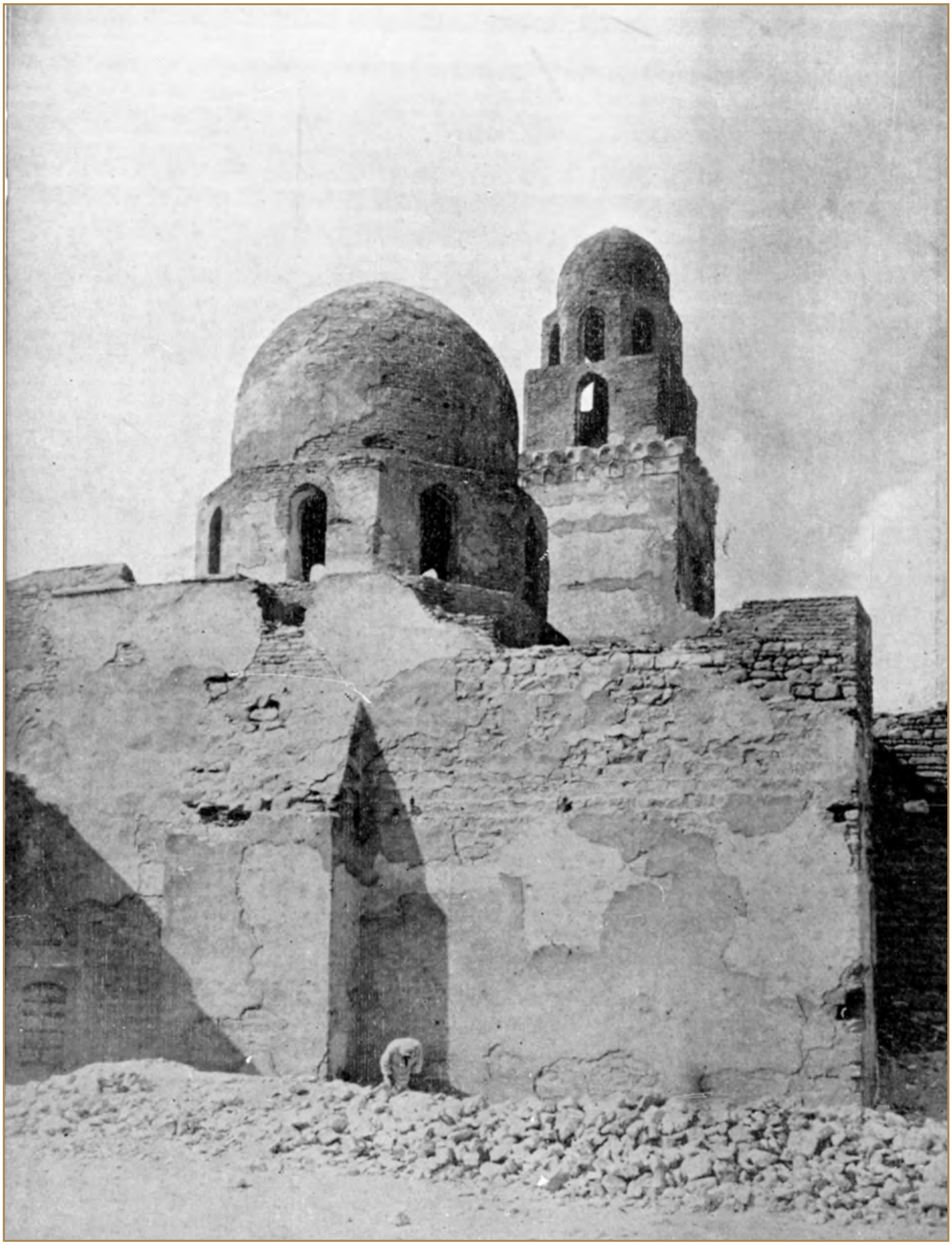
وقد بقي القبر الذي فيه خاليًا من الدفن حتى دفن فيه الخليفة المستنصر بالله المتوفى في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (٤٨٧هـ)/ ٩يناير (١٠٩٥م) وضريحه قائم بهذا الأثر في الجلسة الشرقية منه يزار إلى اليوم، ويعرف بسيدي الجيوشي، ويظن من لا علم عنه أنه أمير الجيوش بدر، وهذا وهم رده المرحوم الشيخ مصطفى الصفوي في كتابه «صفوة الزمان» المخطوط بمكتبة بلدية سوهاج، بقوله ونصه: «وأمير الجيوش هذا كان مملوكًا أرمينيًّا لجمال الدولة ولذا عرف بالجمالي وكان شيعيًّا، وهو الذي بنى مشهد الجيوشي بسفح الجبل المقطم، ولما مات المستنصر دفن فيه، وقد زعم الناس أن المدفون فيه أمير الجيوش نفسه، وبنى جامع الجيزة وجامع العطارين الذي في الإسكندرية، وسوق أمير الجيوش المسمى الآن مرجوش».

والمؤرخ المذكور في إيراده لهذا النص لم يكتف بأن أثبت وجود المستنصر فيه، بل رد الزعم بأنه أمير الجيوش وأكد أنه للمستنصر، وهذا قاطع في أن القبر الذي يحتفظ به في هذا الأثر فيه المستنصر الخليفة الفاطمي وليس أمير الجيوش، وهذا بالإضافة إلى ما سنحققه إذا وصل بنا الحديث عن التربة المرجوشية بباب النصر.

وهذا الأثر هو أهم أثر فاطمي بقي من عصر الفاطميين حتى اليوم، لم تؤثر فيه التقلبات الجوية إلا يسيرًا، ويلفت النظر فيه مئذنته المربعة الجميلة ذات الطراز الجديد الذي أدخله بدر على الفن الفاطمي، أما قبته فإنها تحاكي القباب الفاطمية التي وجدت في أوائل هذا القرن محاكاة قريبة، يخيل للناظر إليها أنها حديثة البناء، ولهذا فهي أثر نفيس،

(١) شارع بوابة الجبل توجد بقاياه الأن متفرعاً من طريق صلاح سالم، وقد تلاشى أوله الذي كان تجاه جامع الغوري بعرب آل يسار عند فتح الطريق المذكور في أول الستينيات من القرن العشرين، أما الزلاقة الصاعدة للجبل فقد قطعها طريق الأتوستيراد في أول الثمانينيات من القرن العشرين (المراجع)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٣؛ ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ٢٢.



منظر عام لمشهد الجيوشي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وتحفة نادرة وصلت إلينا من ذلك العصر الزاهر، وعليها وعلى المئذنة طابع من الذوق، الذي يطبع به بدر بحكم بيئته ونشأته، وفي بقاء وجهة هذا الأثر الحجرية التي يتوسطها ذلك الباب المقنطر الجميل، دليل على أن الفاطميين ابتدأوا يستخدمون الحجر في بناء واجهات مبانيهم من عهد مبكر، بخلاف الرأي القائل بالعكس، وأنشأوا نموذجًا آخر منه في جامع الحاكم والجامع الأقمر(١).

وإذا اجتزنا باب هذا الأثر، مررنا أولًا على دهليز سقفه معقود بالحجر، في نهايته حجرتان مربعتان تختلف إحداهما عن الأخرى وضعًا ونظامًا، ثم يجتاز بهوًا مكشوفًا ومنه نصل إلى بيت الصلاة، فنقف أمام محراب مجصص مصهرج، قد ازدان بمجموعة فاخرة من الزخارف الكتابية والنباتية بشكل يثير في النفس الغبطة والعجب، لما وصل إليه الفن الإسلامي في الريادة في هذا العصر من تقدم وتحسين، وقوام زخارفه الكتابية آيات من القرآن الكريم تبتدئ بالبسملة ثم بقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ ﴾ [الفرقان/ ١٠].

وبالجملة فإن هذا الأثر النفيس بعقوده وتيجانه، وقبته الجميلة، ومئذنته الفريدة القائمة فوق مدخله، ومحرابه بنقوشه وزخارفه إلى غير ذلك من الفنون المتجمعة في الأثر، هو أعظم أثر فاطمي يصور لنا صورة صحيحة في عناية الفاطميين وعمالهم بالفن المعماري ومدنيتهم فيه، والأثر وإن كان في داخله بعض تقلبات زمن تظهر في بعض زخارفه وفي ضريح المستنصر، فإن هذا التقلب لا ينقص من قيمته الفنية شيئًا، وقد ساعد بدر على تصميم هذا الأثر بهذه الصورة الفريدة تجواله في الأقطار الشرقية فوجوده في دمشق والبلاد الشامية ورحلته إلى العراق وفارس وبلاد القوقاس والروم، ومشاهدته آثار هذه البلاد جميعها، جعله يقتبس لأثره هذا من فنها ما رقّ في نظره وراق فجعله نموذجًا فريدًا يتألف من عناصر شتى من الفن الإسلامي المشترك، وهذا ما يبدو ظاهرًا في مئذنته وأقبيته وبهوه وزخارفه(٢).

وقد نسب فريق من المشتغلين بالآثار الإسلامية بناء هذا الأثر إلى الأفضل بن بدر، وهذا خطأ يصوبه قول الصفوي المتقدم الذكر، والمذكرة التاريخية التي يحملها الأثر إلى اليوم، وبالتالي تسمية الأثر بالجيوشي وهي نسبة انفرد بها بدر وصارت علمًا عليه وحده(٣).

والنص التاريخي الذي يحمله هذا الأثر مكتوب في روسم من الرخام، مرفوع بأعلى أسكفة الباب العمومي العليا والكتابة فيه بالخط الكوفي المستنصري وهذا نص قرأنا له:

البسملة... إن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عصم الله به الدين

---

(١) فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ١: ٩٢-٩٣.

(٢) عن أهم المميزات المعمارية والزخرفية بمشهد الجيوشي، انظر: K.A.C Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 155-160.

(٣) ذهب ابن ميسر إلى القول أن صاحب المسجد أعلى المقطم المعروف بالجيوشي هو الأفضل شاهنشاه وليس بدر الجمالي، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٨٥.

وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربع مائة(١)

المستنصر

والمستنصر المدفون بهذا الأثر هو الخليفة المستنصر بأمر الله معد أبو تميم، ابن الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي، ابن الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بالله أبو المنصور نزار، ابن المعز لدين الله معد بن إسماعيل، ابن أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، ولد بالقاهرة في سنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، وتولى الخلافة بعد موت أبيه وعمره سبع سنوات ودام بها إلى آخر سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) أي لمدة ستين سنة وهي أطول مدة قضاها خليفة في الإسلام في الحكم من أسلافه.

وقد حدثت في عهد الخليفة المستنصر أحداث شتى سياسية واجتماعية وعمرانية وغيرها منها انتصاره على الخليفة القائم بأمر الله العباسي في حرب ضروس كانت الغلبة فيها للمستنصر واسترد ما فقده من بلاد آبائه في المغرب الأوسط، وفي عصره ازدادت هجرة الجراكسة والتراكسة والكرج إلى القاهرة، واستخدم منهم طوائف شتى في مختلف الوظائف وألف منهم كتيبة أطلق عليها «المشارقة»، ولما تولى المستنصر ولما يبلغ سن الرشد أقيمت في الوصاية عليه أمه ست القصور فقامت بتدبير المملكة خير قيام واشتهرت بالعقل والكياسة وحسن الإدارة، كانت عالمة تتعاطى الأدب وتطارح العلماء والأدباء في مجالس سحر ومجامع علم وأدب، وفي عصر المستنصر أغار أتسز التركي على القاهرة وحاصر الإسكندرية، فجرد عليه المستنصر حملة قاتلته وانتصرت عليه فلاذ بالفرار إلى دمشق ومات بها.

واستطاع هذا الخليفة أن يخضع كل ثورة داخلية كانت تقوم بالبلاد بين كل حين وآخر من الجراكسة وأهل الصعيد، ولما حصلت المجاعة الكبرى التي حكاها المقريزي وغيره استطاع أن يدخر للأهالي ويمونهم بالأقوات والمؤن حتى ذهب الغلاء وعادت المعيشة سيرتها الأولى، والخليفة المستنصر هو الخليفة الفذ الذي خلع عليه بلقب السلطنة من الخلفاء وقد لزمه هذا اللقب أكثر من نصب الخلافة، وكان عالمًا حازمًا سديد الرأي كباقي أفراد أسرته، لم تُشرب الخمر في أيامه ولم تهتك الآداب في عصره وفتحت مصر أبوابها للجوابين والسائحين من الفرنجة وغيرهم، وكان المستنصر محببًا إلى المصريين كافة على اختلاف طبقاتهم لا يفرق بين مسلم ومسيحي كلٌ يعيش في ظل عدله، لم يكن يظلم أو يجور على أحد ولا كان أحد في الرعية يخفي أو ينكر شيئًا مما يملك، وكان الناس جميعًا يثقون به فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين معتمدين على أن السلطان لا يظلم أحدًا ولا يطمع في مال أحد، أما الحياة السعيدة التي كان الشعب يحيا فيها ببذخ وترف من غير إسراف، كان كل هذا متوفرًا في القاهرة ينعم الناس به في ظل مليكهم وقد زار القاهرة في عصر المستنصر الرحالة ناصر خسرو دخل القاهرة في صفر سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) فوصف القاهرة وأهلها من نواحٍ شتى وذكر بعض ما ذكرته هنا.

وقد وزر للمستنصر أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي وهو فارسي، والحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري وهو

(١) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ١٩٤؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 54.

فلسطيني، ثم وزر له بدر المكنى بأبي النجم المستنصري وهو أرمني من أرامنة القوقاز، وانتهت إليه في عصر المستنصر قيادة الجيش وإمارته، وكان جيش المستنصر مؤلفًا من طوائف متباينة في الجنس، وكل طائفة تنتسب إلى بلدها كطائفة الكتاميين بني كتامة وهم مغاربة من القيروان وطائفة الباطليين من بني باطل وهم أيضًا مغاربة، وطائفة المصامدة من مصمودة بالمغرب من السودان المغربي، وطائفة المشارقة وهم أجناس من القوقاس والعجم، وطائفة الزنوج الأفارقة، وطائفة البدو وهم أعراب في البوادي إلى طوائف آخرى، وقد عد ناصر خسرو جيش المستنصر فأربى على ٢١٥ ألفًا، قال: «ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان ولكل جندي مرتب شهري على قدر درجته ولا يجبر على دفع دينار منها أحد الرعايا أو العمال»[١].

مات المستنصر في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة (٤٨٧هـ)/ يناير سنة (١٠٩٥م)، وهي نفس السنة التي مات فيها وزيره بدر الجمالي بينهما بضعة أشهر ودفن بهذا الأثر تحقيقًا، وينسب إليه من الآثار تجديده ضريح الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه، ورفع على قبره قبة فاخرة استبدلت بها القبة الحالية، وجدد بمسجد ابن طولون المحراب المستنصري القائم به ليومنا، وجدد مشهد إخوة يوسف المتقدم الذكر، وبنى مشاهد عدة على ضرائح الأشراف الباهرية بأسوان إلى غير ذلك، وخلفه على حكم مصر ولده أبو القاسم أحمد، وقتل الأفضل ولده الآخر نزار حين قام يدعو لنفسه بالإسكندرية وكان مقتله في سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وكان له ولد من جارية خرجت غاضبة إلى



مئذنة مشهد الجيوشي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

اليمن، وقدم إلى القاهرة في أيام الآمر فرده وزيره المأمون إلى اليمن لتحقيق نسبه[٢].

(١) ناصر خسرو علوي، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: د.ت.): ١٠٩-١١٠.

(٢) عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٣٣٢-٣٣٤؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٥٤-٥٦.

قبة أمير الجيوش بدر الجمالي (الشيخ يونس)

أثر رقم ٥١١ (سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)

هذه القبة بشارع نجم الدين خارج باب النصر «سويقة الدريس أو الطابية سابقًا»[١]، السالك منه إلى العباسية بصدر الخوخة التي هناك تعرف بالشيخ يونس[٢]، ذكرها المقريزي في أكثر من موضع من كتابه «الخطط»، الأول في كلامه على حارة الحسينية قال: «فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالي أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة للخليفة المستنصر بالله أنشأ بحري (أي غربي حاليًا) مصلى العيد خارج باب النصر تربة عظيمة، وفيها قبره هو وولده الأفضل ابن أمير الجيوش، وأبو علي كتيفات بن الأفضل وغيره، وهي باقية إلى يومنا هذا سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)»[٣].

الثاني في كلامه على مقابر خارج باب النصر قال[٤]: «المقابر التي هي الآن خارج باب النصر إنما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة، وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالي، ولما مات دفن فيها، وكان خطها يعرف برأس الطابية[٥]، قال الشريف أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الأفطسي وقد مر بتربة الأفضل وأبيه بدر:

أجرى دمًا أجفانيه ... حدث برأس الطابيه
لأعز مفقود به ... صدع الزمان صافتيه
بال وما بليت أيا ... ديه على الباقيه

ولما تقدم السخاوي الحنفي مؤلف «تحفة الأحباب» إلى شارع نجم الدين هذا وكان يسمى في عصره بسوق الدريس، قال عند كلامه على زاوية الشيخ نصر المنبجي التي كانت في شمال هذه القبة: «وإلى جانب هذه الزاوية والتربة، تربة أمير

(١) سويقة الدريس: معروفة الآن بالخراطين وباب الشعرية، وعرفت سابقًا بخط المقس، أو المقسم الصغير، وبه الزاوية التي تسمى بجامع الزاهد، انظر: السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٦، هامش ١.

(٢) عرفت هذه التربة بضريح الشيخ يونس السعدي الشيباني، حفيد الشيخ سعد الدين الجباوي، والتي تنسب إليه الزاوية اليونسية، والشيخ يونس بن يونس بن مساعد القرشي الشيباني يرجع نسبه إلى شيبة بن عثمان بن طلحة جده السابع قصي جد النبي عليه الصلاة والسلام، وقد دفن الشيخ يونس بهذه القبة سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م)، انظر: المرجع السابق: ٣٠، هامش ١.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٣؛ ابن المأمون البطائحي، **نصوص من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد (القاهرة: المركز الفرنسي للدراسات الشرقية، ١٩٨٢): ١٦، هامش ٤.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩١٧- ٩١٨.

(٥) اسم كان يطلق على المنطقة التي تمتد من ظاهر باب الفتوح مخترقة شارع القصاصين حتى سوق الدريس إلى ملتقاها بخط جامع آل ملك، وهي ما تسمى الآن بشارع نجم الدين أو سوق الدريس سابقًا. (انظر ترجمة الناظم فيما يأتي)، (المؤلف) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩١٦.

الجيوش بدر الجمالي وهي أول تربة بنيت هناك، وكان بناء تربة «الأفضل» أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستنصر سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، وتوفي سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، ودفن بها ولم يعرف له قبر لطول الزمان»[١].

وفي «الضوء اللامع» للسخاوي ترجمة واسعة للشيخ محمد بن محمد بن عبد السلام الصنهاجي من علماء القاهرة، وهو أحد المدفونين بهذا الأثر، قال في نهايتها: «مات بعد عصر يوم الاثنين ١٤ ربيع الآخر سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، ودفن في الغد بالتربة المرجوشية بعد أن صلي عليه تجاه مصلى باب النصر»[٢].

هذه الأدلة القاطعة التي قدمناها، تثبت من وجه صحيح لا غبار عليه ولا ريبة فيه لمرتاب ولا مجال للشك فيه والغموض، أن هذه التربة هي بعينها تربة بدر الجمالي أمير الجيوش، وأنها كانت معروفة لدى المصريين إلى نهاية القرن التاسع الهجري، وامتد معرفتها إلى أوائل القرن الحادي عشر وهذا ما نبهنا إليه أذهان المشتغلين بهذه المعالم منذ أن كتبنا عن هذا الأثر قبل سنة (١٩٢٧م).

الشيخ يونس

والشيخ يونس الذي عرفت به تربة أمير الجيوش بدر، هو كما في الضوء اللامع للسخاوي: «الشيخ يونس بن حسين بن علي بن محمد بن زكريا الزبيري، ولد سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م)، وتفقه شافعيًّا وخطب بجامع آل ملك[٣]، وأمّ بمصلى باب النصر، ثم مال إلى التصوف فانضم إليه جماعة الصوفية السعيدية بالخانقاه الصلاحية ومات في ذي الحجة سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، ودفن داخل الخوخة جوار قبر الشيخ إسحاق والصنهاجي»[٤].

وواضح من هذا أن الشيخ يونس والشيخ الصنهاجي المتقدم الذكر والشيخ إسحاق ثلاثتهم من دفنى هذه التربة المرجوشية، وإلى الشيخ يونس السعدي هذا تنسب الطائفة السعدية، ومن شيوخها الشيخ محمد الخضري السعدي، الذي كان مقررًا في النظر على التربة المرجوشية، وضريح الشيخ يونس السعدي بباب النصر، بالقرار الصادر من شرعية مصر في سادس ذي الحجة سنة (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م)، وعلى ما هو موقوف عليها من أعيان بالقاهرة، ومات سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، ودفن على باب قبة أمير الجيوش بدر وقبره ظاهر إلى اليوم، وخلفه على مشيخة السجادة السعدية السيد وهبه شعراوي، ثم ابنه أمين وهبه[٥].

(١) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٣٢

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ١٠٦-١٠٨.

(٣) هذا الجامع كان على قيد غلوة من هذا الأثر إلى جهة الشمال، ومصلى باب النصر من آثار الأمير بلباي المنصوري في سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وكانت واقفة تجاه مصلى العيد لجهة الشرق= = بأول سوق الدريس. (المؤلف) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٦٣.

(٤) الشيخ يونس بن حسين بن علي بن محمد بن زكريا الشرف ذو النون الزبيري الواحي المصري القاهري الشافعي الزجار، ويعرف بيونس الألواحي، ولد في سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، خطب بجامع آل ملك وأم بالمصلى بباب النصر، وتنزل في صوفية سعيد السعداء، برغبة الشيخ محمد بن محمد بن أحمد السلاوي المغربي، مات بالقاهرة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، ودفن من الغد بالخوخة ظاهر جامع آل ملك جوار الشيخ إسحاق، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٣٤٢-٣٤٣.

(٥) يوجد اليوم بين مقابر باب النصر في سفح تل الشيخ شعبان في مقبرة الدير مشهد يعرف بقبة يونس السعدي، والتي رجح حسن عبد الوهاب انها قبة بدر الجمالي، وهو ما ذهب إليه محمد رمزي كذلك في تعليقاته على النجوم الزاهرة، اعتمادًا على نص للسخاوي الحنفي صاحب تحفة الأحباب، وهو ما استبعده كرسيويل وأحمد فكري دون إبداء اسباب، لكن يوسف راغب أكد على أن قبة يونس السعدي كانت تحمل اسم زاوية السيد بدر، على خريطة =



منظر عام لقبة الشيخ يونس «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وقد استثنى الأفضل أيام وزارته للمستنصر سنة إحياء ليلة عاشوراء بالتربة المرجوشية فكان يحضر فيها جميع المتصدرين والوعاظ والقراء من وقت مبكر إلى آخر الليل، وقد بقيت هذه السنة من الأفضل، ثم أبطلت وأعادها المأمون في سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)[١].

وأظهر ما في هذا الأثر من آثار أمير الجيوش بدر، فيه ذكر طراز الجص الدائر والمقدم بزخرفة كتابية بالخط الكوفي المزهر المربع في آية الكرسي، وهو فريد من نوعه في كتابات باب النصر وهو من إنشاء بدر، أما باقي مفردات الأثر كالقبة وغطائها والمحراب فيها بعض التقلبات الزمنية[٢].

أمير الجيوش بدر الجمالي

ومنشئ هذا الأثر، هو أبو النجم بدر المستنصري أرمني الجنسية من أرافقة بلاد القوقاس، كان غلامًا لجمال الدولة ابن عمار ونسب إليه، ولي إمارة دمشق في عهد المستنصر في ربيع الثاني سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٢م)، وبقي بها إلى سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، ثم استقال ووليها مرة ثانية في سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، وفي سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) قدم إلى القاهرة فقلده الخليفة المستنصر وزارة السيف والقلم، وفوض إليه أمر تدبير الدولة، وخلع عليه ألقاب التشريف الفاطمية

= الحملة الفرنسية، وقد ازيل قسم كبير من مقابر باب النصر في سنة (٢٠٠١م) بغرض توسعة الطريق الذي يربط ما بين شارع المنصورية شرقًا بشارع الجيش غربًا المعروف بشارع جلال، أمام السور الشمالي لمدينة القاهرة الفاطمية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٦٢، هامش ١.

(١) المأمون البطائحي، **نصوص من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة، ١٩٨٣): ٥٩.

(٢) للمزيد عن التفاصيل المعمارية والزخرفية بقبة الشيخ يونس، انظر: K.A.C Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 232-234.

بعد عامين من مقدمه، ومات في ربيع الآخر سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٢م)، وللحافظ ابن حجر العسقلاني ترجمة له في رفع الإصر عن قضاة مصر[١].

وكان الوزير بدر من أمثل وزراء القاهرة في العهد الفاطمي، بعيد النظر عالي الهمة ساس البلاد سياسة عادلة ونشر فيها الأمن وأحيا العلوم والمعارف وشجع العلماء والأدباء وأجازهم بالعطايا وسهل سبل التجارة، وخفف الضرائب ووضع لها نظامًا خاصًّا، ولما أغار الأمير أتسز التركماني على مصر وأوشك أن يحاصر القاهرة، ونظر بدر إلى قوة عسكره وقاسها بقوة الجيش المصري وقتئذ، عمد إلى محاربته بالخدعة المشروعة في النظام الحربي، فانتصر عليه وأجبره على دفع تعويض مالي قدر بثمانين ألف دينار فدفعها وكر راجعًا بجيوشه من الطريق الذي دخل منه[٢].

وكان بدر فوق ذلك حسن الإدارة حصن القاهرة وعمرها وجدد أسوارها وأكثر من المنشآت العامة النافعة، ونظم الجيش المصري تنظيمًا حسنًا، وقد نعمت مصر وأهلها في زمنه وعاشت في رفه من العيش- قال المقريزي في ترجمته: «وقام من بعده بالأمر ابنه شاهنشاه الملقب بالأفضل، وبه وبابنه الأفضل أبهة الخلفاء الفاطميين»[٣].

(١) أحمد بن حجر العسقلاني، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين، مج. ١ (القاهرة، ١٩٥٦): ١٣٠-١٣٧.

(٢) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٤٤.

(٣) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٢: ٣٢٩-٣٣٢؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٥٢-٥٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧٦- ٢٧٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ١٢٠، ١٤٠.

أبناء أمير الجيوش بدر

خلف بدر من الأبناء ابنه الأفضل، والمظفر جعفر[٤]، وهذا مات قتيلًا في سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)[٥]، والأوحد ولي الإسكندرية ومات قتيلًا سنة (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م).

ويلفت النظر في ضريح بدر والشيخ يونس الهودج المقام على القبر على شكل المحمل المعروف والكسوة الخضراء التي عليه هي نفس كسوة المحمل، كان يكسى بها ضريح الشيخ يونس سنويًّا بعد عودة المحمل من الحجاز، ويهدى إليه ربع الجمل الذي كان يذبح بمناخ النبقة عند الشيخ

(٤) نسب لجعفر هذا المسجد حيث كانت العامة تنسبه لجعفر الصادق، ذكره المقريزي في الخطط لدى كلامه على حارة برجوان بالقاهرة، قال: «والذي أظنه أن هذا موضع قبر جعفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الملقب بالمظفر»، ولا يزال قبر جعفر هذا إلى يومنا معروفًا بجعفر الأنصاري داخل مصنع نسيج رقم١٨، وتحقق له من حجة وقف المرحوم الشيخ أحمد القصبجي المحررة بتاريخ ٢٢ شوال سنة (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، أنه جدد قبر جعفر هذا ورتب له من وقفه. (المؤلف) ذكر المقريزي في حديثه عن رحبة جعفر بحارة برجوان أن العامة تنسب لجعفر الصادق مسجدًا، يعتقد هو أنه لجعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي، المكنى بأبي محمد الملقب بالمظفر، المنسوب إليه دار المظفر بحارة برجوان، التي موضعها في زمنه دار القاضي شمس الدين محمد بن الطرابلسي الحنفي، وهي على يمنة الداخل من باب حارة برجوان، والمسجد على اليسار، والذي نقل أنه دفن في تربة أبيه أمير الجيوش خارج باب النصر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥٥-١٥٦.

(٥) المظفر جعفر: ولي العلامة عن أخيه الأفضل ونعت بالسيد الأجل [توفي سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)] مقتولًا، ويقال إن خادمه جوهر قتله بمباطنة من القائد محمد بن فاتك البطائحي، ويقال بل كان يخرج بالليل يشرب، فجاء ليلة وهو سكران، فمازحه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة، فوقعت ضربة في جنبه آلت به إلى الموت، ينسب إليه هذا المشهد من جملة ما ينسب إليه، فإنه بجوار داره المعروفة بدار المظفر، انظر: المرجع السابق: ١٥٦، ١٧٣-١٧٤.

سـعيد، وأدرك مؤلفه الاحتفال بهذه الكسـوة كما أدرك الحفل الذي أقامه الأفضل في يوم عاشـوراء والذي كان يقام هناك سـنويًّا، والمحامل بالنظام التي هي عليه الآن معروفة منذ القـدم وكان للفاطميين عناية كبـيرة بها وقد وصف ناصر خسرو في رحلته ما رآه منها بمصر في عهد المستنصر وذكر أنها هوادج مرصعة بالذهب والجواهر وموشاة باللؤلؤ وكان يحتفل بها في الحفلات العامة(١).

وفي أخبار الملك الظاهر بيبرس الأول أنه ابتدأ في سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) بعمل محمـل عظيم، وفي خطط المقريزي «أن محمد بن يوسـف أحد مقدمي الدولة الناصرية في سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، كان له محمـلٌ كبـيرٌ بلغ عليف جماله في اليـوم إلى مائتي عليقـة»(٢)، والمحمل الحالي منسـوب إلى الملكة شـجرة الدر، واسـتخدام المحمل في أيام الحج نظام قديـم عرفته مصر منذ القرن الرابع الهجري ذكر المقريزي أن أبا بكر محمد بن علي الماداني لما حج في سـنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) خرج معـه المحمل فيها أحـواض اللبن وأحواض الرياحين(٣).

آثار بدر الجمالي

ولبدر الجمالي آثار شـاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يبقي الكثـير لنا منها كأبواب المعزية القاهرة وغيرها مما سـنذكره تفصيلاً فمنها المسجد العمري بثغر الإسكندرية المعروف بالعطارين.

(١) ناصر خسرو، سفر نامة: ١١٥، ١٢٨.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٦- ٣٠٨.
(٣) المرجع السابق، مج. ٢: ٥٩٨.

مسجد العطارين بالإسكندرية

(سنة ٤٧٨- ٤٧٩هـ/ ١٠٨٥- ١٠٨٦م)

وهذا المسجد أول مسجد جامع بني بمدينة الإسكندرية[١]، بناه عمرو بن العاص في سنة (٢٣- ٢٤هـ/ ٦٤٣- ٦٤٤م)[٢]، وقد بني على شكل المساجد الإسلامية الأولى من أربعة أروقة تحملها أساطين بينها صحن مكشوف، وقد ظل هذا المسجد حينًا من الدهر يعرف بالجامع العمري حتى سنة (٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، وفيها أمر العزيز بالله ابن المعز صاحب القاهرة بتجديده، فرسم إلى وزيره يعقوب بن كلس بذلك[٣]، فلما تم نقل إليه منبر جامع عمرو بالفسطاط، وهو منبر قرة بن شريك العبسي أمير مصر في عهد الوليد بن عبد الملك، الذي كان قد استبدل به منبر عمرو بن العاص لقدمه في سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)[٤].

وفي سنة (٤٧٨- ٤٧٩هـ/ ١٠٨٥- ١٠٨٦م) جدده الوزير بدر الجمالي، وزير الديار المصرية في عهد المستنصر بالله الفاطمي[٥]، ومن ذلك الحين صار الجامع يعرف بجامع بدر الجمالي[٦]، بعد أن كان يعرف بجامع العزيز بالله، إلى أن أقام فيه الشيخ محمد بن سليمان المراكشي أحد العلماء المالكية، ومن مدرسي الحديث النبوي بهذا المسجد في أول القرن الثامن الهجري، فصار المسجد يعرف به، وقد توفي هذا الشيخ في سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، ودفن بهذا المسجد وهو صاحب الضريح الموجود به للآن[٧].

(١) أعلام الإسكندرية وآثارها منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع عشر للمؤلف. (المؤلف)

(٢) جامع عمرو بن العاص يعرف بمسجد الألف عمود وهو غير مسجد العطارين، وهو أقدم مساجد المدينة، ويقع في حي اللبان بالإسكندرية في موقع مسجد المنير حاليًا بشارع السكة الجديدة.

(٣) كان يهوديًا من أهل بغداد قدم إلى الشام ونزل بالرملة حيث عمل وكيلاً للتجار، ومنها إلى القاهرة أيام كافور الإخشيدي فتاجر بها وكثر ماله، ثم هرب للمغرب وعاد مع المعز وفي عهد العزيز بالله تولى الوزارة، توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ١: ٢٦٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ١٥٨.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٥.

(٥) يذكر ابن ميسر أن بدرًا «ابتنى بها الجامع المعروف بالعطارين، من أموال أخذها من الإسكندرانيين، وفرغ منه في شهر ربيع الأول»، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٤٦.

(٦) عرف هذا المسجد بالجيوشي نسبة للقب بدر الجمالي أمير الجيوش. (المؤلف)

(٧) محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف بن علي المقرئ الصنهاجي المراكشي: نزيل الإسكندرية، سمع من ابن رواج الستة الأولى من الثقفيات، ومن المظفر بن الفوي، وأم بمسجد قداح، وحدث وكتب في الإجازات، وعاش نحوًا من ثمانين عامًا، ويقال ولد في حدود سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، ومات في ذي الحجة سنة =

أما سـبب تسـمية هذا المسـجد بالعطارين فيرجع للمنطقة التي يقع بها؛ إذ كانت سوقًا للعطارين فيما مضى[1]، وقد قرأنا على باب هذا المسجد النص التاريخي الذي يحمل اسم بدر ونصه:

البسـملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابًا فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفًا إلى الله تعالى وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مايه..[2]



منظر عام لمسجد العطارين بالإسكندرية

= (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، انظر: العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٤٤٧؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٦٧-٦٨.

(١) قال السيوطي وهو باقي الجامع الذي بثغر الإسكندرية، بسوق العطارين، انظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ١١٨.

(٢) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ١٨٨-١٨٩.

مسجد النصر بأسوان

(سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)

وأنشأ بدر مسجدًا جنوبي أسوان بباب بلدة الشلال وسماه بمسجد النصر[١]، كان بدر حينما قام ثوار عرب الصعيد على الخليفة المستنصر في سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) بزعامة كبيرهم الأمير كنز الدولة أبو المكارم هبة الله بن محمد بن علي الربيعي، جرد بدر حملة لمحاربته قادها هو بنفسه فلما ظفر عليه وتم له النصر بنى هذا المسجد وسماه بمسجد النصر[٢]، ولا يزال طابع بدر على هذا المسجد باديًا في منارتيه وقبابه إلى اليوم، ولوجود هذا المسجد بالشاطئ الغربي من النيل ومحاذاته له على مسافة نحو كيلومتر يبقى طول الزمن مغمورًا بماء النيل.

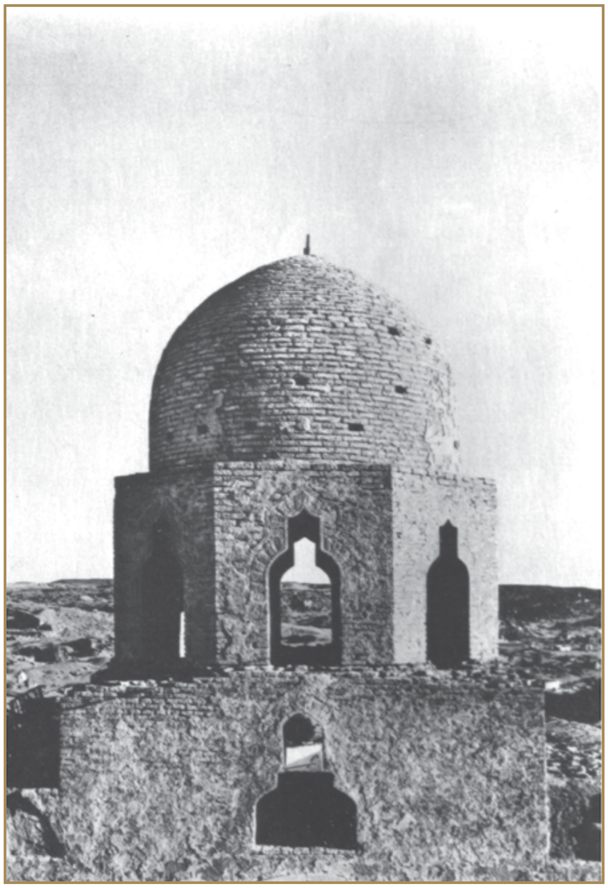
ومن أجل هذا تسميه العامة بالمسجد العائم وتسمى مئذنتاه بمآذن بلال وهما على شكل مخروطي ويجاورهما من آثار المسجد عدة قباب صغيرة متجاورة وقد وجدنا اسم الخليفة المستنصر وأمير الجيوش بدر على إحدى المنارتين مؤلفًا من قوالب ملونة في البناء بالخط الكوفي المزهر كما وجدنا في الأضرحة الموجودة به ضريحا لمن يسمى عبد الأسيد أو حنضل أسيد، كما تلهج به ألسنة العامة في أسوان وإحدى المنارتين تقوم على قاعدة عريضة تعلوها قمة تشكل ثلاث طباق الأخيرة منها مغطاة بخوذة، ولم أر من ذكر هذا الأثر لبدر من المؤرخين غير الحافظ ابن حجر في كتابه «رفع الإصر عن قضاة مصر» في ترجمته لبدر، قال: «ثم توجه إلى الصعيد الأعلى حتى بلغ أسوان فقتل كنز الدولة، الذي كان يغلب عليها، فهزمه وقتله وبنى بها مسجد النصر»[٣].

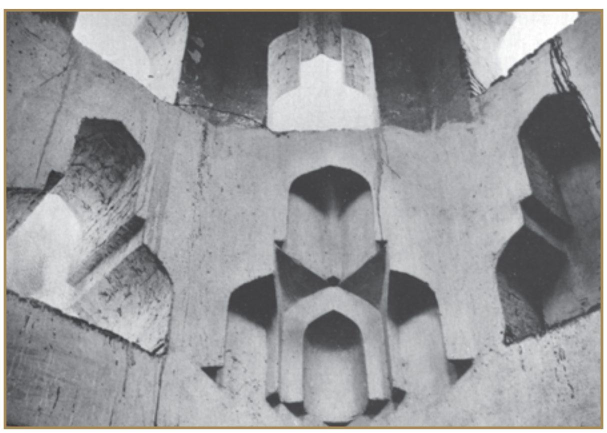
فهذا النص والطابع الفاطمي الذي يحمله هذا الأثر يستبعد كل حدس وتخمين يحوم حوله، ومن طرز مآذن هذا المسجد المئذنة المعروفة بالطابية وتقوم على قاعدة مربعة يعلوها شكل مخروطي ينتهي بدورة ثم خيمة مربعة تغطيها قبة صغيرة وهذه المنارة من بناء من يدعى عبيد الله ابن محمد بن أحمد بن سلمة، وهذا ما يثبته النص التاريخي المكتوب على بدنها بنفس الكتابة الموجودة على منارة مسجد بدر ونص قراءتنا له:

(١) أسوان: قاعدة مديرية أسوان، وهي من المدن المصرية الأكثر قدمًا، وردت في معجم البلدان كبلد في آخر الصعيد، وفي التحفة ثغر أسوان، من أعمال القوصية، وبعضهم يفخم السين فيقول: أصوان، وذكرها المقدسي في أحسن التقاسيم أسوان قصبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة، بها منارة طويلة، ولها نخيل وكروم كثيرة، وخيرات وتجارات، وهي من أمهات المدن، انظر: رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٤: ٢١٦-٢١٧.

(٢) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٤٣.

(٣) العسقلاني، **رفع الإصر**، مج. ٢: ١٣٠.





قبة المشهد القبلي بأسوان «عن كريسويل»

بسم الله وحده رفع هذا المنار عبيد الله بن محمد بن أحمد بن سلمة طلبا لثواب الله ورحمته عمل حاتم البنا وولده

وهــذه المنارة مما وجد في العـــصر الفاطمي ولها نظائر من مآذن أخرى من هذا الطراز بعضها دثر وباقيها آيل إلى الدثور(١)، وبلال الذي نسب إليه الضريح الموجود تحت قباب مسجد النصر عثرنا على شاهد تربته بين شواهد القبور التي بالقرافة، وقرأنا عليه هذا النص:

البســملة. وصلى الله على محمــد وعلى آله وصحبه وسـلم هذا قبر الوليد بن بــلال بن يحيى بن هرون اللَّهُمَّ اغفــر له وأدخله في رحمة ملـكك وأمنه يوم الفــزع الأكبر توفي ليلة الجمعــة لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وميتين

وقد ترجم الإدفــوي في الطالع الســعيد لأبي الوليد هذا، وهو بلال بن يحيى وأرخ وفاته بأســوان في ذي القعدة ســنة (٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، وهو ممن حــدث عن الإمامين مالك والليث(٢).

---

(١) عن منارات أسوان وطرازها، انظر: M.E. El-Hawary, "Trois minarets Fatimides à la frontière nubienne", Bulletin de l´Institut Égyptien: 147-150; K.A.C. Creswell, *Muslim Architecture of Egypt*, vol. I: 131-145, 147, 148-153.

(٢) كمال الدين الإدفوي، **الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد**، ط. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠): ١٧٤.

مسجد أمير الجيوش بالجيزة

(سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م)

وينسب إلى بدر مسجد الأمير علي الإخشيد[١]، الذي بناه له أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن في سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وبقي حتى تخرب بسبب الفيضان فأعاد بدر بناءه في سنة (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م)[٢]، وهو باقٍ إلى الآن ويعرف بمسجد أمير الجيوش بالشارع المسمى بهذا الاسم رقم ٦ وبه ضريح وقبة من سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م).

---

(١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٧٢.

(٢) سقط هذا الجامع في سنة (٣٤٠هـ/ ٩٥١م) بفعل النيل، وبناه كافور الإخشيد مرة أخرى، ووكل الأمر لأبي بكر الخازن أبي الحسن بن علي ابن أبي جعفر متولي الصناعة، وبعضه بناه قره ابن شريك عام الوليد بن عبد الملك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٤.

مسجد إسنا (القاضي أبي الحسين بن النضير)

(سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)

إسنا هي البلد الشهير بالصعيد الأعلى، كانت فيما غبر من الزمن إحدى المدن العلمية بالصعيد أفرد لها ابن سعيد مؤلفًا مستقلاً سماه «الخط الأسنى في محاسن إسنا»[١]، وقد وجد بها من المدارس العلمية ودور القرآن الكريم والمساجد والربط مجموعة كانت تذخر بها المدينة.

وجامعها العتيق هو أحد المساجد التي بنيت بها بعد الفتح الإسلامي، ثم أعيد بناؤه في سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، وقد تحول إلى مسجد جامع بخطبة منذ ذلك الحين، ثم أعاد تجديده أبو محمد جعفر بن أحمد بن النضر الإسنائي نائب الحكم بقوص بعد سنة (٤٢١هـ/ ١٠٢٨م)، وفي سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م) بنى زيادته وأحدث به عمارة كبيرة القاضي أبو الحسين علي ابن محمد بن جعفر بن أحمد ابن النضر الإسنائي، وكان وقتئذ يتولى نظارة الأحباس بقوص وإسنا للخليفة المستنصر بالله، وقد أشار الكمال الأدفوي في الطالع السعيد إلى بناء هذه الزيادة من أجل القاضي المذكور، وهذا النص يرد الزعم بأنه من آثار بدر الجمالي[٢].

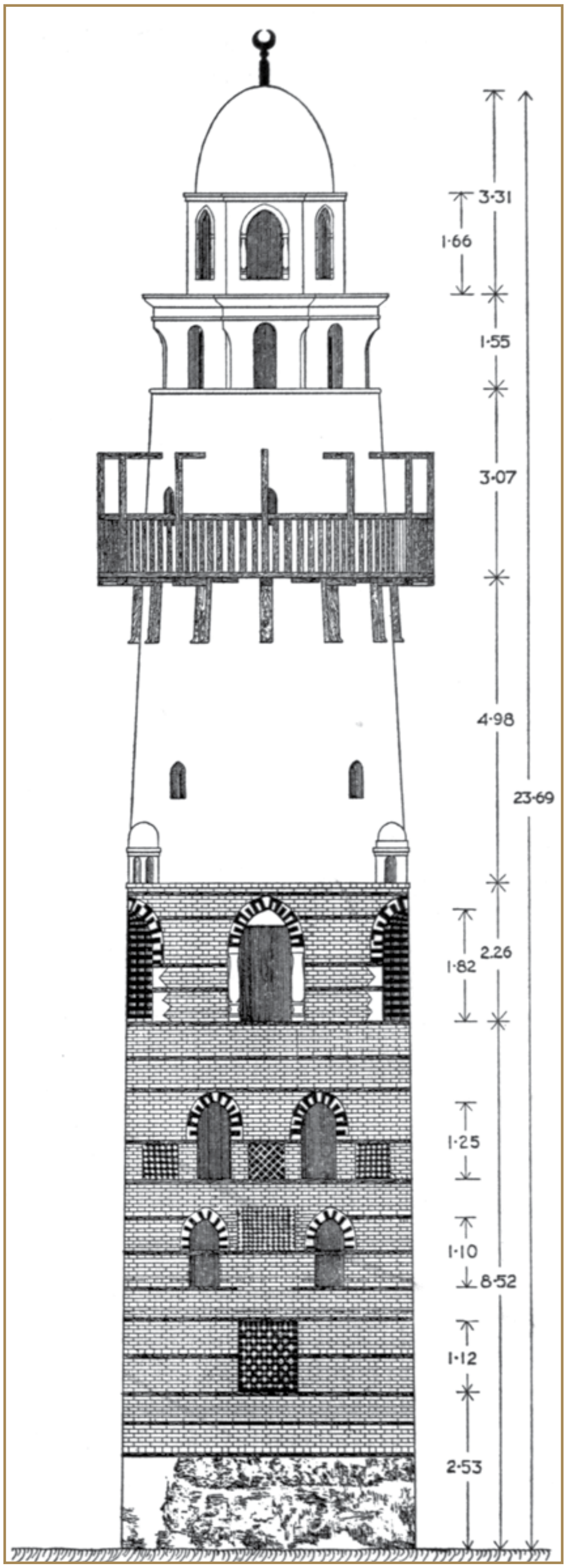
وفي سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) قام الأمير سعد غلام الدولة سارتكين الأرمني بتجديد مئذنته[٣]، ومات ولم تتم عمارتها فتمت بعده، وهي الأثر الفاطمي الذي سلم من التقلبات الزمنية عليه حتى اليوم.

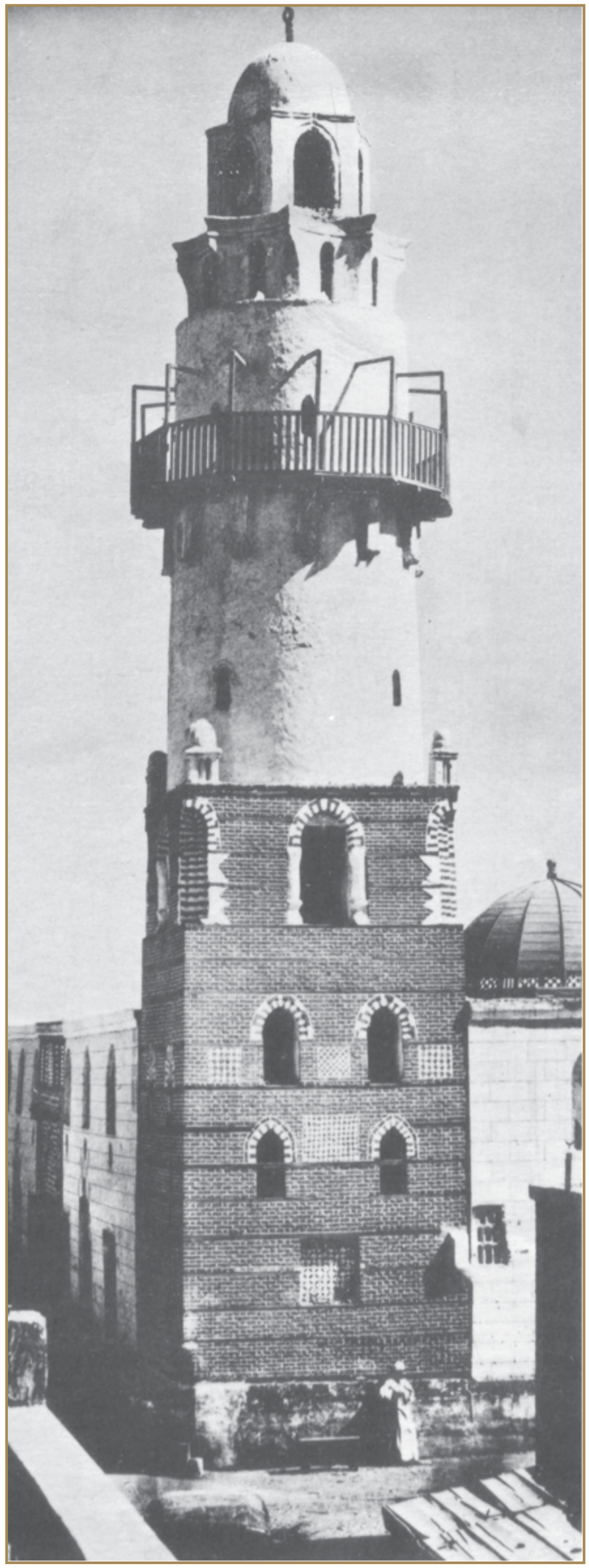
ويوجد بالمسجد مذكرتان مودعتان على يمين ويسار المحراب إحداهما في عشرة أسطر والأخرى في اثني عشر سطرًا يحيط بها إطار منقوش، وإحداهما متوجة بأمر بدر

(١) إسنا: قاعدة مركز إسنا، وهي من المدن القديمة، وهي بلدة من كور مصر التي بالصعيد الأعلى، ذكر الإدريسي أنها واقعة على شاطئ النيل من الجانب الغربي، وهي بلدة عامرة طيبة، كثيرة النخل والبساتين والتجارة، وهي حسنة العمارة مرتفعة الأبنية، وبها مدرستان وحمامان وأسواق، ومنها خرج جماعة كبيرة من أهل العلم والأدب، وبها كثير من الأفاضل، انظر: رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٤: ١٥١.

(٢) يذكر الإدفوي أن بني النضر رؤساء أعيان، وهم الذين بنوا جامع الخطبة بعد العشرين وأربعمائة، وبنى الزيادة التي فيه علي بن محمد منهم، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وكان إذ ذاك ناظر الأحباس بالأعمال القوصية، انظر: الإدفوي، **الطالع السعيد**: ٣٨؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٦٦.

(٣) سعد الدولة الطواشي أبو المنصور سارتكين الجيوشي: أحد عمال الدولة الفاطمية على الصعيد في عهد المستنصر بالله، وهو ابن أخي الأمير كنز الدولة محمد الذي قتله بدر الجمالي في إسنا عام (٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م)، وقد تولى إمرة الصعيد وأصبح واليًا بعد أن عفا عنه الجمالي لوساطة سالمون ملك النوبة، توفي سنة (٤٩٢هـ/ ١١٠١م) خلال إحدى المعارك ضد الفرنجة في عسقلان، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٦، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ١٥٢.





منظر عام ومسقط أفقي لمئذنة أسنا «عن كريسويل»

الجمالي للقاضي أبي الحسين بإنشاء وتجديد المسجد والزيادة فيه.

المذكرة الأولى:

البسملة... إنما يعمر- إلى المهتدين صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصري أدام الله قدرته وأعلى كلمته القاضي أبا الحسين علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن النضر فأسس في النصف من ذي الحجة سنة تسع وستين وأربعمائة وسقف في النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته كما أصرف القيام إلى عمارته..[1]

المذكرة الثانية:

الإطار البسملة، الله لا إله إلا هو- إلخ-

وفي وسطه ما نصه:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله- إلى- المهتدين- هذا مما أمر بإنشاء هذه المئذنة الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج المعالي ذو العزين حسام أمير المؤمنين أبو منصور سارتكين الجيوشي نصره الله وظفره ووفقه وأحسن عونه في شهور سنة أربع وسبعين وأربعمائة ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة والأمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورحم الله من ترحم عليهم آمين يا رب العالمين[2]

وقد تجدد من هذا المسجد بابه العمومي في سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٤م)، واستمر حتى ظهر به خلل أدى إلى هدمه خلا المئذنة وذلك في خلال سنة (١٩٦٢م)، ونقلت المذكرة الفاطمية إلى معبد إسنا الذي يقرب منه.

(١) الحسيني، النقوش الكتابية: ١٧٥.

(٢) عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية: ٦٦؛ الحسيني، النقوش الكتابية: ١٨٤.

مسجد بدر بجزيرة الروضة

وأنشأ بدر مسجدًا جامعًا بجزيرة الروضة بالجانب الغربي لمقياس النيل، وقد عرف بجامع المقياس[١]، وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر في سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، وكان المتخلف من المسجد النص التاريخي الذي يحمله، وهو مكتوب بالخط الكوفي المزهر في ١٣ سطرًا، قرأها مارسيل وأثبتها في كتابه تاريخ مصر منذ الفتح المصري حتى عصر الحملة الفرنسية[٢]، لوحة ٢٢ قرأنا فيها ما نصه:

البسملة... وما توفيقي إلا بالله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدييننصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاءهذا الجامع المبارك فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصرالإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين..[٣]

وقد أزيل ما بقي من أنقاض هذا المسجد وبقيت الأرض الحاملة لمبانيه فضاء حتى سنة (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م)، فأقام عليها المرحوم حسن باشا فؤاد المانسترلي المتوفى سنة (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)، المسجد المعروف باسمه اليوم وضم إليه ضريح الشيخ إبراهيم العريان المعروف بأبي عوف أحد المقيمين بهذا المسجد ومن دفناه[٤].

(١) هذا الجامع أنشأه بدر الجمالي (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، حول المقياس عند الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة، وجدده الملك الصالح نجم الدين أيوب، وذكره المقريزي باسم جامع الروضة بقلعة جزيرة الروضة، ثم هدمه ووسعه المؤيد شيخ (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٤٨-١٤٩، هامش ٢؛ ١٨٠؛ فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ١: ٩٠.

(٢) أيمن فؤاد سيد، **جامع المقياس بجزيرة الروضة**، مج. ٢، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، الكتاب التذكاري (القاهرة، ٢٠٠١): ٩-١٨.

(٣) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢١٤.

(٤) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٢٣. ومسجد المانسترلي ليس في موضع جامع بدر الجمالي بالضبط، وإنما يقع إلى الشمال الشرقي منه بمسافة ٥٠ مترًا.

والأفضل ابن أمير الجيوش بدر المدفون بتربة أبيه سالفة الذكر، هو أبو القاسم الأفضل، من أبرز أولاد بدر، ولد بدمشق في سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، وقدم به والده إلى القاهرة في سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م)، فبقي تحت كنفه حتى شب وأربى على العشرين، ولما أهلت سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) خلع عليه بولاية العهد، وأنابه عنه في الوزارة، وجعله مما يلي علامته[(١)]، وخوله التوقيع عنه في المراسيم والمناشر الوزارية، واستصدر له أمرًا من الخليفة المستنصر بحمل لقب خليفته (فتى مولانا)، دفعت بعدها بالأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين، وقد ظهر هذا النعت وهو أسمى ما كانت ترنو إليه أنظار رجال حكومة الخلفاء لأول مرة في خلافته لأبيه في بلاطة المشهد النفيس المؤرخة في ربيع الأول سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)، ثم ظهر في السنة نفسها في المحراب الأفضلي بمسجد ابن طولون[(٢)].

وقد بقي الأفضل خليفة لأبيه حتى مات والده في سلخ ربيع الأول سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م)، ولما خلصت الخلافة للمستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر أقيم وصيًّا على الخليفة الآمر ووزيرًا مفوضًا للخلافة، وخلعت عليه ألقاب أبيه كاملة، وقد ظهر الأفضل بهذه الألقاب والنعوت فيما تدون ببلاطة مسجد سعد الدولة أبي منصور إسكندر أحد مساجد القاهرة، وهو المسجد الذي دخل في القلعة الصلاحية فيما بعد[(٣)]، كما ظهر على بلاطة مسجد الشريف زيد بن علي زين العابدين.

وقد جعل الأفضل أخاه المظفر جعفرًا مما يلي العلامة عنه «التوقيع»، وخلع عليه بنعوته وبلقبه السابق، ولما استوزر الأفضل كان بادرة أعماله أن طارد نزار ابن المستنصر الذي كان مرشحًا للخلافة بعد أبيه بعهد منه، وكان نزار قد بويع له بالإسكندرية، ولقب بالمصطفى لدين الله، ولما كان الأفضل بينه وبين نزار عداء قديم أشفق على مركزه منه، فطارده في الإسكندرية، ولم يزل به حتى قبض عليه وقتله في القصر بالقاهرة، ثم رغب بعد ذلك في أن يسترد الممتلكات الفاطمية التي كانت قد خرجت عن الدولة الفاطمية، فرد عسقلان والقدس في سنتي (٤٩٠- ٤٩١هـ/ ١٠٩٦- ١٠٩٧م)، ثم كانت بعد ذلك أحداث داخلية وشئون سياسية، لم يقو الأفضل على احتمالها، ولم يجد الطريق الناجح لمعالجتها، وظل يكابد المشاق، ويتحمل الصعاب، حتى مات المستعلي بالله في سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م)، وخلفه الآمر بأحكام الله، فبقي الأفضل في منصبه محفوفًا بالمخاطر والمخاوف من أعدائه، ولم يلبث أن أثر عليه الخليفة الآمر من قتله في ليلة عيد الفطر سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م)، ودفن بتربة أبيه.

واستوزر بدله محمد بن فاتك الموصوف بالمأمون، وكان الأفضل أديبًا معنيًّا بمطالعة الأدب ومجالسة العلماء، وكانت له مكتبة حافظة بشتى الكتب من كل فن، ولما مات الطبيب

---

(١) يذكر ابن ميسر أن أمير الجيوش بدر الجمالي أناب ولده الأفضل وجعله وليًّا لعهده بداية من جمادى الأولى من سنة (٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م)، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٤٧.

(٢) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢١٤، ٢٢٢.

(٣) مسجد سعد الدولة داخل قلعة الجبل بجوار برج المبلط المشرف على تربة يعقوب شاه المهمندار التي في الجنوب الشرقي لسور القلعة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٤١، هامش ١.

الإسرائيلي سلامة بن رحمون وعلم بتسرب مكتبته إلى خارج مصر، اشترى منها عشرة آلاف مجلد[1].

وقف أمير الجيوش

وكان أبوه بدر قد وقف عليه وعلى إخوته زمام أراضي بهتيت والأميرية ومنية الأمراء «منية السيرج»، وقرى أخرى بالجيزة منها سفط ونهيا وأوسيم، ثم وادي النطرون المعروف بوادي هبيب، وأراضي ظاهر القاهرة خارج باب الفتوح من الحسينية حتى المطرية «سراي القبة» وهي التي عرفت بالحبس الجيوشي، وقد تنظر عليها بعد بدر ولده الأفضل، ثم استقر النظر في ورثته إلى سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، فصدر أمر صلاح الدين بحل وقف أمير الجيوش بدر، وأفتى له الفقهاء ببطلان الحبس، وأحيل ورثة أمير الجيوش على ديوان الزكاة.

ويذكر المؤرخون أن حل وقف أمير الجيوش كان لحاجة صلاح الدين إلى المال لإنشاء ديوان الأساطيل البحرية إلى جانب قلة عدد الورثة مع ضخامة ريع الوقف؛ إذ كان هذا الوقف لا يعادله وقف آخر في كثرة خراجه، وقد قدر ابن مماتي في كتابه قوانين الدواوين أن ريع الأطيان والأراضي الزراعية التي للوقف بجهات بهبيت والأميرية والمنية «وهي منية الأمراء أو السيرج حاليًّا» وهي في البر الشرقي بلغ عشرة آلاف دينار أي ما يعادل ٧٥٠٠ جنيه عملة حالية، والمقرر منه للقائمين على إدارته من الطواشية بلغ إلى ثمانمائة دينار، وكان القائمون عليه يبلغ عددهم إلى عشرين طواشيًا «عبيد أغوات» وتقدر أراضي البر الشرقي بحوالي ٤٠٦٤ فدان، أما أراضي البر الغربي وهي سفط «صفط اللبن حاليًّا» ونهيا وأوسيم مركز إمبابة فتقدر بحوالي ٧٨٣٦ فدان، عدا أراضي وادي هبيب[2]، وهي كلها بياض عدا العقارات التي للوقف بالقاهرة وظواهرها، وقد صدر بهذا الوقف حجة شرعية مؤرخة في ٢١ جمادى الأولى سنة (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وتنفذت في أوقات مختلفة آخرها سنة (٥٨٤-٥٨٦هـ/ ١١٨٨-١١٩٠م)[3].

آثار الأفضل

مذكرة جامع الحبايطة منفلوط

(سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م)

استطاع الأفضل أن يبسط سلطانه على أنحاء القطر المصري وأقام في كل بلد من الإقليمين البحري والقبلي نواب حكم يستمدون سلطتهم منه مباشرة دون واسطة، وقد أطلق لهم الزمام في الحكم تحت طاعته، ويظهر هذا النظام الفردي الذي اتخذه الأفضل لنفسه والفردية فيما تخلف

(١) عن سيرة الأفضل بن بدر الجمالي، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٦٠-٧٤؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٩-٨٧.

(٢) المنسوب إليه هذا الوادي هو حبيب بن معقل (بعين بعدها قاف)، صحابي شهد فتح مصر واختط بها، وللمصريين عنه حديث واحد، قال السيوطي في ترجمته نقلاً عن ابن الربيع، وهو الذي ينسب إليه وادي حبيب؛ لأنه كان اعتزل في فتنة عثمان هناك وتوفي به، وذكر المقريزي في الخطط أن هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيما بين الفيوم ومريوط، وذكر ابن دقماق في كتابه الانتصار أن مساحة هذا الوادي ٢٠٧فدان إيرادها مائتا دينار ١٧٥جنيه، وهو من عمل البحيرة في الصحراء الليبية، ومنه يستخرج النطرون والحلفا والملح، وقد استولى عليه بدر واستغله وأضافه إلى موقوفاته، وهذ الوادي حاليًّا هو وادي النطرون وقد خصه الأمير عمر طوسون بالتأليف في كتابه **وادي النطرون** (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٣٥). (المؤلف)

(٣) الأسعد بن مماتي، **كتاب قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز سوريال عطية (مصر: مطبعة مصر، ١٩٤٣): ١٠٢.

لنا من آثاره[1]، ومن هذه الآثار مذكرة سجلت هذا النظام وهي لأحد غلمانه المدعو مرهف الدولة يوسف بن صاروخ الأفضلي، هذه المذكرة التي سجلت هذا الحادث الجلل في مصر موجودة إلى يومنا في مسجد الحبايطة بناحية بردنوها مركز بني مزار[2]، وقرأنا فيها ما يلي:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين هذا ما أمر بعمارة هذا المسجد المبارك مرهف الدولة يوسف بن صاروخ الأفضلي في مستهل شعبان سنة سبع وخمسمائة الهلالية الخراجية رحم الله من قرأه وترحم عليه

مذكرة جامع الغمري بالمحلة الكبرى
(سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م)

وله أيضًا نصٌّ تاريخيٌّ آخر بجامع الغمري بالمحلة الكبرى، قرأناه كما يلي وهو مكون من ثمانية أسطر في لوحة بجوار المحراب وآخر يعلو باب المسجد:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله إلى المهتدين مما أمر بعمارته السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وأنفذ في البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده ومملوكه القاضي الأجل أبو الفتح المسلم بن علي بن الحسن الرصتغني متولي الحكم الشريف بولاية الغربية في المحرم سنة ثمان وخمسمائة.(٣)

والقاضي الوارد اسمه في هذا النص هو أحد ولاة الأقاليم الذين أسند إليهم الأفضل نيابة الحكم، ذكره المقريزي والسيوطي في قضاة الفاطميين، وترجم له ابن حجر في رفع الإصر[4]، استمر نائبًا للحكم إلى أن أقاله المأمون وزير الآمر الذي خلف الأفضل في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)[5]، والرصتغني بالسين أو بالصاد نسبة إلى رستغن بضم الراء وفتح الغين قرية من قرى سمرقند.

هذه النصوص التاريخية وإن كانت خاصة بما أنشأه الأفضل من المساجد أو جدده منها فإنها تحمل في طياتها مدى سلطان الأفضل وما وصل إليه، وتحقق لي من كتاب وقف المرحوم الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن سراج الدين عمر الغمري، الصادر

(١) وهناك كذلك اللوحة التأسيسية لمسجد الأمير سيف الدولة أبي منصور خطلخ الأفضلي من سنة (٤٩١هـ/ ١٠٩٨م) كمثال بارز للنظام الفردي واستقلالية أمراء الأفضل في بناء المنشآت الدينية، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) بردنوها: من القرى القديمة، وردت في قوانين الدواوين لابن مماتي، وفي تحفة الإرشاد، وفي التحفة بردنوهة من أعمال البهنساوية، (فصلت عن مركز بني مزار وتبعت مركز مطاي بالقرار المالي رقم ٣٨ ١٩ ٤ سنة (١٩٤٨م)، وزمامها ٣٠٤٨ف، وبينها وبين بني مزار ١٥كم)، انظر: رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣: ٢١٥.

(٣) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٤٥.

(٤) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ١٥١؛ العسقلاني، **رفع الإصر**، مج. ٢: ٢٦٧.

(٥) القاضي ثقة الملك أبو الفتوح مسلم- بتشديد اللام- ابن علي بن عبد الله الرسعني، ولي القضاء في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، في عهد الأفضل بعد وفاة القاضي الجليس، وصرف في ذي القعدة سنة ست عشرة في عهد المأمون البطائحي، قال ابن ميسر: «وفي ذي القعدة صرف قاضي القضاة ثقة الملك ابن الرسعني، وقد تقدم سبب صرفه، ... وكان قاضي الغربية»، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٨٣-٨٤، ٩٢، هامش ٢٩٤، ٢٩٥.

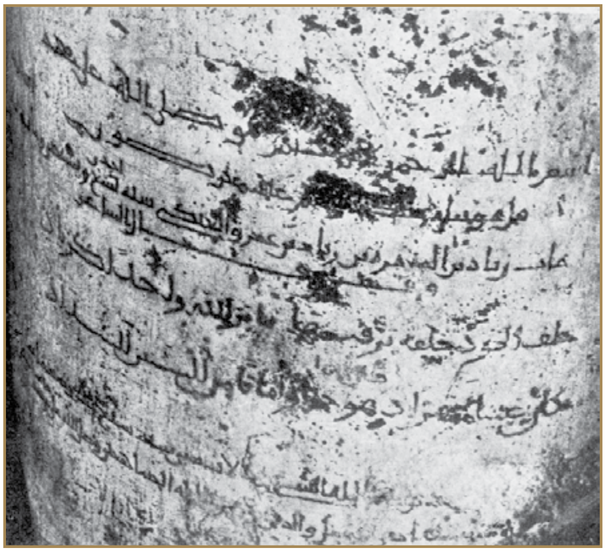
من محكمة المحلة الشرعية بتاريخ ١٩ من شوال سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)، المسجل بمحكمة طنطا الشرعية برقم ١٢ مصر سجل (١٩١٧م)، من أنه أعاد تجديد هذا المسجد، ورمم ما وهن من عمارته، ووقف على مصالحه أعيانًا بالمحلة [انظر هذا المسجد في الأجزاء الآتية].

مسجد الأمير زياد بناحية الشيخ زياد (مركز مغاغة)

(سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م)

وجدد الأفضل مسجد الأمير زياد بن المغيرة بن عمرو بن زياد بن عمر العتكي المتوفى في المحرم سنة (١٩١هـ/ ٨٠٦م)، وأنشأ على قبره قبة ومات الأفضل ولم تتم عمارته، فأتم خلفه إلى سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)، وزياد المذكور أحد من أسندت إليه إمارة دروة (ديروط) بلهاسة من الأعمال البهنساوية[1]، وكانت له أقطاع بها ورثها عنه ابنه أحمد ومات في المحرم سنة (٢٣٩هـ/ ٨٥٣م)، ودفن مع أبيه وعمه إبراهيم بن المغيرة المتوفى في سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)، وقد وجدنا على قبر زياد نصيبة كتب عليها في عشرة أسطر بالكوفي:

البسملة... شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم هذا ما يشهد عليه زياد بن المغيرة بن عمرو بن زياد بن عمرو العتكي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الجنة حق والنار والبعث حق وأن الله يبعث من في القبور توفي في المحرم سنة إحدى وتسعين ومايه.



نقش على عمود لمسجد الأمير زياد «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وقرأنا على عمود في المسجد كتابة بالخط المنسوب في تسعة أسطر محفورة:

تبتدئ بالبسملة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم مات زياد بن عمرو العتكي سنة إحدى وتسعين وماية

وأسفل هذه الكتابة نظم في أبيات نصها:

حلف الجود حلفة بر فيها
ما برا الله واحدًا كزياد
كان غيثًا لمصر إذ كان حيًّا
وأمانًا من السنين الشداد
وملاذًا في الخطوب وكهفًا
وعمادًا ثابت الأوتاد

(١) بلهاسة: قرية قديمة وردت في الانتصار وقوانين الدواوين بالبهنساوية، وفي الانتصار ذكرها مع دروط (الشيخ زياد)، وقال: وبلهاسة كفرها، ولم يرد اسمها في التحفة، وفي تاريخ سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) باسمها القديم الحالي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٥٧؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣: ٢٤٧.

ذكر المقريزي من هذه الأبيات الأول والثاني وأفاد أنها مدح امتدح بها بعض شعراء العصر(١)، كما يوجد بالأعمدة كتابات أخرى تحمل النص الفاطمي لتجديد الأفضل وخلفه للمسجد، ولتجديد الملك الأشرف قايتباي في سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٨٤م)(٢)، وعُمد هذا المسجد ملقاة في بعض حجرات المسجد وخارجه وهي كل ما تبقى من مخلفاته إلى جانب الباب الأصلي المنفصل إلى مخلفات المنبر.

وزمام الشيخ زياد حاليًّا ٣٢٧٤ فدان، وبينها وبين مغاغة ٣ كم، وبها ٩ عزب، وقد انفصلت عن ديروط بلهاسة وسجلت باسم الشيخ زياد وغالب أهلها يرجعون في أنسابهم إلى قبيلتين الفوايد والطويلات(٣).

مسجد الأفضل بقلعة القاهرة

(سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)

وللأفضل مسجد بقلعة القاهرة، ذكره المقريزي ضمن المساجد التي كانت قائمة على سفح شرف المقطم إلى جانب قبة حاتم بن هرثمة قبل بناء القلعة، وسماه بمسجد سعد الدولة(٤).

وقد تخلف من هذا المسجد مذكرة تاريخية قرأنا فيها هذا النص:

البسملة... لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله صلوات الله عليهما وعلى آلهما أمر بعمله فتى مولانا وسيدنا أحمد أبي القاسم المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين على يد مملوكه الأمير الأكمل سعد الدولة أبو منصور إسكندر الأرمني سنة ثلاث وتسعين وأربع مايه.

وقد عرف هذا المسجد بأبي الحسن علي بن مرزوق الرديني العالم الصوفي المتوفى سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، لإقامته به وهو المدفون بتربته بخط سارية «القرافة الناصرية أو قرافة سيدي جلال جنوبي القلعة»(٥)، وكان للأفضل آثار أخرى

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٥٧.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٩.
(٣) الشيخ زياد: من القرى القديمة، اسمها الأصلي دروط بلهاسة، وردت في قوانين ابن مماتي، وفي المشترك لياقوت بكورة البهنسي، وفي التحفة من أعمال البهنساوية، قال: وهي رزقة ضريح الشيخ زياد بن المغيرة، وفي الجزء الأول من الخطط المقريزية دروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد، وبها جامع أنشأه زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، ومات في المحرم سنة (١٩١هـ/ ٨٠٦م) ودفن به، ووردت في دفاتر الروزنامة القديمة باسم حماية وقف الشيخ زياد، وفي تاريخ سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) اختصر الاسم المذكور باسمها الحالي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٥٧؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣: ٢٤٥.
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٤١، هامش ١.
(٥) مسجد الرديني غير مسجد سعد الدولة، والرديني هو أبو الحسن علي بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث المفسر، كان معاصرًا لأبي عمرو بن عثمان بن مرزوق الحوفي، وكان ينكر على أصحابه، وكانت كلمته مقبولة عند الملوك، وكان يأوي بمسجد سعد الدولة، ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالرديني، وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل، وعليه وقف بالإسكندرية، وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره، وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكيزاني، واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٣؛ السخاوي الحنفي، =



نقش الأمير الأفضل بمسجد القلعة «عن مكتبة الإسكندرية»

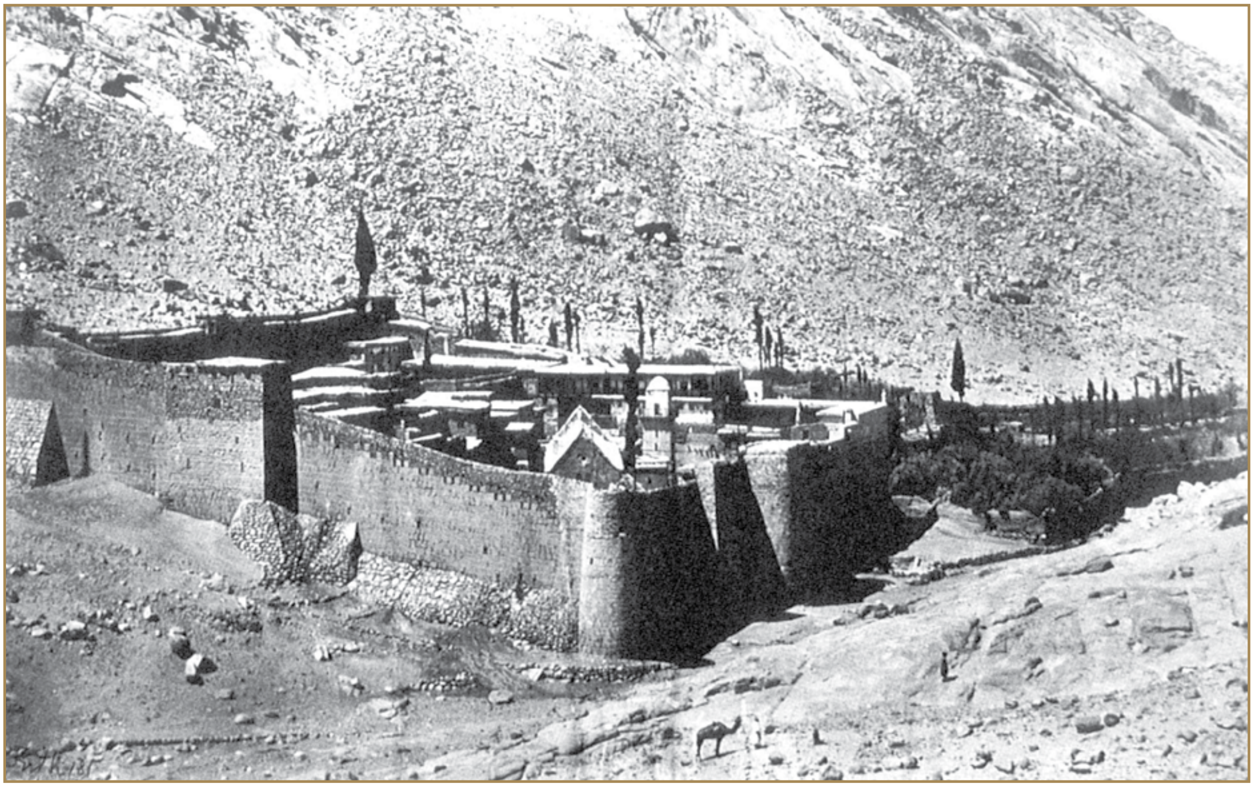
غير ما ذكرناه، ذكر منها المقريزي مسجد الفيلة الذي بناه فوق هضبة المقطم في شعبان سنة (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)[١]، ثم أعقبه ببناء مسجد آخر في نفس المنطقة، وليس لهما أثر فيها اليوم[٢].

= **تحفة الأحباب**:٣٦٩؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**، مج. ١: ٣١.

(١) مسجد الفيلة: يقع هذا المسجد على حرف الجرف الذي يطل على بركة الحبش، فيما يعرف الآن بالرصد، بناه الأفضل في سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤م)، غير ما ذكره صاحب المزارات، والمقريزي في سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) كما في طبعة بولاق، ومات قبل أن يكمله فأكمله المأمون البطائحي، وسمي هذا المسجد بالفيلة لأن في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر، إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد، وعليها السرير وفوقها المدرعون، أيام الخلفاء، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٤٦-١٤٧؛ المقريزي، **المنتقى من**=

= **أخبار مصر**: ٨٤، هامش ٣٠١؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٧٢، هامش ٣.

(٢) مسجد الرصد: بناه الأفضل بعد مسجد الفيلة لرصد الكواكب بالآلة التي كان يطلق عليها ذات الحلق، ويعهده المقريزي من مساجد القرافة، والرصد هو الجبل المشرف على منطقة أثر النبي جنوب مصر القديمة المعروف الآن بجبل إسطبل عنتر، وكان يعلوه مبنى جدده محمد علي باشا وجعله مخزنًا للبارود باسم جبخانة أثر النبي، وربما تكون هذه الطابية قد حلت محل جامع الفيلة القديم، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج.١: ١٤٧، هامش ٤، ج. ٢: ٨٥٤؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٧٢، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: =



مسجد الآمر بأحكام الله بسانت كاترين «عن مكتبة الإسكندرية»

مسجد الأفضل بسيناء

(سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م)

وللأفضل أثر جميل في المســجد المعروف بجامع الدير وهو جامــع صغير بمنــارة[١]، يقع غربي ديــر الإمبراطور جستنيان المعروف بسانت كاترين بســيناء[٢]، ويظهر هذا

= ١٦٠، هامش ٤، مج. ١١: ٢٢، هامش ٢؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٩٧.

(١) بنى هذا الجامع في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٧م)، على يد الأمير عز الملك أبي منصور أنوشتكين الأفضلي الآمري، أحد قواد الدولة الفاطمية، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٥١، وللمزيد عن تاريخ مسجد الأفضل بدير سانت كاترين، انظر: م. هرابينو، «جامع دير القديسة كاترين بطور سيناء»، **مجلة المقتطف** (نوفمبر ١٩٣٦):٤٠٦؛ أحمد عيسى، «المسجد الفاطمي بدير سانت كاترين»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة سوهاج، العدد ٢٤ (٢٠٠١).

(٢) بنته الملكة هيلانة أم القيصر قسطنطين الأكبر (٣٣٧م)، أحد قياصرة الروم، وكانت قد زارت صحراء سيناء وأمرت ببناء كنيسة حول هذا الدير على قرنة جبل الطور لسكنى الروم الأرثوذكس من الرهبان والقساوسة وخلف هذا الدير يقع جبل الطور الذي ناجى عليه سيدنا موسى ﷺ ربه، والذي وردت قصته في القرآن الكريم في آية طلب الرؤية، ولسانت هيلانة المذكورة آثار بالأراضي الشامية أظهرها كنيسة القيامة التي أقامتها على القبر المنسوب للمسيح ﷺ، وجدد بناء الدير المذكور القيصر جوستنيان الأكبر الذي ولي في سنة (٥٢٧-٥٦٥م)، والذي أشرك معه في الحكم زوجته تيودورا في سنة (٥٤٨م)، وبعد أقل من مائتي سنة عثر بعض النصارى على بقايا رفات لسيدة مسيحية فزعموا أنها القديسة كاترين التي ماتت بالإسكندرية سنة (٣٠٧م) قتلًا فدفنوها بالدير، ولا يزال قبرها في هذا الدير إلى يومنا هذا، وعليه ضريح من الفضة أهدي للقبر =

الأثر واضحًا في منبر الجامع الذي يحمل مذكرة تاريخية للأفضل يقرأ عنها هذا النص:

البسملة... لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبي علي المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع عشر وخمس مائة.[1]

أبناء الأفضل

أبناء الأفضل أربعة أولاد أحمد ويلقب بأبي علي كتيفات، وزِّر للحافظ ومات قتيلًا في ٢٦ من المحرم سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م)، ودفن مع أبيه وجده بالتربة المرجوشية، وسند وهذا مات سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٣م) ودفن بسفح المقطم، وحسن وحسين، وللأفضل آثار ذكرناها في محالها في كتابنا هذا[2].

وقد امتدحه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني من دانية شرق الأندلس، وقد دخل مصر سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م)، واجتمع بالأفضل واخترع له الآلات التي ترفع الأثقال «ونش»، وآلة لرفع المراكب من قاع البحر، مات في مستهل المحرم سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٣م) بالمهدية ودفن بالمنستير.

وفي مدحه للأفضل:

ملك تبوأ فوق النجم مقعده ... فكيف تطمع في غاياته البشر
يا أيها الملك السامي الذي ... به الليالي وقد البدر والحضر
بقيت للدين والدنيا ولا عدمت ... جياد وتلك الليالي هذه الدرر
الله زان بك الأيام في ملك ... ملك الحجول في الأيام والضرر
أخي شهنشاه غيثا للندى غدقا ... كل البلاد إلى سقياه تقتصر
ولا بصرت بشمس قبل غرته ... إذا تجلى سناها أغدق المطر
يرجى نداه ويخشى عند سطوته ... كان خصر يوحد فيه النفع والضرر
فاضرب بسيفك فينا ... إن السيوف لأهل البغي تدخر

= من أحد قياصرة روسيا، مقابل ما نقل من مخطوطات الدير إلى هذا القيصر بواسطة عالم الآثار الألماني تشيندورف. (المؤلف)

(١) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) عن سيرة الأفضل بن بدر الجمالي، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٦٠-٧٤؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٩-٨٧.

مسجد جعفر الصادق (جوامرد الأفضلي)

مشهد رؤيا رقم ٥٥٤ (سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م)

هذا المشهد بشارع الصنادقية رقم ١٩، وهو من مشاهد الرؤيا الفاطمية، يثبت ذلك النص المسطور بالقلم الكوفي بالمذكرة التاريخية الآتية أنشئ للإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين، في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله بن المستعلي. أنشأه الأمير جوامرد الأفضلي، غلام الأفضل شاهنشاه سابقًا، ثم زعيم الدولة الفاطمية في عهد هذا الخليفة[(١)].

وداخله مكون من غرفة صغيرة داخلها مقصورة، بها ضريح يقوم على تربة يعزى للإمام جعفر، وواجهته المطلة على الشارع يعلوها روسم عليه كتابه بالخط الكوفي، في أرضية زرقاء في خمسة أسطر، ونصها :

البسملة... لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله علي ولي الله . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك مولانا الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين في المنام لعبده الأمير زعيم الدولة جوامرد الأفضلي في سنة خمس وكان إنشاؤه في سنة ست وتسعين وأربعمائة.[(٢)]

وإلى جانب هذا الروسم بعلو الشباك المجاور للباب روسم آخر، تماثل أرضيته الروسم الفاطمي وفيه كتابة أبيات شعرية تركية تتضمن تاريخًا يفيد أن عمارة أجريت بهذا المسجد في سنة (١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) من السيد إبراهيم مصطفى، وهي بالخط العادي ممهورة بخط كاتبها المدعو بلباغ، ونصها:

**خليلي إبراهيم نجلي مصطفى
هو المصطفى من عصر خير البشر
أنشأ مقامًا ضم أعضاء سيد سليل
التهامي، النذير، المبشر
هو الصادق المعروف من نسل فاطم
وآل علي يا له من بشر**

(١) الأمير جوامرد الأفضلي: أحد أمراء الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي، كان يدعى هزار الملوك جوامرد، وينعت بالأفضل، وقد ترق جوامرد بعد وفاة الأفضل حتى صار من أخص غلمان الآمر بأحكام الله، هو ورفيقه العادل برغش، حتى أنه أوصى بتولية الوزارة للحافظ بأمر الله كفيل طفل الآمر، وخلع الحافظ على جوامرد بالوزارة بعد مقتل الآمر سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٥م)، فشق ذلك على كبار القادة الفاطميين ومن بينهم رضوان بن الولخشي والعادل برغش رفيقه، وحقدوا عليه وثاروا مطالبين برأسه وتجمعوا فيما بين القصرين، فتحايل الحافظ ودبر قتل جوامرد وألقى برأسه للثائرين وأقام بدلاً منه أحمد بن الأفضل الملقب بكتيفات، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ١٣٧-١٣٩.

(٢) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٣٨.

فمذ رام إبراهيم في حين أرخو
يوم العلا أنشا مقامًا لجعفر

وبأسفل هذه الكتابة ؛ كتابه أخرى نصها:

بلباغ المـوفـق للخير كزل
على نسله للخيران خير ضام

ووجد في بعض مخلفات من التربة الموجودة تحت هذا الضريح بعض شـــواهد مكتوب على أحدها: هذا قبر السيد عبد الباقي؛ وآخر مكتوب عليه هذا قبر السيد كمال.

تصحيح الخطأ

وبما ذكرناه عن هذا المشـــهد لأول مرة يصحح الخطأ الذي وقع فيه علي باشـــا مبارك ولم يســـلم منه المقريزي، وفي الوقت نفســـه يظهر هذا الأثر بصورته الحقيقية في هذا التاريخ، وقد ذهبت فيه الآراء كل مذهب وكثر فيه الحدس والتخمين؛ وظل حلقة مفقودة أحقابًا طويلة.

مشهد السيدة رقية

مشهد رؤيا أثري رقم ٢٣٥، رقم ٥٣٣

هذا المشهد بشارع الخليفة جنوبي القاهرة، مشهور بنسبه إلى السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذه الشهرة قديمة يثبتها النص المسطور بالقلم الكوفي الفاطمي الموجود بين الكتابات الأخرى التي على وجهة المحراب الخشبي الذي كان بهذا المشهد ونقل إلى دار الآثار العربية، والنصوص الأخرى التي على دائرة القبر والقبة، وقد جدد هذا المشهد الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٧٥هـ/ ١٧٦١م)(١).

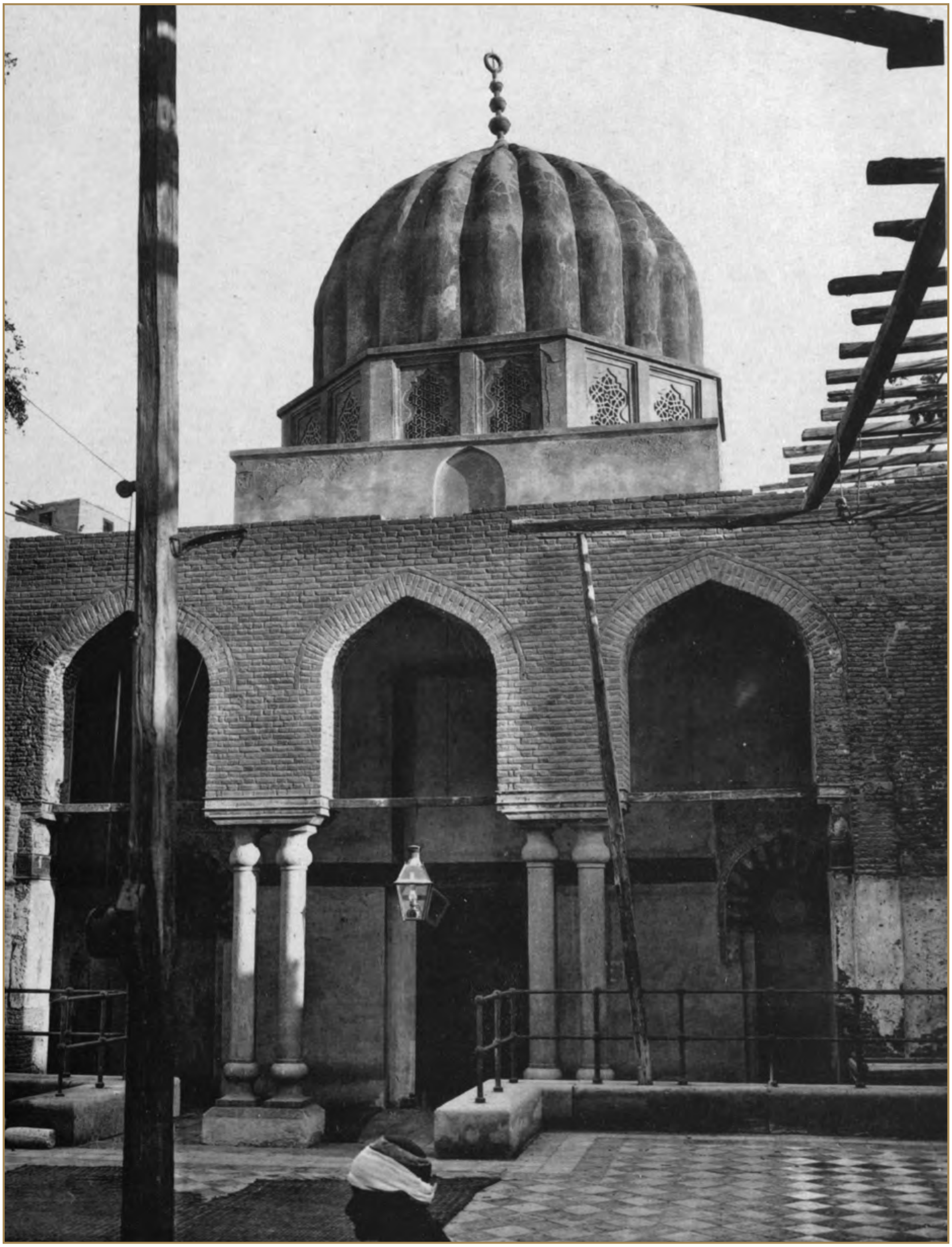
وفي أيام الخديوي عباس باشا الأول بن الأمير أحمد طوسون بن عبد العزيز محمد علي باشا أجريت فيه عمارة، وبني المسجد ووسعت التكية وتجددت بعض المحلات، وركبت على الضريح المقصورة الموجودة اليوم، وهي من الخشب المحلى بالصدف، وكانت فيما سلف على المقام الحسيني، فنقلها الأمير عبد الرحمن كتخدا إلى مقام السيدة نفيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم نقلها بأمر الخديوي عباس باشا المذكور إلى مقام السيدة رقية، وسبقت هذه العمارة أخرى من الأميرة توحيدة هانم بنت العزيز محمد علي باشا، تناولت بعض التجديدات الفرعية؛ وفرش المكان بالسجاجيد بدل الحصر، وزيادة مرتبات التكية.

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٥- ١٠.

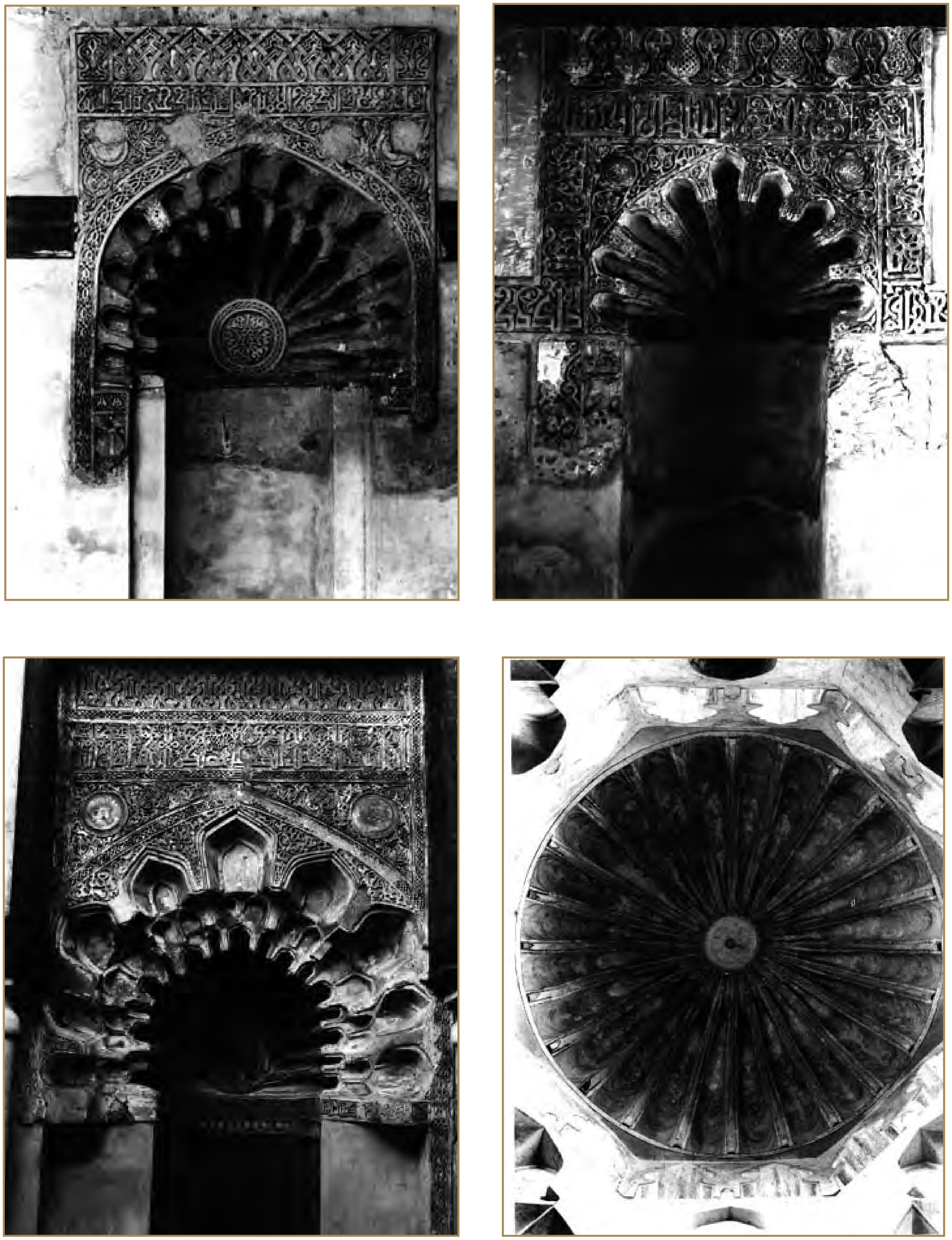
الأميرة توحيدة هانم

وهذه الأميرة التي تصدت لفعل هذا الخير في هذا المشهد هي ابنة العزيز محمد علي باشا، من زوجته الأميرة أمينة هانم بنت علي باشا الشهير بمصرلي؛ وأخت الخديو إبراهيم باشا، المولود سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م) في قرية نصرتلي التابعة لدراما، وتولى على مصر في شوال سنة (١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م)، وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة، ودفن بمدافن الإمام؛ والأمير الحاج أحمد طوسون باشا، والد الخديوي عباس باشا الأول، المولود سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م) في القرية المذكورة؛ وتوفي برشيد في سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، ودفن بالإمام؛ والأمير إسماعيل كامل المولود سنة (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م)، وتوفي في شندي بالسودان في سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م)، ونقل إلى مصر فدفن بالإمام؛ والأميرة نازلي هانم المولودة سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، وتزوجت محمد بك الدفتردار وتوفيت سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) ودفنت بالنبي دانيال بالإسكندرية.

وتزوجت السيدة توحيدة هانم المذكورة بالأمير محرم بك حاكم الجيزة ثم محافظ الإسكندرية، وأخيرًا أمير الأسطول المصري، وهو صاحب الحي المعروف بمدينة الإسكندرية، ومولدها في سنة (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)



منظر عام لمشهد السيدة رقية «عن كريسويل»



زخارف القبة والمحاريب بمشهد السيدة رقية «عن كريسويل»

بالإسكندرية، وتوفيت بها في سنة (١٢٤٦هـ/ ١٨٢٨م)، ودفنت بالنبي دانيال.

كما أنشأ السيد محمد مرتضى في الجهة القبلية منه، زاوية برسم زوجته السيدة أم الفضل التي ماتت قبله؛ صدقة على روحها، ومكتوب على باب المشهد هذا البيت:

بقعة شرفت بآل النبي
وببنت الرضا علي رقية

منشئة هذا المشهد

والباني لهذا المشهد قديمًا هي السيدة علم الآمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي بالله أحمد أبي القاسم الفاطمي الذي تولى الخلافة بعد أبيه في سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م)، وتوفي شهيدًا سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م)، وتولى بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد حفيد المستنصر، وإليها ينسب جامع الأندلس[١]، ورباط ست القصور ومسجد أبي تراب الصواف، وجميعها بالقرافة بحومة ذي النون؛ وقد دثرت[٢].

ومكنون هو الأستاذ الذي كان برسم خدمتها ويقال له القاضي مكنون[٣]، وكانت قد أمرت ببنائه في سنة (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)، وكان المباشر لهذه العمارة أحد تابعيها المدعو أبا تراب الصواف أو الحافظي واسمه تميم فيما يقال، بمساعدة أبي الحسن يمن الفائزي، فعملت هذه القبة وتم بناؤها في هذا التاريخ، أما الضريح فكمل بناؤه في سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٩م)، ولا زال هذا البناء باقيًا إلى اليوم [٤].

ونسبة هذا المشهد إلى السيدة رقية المذكورة محل بحث ونظر، وخلاصة ما ظهر لنا أنه إن لم يكن من مشاهد الرؤيا على ما يرويه ابن الزيات وهو الصحيح المؤيد بالنصوص الآتية؛ فهو للسيدة ابنة الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، وذلك لوجود رواية تنص عليه لكنها ليست بثابتة عندنا من وجوه عدة، وهذا القول وإن لم نجزم به إلا أننا رأينا في تواريخ الفاطميين ما يعضده [انظر ابن دقماق والمقريزي وابن ميسر وابن زولاق وغيرها].

قبة عاتكة وجعفر

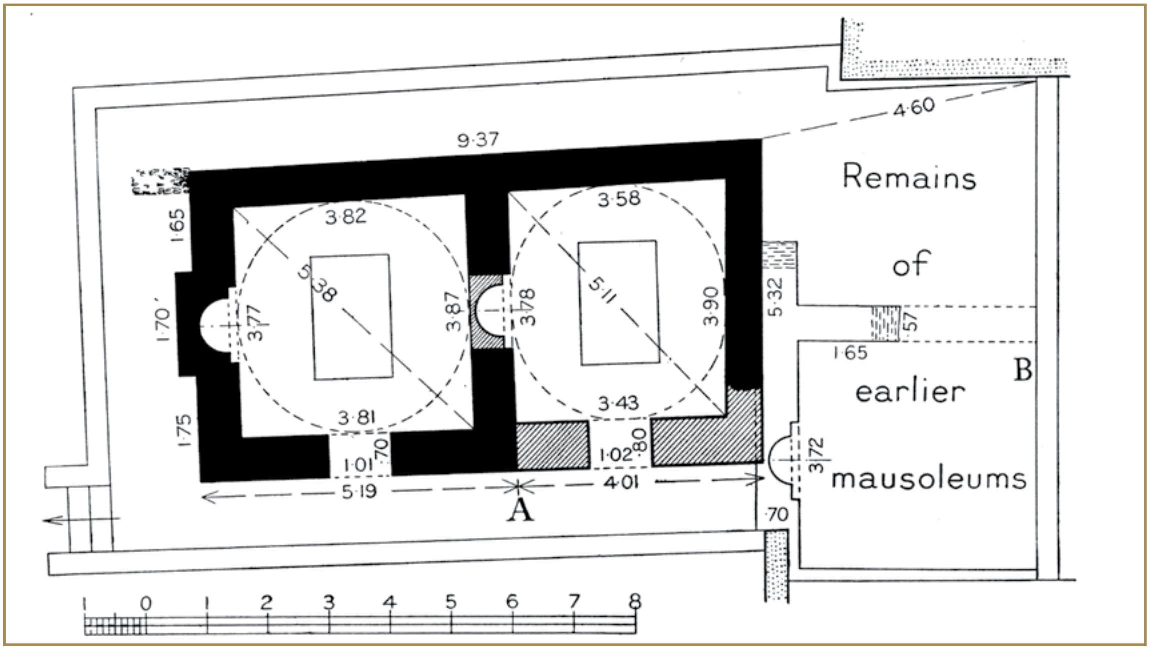
وبهذا المشهد قبر ينسب إلى السيدة عاتكة عمة حضرة النبي ﷺ وهذا غير صحيح، وقد يكون فيه السيدة عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل العدوي القرشي زوجة محمد بن أبي بكر الصديق الذي تولى حكم مصر في خلافة الإمام علي، وتزوجها المذكور بعد الزبير بن العوام ودخلت معه مصر ومات كلاهما بها، وانظر لم دفنت بهذا

(١) هذا المسجد في شرقي القرافة الكبرى بجانب مسجد الفتح، في الموقع المعروف بالنقعة، وهو مصلى المعافر على الجنائز، ويقال إنه بني عند فتح مصر ثم بنته جهة مكنون القاضي وهو الأستاذ الذي كان بخدمتها، واسمها علم الآمرية، أم ابنة الآمر التي يقال لها ست القصور سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣٢م)، على يد الشيخ أبي تراب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٥٦.

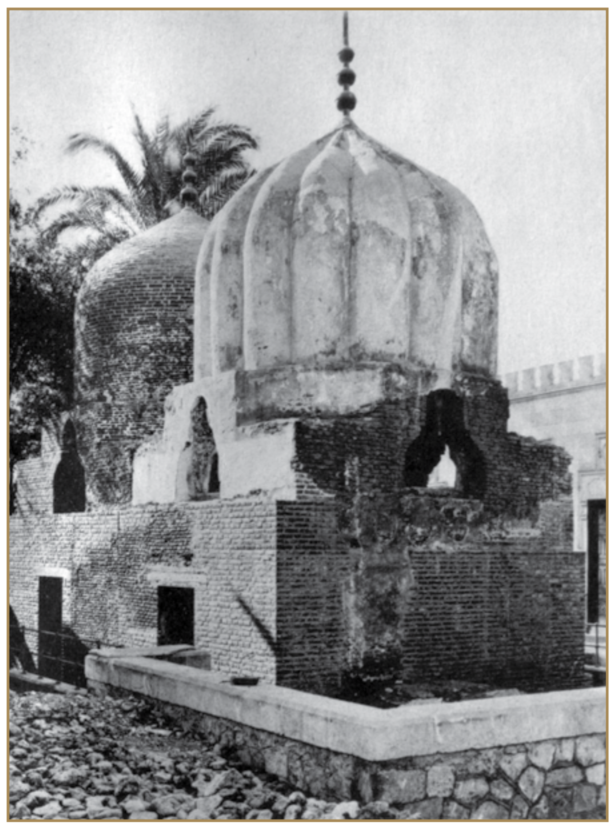
(٢) الآمر بأحكام الله: أبو علي المنصور بن المستعلي تولى الخلافة عقبًا لأبيه سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م)، عن عمر بلغ خمس سنين، قتل يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) بالقرب من المقياس عن أربع وثلاثين عامًا، في مدة خلافة بلغت تسعًا وعشرين سنة، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٠، ٩٠.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٥٦.

(٤) المرجع السابق: ٨٦٠، هامش٤؛ ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٧٨؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٢٠-١٢٢.



مسقط أفقي لقبتا جعفر والسيدة عاتكة «عن كريسويل»



منظر عام لقبتا جعفر والسيدة عاتكة «عن كريسويل»

المكان ولم تدفن بالفسطاط، سيما أن هذا المكان لم يكن محلاً للدفن في الوقت الذي توفيت فيه؟!

وإلى جانب قبة السيدة عاتكة قبر السيد علي الجعفري، وهو فيما يظهر من قول صاحب المصباح وغيره أبو الحسن الصوفي بن يعقوب بن عيسى بن إسماعيل بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب، كان يلقب بالجارح لسكناه بكوم الجارح بمصر، ترجمه الأزروقاني في بحر الأنساب ووسمه بالتقديس والصلاح، وأم أبيه الأعلى إسماعيل رقية بنت موسى الجون ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، والجعفري وعاتكة في قبتين تحاذي إحداهما الأخرى، ويظهر من تفاصيلهما المعمارية أنهما أنشئتا في زمن يسبق زمن قبة السيدة رقية؛ وقد تكون إحداهما تسبق الأخرى، ويقال إن إحداهما أنشئت في زمن الحاكم سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١٢م)، والأخرى أنشئت في عهد الآمر سنة (٥١٦هـ/ ١٠٢٥م).

قبر التاج بهرام ونقيب أشراف مصر

وقد دفن بهذا المشهد نقيب أشراف مصر في القرن التاسع، وهو السيد حسن بن أبي بكر الحسيني الأرموي، وقد سبق له في حياته أن عمَّر هذا المشهد وسكن بجانبه [انظر الضوء اللامع]، وأصله من شرفاء الرملة من ذرية عبد الله بن الإمام موسى الكاظم[١].

ودفن به أيضًا الشيخ أحمد بن علي محمد الدميري أحد علماء المالكية من أهل القرن التاسع، ترجمه الحافظ في الضوء أيضًا، قال في آخر الترجمة: «مات في يوم الأربعاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وصلى عليه بسبيل المؤمني، ثم دفن بجوار بيته في تربة السيدة رقية بالقرب من المشهد النفيسي، قريبًا من قبر قريبه التاج بهرام»[٢] ؛ وبهرام المذكور هنا هو بهرام بن عبد الله السلمي الدميري، ترجمه السخاوي في الضوء[٣].

ولأحمد المذكور أولاد دفنوا بهذا المشهد ذكر منهم السخاوي عبد القادر، قال في آخر ترجمته: «ودفن من الغد عند أبيه بمحل سكنهما»[٤]، وفي موضع من الضوء يترجم لأفراد من هذه الأسرة ويذكر بهذا المشهد.

والتربة التي دفنوا بها هي الموجودة هناك في الجهة البحرية من المشهد من داخل الغرفة التي على يسار الداخل إلى المشهد، وقد كان لكل من هؤلاء علامات ظاهرة تدل على قبورهم في نفس الحجرة المشار إليها، فكان قبر بهرام تحت الشباك البحري ويجاوره قبور أقاربه وغيرهم، والآن هذه الحجرة مستعملة لاستقبال شيخ المشهد ضيوفه وزائريه.

قبر السيد مرتضى

وفي جانب من المسجد قبر خاتمة المحققين النسابة أبي الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الشهير بالسيد الزبيدي الحنفي، ينتهي نسبه في محمد بن أحمد المختفي بن عيسى مؤتم الأشبال بن زيد بن زين العابدين، وأصل سلفه من أشراف واسط العراق؛ وترجمته واسعة تناولها كثير من المؤرخين، وأفرد لها بعض تلامذته تأليفًا مستقلًّا؛ وله جانبه ضريح زوجته السيدة أم الفضل زبيدة، ماتت قبله في سنة (١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م)، ووجد عليها وجدًا ودفنها بهذا المكان، وعمل لها مقامًا ومقصورة وستورًا وفرشًا، واشترى مكانًا بجواره وبنى به بيتًا صغيرًا وزاوية، واستمر يلازم التردد إلى قبرها حتى توفاه الله وأوصى أن يدفن بجانبها.

قبر خوند فاطمة والشريفة قاسمة

وإلى جانب قبر السيد مرتضي وزوجته بفاصل قبر خوند فاطمة بنت الأمير بيبرس الناصري؛ توفيت في رجب سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م)، ويقابل ضريحها من الناحية البحرية ضريح فيه على ما ذكر لنا السيدة الشريفة قاسمة من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى متأخرة الوفاة، وهي جدة شيخ هذا المشهد الحالي المدعو الحاج أحمد بن محمد الإسكندراني القادري.

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٣٨.
(٢) المرجع السابق، مج. ٢: ٧٨.
(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ١٩-٢٠.
(٤) المرجع السابق، مج. ٤: ٢٦٣.

مسجد السيد محمد مرتضي

وخلف هذه القبور مسجد تقام فيه الشعائر؛ وهو مسجد السيد مرتضى الزبيدي، أنشأه في سنة (١١٩٧هـ/ ١٧٥٤م)، ثم جدده ديوان الأوقاف.

منطقة شارع الخليفة والأشراف

ويؤخذ مما ذكره المقريزي وصاحب المنهل أن هذه المنطقة المقام عليها هذا المشهد وما قرب منها كانت في وقت مبكر بساتين ومزروعات؛ منها ما يعرف ببستان الوزير ابن المغربي؛ وبستان آخر، قال عنه المقريزي إنه عرف أخيرًا ببستان شجرة الدر، قال: «وهو حتى الآن سكن الخلفاء، بالقرب من المشهد النفيسي» قال: «ويتصل بستان شجرة الدر ببساتين إلى حيث الموضع المعروف اليوم بالكبارة من مصر (شارع المذبح)»[١]؛ ثم كان ما ظهر منها بعد ذلك ميدان فسيح أنشأه الملك السعيد بركة خان بن الظاهر بيبرس البندقداري في سنة (٦٧٦-٦٧٧هـ/١٢٧٧-١٢٧٨م)، امتد من حيث المنطقة المعروفة بالمراغة تجاه باب السيدة نفيسة بنت الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا للجهة القبلية الغربية حتى كوم الكبارة حيث باب مدينة مصر [انظر تفصيل الكلام على الميدان السعيدي في هذا الكتاب][٢].

ومما ذكر يتبين ما كانت عليه هذه المنطقة في القرن الرابع إلى أواسط القرن التاسع الهجري وفي موضع هذه البساتين على قيد غلوة من الميدان السعيدي، كانت تقوم المشاهد الحاكمية الثلاث التي أمر الحاكم ببنائها في سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١٢م)؛ كما يذكر المقريزي وغيره، ومنها مشهد محمد الأصغر الباقي بها إلى اليوم، ومشهد السيدة سكينة، ومشهد عاتكة، كما كان يقوم عليها أيضًا مشهد السيدة رقية الذي نذكره[٣]، ثم أقيم عليها بعد ذلك تربة شجرة الدر، ثم قبة الأشرف خليل ومدرسة أم الصالح.

وكان مسير هذه البساتين يبتدئ من ظاهر باب زويلة ثم يسير منحدرًا إلى القطائع حيث صليبة ابن طولون بقناطر السباع فمنطقة زين العابدين حيث الأرض الصفراء، ثم تنعرج نحو درب السباع بهذه المنطقة، راجع المصدر المذكور ثم راجع كتب المزارات الإسلامية التي لم تذكر هذه البساتين، وأخصها مرشد الزوار المؤلف في القرن الثامن الهجري.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: طراز دائر بالقبة بالقلم الكوفي على أرضية زرقاء، ونصها:

> **البسملة... إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش إلى قوله تعالى العالمين [الآية ٥٤؛ من سورة الأعراف] وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا، في شهر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وخمسمائة وحسبي الله**

المذكرة الثانية: في إزار محيط بالتركيبة المقامة على القبر:

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٢٣- ٥٢٦؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٣١١.

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٩٥.

(٣) المرجع السابق: ٥٦، ٤١٤.

البسملة... قل هو الله أحد... إلخ، هذا ضريح السيدة رقيــة بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من عترته أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين

المذكرة الثالثة:

البســملة... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا، أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمــة الآمرية التي يقوم بخدمتها القــاضي مكنون الحافظي على يد الســني أبو تراب حيدرة بن أبي الفتح فرحم من ترحم عليه في ســنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

المذكرة الرابعة: بالمحراب الخشبي الذي نقل إلى دار الآثار العربية، وهي تبتدئ بالبسملة وآيات قرآنية ثم تنتهي بما نصه:

مما أمــر بعمله الجهــة الجلية المحروســة الكبرى الآمرية التي يقوم بأمر خدمتها القاضي أبو الحسن مكنــون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير الســديد عفيف الدولة أبو الحســن يمــن الفائزي الصالحي برسم السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين علي

وصف المشهد

ولم يكن ثمة مذكرات تاريخية سوى نقوش وزخارف كتابية بالخط الكــوفي، بالضريح والمحاريــب من القرآن الكريم من سورة الدخان من الآية [٥١ - ٥٩]، وسورة البقرة من الآية [٥١ - ٥٩]، وسورة البقرة من الآية [٢٥٦ - ٢٥٧]، وسورة الأعراف الآية [٥٤] وغيرها.

والمشــهد إلى هذا التاريخ حافظ لشــكله، فواجهته المبنية بالآجر بها محرابــان عليهما نقوش وزخارف كتابية يتوســطهما باب ينتــهي بغرفة يتوســطها الضريح، ويحيط به إزار من خشــب خرط دقيق، والقبــة مرفوعة على أربع أســاطين رخام، وظاهرها مضلع من نوع القباب الفاطمية، وبالجدار الشرقي ثلاثة محاريب حافلة بالزخارف والنقوش الكتابية أكبرها محراب القبة، وعلى يمين ويسار القبة إيوانان بكل إيوان محراب.

وفي طرفي واجهة المشهد تابوتان أحدهما لخوند فاطمة الناصرية المذكورة آنفًا، وهو تابوت من خشب خرط قد عدا عليــه البلى والقدم لكنه حافظ لشــكله مكتوب بدائرة في طراز ما نصه:

البسملة... [آية الكرسي] صدق الله العظيم وصدق رســوله الكريم أمر بإنشــاء هذا الصندوق المبارك الســعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه الست الجليلة ســكزباي جهــة الجناب العــالي المولوي الأميري وذلك عند وفاة الست المصونة فاطمة ابنة بيبرس النــاصري إلى رحمة الله تعــالى يوم الإثنين المبارك سادس شــهر رجب الفرد المحرم سنة أربع وستين وثمانمائة والحمد لله

وفي مقدمة الواجهة ســقيفة «ســاباط» محمولة على أسطوانات، ومنها إلى رحبة محصورة بين حاجزين من حديد حديثين، وفي نهايتها من الجهة القبلية قبر الســيد مرتضى المذكور، ثم يصل السالك من هذه الرحبة إلى الجهة الغربية القبليــة، يقابله قبتــان من آجر لكل منهما باب مســتقل يحيــط بهما حاجز مــن حديد في منخفــض من الأرض،

تنسب إحداهما إلى السيدة عاتكة والثانية إلى السيد علي الجعفري، وليس بهما نصوص تاريخية .

وإلى جانبهما مقبرة قديمة كان بها فيما سلف قبور ظاهرة وقد تخربت الآن، ومن بينها قبر يعزى إلى الملك المعز أيبك التركماني مؤسس دولة المماليك الأولى بالمملكة المصرية، وهو غير صحيح لأن تربة المعز أيبك المعروفة بالمعزية كانت واقعة على شارع الإمام الليث والإمام الشافعي، بين الزاوية العدوية «جامع سيدي علي» وبين قبة التكروري، وهو ما يؤيده قول السخاوي في تحفة الأحباب.

وهذه المقبرة ليست إلا بقية من تربة علاء الدين ابن المعز فيما يظهر، وليس للمعز أيبك أي أثر يذكر له الآن، رغم أنه بنى هذه التربة، ومدرسة بالفسطاط عرفت بالمدرسة المعزية، تولى عمارتها وزيره الفائز في سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، وقد دخلت فيها مجموعة من مفردات القلعة الصالحية ، وكانت بالفسطاط برحبة الحنا على مقربة من رباط الآثار وجامع الأفرم ، ولا زالت باقية إلى اليوم متغايرة وسنذكرها[1]، والمحتمل أن هذا القبر ، هو قبر علي بن المعز أيبك لا قبر المعز نفسه.

ويجاور باب المشهد العمومي سبيل بأعلاه مكتب أنشئ في سنة (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م)، ثم ينتهي السالك من هذا المشهد إلى ممر بطرفيه بابان: الأول منها مقعد لشيخ المشهد المذكور آنفًا، والثاني مسكن لخادم الشيخ بهرام المذكور.

خلاصة لما تقدم

مما قدمناه في هذا البحث عن هذا المشهد يتبين منه: أن مشهد السيدة رقية هذا منسوب إلى السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب، وهي نسبة جاءته من طريق بعض الناس إذ جاء أنه نام في هذا المكان، وكان بستانًا كما قدمنا، فرأى أن سيدة وقفت عليه وأخبرته بأنها رقية ابنة الإمام علي- فلما استيقظ من نومه اتصل بالسيدة الآمرية المذكورة آنفًا وقص عليها ما رأى، فاستحسنت أن يبنى في نفس الموضع مقام ينسب إليها، ويظهر أنها كانت تعلم أن رقية ابنة الإمام علي هذه ماتت طفلة، فقد ظهر من كلام المؤرخين والنسابة أنها ماتت رضيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(١) ابن دقماق، **الانتصار**: ٩٣.

مشاهد الرؤيا بالقاهرة

ونحن إن نذكر ذلك فإنما نريد أن ننبه الأذهان إلى أن المشــاهد التي انبنت إقامتها على رؤيا منامية وقعت لبعض العوام واتصل علمها ببعض ولاة الأمور فأمر بالبناء عليها وإشــادتها ومنها هذا المشهد وغيره، لم تكن تخص العصر الفاطمي فحســب، بل وجدت في عصور أخرى مختلفة في القرن السابع والثامن والتاســع، حتى قبيل الدولة العلوية مثال ذلك:

مشهد السيدة فاطمة الكبرى

رباط دولات بنت عبــد الله التتارية، الكائن بدرب بطوط المجاور لســوق الغنم، المنسوب لكبرى بنات الإمام الحســين، الســيدة فاطمة الكبرى، والســخاوي في الضوء اللامع؛ يؤكد أنها الســيدة فاطمة بنت الشريف الفخري، ويــؤرخ وفاتها في ســنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) [انظر ترجمة هذا الجامع في هذا الكتاب].

مشهد السيدة فاطمة بنت جعفر

ونسبوا لهذه السيدة نفسها ثلاثة مشاهد أخرى:

الأول: بسكة النبوية بدرب سعادة «الوزيرية سابقًا»، وهو مشهد حديث الظهور، ظهر منذ مائة وخمسين عامًا كما يثبته الخط الموجود في اللوح الرخام الذي يعلو بابه، وقد كانت هذه المنطقة في العصر الذي يضعون فيه تاريخ وفاتها ميدانًا لأبي بكر بن طغج الإخشيد كما في خطط المقريزي[1].

الثاني: بجامع المرأة بشارع تحت الربع وهو لأميرة مصرية تدعى خوند فاطمة بنت رشيد الدين البهائي، أتمت بناء هذا الجامع بعد وفاة أبيها في سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، كما في النص التاريخي الذي لا يزال به لليوم.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٢٥.

الثالث: بالوايلية بحري القاهرة وهو من المزارات التي ذكرها السخاوي الحنفي في تحفة الأحباب ونسبه إلى شخص معلوم.

مشهد السيدة فاطمة الزهراء

وثمة رابع وهو بأم الغلام بحارة الغلمان الصالحية الصغرى «شارع أم الغلام»، ونسبة هذا المشهد إلى السيدة فاطمة الزهراء، كما يثبته النص المسطور بروسم موضوع الآن بجانب محراب الناصر محمد بن بردبك مؤرخ بسنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، وهذه النسبة جاءت إليه من طريق من باحات القصر الفاطمي، بناها العزيز في حوالي سنة (٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)، وعرفت بقاعة السيدة فاطمة الزهراء؛ كما بينا في ترجمة هذا الجامع في منشآت القرن التاسع[1].

ويبدو أن بهادر الأشرفي رأس نوبة المتولي في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) دفن بهذا المشهد بعد تعليقه على باب داره المجاور له من الناحية البحرية، تدل عليه هذه الأسطورة التي تتناقلها العوام عن مشهد أم الغلام [انظر تفصيل الكلام على هذا المشهد فيما يأتي].

مشهد السيدة عائشة

ونسبوا لأم فروة التي تسميها بعض الروايات عائشة بنت الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)، المشهد الكائن بقرب الميدان الكاملي قسم الخليفة بحري باب القرافة من داخله، وهذا المشهد بالرغم من محاولة بعض الكتاب قدماء ومحدثين تصحيح نسبته إلى هذه السيدة، فإنه لم يظهر إلا منذ أوائل القرن الثامن الهجري، إذ لا يوجد لدينا أي مصدر كتب عن هذه الناحية من تاريخ مصر الإسلامي وخص هذا المشهد الكواكب السيارة لابن الزيات المؤلف في سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، والعبارة التي ذكرها لا تعدو أنها ذكرت لدافع دفع بابن الزيات إليها، وقد فات هؤلاء الكتاب جميعهم وفيهم المنعم أحمد زكي باشا رحمه الله أن ابن الزيات قطع نسبها بالإمام جعفر ولم يصلها به إلا السخاوي في تحفة الأحباب.

وفي الوقت الذي يضعون فيه وفاتها في النصف الأول من القرن الأول للهجرة، نجدها حية ترزق متزوجًا بها عمر ابن عبد العزيز العمري أمير المؤمنين في عهد الهادي، ولم تبرح أرض الحجاز إلا في سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) (انظر أنساب الأزورقاني وتاريخ ابن أنجب).

أضف إلى ذلك أن هذه المنطقة كانت من سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) ميدانًا لابن طولون، ثم ميدانًا للملك الكامل بعده، وبقيت إلى آخر القرن السابع بوصف ميدان للسباق والجري كما في خطط المقريزي[2].

ولم تبدأ تظهر كجبانة عمومية إلا بعد السبعمائة كما يذكر المقريزي، وذلك عندما أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون ببناء تربة لمملوكه بيبغا التركماني في سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، وهي التربة التي تبقى منها قبة جميلة بالقرافة التي

(١) جامع بردبك الدوادار أو دار الحديث البردبكية: بشارع أم الغلام (حارة الغلمان الصالحية سابقًا، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٢٥.

نسميها بقرافة المماليك الناصرية المعروفة بصحراء سيدي جلال[1].

وقد تتابع الأمراء الناصرية البناء في هذه المنطقة حتى كثرت بها الترب والقباب كثرة لا حد لها، وقد بقيت من آثار ما نشاهده فيها من القباب الجميلة، كقبة تنكز بغا المارديني، وقبة طاقتمر الدمشقي، وقبة ومئذنة خوند سمراء الأشرفية، ومتخلفات من قبة لها أخرى، وقبة ومئذنة قوصون، وقبة كافور الهندي المعروفة بأبي الخير المنوفى نزيل جامع محمود.

وقد تقدمت هذه القباب جميعها قبة الصوابي (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)، التي تلاصق قبة سودون العجمي أمير مجلس (٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، كما أضيف إليها بعض آثار أخرى كالقبة السالفة الذكر، وإيوان أو مقصورة نوروز (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، إلى غير ذلك مما سنذكره في جزء آثار القرافة.

وبنى تمر باي الحسني الزردكاش تربة في الجانب القبلي لباب القرافة، بقيت منها قبتان، كما بنى الأمير قجماس في داخل باب القرافة حيث المنطقة التي يقوم بها جامع السيدة عائشة البادية الذكر مدرسة، لا تزال منها بقية تدل عليها.

وقد نسبوا لأبي السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مشهدًا بالصنادقية كشفت حقيقته المذكرة التي تعلو بابه- وقد تقدم ذكرها إلى غير ذلك مما سيرد ذكره في هذا الكتاب مفصلاً، ولقد كان من وراء ذلك أن ذهب العامة في هذا المعنى مذهبًا بعيدًا، فنسبوا عدة أماكن لشخصيات عديدة مختلفة، منها مسجدان كلاهما عرف بمسجد النبي.

(١) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٨٥٠-٨٥١، هامش ٤، ٩٠٩، ٩١٢.

مسجد سنجر الجمقدار

الأول: أحدثه سنجر الجمقدار في سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، بشارع الركبية كما تدل عليه المذكرة التاريخية التي كانت تعلو أسكفة شباك المسجد إلى سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)، ثم نقلت إلى دار الآثار بعد هدم المسجد وكان يقرأ فيها ما نصه[2]:

> **البسملة... عمر هذا المسجد المبارك ويعرف بمسجد النبي العبد الفقير إلى الله تعالى سنجر الجمقدار وأوقف عليه القاعة التي بجواره والطبقة التي فوقها وإسطبل والطبقة التي بجوار الطاحون يكون الوقف على إمام المسجد والمؤذن والوقيد ومهما فضل يكون للعمارة وذلك في شهور سنة عشر وسبعمائة غفر الله لمن دعا له بالرحمة آمين**

والقاعة المشار إليها في هذا النص لا تزال باقية إلى اليوم؛ وقد تحولت إلى مسجد من سنة (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) عرف بمسجد أحمد كوهية، وصار مدخلها من درب البزابيز [انظر ترجمة هذا الجامع].

(٢) علم الدين سنجر الجمقدار: كان من المماليك المنصورية، قدمه الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك إلى مصر، ثم أخرجه إلى الشام، فأقام بها إلى أن حضر قطلبوغا الفخري في نوبة أحمد بالكرك، فحضر معه واستقر عن الأمراء بالديار المصرية، إلى أن مات في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) وقد أسن وارتعش، وكان روميًّا ألثغ، والجمقدار «بجمقدار أو بشمقدار» لفظ يطلق على من يقوم بحمل نعل السلطان أو الأمير عند خلعه للصلاة، انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، مج. ٥: ٤٥٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٦٥، ١٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٣-١٧٤.

مسجد عز الدين أيدمر الحموي

الثاني: بدرب سعادة (الوزيرية سابقًا)(١)، أحدثه الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الصالحي الحموي، وتقرأ على أسكفة بابه في روسم به ما يأتي:

البسملة... لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيدمر بن عبد الله الحموي الصالحي ،فقال هذا مسجدي فبادر إلى إنشائه فرحم الله من أعان على إقامة ذكر الله تعالى فيه

مشهد السيد عبد الله المحض بالقاهرة

ونسبوا لشيخ بني هاشم الفرع الطاهر النامي، السيد عبد الله المحض الكامل المتوفى سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) بالكوفة مشهدًا بخط اللوق «شارع الشيخ عبد الله»(٢)، في مسجد أحدثه الشيخ محمد بن زرعة البدرشيني أحد جماعة الأحمدية، ثم دفن به خليفته الشيخ عبد الله الفيومي من شيوخ القرن العاشر، كما يؤكد ذلك الشعراني في الطبقات الوسطي [انظر ترجمة هذا الجامع].

مشهد زين العابدين

ونسبوا لقمر بني هاشم الساجد الراكع سيد الزهاد والعابدين الإمام علي بن الإمام الحسين مشهدًا بطريق مصر بين الكبارة وقلعة الكبش، وكتبوا هذه النسبة في عبارة ركيكة مؤرخة بسنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) بالخط الكوفي يقرأ بها ما نصه:

البسملة... هذا مشهد الإمام علي زين العابدين بن الإمام حسين إمام علي بن عمران بن عبد المطلب صلوات الله عليه أجمعين في سنة ٥٤٩

وقد ظهر من كلام المؤرخين الثقات أن هذا المشهد فيه رأس الإمام زين العابدين الذي راح ضحية الرياسة وحب الذات والميل مع الأهواء من هشام بن عبد الملك في سنة (١٢٢هـ/ ٧٤٠م)، وقد مثل به فقتل أولًا ثم حز رأسه الكريم، وجيء به إلى مصر فدفن بهذا المكان، بعد الطواف به وإشهاره، ثم صلبت الجثة بعد ذلك، في أيام الوليد بن هشام أحرقت وذر رمادها في الهواء، سود الله وجوه قاتليه وصب عليهم البلاء صبًا، كما مثلوا بهذا الفرع الطاهر دون مبرر وعند الله تجتمع الخصوم [انظر ترجمة هذا الجامع].

مشهد السيد إبراهيم الجواد

ونسبوا للسيد إبراهيم الجواد بن الإمام الشيخ عبد الله المحض(٣)، مشهدًا بشارع البرنس بمنية مطر «نهاية

(١) خلف سجن الاستئناف.

(٢) شارع الشيخ ريحان «السلطان حسين سابقًا»، بالقرب من شارع عبد الدايم.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم الجواد بن عبد الله المحض الملقب بالكامل ابن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، استشهد سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) في باخُمري، وقطع المنصور رأسه، وأرسلها إلى مصر لتنصب في المسجد العتيق، فسرقها أهل مصر ودفنوها في مسجد البئر والجميزة أو مسجد تبر أو التبن، خارج القاهرة مما يلي الخندق قريبًا من المطرية، ويذكر حسن قاسم أن هذا المسجد يعرف حاليًا بجامع السيد إبراهيم، وعليه ضريح ومزار، يعرفه العامة بإبراهيم الدسوقي أو إبراهيم بن زيد الشهيد وهذا زعم خاطئ، بينما يطلق علي مبارك ومحمد رمزي وأيمن فؤاد سيد على هذا المسجد اسم زاوية محمد التبري شمال غرب محطة مترو القبة وأن الذي أنشأته السيدة شفق نور =

المطرية»[١]، والصحيح أن رأس هذا الإمام مدفون بالمشهد القائم بين مزارع الخاصة الملكية في الطريق الذي يؤدي إلى سراي القبة [انظر ترجمة مسجد التبر][٢].

مشهد سلمان الفارسي

ونسبوا للصحابي الجليل سلمان الفارسي المتوفى بالمدائن مشهدًا بجامع بلك تمر الشيخوني الخازندار، المنشأ في حوالي سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)، ثم جدده الوزير سليمان

= والدة الخديوي توفيق سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٢١-٧٢٢، هامش٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٦، هامش٣؛ المرجع السابق، مج. ١٢: ١٩٨، هامش٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٥٨-٥٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٠، هامش١.

(١) المطرية: من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق ووردت في معجم البلدان المطرية من قرى مصر، عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه نوع من الدهن، ووردت في قوانين الدواوين لابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية، وفي التحفة من ضواحي القاهرة، ووردت في الخطط المقريزية منية مطر ويقال لها المطرية، انظر: المرجع السابق:١١؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي:للبلاد المصرية: من عهد قدماءالمصريين إلى سنة ١٩٤٥**، مج. ٢، ج. ١، **البلاد الحالية: المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية**(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤): ١١.

(٢) تبر الإخشيدي: أحد الأمراء الأكابر في أيام كافور الإخشيدي، فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر، ثار تبر الإخشيدي هذا في جماعة من الكافورية والإخشيدية وحاربه، فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض، فبعث جوهر يستعطفه، فلم يجب، وأقام على الخلاف، فسير إليه عسكرًا لمحاربته بناحية صهرجت فانكسر، وصار إلى مدينة صور فقبض عليه بها، وأدخل إلى القاهرة على فيل، فسجن إلى صفر سنة (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، فاشتدت المطالبة عليه، وضرب بالسياط، وقبضت أمواله، وحبس عدة من أصحابه بالمطبق مقيدين إلى ربيع الآخر منها، فجرح نفسه وأقام أيامًا مريضًا ومات، فسلخ بعد موته، وصلب على كرسي الجسر، ويقال إن جسمه حشي تبنًا وصلب، فربما سمت العامة مسجده لذلك الأمر، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٢٢.

باشا المعروف بالخادم حاكم مصر العثماني في أيام ولايته في أواسط القرن العاشر، وهو بحارة جركس وحلمي بالحي الذي يعرف اليوم بعشش شركس وسابقًا بخط فم الخور، داخل حارة تعرف بحارة الأرميني رقم ٦، متفرعة من هذا الحي وشارع أبو طالب ببولاق [انظر ترجمة جامع بلك تمر أو سليمان باشا]، مع العلم بأنه ليس لدينا من الصحابة من قطع بصحة قبره غير من ذكرناهم بهذا الكتاب [انظر ترجمة جامع الفتح].

قبر سلمان الفارسي بالمدائن

وقبر سلمان الفارسي على الصحيح في الجهة الشمالية منها، يعرف بسلمان باك أي سلمان الطاهر بالفارسية، وعليه بناء مشيد وقبة، والمدائن اسم لمجموعة المدائن التي أنشأها عدد من ملوك الأكاسرة قبل الإسلام على نهر دجلة، بينها وبين بغداد ثلاثون ميلاً لجهة الشرق، وقد نزلها سلمان المذكور عام الفتح وسكن بها ولم يبرحها حتى مات في خلافة عثمان عن عمر طويل جدًّا، كما نزل بها حذيفة بن اليمان ومات بها سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)، وبالمدائن آثار كسروية طاق أو إيوان كسري أنو شروان آخر ملوك بني ساسان، ومع هذا منظور يرى فيه هذا الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مشهد السيد عمر بن إدريس

وزعموا أن المدرسة الكهارية بدرب القماحين بالجودرية[٣]، فيها سيد شريف يدعى عمر بن إدريس بن جعفر الصادق، وهذا النسب فضلاً عن أنه غير صحيح،

(٣) المقصود درب كركامة وليس درب القماحين كما يذكر صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٢٤.

فقد كشفت حقيقته اللوحة المثبتة بأسكفة بابه، وليس لدينا في الأشراف من يدعى بإدريس بن جعفر غير الشريف إدريس المكنى بأبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وليس له عمر بإجماع النسابة [انظر جامع الجودري أو المدرسة الكهارية][1].

مسجد أخليان (عبد الله بن إدريس)

مشهد لا يزال باقيًا إلى اليوم بسكة الماردانى تجاه تربة يوسف أغا الحبشي، منقوش على بابه من الداخل في لوح رخام مقاسه ٨٦ في ٥٣ ما نصه:

> **البسملة... كل نفس ذائقة الموت- صدق الله العظيم، هذا مقام عبد الله ابن إدريس بن حسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عاش أربعين سنة وتوفا سنة أربعة مائة من الهجرة النبوية وجدد ذلك إبراهيم بن محمد بن أحمد أخليان سنة أحد وخمسين وتسعمائة**

وعلى الشباك الخارجي لوح رخام مقاسه ٤٩ في ٤٥ به ما نصه:

> **البسملة... كل نفس ذائقة الموت صدق الله العظيم، هذا مقام عبد الله بن إدريس بن حسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بتاريخ سنة اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله.**

وبداخله لوح خشب ملصوق عليه ورقة مكتوب فيها بعض الآيات والأحاديث وما نصه:

> **سوده بيده الفانية الحقير المعترف بالذنب والتقصير لربه القدير المذنب خليل السروري الداودي من تلاميذ السيد محمد المعروف بنوري المصري غفر الله لنا ولهم**

وهذا المسجد متخرب الآن وبداخله ضريحان أحدهما يقابل الآخر، وقد انهالت عليهما الكيمان والأتربة، ويبدو مما ذكر في هذه المذكرات أن أخليان الذي ورد اسمه هو الباني لهذا المسجد في التاريخ المذكور بزعم وجود شخص فيه من الأشراف يحمل هذه النسبة، وهي نسبة مزيفة إذ إن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ليس له ولد يدعى إدريس بإجماع النسابة، ولو كان كذلك لكان موته في أواخر القرن الأول من الهجرة لا في سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م)، كما أن أسلوب الخط والكتابة ونظامها يجعلنا في حل لأن نقف بهذا المشهد إلى سنة (٩٥١هـ/ ١٥٤٤م).

مشهد السيد حسن العلوي

ونسبوا للسيد حسن العلوي بن زيد الأكبر بن الحسن السبط أمير المدينة النبوية في عهد أبي جعفر المنصور، وهو أبو السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها مشهدًا بمصر، وهو لحفيده السيد حسن الأنور بن زيد الأصغر بن حسن العلوي.

مشهد السيد محمد الأنور

وزعموا أن السيد محمد الأنور الثاوي بالمقام الكائن بشارع الخليفة تجاه دار الخلافة العباسية سابقًا[2]، أخو

(١) الكهارية نسبة لسيدة تدعى كهار خاتون، انظر: المرجع السابق: ١٢٤، هامش ٢.

(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٨٧.

السيد حسن العلوي، والصحيح أنه أخو السيد حسن الأنور البادئ الذكر[1].

وبالرغم من ذلك فإن لدينا مشـــاهد نسبت إلى بعض السادة الأشراف، في وقت ســبق العصر الفاطمي بمراحل طويلة، بيد أنها نســبة صحيحة، وأخصها تلك المشـــاهد الطولونية والإخشيدية القائمة بالقرافة الصغرى إلى اليوم، وإذا ذكرت هذه المشـــاهد وجب أن يذكر منها في الطليعة مشهد الســيدة نفيسة بنت الإمام الحســن العلوي رضي الله تعالى عنها، فهو أولها ثبوتًا، ثم مشـــهد الإمام محمد بن إدريس الشـــافعي المطلبي الحسيني، وأقدمها المشهد الزينبي رضي الله عن صاحبته.

وقد ذكرنا ذلك بنوع خاص انتصافًا للحقيقة ولتبين نوايانا حول ما نقصده مـــن إخراج هذا المؤلف الذي نأمل أن يكون حلقة اتصال صحيحة بين هذه المشـــاهد وبين الحقائق التاريخية الثابتة [انظر الجزء الخاص بمزارات وآثار القرافة من هذا الكتاب].

(١) جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٠): ٩٦.

المشهد الحسيني

مشهد أثري رقم ٢٨

القصر الفاطمي

لكي نصل ماضي هذا المشهد بحاضره، يجدر بنا أن نسير بــه بحلقة منتظمة تتم بها الأدوار التي تسلســلت على هذا المشهد، في سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٧م)، وهي السنة التي دخل فيها القائد جوهر مدينة مصر، وألقى به المسير إلى هذه المنطقة، كان مــن المباني التي أقامها بالمدينــة الجديدة قصر الخلافة لحلول مولاه المعز فيه، ونحن إن لم يكن لدينا وصف كامل لهذا القصر لكنا استطعنا التعرف على عظمته من المساحة التي كان يقوم عليها، فقد كان يشغل قطعة من الأرض تقوم عليها الآن مجموعة بيوت ودكاكين يســكنها عدد كبير من الناس يســع بلدة وتضم من الأخطاط والمناطق ما سنبينه فيما بعد، ويمكننا تحديد هذه المساحة بما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى، قال: «إن طوله من المدرسة الصالحية (بين القصرين) إلى رحبة الأيدمري، وعرضه من السبع خوخ إلى رحبة باب العيد، والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يســارك وتمضي إلى السبع خوخ ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمري، ثم إلى الركن المخلق، ثم إلى بين القصرين، حتى تأتي إلى باب المدرســة الصالحية حيث ابتدأت، فما كان على يســارك في جميــع دورتك فهو موضع القصر».

ومن هذا الذي يذكره القلقشندي نستطيع أن نتعرف على حــدود القصر، إذا علمنا مكان المدرســة الصالحية من شــارع المعز لدين الله (النحاســين ســابقًا)، ثم سرنا منه مخترقين شــارع الخردجية فالأشرفية، حتى نصل إلى نهاية شــارع الصنادقية، ثــم نصل إلى خط الأبارين أو شــارع الحلوجي، وهو الذي يعبر عنه بخط الســبع خوخ[١]، ثم إلى شــارع المشهد الحسيني، فشــارع فريد وأم الغلام وشارع القزازين وهذا طوله، وأما عرضه فمن شارع حبس الرحبة إلى شارع التمباكشية أو الركن المخلق[٢]، وقد دخل في طوله

---

(١) السبع خوخ: خط مشهور بالقاهرة، فيما بين إسطبل الطارمة والجامع الأزهر، كان يتوصل منه الخلفاء الفاطميون حين يخرجون من باب الديلم الذي هو باب المشهد الحسيني الآن إلى الجامع الأزهر، ولم يكن مسلوكًا للناس، وكان يعرف بخط الشريف عقيل، أخي العزيز بالله الفاطمي، ثم عرف بعد انقضاء الدولة الفاطمية بخط السبع خوخ، ويعرف في زمن المقريزي بالأبارين؛ حيث أصبح مساكن وسوقًا يباع فيه الإبر التي يخاط بها، انظر: المرجع السابق: ١٠٢، ١٤٠.

(٢) الركن المخلق: يطلق على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحري للقصر الكبير بالحائط الغربي له، وهذا الركن موضعه اليوم الزاوية البحرية الغربية للمنزل رقم ١١ بشارع التمبكشية، تجاه دورة مياه الجامع الأقمر، وبأسفل هذا المنزل مسجد قديم يعرف بمعبد موسى، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٤، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٤٥؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**:٧٧



منظر عام لمئذنة المشهد الحسيني «عن كريسويل»

وعرضه مجموعة الشوارع المذكورة، ثم ميدان بيت القاضي وشارع خان جعفر وحارة الصالحية وشارع الصرماتية وخط قصر أمير سلاح أو درب قرمز، ومجموعة المباني التي تحيط بهذه المنطقة طولًا وعرضًا فهذه مساحة القصر الفاطمي[١].

ومن أبواب هذا القصر نستطيع أيضًا أن نتعرف إلى مدى ما كان عليه من فخامة، فقد كان له مجموعة أبواب وخوخ بقي لنا منها إلى الآن بابان اثنان: الأول باب البحر أو باب قاضي العسكر تجاه المدرسة الكاملية بشارع المعز لدين الله «بين القصرين سابقًا»، والثاني باب الزمرد أو باب الديلم وهو باب المشهد الحسيني الآن- بيد أنه جدد في

(١) عن القصر الشرقي الكبير، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٨٤-٤٣٨.

العصر الأيوبي- كما بــقي لنا منه جزء آخر، هو مكان قاعة السيدة فاطمة الزهراء، وسنذكرها إذا وصلنا إليها.

وقد بقي هــذا القصر طــوال مدة الخلفــاء يتوارثه خليفة بعد آخر، حــتى عهد الخليفة الفائز بنصر الله الذي تولى الخلافة من ســنة (٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م)، وتولى بعده العاضد إلى ســنة (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)، وبه دالت الدولة الفاطمية، وفي عصر هذا الخليفة الفائز يســطع نور الإمام الحســين من مشــهده في القاهرة، فيعم الأحياء والأرجاء، وتنال مصر وأهلها قسطًا كبيرًا من الرحمة والبركة، بقدسية هذا الإمام العادل فرع الدوحة النبوية الطاهرة.

مسير الرأس الكريم

ولمســير الرأس الكريم من كربلاء فالشام فعسقلان فالقاهرة مثواه الأخير أدوار تتسلســل بتسلســل التاريخ وتدور بــدورة الزمان، فتصل به حتى هــذا الحرم الأمين، وســنذكر من ذلك أصدق الأنباء التي وصلتنا عن الثقات، والتي تؤيدها المذكرات التاريخية، والآثار العربية والشواهد التي لا مجال للشك فيها.

مبادئ قضية الإمام الحسين

في سنة (٦١هـ/ ٦٨١م) كانت الموقعة الحربية بين الإمام الحسين وبين يزيد بن معاوية، وقد حمل الإمام الحسين على محاربة يزيد، ما كان عليه من التهتك والاستهتار؛ وانتهاك حرمة الشريعة حتى تفشت الموبقات بين الناس وتقوضت أركان الفضيلة في ذلك الوقت الذي كان الإسلام فيه لا يزال غضًّا طريًّا، وقد كممت أفواه المسلمين وقتئذ وتقاعسوا عن إسداء النصح ليزيد أو بالأحرى خلعه، طبقًا لما تقرره قواعد الشريعة الغراء، فلما رأى الإمام الحسين سكوت المسلمين عن يزيد وانصرافهم عن مناصحته لم يسعه إلا أن يجاهرهم بوجوب محاربة يزيد، إذ إن السكوت عليه كبيرة يؤاخذون عليها، وزلة يقترفونها وهم الذين نصروا الإســلام، وعززوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكان منهم ذلك الشأن العظيم، فلما جاهر الإمام الحســين المسلمين بدعوته هذه انصرفوا عنه، وصمّوا آذانهم عنها مخافة بطش يزيد وطمعًا في صلته؛ وقد نسوا أو تناسوا بطش العزيز الجبار.

فاضطر الحسين ابن الرسول القائل: «أمرت بأن أقاتل الناس حــتى يقولوا لا إله إلا الله فــإن قالوها عصموا مني دماءهم وحســابهم على الله»، أن ينصر كلمة التوحيد ويعلي شأن الإســلام ويذود عن بيضته حتى آخر رمق من حياته، وهذا ما وقع بالفعل، فالإمام الحســين إذا ذكرت معه الشــجاعة في الرأي والدفاع عن الحق، وعدم السكوت عن الضيــم وعدم الرضا بالذل، والتفاني في المبدأ والاســتهلاك في الدفــاع عن الدين والوطنية والحــق إلى غير هذه المعاني الفاضلة، على أن الأمر الذي يدهش له هو تقاعس المسلمين عن نصرة الإمام الحســين، وقيامهم في قلب رجل واحد في وجه يزيــد الجور والفجور، هذا الذي حارب ابن الرســول وناصبه العداء دون مبرر، وهــم في ذلك الوقت من الكثرة بمصر والشام واليمن والحجاز والعراق، بحيث إن عددهم لا يقاس بما كان يحيط بيزيد من أنصاره وشيعته، وهم يعلمون أن الذي يقاتله يزيد إنما هو ابن الرســول الذي فيه يقول: «إن ابني هذا ســيد وابن سيد، حسين مني وأنا من حسين»، إلى غير ذلك من أحاديث تثبت بنوة الإمام الحسين لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم شرعًا وقانونًا.

فكيــف يُقتل ابــن النبي ﷺ، من فئة ظالمة غاشــمة كهذه لا تتجاوز العد بينما كان المســلمون وقتئذ مجموعة لا يســتهان بها، وكان مــن الممكن جمع كتلــة منهم، إذا قامت قوضت أركان هذا الملك الفاســد الجائر وقلبته رأسًا على عقب، أو على الأقل قومت اعوجاجه، فما بالهم سكتوا سكوت المستميت الخائف، هل نسوا قول عمر إذا رأيتم في اعوجاجًا فقوموه بالســيف، فكيف بهذه الأخلاق تتدهور والفضيلة تنهار والإســلام يستغيث فلا يغاث ولا يجار، إن الذي أسكت المســلمين عن نصرة الإمام الحسين ومحاربة يزيد العنيد، والذي دفع به لمقاتلته وفيهم من ســمع مقالة عمر ووعاها، إنما هي الذلة والمســكنة والتأخر والانحطاط والضعة وحب الدنيا والذل والصغار، لقد برهن المســلمون وقتئذ على أنهم أمة متأخــرة بلغت من الانحطاط والضعة مبلغًــا عظيمًا، وقد ذهبت فيهم تلــك الأخلاق الفاضلة، فــاللّهُمَّ لا حول ولا قوة إلا بالله، هــذه كلمة أذكرها دحضًا لفرية يفتريها بعض ضعاف العقول من المسلمين، وهي أن الإمام الحسين إنما أراد من محاربته ليزيد استخلافه مكانه، ولو فرضنا أن ذلك كان حقًّا؛ فمن أحق بالخلافة يومئذ من الإمام الحسين ابن الرسول ﷺ!؟

استقرار الرأس الكريم بالقاهرة

والآن لننظر كيف سار الرأس الكريم حتى وصل إلى مقره بالقاهرة.

لما بلغ يزيد قتل الإمام الحسين أمر بحز رأسه الكريم، والمثول به بين يديه فسير به إليه، فحصل منه ما هو مذكور في مظانــه، ثم أمر فطيف به لمــدة معينة، ثم أودعه في مخبأ بخزائن الســلاح، فبقي به مختفيًا إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي بويع له بعد ســليمان بن عبد الله في سنة (٩٦هـ/ ٧١٥م)، واســتمر ملكه إلى سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)، ففي أول هذه المدة من خلافته ســأل عن الرأس الكريم ومسيره وما صار إليه، فأخــبر بأمره فأمر بإحضــاره فجيء به من مخبئه؛ فطيب وعطر ثم أمر بوضعــه في طبق في جانب من الجامع الأموي بدمشق، فبقي به إلى سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)[1].

وفيها ثار هفتكين الشرابي غلام معز الدولة أحمد بن بويه على دمشق، فدخلها بجيوشه قادمًا من بغداد، ثم أعلن القتال، فتبعتــه طوائف كثيرة، فتغلب عليها واحتلها، وما برح أن تم له الاســتيلاء على البلاد الشامية بأسرها، فعاث فيها وأسر وغنــم وفرض الضرائــب الفادحة على الأهالي، وعسكر بالجامع الأموي ونهب ما به من تحف وآثار وانتزع كســوته الذهبية إلى غير ذلك، وقد تطاولت يده إلى رأس الإمام الحســين، فأخذها من الطبق الذي كانت مودعة به بناحية في المسجد الأموي، وكان المعز لدين الله حينما بلغه قيام هفتكين حاول محاربته، فاستعان عليه بعامله إبراهيم بن جعفر على دمشــق ثم بغيره، فمات المعز في سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٧م)؛ ولم تخمد ثورة هفتكــين، وقد تملك غالب البلاد الشــامية ودعا بها للخلافة العباسية، وكاد يستتب له الأمر تمامًا، فأشــفق العزيز بالله بن المعز الفاطمي من استفحال ملكه وســعة نفوذه أن يغير على المملكــة المصرية، وعظم عليه أمر الرأس الكريم وما صنع به هفتكين، فســير إليه في سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٧م) جيشًا عرمرمًا بقيادة القائد جوهر الصقلي، فســار إليه مــن القاهرة حتى وصل إلى دمشــق، فعســكر بجيوشه خارجها، ثم أعلن القتال فقاتله وتابعه في كل منزل نزله حتى آخر مطافه بعسقلان، وفي هذه المدة كان

(١) المرجع السابق، مج. ٢: ٤١٧.

العزيز قد سار من القاهرة إلى الرملة على أثر هزيمة لحقت بجوهر فعاد به وعاود القتال، وبعد حروب طويلة دامت بين الفريقين تغلب القائد جوهر على هفتكين وانتصر عليه، فأخذه وجيوشه أسرى ثم قدم بهم إلى القاهرة بصحبة العزيز، فدخلوها في أول سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٩م)، فأمر العزيز بإكرامه وسرح جيوشه وأسكنهم بحارتين من القاهرة؛ عرفت إحداهما بحارة الديلم، والأخرى بحارة الأتراك، ثم استخدم هفتكين في القصر وأسكنه بدار لا يزال موضعها باقيًا معروفًا إلى اليوم، فبقي مكرمًا معززًا إلى سنة (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) ثم مات[1].

وفي أثناء ما كان هفتكين بعسقلان وقد أحس بالضعف والتقهقر وغلبة القائد جوهر عليه، دفن الرأس الكريم في مكان من عسقلان وستره عن جوهر، فكان هذا المكان الذي دفن به الرأس الكريم محل عناية الفاطميين وموضع رعايتهم حينما عرفوه واستدلوا عليه بعد، ولم يفكروا يومًا من الأيام في نقله إلى القاهرة لمأمنه في هذا المحل، وأول من عني من الفاطميين بهذا المحل هو الأمير بدر الجمالي؛ فإنه في سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) حينما كان أميرًا لدمشق في المرة الثانية على عهد المستنصر، دخل مدينة عسقلان لما بلغه قتل ولده شعبان بها، فأحب أن يعرف مكان دفن الرأس الكريم في عسقلان، فاستدل عليه ممن يعرفه، فلما انتقل إلى القاهرة وتعين وزيرًا للمستنصر، أمر في سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) بتجديد هذا المكان وإعداده مسجدًا للصلاة، وأحدث به منبرًا فاخرًا، بقي به إلى سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، ثم نقل إلى حبرون بمسجد سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا يزال باقيًا به إلى اليوم، وعلى وجهه مذكرة تاريخية بالقلم الكوفي في ستة أسطر، وتوجد صورتها مكبرة عند صديقي الفاضل الأستاذ يوسف أحمد، وهذه عبارتها:

بسم الله الرحمن الرحيم- نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر قبلة السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر عسقلان مشهد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة

ويعتبر هذا المنبر من أهم الآثار الفاطمية التي تخلفت من عصر مبكر جدًّا، وهو من نوع المنابر التي لا يوجد فيها فتحات شأن المنابر الفاطمية «انظر صورة هذا المنبر بقسم الصور من هذا الكتاب».

وفي سنة (٤٩١هـ/ ١٣٨٩م) سافر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القدس الشريف لمحاربة الثائرين من الترك فلما أخمد ثورتهم دخل مدينة عسقلان، ورغب في أن يؤثر أثرًا حسنًا في هذا المشهد، فأمر بتجديد بعض مواضع منه كانت في حاجة إلى التجديد، ثم عين له خدمًا ومشارف.

(١) المرجع السابق، مج.٣: ٢٣-٢٨، هامش ١، ٢؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، مج. ٦: ١٤١، ١٧٨-١٨٠؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٣٤-٣٧، ٤٩، ٥١-٥٤.

وفي سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) أمر الآمر بأحكام الله بإعداد مجموعة وافرة من المشكاوات الفاخرة لمشهد الإمام الحسين بعسقلان، فأرسلت إليه وعلقت حول الضريح من جهاته الأربع، ونقش عليها اسم الآمر؛ وآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

وقد بقي الرأس الكريم بهذا المشهد العسقلاني حتى سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، ففي السنة التي قبلها أغار الصليبيون من الألمان والفرنسيين، في عهد لويس السابع ملك فرنسا؛ وكونراد الثالث ملك ألمانيا بقيادتهما على المدينة وحاصروها، وأفضى الأمر باحتلالها فبقيت في أيديهم نحو خمس وثلاثين سنة، إلى أن استرجعها صلاح الدين في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، فلما حوصرت المدينة وسقطت تمامًا وتم لهم الاستيلاء عليها؛ خيف على الرأس الكريم من عبث العابثين من الجند أو من غيرهم، ورفع الشعب العسقلاني إلى الخليفة الفائز بالقاهرة بالتماس من مشارف المشهد، ما كان من إغارة المحاربين، وإشفاقهم على الرأس الكريم- وكان قد مضى على اعتلائه كرسي الخلافة حوالي أربعة أشهر- فرسم الخليفة إلى وزيره الصالح طلائع بن رزيك بالسفر إلى عسقلان واستحضار الرأس الكريم منه إلى القاهرة، وقد كانت الدولة الفاطمية إذ ذاك في مبدأ أفولها، وإلا لكان في الإمكان محاربة هؤلاء المغيرين واسترجاع مدينتهم، وبقاء الرأس الكريم بمشهده، فأعد الصالح العدة للسفر بعد مفاوضة الحاكم الجديد للمدينة، وإظهار القصد من مجيئه، فسافر إليها بمن معه من الحرس وغيرهم، فكشفوا القبر وأخذوا الرأس الكريم منه، وساروا به إلى القاهرة[1].

وصول الرأس الكريم إلى القاهرة

فدخلوا به في مساء يوم الأحد لثمانية أيام مضت من شهر جمادى الأولى سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م)، فوصلوا به إلى بستان أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد، وهو الذي عرف فيما بعد بالبستان الكافوري نسبة إلى كافور الإخشيدي آخر ملوك الدولة الإخشيدية، فباتوا به ليلتهم، ثم ساروا به حتى دخلوا من جانب باب الفتوح بموكب حافل يتقدمه الأمراء فالأعيان فالقضاة فالعلماء فالدعاة، وكان الرأس محمولاً في إناء من ذهب، وملفوفًا في ستائر المخمل والديباج والأبريسم، يحمله زعيم من زعماء الدولة الفاطمية، وعن يمينه قاضي القضاة وداعي الدعاة، وعن يساره قضاة المالكية والشافعية، وأمامه مشارف المشهد العسقلاني، ووالي مدينة عسقلان الفاطمي، ويتقدم الجميع الوزير الصالح طلائع ابن رزيك، وأمام الموكب وخلفه كتيبة من كتائب الحرس الخليفي بموسيقاها ثم حاشية القصر، ولما وصل الموكب إلى منظرة الخليفة بباب الفتوح وقف الموكب قليلاً حتى نزل الخليفة الفائز بحاشيته تظله كوكبة من الفرسان والمشاة، فتقدم الموكب بين يديه، حتى دخل به إلى قصر الزمرد في ذلك الجمع الحاشد، وكان دخولهم إليه من الباب البحري للقصر المسمى بباب الزمرد، فضمد الرأس الكريم وعطر ووضع في لفائف المخمل والحرير والديباج على كرسي فاخر وحفر له قبر في الجانب الأيمن من القصر المذكور، وعطر القبر ونزل فيه الخليفة وقاضي القضاة وداعي الدعاة، فوضعوه في منتصف القبر ثم أحكموا غلقه.

---

(١) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٦٥-٦٦؛ ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٣٠، ٧٤-٧٥؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك** = **الأبصار**، مج. ١: ٢١٩-٢٢٠؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٠٥-٤٠٦؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٧٦-٨٣.

وفي مســـاء هذا اليـــوم أقيمت السرادقـــات بالقصر وتليـــت المراثي والخطـــب، وقرئت قصة الإمام الحســـين، فدملت لها القلوب ورجفت الأبصار، واشتد اللاعج وعظم الخطب في النفوس من هول ذلـــك المصاب الذي لحق بهذا الفرع الطاهر، وكان يومًا لم تشهد القاهرة مثله، ولم ير أكثر باكيًا منه، ولم تنقض هذه السنة حتى أقيم على القبر تابوت من فضة خالصـــة، ورفعت فوقه قبـــة محكمة، وخصصت له المرتبـــات وعين له الموظفون والســـدنة فرمقته الأنظار، وأحاطـــت به من كل فج عميق الزوار، وظهر من ذلك الحين مشهد الإمام الحسين بالقاهرة.

وكان مـــا قاله فيه الرحالة المشـــهور محمد بن أحمد بن جبير الكنـــاني البلنسي الأندلـــسي الذي دخل القاهرة في ســـنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) أي بعد مضي ٣٢ سنة على وجود هذا المشـــهد بالقاهرة، وبعد مرور ثلاثة عشر عامًا على ذهاب الدولة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية محلها، قال في رحلته: «فأول ما نبدأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة، فمن ذلك المشهد العظيم الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالـــب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تابوت فضة تحت الأرض، قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، لا يحيط الإدراك بـــه مجلل بأنواع الديبـــاج، والمدخل إلى هـــذه الروضة على مســـجد على مثالها في التأنق، حيطانه كلها رخام، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم مزدحمين داعين باكين متوســـلين إلى الله ســـبحانه وتعالى، متضرعين بما يذيـــب الأكباد ويصدع الجماد والأمـــر فيه أعظم ومرأى الحال أهـــول، نفعنا الله ببركة ذلك المشـــهد الكريم، وإنما وقع الألماع بنبذة من صفته مســـتدلًّا على وراء ذلك إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعًا أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجـــب ولا أبدع، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه»[١].

ويؤخـــذ من هـــذا الوصف الذي ذكـــره ابن جبير أن الفاطميين كانوا قد أبدعوا في هذا المشـــهد وأحكموا بناءه وألحقوا به مسجدًا فاخرًا حاز كل وصف مبدع.

مدرسة صلاح الدين بجوار المشهد الحسيني

وفي حـــوالي ســـنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) أمر صلاح الدين ببناء مدرسة إلى جانب المشهد الحسيني من ناحيته الغربية، ووقفها للشـــافعية وقرر فيها شيخًا ومدرســـين وطلبة[٢]، ويؤخذ مما ذكره المقريزي في خططه عن هذه المدرســـة أنها بنيـــت لأول العهد بحكم صلاح الدين، وأن ضريح الإمام الحســـين كان واقعًا خلف محراب هذه المدرســـة، ومن هذا يتضح أنها كانت في الجزء المحصور الآن بين إدارة مشيخة المشهد الحسيني وبين نهاية الجامع البحرية[٣].

وفي حوالي سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) في عهد العزيز عثمان ابن صلاح الدين؛ رسم القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني العسقلاني- وزير المملكة المصرية في عهد صلاح الدين والعزيز والمنصور والعادل- بتجديد المشهد الحسيني فجـــدد منه ما كان في حاجة إلى التجديد، ثم أحدث به دار وضوء، وجعل لها ساقية تستمد مياهها منها، وجدد المسجد ورتب له مرتبات من أوقاف وغيره[٤].

---

(١) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تحقيق محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠): ١٩- ٢٠.

(٢) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٩٦.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤١٠.

(٤) المرجع السابق: ٤١١.

وفي سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م) و(٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) على عهد الملك الكامل بن العادل أيوب (٦١٥- ٦٢٥هـ/ ١٢١٨-١٢٢٨)، أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور بالاشتراك مع ابنه محمد مئذنة فوق باب المشهد، وهي الباقي جزءها الأدنى إلى اليوم.

وفي سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) كان بمصر شيخ الشيوخ معين الدين حسن بن علي بن محمد بن حمويه الجويني شيخًا للخانقاه السعيدية، ثم سفيرًا لمصر في بغداد، ثم وزيرًا بالنيابة في عهد الملك الكامل، ثم وزيرًا للمملكة المصرية في عهد الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، فأنشأ إلى جانب المشهد الحسيني رباطًا أسكن فيه طائفة من الصوفية، وبنى لهم مساكن ورتب لهم مرتبات وخيرات، وقد انتدب الملك الصالح هذا الشيخ العالم الوزير قائدًا للحملة التي أرسلها إلى دمشق لقتال الثائرين فيها من جماعة إسماعيل ابن العادل، وكان له مواقف محمودة في هذه الموقعة الحربية الخطيرة، وما برح أن مات بأثر ذلك في ٢٢ من رمضان سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) «انظر المقفى للمقريزي».

وفي سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وقع حريق بالقبة وصل إلى أعاليها، فقوض أركانها وفصم قاعدتها، وقضى على التابوت الفضة الذي عاينه ابن جبير، فرسم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بتجديد ما أتلفه الحريق، فتجددت القبة وأعيدت قاعدتها وغطاؤها، وأحدث به السلطان تابوتًا من خشب نقي مخروط(١)، وهو التابوت الذي كشف عنه بالطابق الأول في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، فوجد به عطبًا شرع في إصلاحه(٢).

وفي سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م) أحدث الناصر محمد بن قلاوون في هذا المشهد تجديدًا يتناول بعض أجزائه.

وفي سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) رسم الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ملك مصر بإعداد مجموعة من المشكاوات لتعلق حول الضريح تبلغ أربعًا وعشرين مشكاة، وقد بقيت هذه المشكاوات معلقة إلى اليوم.

وما برحت أطوار التجديد على هذا المشهد تتوالى حتى سنة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، وفيها رسم السلطان سليمان إلى وزيره علي باشا حاكم مصر العثماني بتجديد ما وهي من المدرسة الصلاحية والمشهد الحسيني وتوسيعهما(٣).

وفي سنة (١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م) جدد الوزير محمد باشا شريف بعض أجزاء من المسجد وجدد ما تلف من أعالي

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٣١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤١٠.

(٢) فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢: ١٦؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٨٨-٩١؛ زكي محمد حسن، **الأعمال الكاملة للدكتور زكي محمد حسن**، مج. ١، **أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية** (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١): ١٢٣-١٢٤.

(٣) علي باشا الوزير: ولي ولاية مصر سنة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، وعزل منها سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م)، أجرى عمارة كبيرة بمقام السيدة زينب، وبنى وكالة كبيرة بمدينة فوة، وله عمارة كبيرة برشيد، ولم يذكر أنه عمر المشهد الحسيني، ولما صرف من مصر توجه لإستانبول وتولى الوزارة العظمى وأبلى فيها بلاء حسنًا، انظر: محمد بن أبي السرور البكري، **الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة**، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسى (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٩٩٧): ٨٧؛ حمد عبد المعطي بن أبي الفتحبن أحمد بن عبد الغني بن علي الإسحاقي المنوفي، **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول** (القاهرة: المطبعة الأزهرية، [١٨٩٣]):١٥٠-١٥١.

المئذنة[1]، وفي سنة (١١٢٣هـ/ ١٧١١م) جدد الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفي مقصورة الضريح وأبدلها بأخرى من الأبنوس الملبس بالصدف والفضة.

وفي سنة (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) أمر الوزير محمد باشا حاكم مصر العثماني بنقش المقصورة وزخرفتها من الداخل وتجديد كسوتها من الخارج، وفي سنة (١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) رغب الأمير عبد الرحمن كتخدا في عمارة مسجد المشهد الحسيني[2]، فعمره تعميرًا شمل أكثر أجزائه وجدد التابوت واستبدل بالمقصورة مقصورة أخرى، ونقل الأولى إلى المشهد النفيسي[3]

علي بك الكبير وأثره في المشهد الحسيني

وفي سنة (١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م) أمر المتوكل على الله الأمير علي بك الكبير- المتوفى سنة (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) والمدفون بتربة خلف قبة الشافعي- بتجديد القبة الحسينية ونقشها باللازورد والذهب والأصباغ؛ وزخرفتها بالنقوش الكتابية، وقام بكتابة النقوش الكتابية، أشهر خطاطي ذلك العصر، وهو المدعو صالح محب الدين زاده.

وقد ختم كتاباته بمذكرة تاريخية في أبيات من الشعر، وأودعها في روسم بأعلى المحراب، وقد تناولت هذه العمارة وإصلاح القبة من ظاهرها، لكنه إصلاح طفيف بالنسبة لما أجري بداخلها، وهو عمل كبير لا يزال عليه طابع علي بك إلى الآن، وهذه العمارة التي أجراها الأمير علي بك الكبير بالمشهد الحسيني، هي الحلقة المفقودة من تاريخ هذا المشهد، فلم يكتب عنها كاتب حتى هذه الساعة، بالرغم من الظواهر البادية عليها.

والمؤكد أن الأمير علي بك الكبير قد أجرى ناظر أوقاف المشهد الحسيني- وهو السيد محمد شمس الدين أبو الأنوار بن عبد الرحمن المعروف بعارفين سبط بني الوفا [المتوفى سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)]- عمارة في المشهد الحسيني غيرت بعض معالمه؛ فإنه اشترى دارًا قبلي المسجد وهدمها، وأدخل فيها جانبًا في المسجد وزاد فيه بلاطًا معقودًا بمحراب قائم بذاته، وبنى خلفه مقعدًا جعل بابه من صدر ذلك البلاط، وجعل له نافذة صغيرة تطل على القبة الحسينية، وأنشأ خلف ذلك ميضأة حديثه للجامع وجعل بابها مجاورًا للسبيل، أي في مكان المئذنة العثمانية القائمة الآن، ثم بدا له تحويلها بعد على أثر شكاية رفعت إليه من تجار خان الخليلي[4]، ثم فتح بابًا بالقبة الحسينية من الجهة البحرية وركب عليه مصراعين كساهما بالصفر،

(١) محمد باشا الشريف: ولي ولاية مصر سنة (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م)، وعزل منها سنة (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م)، أجرى عمارة للجامع الأزهر تمثلت في أروقته وسقفه، كما رتب طعامًا للمجاورين به، كما أجرى عمارة للمشهد الحسيني، ورتب به دروسًا كان يداوم على حضورها، كان مهيبًا ذا بصيرة، تميز عهده بالرخاء، وكان له إحسان كثير للفقراء، بعد عزله من مصر توجه لإستانبول وتولى سفر قول باش، وتوفي في إيران، انظر: المرجعين السابقين: ١٠٥؛ ١٥٨.

(٢) إسماعيل بن سعد الخشاب، **أخبار أهل القرن الثاني عشر: تاريخ المماليك في القاهرة** (القاهرة، ١٩٩٠):٤٤.

(٣) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٧-٨.

(٤) شيخ سجادة السادة الوفائية، أفرد له الجبرتي ترجمة مطولة، تولى نظر وقف المشهد الحسيني وزاد فيه زيادتين، واحدة سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١٠م)، والثانية سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، توفي في سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، ودفن بالقرافة، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٢٩٣- ٣٠٩.

وهذا الباب هو الذي بقي من آثار هذه العمارة، يحمل اسم أبي الأنوار إلى اليوم[١].

المشهد الحسيني في عصر الدولة العلوية

وفي سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م) أمر الخديوي عباس باشا الأول بن الأمير أحمد طوسون بن العزيز محمد علي، بتجديد المسجد الحسيني وتوسيعه فأعد لذلك مشروعًا كبيرًا عهد به إلى إبراهيم باشا أدهم وزير الأوقاف فحالت دون تنفيذه موانع، فبقي حتى سنة (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م) فكان فاتحة أعمال الخديوي إسماعيل باشا أثر اعتلائه العرش، أن أمر بتنفيذ هذا المشروع، الذي وضعه المرحوم عباس باشا؛ فشرع في انتزاع ملكية المباني المحيطة بالمسجد، ثم أخذ في هدمها وإزالتها حتى أول سنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) ثم بدئ فيه بالبناء، ومازال مستمرًّا حتى سنة (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)، فتم بناء المسجد جميعه، وتأخرت المنارة إلى سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، فتكون المدة من الشروع في بنائه إلى هذا التاريخ قد استغرقت ستة عشر عامًا، تعاقب فيها على وزارة الأوقاف ثلاثة وزراء؛ هم أبو بكر راتب باشا، وعلي مبارك باشا، وحسين باشا أبو إصبع.

وقد غيرت هذه العمارة شكل المسجد تمامًا، بيد أنها لم تغير من شكل القبة شيئًا فلا زالت القبة إلى اليوم، مطبوعة من الداخل بطابع الأمير علي بك الكبير، آخر مجدد لها من أمراء القاهرة.

وفي سنة (١٣١٠-١٣١٥هـ/ ١٨٩٢-١٨٩٧م) أمر الخديوي عباس حلمي الثاني، بإنشاء حجرة للآثار النبوية وفتح باب قبلي بينها وبين القبة، ونقش أركان القبة وزواياها الأربع، وفتح شبابيك بأعلى القبة لزيادة النور، وفتح شباك بحري بالقبة إلى جانب باب «أبي الأنوار».

وفي سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) أمر المنعم الملك فؤاد الأول رحمه الله باستبدال الستر الإسماعيلي- الذي كان قد أمر بعمله والده الخديوي إسماعيل في سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) لقدمه، بستر آخر قدرت نفقاته بحوالي ألف وخمسمائة جنيه مصري.

وفي سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) استخرج التابوت المتقدم الذكر آنفًا، الذي كان موضوعًا على القبر الشريف بالطابق الأول لإصلاحه ورده ثانية[٢].

عناية الملك فاروق الأول بالمشهد الحسيني

وعلى أثر زيارة جلالة الملك الصالح فاروق الأول للمشهد الحسيني؛ أمر بصنع تابوت من الخشب الفاخر[٣]، وكسوته بالستر الذي أمر به المنعم والده، كما أمر بتجديد الطريق الفاصل بين الضريح والمقصورة الشريفة، ورصفه بالبلاط الشفاف المستجلب من الخارج، وقد نفذت الإرادة الملكية السامية بإعداد الستر والتابوت وتوابعهما

(١) الخشاب، **أخبار أهل القرن الثاني عشر**: ٤٤- ٤٨؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٥٩٩- ٦٠٠.

(٢) عن عمارة المشهد الحسيني في عصر أسرة محمد علي، انظر: إبراهيم عامر، **العمائر الدينية بمدينة القاهرة في عصر إسماعيل وتوفيق وعباس حلمي الثاني دراسة معمارية أثرية** (رسالة دكتوراه، جامعة طنطا.كلية الآداب،١٩٩٣): ٢١-٣٣؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٨٦-٨٨.

(٣) عُمِلَ هذا التابوت بعد إخراج التابوت الأيوبي الأصلي حول الضريح، وترميمه وإيداعه متحف الفن الإسلامي سنة ١٩٤٥م، وقد أشرف على ترميمه من قبل لجنة حفظ الآثار العربية المرحوم حسن عبد الوهاب بعد أن عاينه سنة ١٩٣٩م، وأخذ صورًا فوتوغرافية نادرة له، وقرأ ما عليه من نقوش كتابية قرآنية.

في يوم الجمعة (٢٤ من ربيع الأخرة ١٣٥٩هـ/ ٣١ من مايو ١٩٤٠م)، فقد أصدر جلالته الأمر بإعداد المسجد الحسيني لتأدية فريضة الجمعة، فأعد المسجد ثم أزاح جلالته الستر عن المقام الحسيني بعد استحضاره من سراي عابدين إلى المشهد الحسيني، باحتفال حضره الجم الغفير من الخالصة ورجال الدولة والعلاء والأعيان وغيرهم، ويتألف هذا الستر الجديد من ١٣ قطعة من القماش المطرز بخيوط القصب المزخرف بنقوش قرآنية من سورتي البقرة وآل عمران، تنتهي بمذكرة تاريخية نصها:

أمر بصنع هذا الستر الملك العادل فؤاد الأول، وأمر بإتمامه الملك الصالح فاروق الأول

وقد زيد عليها أربعة أهلة من الفضة المموهة بالذهب لوضع كل واحد منها في ركن من أركان الضريح، وكذلك ثماني «شرابات» من الحرير الموشى بالفضة والقصب تتصل كل اثنتين منها بشريط من الحرير الأخضر، عدا تابوت من خشب «التك» وعمامة وشال من الكشمير، وقد قام بصنع هذا الستر الحسيني مصنع التطريز الخاص بالكسوة الشريفة بالخرنفش بالقاهرة، وهو المصنع الذي كان قد أنشأه كبير الأسرة المالكة المغفور له محمد علي باشا، إحياء لهذه الصناعة الفاخرة التي ماتت أو كادت تموت، خلال الاستيلاء العثماني على مصر الإسلامية[1].



منظر عام لمئذنة المشهد الحسيني «عن كريسويل»

(١) مصنع الخرنفش لكسوة الكعبة المشرفة: من أول المصانع التي أنشأها محمد علي فابريقة الغزل والنسيج بالخرنفش سنة (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م)، تحت إشراف المهندس الفرنسي جوميل، وبعد إدخال زراعة القطن في مصر اختصت هذه الورشة بصناعة الأقمشة القطنية، وكان بها ١٠٠ دولاب منها: عشرة للغزل السميك، والباقي للغزل الرفيع، وكان بها ٣٠٠ نول لنسج القطن وأقمشة مختلفة: كالبفتة والموسلين والبصمة (الشيت) والشاسو الباتست، وكانت ترسل الأقمشة للمبيضة =

وقد أمر جلالة الملك لهذه المناسبة بإعداد ستر آخر للمشهد الزينبي، وفي رمضان سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، جددت وزارة الأوقاف بياض نصف جدران المسجد الحسيني، وهكذا تظهر من ثنايا هذه الرغبات الملكية السامية، محبة ملوك الدولة العلوية المحمدية، لآل بيت حضرة النبي الكريم ﷺ، وهذه الفروع الطاهرة النامية، فمن الفاتح محمد علي، إلى الناصر إبراهيم، إلى السعيد محمد سعيد، إلى العزيز عباس الأول، إلى الظاهر إسماعيل، إلى الكامل حسين، إلى العادل فؤاد، إلى الملك الصالح فاروق الأول، تشاهد آثارهم على هذه المشاهد المحمدية النبوية، بادية للعيان حتى الآن، فجزاهم الله عن أهل بيت نبيه أحسن الجزاء، وأنابهم فتحًا قريبًا ونصرًا عزيزًا وملكًا مؤيدًا سديدًا.

= التي أنشئت لهذا الغرض بين بولاق وشبرا ثم تعاد إلى مخازن الخرنفش لتباع، ويوجد بالفابريقة ورش للحداد ين والخراطين والسباكين والنجارين لإصلاح الآلات، ذكرها علي مبارك في خططه تحت عنوان «ورشة الخرنفش»، ويفهم من كلامه أنها كانت داراً لأحد الأمراء المصريين، ثم جعلها محمد علي ورشة للأغراض السابق ذكرها، والتي يدخل ضمنها عمل كسوة الكعبة المشرفة، تقع بشارع خميس العدس في ما بين السورين وحارة النصارى المتوصل منه إلى الخرنفش، وهي ما زالت قائمة حتى الآن، وتصنع فيها كسوات الأضرحة، انظر: إبراهيم حلمي، «كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج»، **كتاب اليوم**، العدد ٣٢١ (مايو١٩٩١): ٨٠-٨١؛ عبد الرحمن الرافعي، **عصر محمد علي** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠): ٥٠٣-٥٠٤؛ صلاح أحمد هريدي، **الحرف والصناعات في عهد محمد علي** ([القاهرة]:دارالمعارف، ١٩٨٥): ٢٠٠-٢٠٢؛ مجدي عبد الجواد علوان، «مقايسات المنشآت المعمارية في عصر أسرة محمد علي دراسة آثارية وثائقية»،في **كتاب المؤتمر الخامس عشر للإتحاد العام للآثاريين العرب**، مج. ٢ (وجدة: المملكة المغربية، ٢٠١٢): ١٧٨٧؛ محمد حسام الدين إسماعيل، **مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل ١٨٠٥-١٨٧٩م** (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٧): ١٢٩.

مشروع تجديد المسجد الحسيني

وثمة مشروع لتجديد المسجد الحسيني والقبة، وضعه قسم الهندسة بوزارة الأوقاف، وقدرت تكاليفه بستة آلاف من الجنيهات، وقد أدرج له في مشروع ميزانية ٣٨- ٣٩ مبلغًا منه لا يقل عن ألف جنيه مصري، وسيتناول هذا المشروع تجديد القبة الحسينية تجديدًا سوف يبالغ فيه إلى حد كبير.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: لأبي القاسم الزرزور بقاعدة المئذنة القديمة في إطار يشاهد من أعلى باب المشهد في عشرة أسطر كتب بها ما نصه:

البسملة... الذي أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربًا إلى الله ورفعًا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم يحي بن ناصر السكري المعروف بالزرزور تقبل الله منه وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذي أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجًا عما أوصى به والده المذكور وكان فراغها في شهر شوال شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة

وتعلوها لوحة أخرى بها بقية من كتابة في ثمانية أسطر هذا نصها:

الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة عفى الله عنه

المذكرة الثانية: لعبد الرحمن كتخدا كانت بمحراب القبة قبل الإصلاح الذي أجراه علي بك الكبير.

مسجد للحسين أصل المعاني
لا يضاهي في البقاع علا

فيه فضل الرحمن للعبد نادى
زر وأرخ (لك الهنا والرضا)

المذكرة الثالثة: لعلي بك الكبير في روسم بأعلى محراب القبة.

ألا إن تقوى الله خير البضائع
ومن لازم التقوى فليس بضائع
فهذا لواء النصر لاحت نقوشه
مطرزة تزهو بحسن الصنائع
ومن حجر إسماعيل مصر تشرفت
بأعلى مقام فيه يشرف تابع
مقام عظيم من لطافة شكله
حوى المجد والتقى وآي الأضالع
حوى من بني الزهراء أطيب عنصر
نحن له كل الورى بالطبائع
فيا آل طه يا ذوي الفضل والهدى
مقامكمو أضحى بديع المواضع
بتفضيلكم سدنا وإن جاعليكم
نصول عليه بالنواصي القواطع
نسختم من الأحشاء حب سواكم
كما جدكم وافي لنسخ الشرائع
وإشراق نور الله لاح مؤرخًا
لمن زار آل البيت جمع المنافع

وبأسفل هذه الكتابة أبيات شعرية أخرى مؤرخة بنفس هذا التاريخ، ونصها:

آل طه لهم مقام عظيم
من يؤرخ [هذا مقام منير]
لا يضاهيه في الأنام مقام
أرخوه [مرينا لا يضام]

وبدائر القبة تاريخ آخر يبتدئ بقصيدة الإمام الحسين التي مطلعها:

خيرة الله من الخلق أبي
بعد جدي وأنا ابن الخيرتين
عبد الله غلامًا ناشئًا
وقريش يعبدون الوثنين
والدي شمس وأمي قمر
وأنا الكوكب بين النيرين

وينتهي بما نصه:

كتبه الحبيب محب زاده صالح النجيب

والمذكور في هذا النص هو الخطاط الشهير صالح أفندي الذي يشير إليه الجبرتي في ترجمة علي بك الكبير في وفيات سنة (١١٨٨هـ/ ١٧٧٥م)، وهي السنة التي توفي فيها الأمير المذكور، وقد عهد إليه برسم النقوش الكتابية بقبة الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، التي جددها الأمير علي بك قبل هذا التاريخ بعام واحد [انظر ترجمة جامع وقبة الشافعي][١].

المذكرة الرابعة: لأبي الأنوار السادات بالباب البحري للقبة الشريفة.

أنشأ وأعلى أبو الأنوار سيدنا
بابًا لسبط رسول الله ذي الرشد
ومن إشراق نور الله أرخه
باب حماه عظيم الجاه والمدد.

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٥٩٩-٦٠٠.

المذكـرة الخامسـة والسادسـة: بالبـاب الـشرقي للمخالفات النبوية وبزاوية القبة:

بنى عباس حلمي بيت مجد
بجـانـب قبة السبط الـزكي
بخـير تـم والتـاريـخ بـاب
تـواجـه مـنـه آثـار النـبي
ذي قبة أمر الخديوي بنقشها
نقشًا يكون على محاسن بهجة
فتكاملت حسنًا وقلت مؤرخًا
من عدل عباس نقوش القبة

وبداخل حجرة الآثـار طراز يبتدئ بالبسـملة ثم بسورة ألم نشرح ثم بما نصه:

ذكر ما هو محفـوظ بهذه الخزانـة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسـلم وآثار خلفائه رضي الله عنهم أجمعين تشـتمل هذه الخزانـة من الآثار النبويـة على قطعة من قميصـه الشريف ومكحلة ومـردود وقطعة من القضيب الشريف وشـعرتين من اللحيـة الشريفة، و بها أيضًا مصحفان كريمان بالخط الكوفي أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، والآخر بخط سـيدنا الإمام علي كرم الله وجهه. ذكر ما تركه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يوم وفاتـه، ثوب حبرة وإزار عمـاني وثوبان صحاريان وقميص سـحولي وسراويل وجبة يمانية وخميصة وكسـاء أبيض وقلانس فـدك وثلث أرض وادي القرى وسهم من خمس أرض خيبر وحصة من أرض بني النضير أمر بإنشـاء هذا المكان المبارك من فضـل الله تعالى مولانا الخديو المعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه

وصف المشهد

وللمشـهد الحسـيني جملة أبواب، منها باب الفرج، بطرف الوجهة القبلية، إلى جانب المنارة العثمانية، ثم باب القصر وهو الجزء الأثري الباقي من معالم المشـهد الحسيني من عهد الدولـة الأيوبية، ثم باب الخضر أو الباب الأخضر وواجهة المسجد الحسـيني الغربية تطل على شارع المشهد الحسيني، وبها ثلاثة أبواب أحدها ينتهي إلى الميضأة الأولى، وداخله يشتمل على قاعة كبيرة يحمل سقفها أربعة وأربعون أسطوانة مرفوعة على أقواس معقودة، وتتكون منها أروقة في الرواق الأخير منها سدة للتبليغ، وفي الرواق الشرقي المحراب والمنبر، وقد نقل إليه في سـنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) من جامع أزبك من طـخ الأشرفي الذي كان بميدان العتبة الخضرا، ثم تخرب وهو منبر تركي بديع يماثله منبر جامع حسن باشا طاهر ببركة الفيل المنشأ سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م).

ويجاور المحراب بابا القبـة يجاورهما باب آخر نصل منه إلى مسـتودع المخلفات النبوية الذي أسـس في سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، على عهـد الخديوي عباس حلمي الثاني كما سـبق، وعلى مقربة من هذا الباب باب آخر ينتهي إلى قاعات استراحة، ومكتب لمشيخة المسجد وإدارته ويتوسط القبة مقصورة من نحاس أصفر ركبت على الضريح في سـنة (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، على عهد الخديوي عباس باشـا الأول، وفي طرف القبة من الجهة القبلية والبحرية، بابان أحدهما إلى مسـتودع المخلفات والثاني إلى المسجد الحسيني، ومنه بابان أحدهما شرقي والآخر بحري لنصل إلى شـارع الباب الأخضر، ويتوسـط الجانب البحري من المسجد الحسيني الجديـد باب لنصل منه إلى رحبـة ذات رواقين، يكتنفها

أربعة أبواب، وفي كل رواق منها محراب، ويتوسطها ميضأة من رخام دائر تعلوها قبة، وبينها صحن مكشوف.

وفي الجانب الأيمن الشرقي من هذه الرحبة بدخول طفيف في المسجد، محل قبر الشيخ عبد الفتاح الملواني شيخ المالكية في القرن الثاني عشر الهجري، وقبر الأمير علي بك الحسيني؛ وقد كانت هذه المنطقة مقبرة تعرف بمقبرة القضاة، ودفن فيها كثير من قضاة العسكر العثمانيين والجند وغيرهم، فلما عمر المسجد في عهد الخديوي إسماعيل، العمارة السالفة الذكر؛ جمعت رفات من كان مدفونًا بهذه المقبرة ونقلت إلى القرافة؛ وتخلف منها هذان القبران، بيد أنهما حجبا عن الأنظار.

المولد الحسيني

وللإمام الحسين موالد كثيرة أهمها المولد الكبير الرسمي الذي يبتدئ من أول شهر ربيع الآخر إلى ليلة السابع والعشرين منه، وبدأت رابطة القراء بالقاهرة تحتفل بمولد آخر هو من الموالد الشبيهة بالرسمية في ليلة التاسع من رمضان كل عام، أما ذكرى وفاته واستشهاده في سبيل الحق والدين فيحتفل بها اليوم في غير القطر المصري احتفالاً باهرًا، أما في القاهرة فتقوم مشيخة المشهد الحسيني بإحياء ليلة العاشر من المحرم، والخامس من شعبان في ليالٍ عادية يحتفل فيها احتفالات قاصرة.

ميلاد الإمام الحسين

ونريد أن ننبه الأذهان إلى أن ميلاد الإمام الحسين كان عام الخندق في السنة الرابعة من الهجرة في الخامس من شعبان لا في هذا التاريخ وذاك، وعاش مع جده ﷺ ست سنوات وشهورًا، وبقي بعد أخيه الإمام الحسن عشرة أعوام وأشهر، وكان مجموع عمره ستة وخمسين عامًا، واستشهد بعد ظهر يوم الجمعة العاشر من محرم الحرام سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)، واشترك في قتله ابن أحد الصحابة من العشرة المبشرين بالجنة، وذكرنا فيما تقدم أن الرأس الكريم قدم به إلى القاهرة في مساء يوم الأحد ٨ من جمادى الأولى سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م).

تحقيق

هذا ما استطعنا أن نستخلصه من آراء جمهرة من أعلام المؤرخين والمحدثين الحفاظ الثقات، يبلغ عددهم حوالي الأربعين، فيهم شيخ السنة أحمد بن حنبل [انظر كتاب مناقب أهل البيت المخطوط بالمكتبة الحيدرية بالنجف الأشرف]، ومن الحوادث الصحيحة والأنباء الصادقة والنصوص التاريخية، عن مسير الرأس الكريم أولًا وأخيرًا، وعما طرأ أعلى المشهد الحسيني من تطورات، وقد أثبت المقريزي وهو مؤرخ نعتمد عليه ونثق به ونعتبره حجة في كل ماله علاقة بأمثال هذا البحث مجيء الرأس الكريم إلى القاهرة في التاريخ المذكور وحلوله بهذا المكان المقدس، بعبارات ليس فيها شك ولا غموض(١).

وجمع الحافظ ابن حجر العسقلاني مجموعة من أقوال هؤلاء الثقات في فتوى له أذاعها تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه الجواهر والدرر، المخطوط والمصور بالمكتبة الأهلية بباريس والكتانية بفاس ودار الكتب والأزهرية بالقاهرة، ثم قال بأثرها: «والذين أدين الله عليه بما ظهر لي من البحث، أن مشهد الحسين بالقاهرة فيه رأسه فقط».

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤١١-٤١٧.

وألف أبو المظفر بن يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، صاحب التاريخ المسمى مرآة الزمان المتوفى سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) كتابًا في رأس الحسين ومسيره، جمع فيه أقوال ستة وثلاثين مصدرًا، ثم خلص منها إلى القول بحلول الرأس الكريم بالقاهرة في آخر العهد بالدولة الفاطمية، وهذا الكتاب موجود بخط اليد في مكتبة بعض شيوخ النجف الأشرف بالعراق، فيما أخبرني به بعض سادات قم.

مشهد أم الغلام

ومن مجموع ما قدمناه يتبين أن كل ما يقال خلافه لا قيمة له ولا دليل على صحته، وأهم ما يذكر في هذا الصدد، تلك الأسطورة التي تتناقلها العوام عن الرأس الكريم ومشهد أم الغلام، ولتقرير الحقيقة وبيان منشأ هذه الأسطورة.

نقول إن مشهد أم الغلام كان في بادئ أمره قاعة من قاعات القصر الفاطمي، أنشأها العزيز بن المعز في حوالي سنة (٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) و(٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، ثم تحولت إلى مشهد عرف بمشهد السيدة فاطمة الزهراء وولدها الحسن.

وفي سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٨٣م) جدد الأمير بدر الدين بيلبك العلائي نائب قلعة صفد في عهد المعز أيبك التركماني، هذا المشهد وبنى إلى جواره في الجهة الجنوبية مسجدًا للصلاة.

وفي ربيع الأول سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) أمر الملك الظاهر بيبرس البندقداري بتجديد هذا المسجد وإقامة الشعائر فيه، وضم هذه البقية التي تحوي هذا المشهد إليه بعد تقرير بيعها [انظر المقريزي وابن بهادر].

وفي سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) قتل بالقاهرة الأمير سيف الدين بهادر الأشرفي رأس نوبة، فأخذ قاتلوه رأسه وعلقوه على باب داره الملاصقة لمشهد الحسين، والمرجح أن الرأس بعد تعليقه على داره المذكورة «وهي فيما يبدو الدار التي آلت إلى الحاج آل ملك الجوكندار في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) التي في جانب هذا المشهد من جهة الشمال» أخذ فدفن بهذا المشهد أو أنه ظل به أيامًا، ثم نقل إلى القرافة فدفن مع الجثة؛ وهذا ما تؤيده هذه القرينة الظاهرة، التي تتناقلها ألسنة العوام عن هذا المشهد في شبه أسطورة، هذا تقرير الحقيقة عنها ومن ذلك يظهر أن ليس ثمة علاقة بالرأس الكريم «رأس الحسين» مع هذا المشهد مطلقًا، أما نسبة هذا المشهد إلى السيدة فاطمة الزهراء، فيرجع إلى تسمية القاعة المذكورة باسمها تيمنًا وتبركًا، وهذا ما يثبته النص المسطور في روسم كان يعلو أسكفة باب المقام، وقد كتب فيه ما نصه:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر هذا مقام سيدة نساء العالمين الزهراء فاطمة وولدها الحسن صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ذريته أمر بتجديد هذا المقام المبارك الأمير بدر الدين بيلبك العلاي وأوقف عليه هذا المقام احتسابًا لوجه الله تعالى وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنين وخمسين وستمائة

وله معضد آخر من خطط المقريزي، وقد كانت هذه المنطقة تعرف فيما سبق بحارة الغلمان الصالحية الصغرى، قال المقريزي: «حارة الصالحية عرفت بغلمان الصالح طلائع ابن رزيك، وهي موضعان: الصالحية الكبرى والصالحية

الصغـرى وموضعهما بجانب المشـهد الحسـيني، ورحبة الأيدمري وبين البرقية، وكانت من الحارت العظيمة[1].

ومما ذكر يمكن تطبيقه على شـارع فريد وشارع أم الغلام، لأن رحبة الأيدمري هي مدخل شـارع القزازين الذي ينتهي عنده شـارع أم الغلام وبداية حارة البرقية[2]، هي نهاية شـارع العلوة الذي يضم شـارع الجعادية إليه، تحصل منهما على حارة الصالحية الكبرى المقصودة في عبارة المقريزي ومن ثم نشأ هذا التبديل من غلمان الصالحية إلى أم الغـلام، «وانظر تفصيل الـكلام على الأدوار التي مرت بهذا المشهد من سنة (٣٨٣-٨٩٥هـ/ ٩٩٣-١٤٩٠م)، في ترجمة جامع الناصري محمد بن بردبك في هذا الكتاب»[3].

الآثار النبوية ومخلفات حضرة النبي ﷺ

يوجد بالمقـام الحسـيني مخلفات من آثـار حضرة النبي ﷺ وصلت إليه من الطريق الذي سنبينه بيد أننا نريد أولاً أن ننظـر إلى الآثار والمخلفـات النبوية من وجه عام، كان المسلمون يتنافسون في الحصول على الأمتعة النبوية في حياته ﷺ [4].

بيد أنهم كانـوا لا يسـتطيعون أن يصارحوا حضرة النبي ﷺ باسـتهداء شيء منها حياء وحرصًا على مصلحته بذلك المتـاع، وبالرغم من ذلك؛ فـكان ﷺ يهدي الكثير منهـا، لمن بدت عليـه آثار تلك الرغبـة في وجهه بصورة يفهمها حضرة النبي ﷺ، فاسـتطاع المسلمون من ذلك، أن يحصلوا على أكبر عدد ممكن من هذه الأمتعة النبوية وشاء الله تعالى أن يستمتعوا بها في حياته ومن خلفهم بعد.

فلما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى جمع المسلمون كل ما تركه منها، في بيت فاطمة ابنته، فأهدت منها ما شاء الله أن تهدي من الصحابة وبقي عندها مجموعة احتفظت بها لنفسها وزوجها وبنيها، كما سنوضحه، وظهر من كلام المؤرخين أن مجموع ما كان لحضرة النبي ﷺ من الأمتعة هي:

خاتم من ذهب، خاتم من فضة كان هو شعاره صلى الله عليه وسـلم مكتوب فيه في ثلاثة أسطر «لا إله إلا الله محمد رسـول الله»، خاتم من حديد ملبس بفضة

(١) حارة الغلمان الصالحية: عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك، وهي موضعان: الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى، وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الأيدمري وبين البرقية، وكانت من الحارات العظيمة، عن شارع أم الغلام، وحارة الغلمان الصالحية، ودرب القزازين «درب ملوخيا»، وما بها من منشآت وآثار، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٣٤-٢٣٩.

(٢) رحبة الأيدمري: فيما بين المشهد الحسيني وخزانة البنود، نسبة إلى الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمري الظاهري، أحد أمراء الظاهر بيبرس، ثم المنصور قلاوون، لأن داره عندها، وهي باقية إلى زمن المقريزي [توفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)] ودفن بتربته بالقرافة بجوار قبر الشافعي، وكان مملوكًا للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس، وموضعها الآن المنطقة الواقعة غرب المشهد الحسيني ويخترقها شارع أم الغلام وحارة الجعادية بقسم الجمالية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣:١٥١، هامش ٢، ٣.

(٣) جامع بردبك الدوادار أو دار الحديث البردبكية: بشارع أم الغلام (حارة الغلمان الصالحية سابقًا، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر= الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٦.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن الآثار النبوية الشريفة، انظر: أحمد تيمور، **الآثار النبوية** (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥١): ٣٨-٤٦.

مكحلة مرود، ميل، مقراض، مرآة تسمى المسراة، أربعة خفاف، نعلان، سبتيتان، ثوب حبرة إزار عماني، ثوبان وقميص صحاري، قميص سحولي، جبة يمنية، جبة شامية؛ كساء أبيض، قلانس- خميصة؛ كساء مخمل أحمر، كساء فرو أسود، منديل طيلسان من الديباج، بردتان، إزار وسراويل- ستة أثواب كل اثنين منهما بلون، أخضر وأحمر وأبيض، والأخضر صارت منه قطعة إلى محمد بك مختار [المتوفى سنة ١٣٤٨م]، كانت محفوظة بمكتبته بنمرق (١٥٩١-١٥٩٢م)، برنس حرير من لاس، رداء حضري، شملة مخططة من صوف، ملحفة، رداء مربع، فراش من أدم محشو ليف؛ عمائم أربعة إحداهما تسمى؛ سحاب، عمامة محبكة، عمامة ذات ذؤابة ،عمامة سوداء؛ عمامة بيضاء، قفتان- مدرا؛ قربة، سكين، قدر، أقداح ثلاثة؛ الريان والمصبب وكان من فضة، قدح من زجاج، مخضبة للحناء، ركوة تسمى الصادرة، مغسل من صفر، ربعة عاج، مقص، مشط، قصعة سرير، قدح من عيدان «مبولة»، سلة قنينات فيها طيب، بساط يسمى الكريم، طنفسة، سجادة، وسادة من حرير ووسائد أخرى، أبريق مفضض، عنزة وهي عصاة قصيرة، مسبحة، مشقص، مبضع، حصير مرمل قوس، سيف من عرجون، مقصورة، دكة، كرسي، كرسي آخر كانت قوائمه من حديد، منبر، مخدة من جلد، سرير قوائمه من ساج «خشب هندي»، ملة مشدودة بالليف، قدح من خشب يسمى النسعة مقص آخر يقال له الجامع، سواك؛ أطسات من خشب؛ وبعضها صفر ونحاس، طست صينية، قنديل مشكاة، مجمرة خمرة من لباد، عقد مكتوب فيه عتاقة لمولاه أبي رافع أسلم؛ سرج من ليف، ركاب سرج من لبد، كتابه إلى المقوقس جريج ابن مينا، كتابه إلى هرقليوس، عهد لتميم الداري بإقطاع في القدس، كتابه ﷺ في الأحكام، كتابه في الصدقات، كتابه في نصاب الزكاة، كتابه في الفرائض والسنن والصدقات استكتبه لعمرو بن حزم الأنصاري، حاكم نجران في عهده، مصحفه ﷺ الذي كان برسمه خاصة شعرات من شعره ﷺ، قصعة أخرى يقال لها الغراء؛ كانت بأربع حلق، قدح من خشب بثلاث صنبات فضة، وفيه حلق، وقد صار هذا القدح إلى أنس ثم لابنته، قدح من حجارة، سرج- يسمى السراج مخضب، كان يستعمله ﷺ عند اشتداد الحر، بساط يسمى الكز.

الأسلحة والمهمات الحربية

وكان له ﷺ من الأسيوف خمسة: (١) العضب؛ (٢) الرسوب؛ (٣) البتار؛ (٤) الحنف؛ (٥) المثنوني؛ (٦) صمصامة؛ (٧) ذو الفقار.

وكانت قائمته وقبيعته وخمائله من فضة، وكان حضرة النبي ﷺ يضعه في عنقه الشريف معلقًا من خمائله. ومن الحراب ثلاثة: (١) العنزة؛ (٢) السرسلة؛ (٣) البيضاء. والدروع سبعة: (١) السعدية؛ (٢) ذات الفضول؛ (٣) ذات الوشاح؛ (٤) ذات الحواشي؛ (٥) التبراء؛ (٦) الخرنق؛ (٧) فضة. والأتراس ثلاثة: (١) الزلوق؛ (٢) الفنق؛ (٣) الموجز. والمغافر(١): (١) الموشح؛ (٢) المسوغ. والرماح: (١) المثوى؛ (٢) والمثنى؛ وثلاثة أخرى.

والخوذات: خوذة من صلب يقال لها البيضة- كان يلبسها ﷺ على رأسه الكريم في الغزوات في ميدان الحرب، وظهر فيها ﷺ في غزوة أحد أكثر من غيرها، ثم مهمات أخرى منها: القضيب الممشوق، ومخصرة يقال لها العرجون، فسطاط، ومظلة يقال له الكن؛ وقبة، ومحجن يسمى الرفق

(١) المغافر نوع من الخوذ لوقاية الرأس

وجعبة تسمى الجمع، وأخرى تسمى الكافور، ومغفران، ودبابة، ومنجنيق.

الركائب النبوية

ومن الخيل: (١) السكب؛ (٢) ملاوح؛ (٣) المرتجز؛ (٤) لزاز «هذا الفرس أُهدي له من المقوقس جريح بن مينا»؛ (٥) الظرب؛ (٦) اللحيف؛ (٧) السداد؛ (٨) سبحة؛ (٩) الأبلق؛ (١٠) ذو العقال؛ (١١) السرحان؛ (١٢) اليعسوب؛ (١٣) البحر؛ (١٤) الأدهم؛ (١٥) الشما؛ (١٦) المرواح؛ (١٧) الطرف؛ (١٨) السحل؛ (١٩) ذو اللمة. ومن البغال: (١) الشهباء؛ (٢) دلدل؛ (٣) فضة؛ (٤) ثلاث بغال أخرى، ثور يقال له المخضب، وآخر يدعى عفير. ومن النوق: (١) العضباء؛ (٢) الجذعاء؛ (٣) القصوا. ومن الغنم: (١) عجرة؛ (٢) مردة؛ (٣) شعيا؛ (٤) بردة؛ (٥) أطلال؛ (٦) أطراف؛ (٧) ورثة؛ وبلغت شياهه ﷺ إلى مائة وكان يرعاها راعيه ابن أم أيمن.

الألوية والأعلام والرايات النبوية

وكان له ﷺ لواء أبيض، لواء أصفر، لواء أبيض مكتوب فيه من الوجهين لا إله إلا الله محمد رسول الله.

راية سمراء تسمى العقاب، راية سمراء أخرى، راية من صوف، راية مرسوم فيها صورة الهلال. راية يقال لها النمرة وأخرى يقال لها الربية.

أمتعة أخرى من المخلفات

وثمت أمتعة أخرى من المخلفات النبوية، منها:

- العرش: وهو كرسي قوائمه من حديد.
- عريش: وهو شيء يشبه المحفة كان ينصب له ﷺ فوق شرف عال لحضور الحفلات العامة.
- مظلة، مقصورة: كان يجلس فيها ﷺ بالمسجد.
- فسطاط: خيمة، هذا أكثر ما وجد في كتب السيرة والسنة من أمتعة ﷺ.

مصير هذه المخلفات

من هذه الأشياء التي ذكرناها من أمتعة حضرة النبي ﷺ، بقيت منها مجموعة بعد وفاته ﷺ، وقد حفظت جميعها جملة واحدة، وبعضها صار إلى ذريته من آل البيت الطاهرين، وبعضها إلى أصحابه.

فالمصحف والخاتم، الذي هو الشعار، صارا إلى أبي بكر فعمر فعثمان، فبقي الخاتم بديوان التوقيعات حتى سقط من عثمان لنفسه بعد أن أكثر من كتابة المصاحف، ووحد طريقة قراءتها على لغة قريش تبعًا لهذا المصحف النبوي.

والكتب جميعها صارت إلى أبي بكر فعمر، عدا كتاب ابن حزم وعهد تميم الداري، فالأول بقي عند ابن حزم نفسه، بعد أن أذاع صورته في أكثر من بلد، وعهد تميم قيل إنه لا يزال محفوظًا بيد فروعه إلى اليوم بنفس القرية التي أقطعها النبي ﷺ لتميم، وهو فيما يذكر من رآه بخط الإمام علي- وذو الفقار رآه جابر بن عامر، عند الإمام علي زين العابدين ابن الحسين، والعمامة التي تسمى السحاب والخاتم الحديد الملبس بفضة، والشملة المخططة والكساء وأشياء أخرى يأتي ذكرها- ورثها الإمام علي بن أبي طالب ثم صارت إلى بنيه من بعده، حتى وصلت إلى الفاطميين ثم إلى بني العباس؛ وقد

بقيت عندهم شعارًا للملك إلى أن انقرضت الدولة العباسية، فنقلت إلى الشام ومنها إلى الآستانة.

والبردتان: إحداهما خلع بها النبي ﷺ على كعب بن زهير الأسلمي حينما أسلم وامتدحه بقصيدة بانت سعاد المشهورة، فورثها عنه بنوه، ثم اشتراها منهم معاوية فبقيت في عقبه إلى أن وصلت إلى الدولة العباسية، فأودعت مع الآثار الأخرى ثم نقلت إلى الآستانة مع ما نقل، والركاب النبوي صار إلى الشيخ علي الخلاطي فأودعه بزاويته بباب النصر بالقاهرة.

والبردة الثانية كان حضرة النبي ﷺ أهداها لأهل أيلة، فأعطوها لأميرهم سعيد بن خالد، فقدمها إلى مروان ابن محمد، فبقيت عنده حقبة طويلة من الزمن ثم صارت إلى العباسيين أيضًا.

والمكحلة والمرود والقضيب الممشوق والعنزة والقصعة والمخصف والملقط والمشط وشعرتان من شعره ﷺ وقميصه الشريف، صارت إلى الإمام الحسن ابن علي بن أبي طالب من أبيه، ثم ورثها عنه محمد النفس الزكية ثم أولاده إلى أن وصل بعضها إلى الشريف إبراهيم الحسني نزيل الينبوع بالحجاز، فبقيت عند أبنائه حتى أوائل القرن الثامن الهجري فنقلها الصاحب ابن حنا وزير الديار المصرية إلى رباط الآثار بمصر فبقيت به إلى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، وفيها أمر السلطان قانصوة الغوري بنقلها إلى مدرسته، وما برحت بها حتى نقلت إلى المسجد الزينبي في سنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م)، ثم إلى خزانة الأمتعة بالقلعة، ثم إلى قصر عابدين، ومنه إلى المشهد الحسيني ولا زالت باقية به إلى الآن وسنذكر خلاصة بحث المنعم تيمور باشا عنها باستدراكاتنا عليه فيما يأتي بعد.

والمنبر الشريف بقي بموضعه من المسجد النبوي مع استعمال غيره، إلى سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، فلما احترق المسجد سلم هذا المنبر من الحريق إلا أنه تفكك، فأخذ أهل المدينة أعواده، وصاروا يحملون عليه موتاهم تبركًا بهذا الأثر النبوي الشريف وبقيت رمانتاه عند بعض أهل المدينة، والسرير ورثه أهل المدينة وكان عندهم يستعملونه كأعواد المنبر، والدرع التي يقال لها ذات الفضول، رآها جابر عند علي بن الإمام الحسين، ووصفها بأنها رقيقة ذات زرافين ولها حلقتان من فضة والسيف العرجون، أعطاه حضرة النبي ﷺ لعبد الله بن جحش بن رباب ابن عمته أميمة، الذي يقال له عبد الله المجدع، شهيد غزوة أحد، وكان من خشب العرجون، وقد أعطاه له ﷺ حينما انكسر سيفه، فلما مات عبد الله المذكور، آل هذا السيف إلى جماعة المسلمين ثم تداولته الأيدي إلى أن اشتراه بعض الناس بثمانين دينار فبقي عنده، ووصلت قطعة من نعاله الشريف إلى دمشق فأخذها الملك العادل نور الدين زنكي ابن محمود؛ وأودعها بدار الحديث النورية التي أنشأها بالعاصمة، وظهر من كلام الإمام محيي الدين النواوي العالم الكبير حجة الشافعية وقمر الحفاظ والمحدثين أنه رآها بهذه الدار.

والبغلة الشهباء دلدل بقيت بعده ﷺ فسعى معاوية في الحصول عليها- وأودعها متحف المخلفات، واليعفور نفق في حجة الوداع في حياة حضرة النبي ﷺ، والبغلة فضة أهداها حضرة النبي ﷺ لأبي بكر، كما أهدى لزوجته أم سلمة- لفحة «نوع من الإبل» تسمى العريس.

وأهدى فرسه الورد إلى عمر بن الخطاب، ورأى ابن عون في مكة في سنة (١١٠هـ/ ٧٢٨م) عند فاطمة بنت عبيد

الله بـن العباس، نعلين لحضرة النـبي ﷺ ذات قبالين «أي سيرين».

والكتب النبوية الشريفة بقي منها إلى اليوم كتابه ﷺ إلى الإمبراطور هرقليوس، وهو بالإسكوريـال فيما يقال. ثم كتابه الثاني إلى المقوقس جريج بن مينا، قيل إن عالمـًا فرنسـيًّا عثر عليه بدير في أخميم، فاشـتراه منه السلطان عبد المجيد سـلطان تركيا السـابق، وأودعـه بدار الآثار بالآستانة، ويوجد بمكتبة فينا بالنمسا كتاب آخر يعزى إلى المنذر بن سـاوى، كما يوجد بدمشق كتاب آخر يعزى إلى بلال بن الحـارث أو غيره مع نعال شريفة، وتحتفظ المكتبة الأهليـة بباريس بكتاب أقطاع لتميـم الداري، وهو غير الكتاب الأول الموجود بالخليل.

أما الشـعرات النبوية الشريفة، فكانت عند الصحابة جملة منها، فكان عند أبي زمعة البلوي شعرات نبوية شريفة وعند أبي طلحة وأنس وابن سيرين وأم سليم بن ملحان، وأم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وخالد بن الوليد، وتكاد تكون هذه الشـعرات النبوية الشريفة أصح ما نسب إلى حضرة رسـول الله ﷺ من الآثار، ففي صحيح البخاري عن أنس أن حضرة النبي ﷺ حلق رأسه الشريف في حجة الوداع وقسم شعره، أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سليم بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين، وأخرج مسلم عن أنس أيضًا، قال: رأيت رسـول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

وأخـرج الحاكم وأبو يعلى والبيهـقي وجماعة كلهم عن عبـد الحميد بن جعفر عن أبيـه؛ أن خالد بن الوليد، فقد قلنسـوة له يـوم اليرموك فطلبها حـتى وجدها، وقال اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسـه، فابتدر الناس جوانب شعره فسـبقهم إلى ناحيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشـهد قتالًا إلا وهي معي إلا رزقت النصر، وروى القاضي عياض في الشـفاء عن معاوية بن أبي سفيان، أنه كان عنده إزار رسـول الله ﷺ ورداؤه وشيء من شعره وظفره، فكفن بردائـه وإزاره حتى شـعره وظفره بسـيفه ومنحره بوصية منه ، وقد كانت هذه الشـعرات النبوية الكريمة، أحب ما يكـون لدى الصحابة جميعًا وكانـوا يتقاتلون عليها، فقد روى البخاري عن محمد بن سيرين قلت لعبيدة؛ عندنا من شـعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس، ومن قبل أهل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، وقد بقيت هذه الشـعرات الشريفة، عند من تملكها من الصحابة، ثم تداولت بين خلفهم إلى أن آلت إلى جماعة المسـلمين فحفظوها في أعز ما يكـون لديهم، وخصصوا لها أماكن خاصة في أشرف البقـاع فمنها بسراجيفو من بلاد يوغوسلافيا، شـعرتان بأحد مساجدها وبدمشق، في ثلاثـة مواضع الأول بجامع الأمير منجك اليوسـفي، وزير الديار المصرية، الثاني: بالمشهد الحسيني الدمشقي الملاصق للجدار الشرقي بصحن المسجد الأموي؛ نقلت من الآستانة في عهد السـلطان عبد العزيز، ووزارة فؤاد باشا على الشام سنة (١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م) أثر حدوث العمارة التي حدثت بهذا المشهد في ذلك التاريخ.

وأخرى بزاوية الشيخ سعد الدين الجباوي، وبتونس في محلين، الأول بزاوية المرجاني خارج باب قرطاجنة، والثاني بضريح الشيخ أبو شعرة بالزلاج، وبالقوان، بجامع أبي زمعة البلوي أحد الصحابة المعروف بالسيد الصاحب، وكان ممن حضر قسـمتها بين الصحابة في يوم مـنى في حجة الوداع

فحفظها في قلنسوته وبمكة عند عميد أسرة المرشدي المصرية الأصل.

وبطرابلس الغرب، بجامع طورغود؛ وبجامع راشد ببنغازي، وفي الهند بجامع مدينة بهوبال، وبالآستانة جملة شعرات شريفة مودعة بالآثار الأخرى في متحف خاص، ويقدر عددها بثلاث وأربعين شعرة وقد أهدي منها إلى جماعة المسلمين بأمر السلطان خمس وعشرون شعرة منها شعرة بهوبال المتقدمة، فبقي منها ثمانية عشر شعرة محفوظة للآن مع الآثار الأخرى، وقد كان موجودًا منها بعض شعرات أخرى بالمساجد، فنقلت إلى القدس، وبصفد بمسجد غار يعقوب، وبطبرية بالمسجد العمري، وبالناصرة بمسجد علي باشا، وبالقدس- وبالمسجد الأقصى، وبعكا بمسجد الجزار، وبحيفا بالجامع الكبير، وببلخ بالجامع الأعظم شعرات أخرى وكان في متحف الآثار والمتحف الحربي على عهد الفاطميين بالقاهرة من هذه الآثار النبوية الشريفة عمامة وسيف؛ قيل إنه ذو الفقار، وسيف آخر وهو المسمى بالصمصامة، وقد كان عند عمر ثم صار إلى خالد ابن سعيد بن العاص، ثم وصل إلى المهدي العباسي، ثم لابنه الهادي، ثم للرشيد فأودعه المتحف الحربي ببغداد، فبقي به إلى زمن المتوكل، فدفعه إلى باغر، ومنه وصل إلى القاهرة في يد الخليفة الفاطمي.

وكان بهذا المتحف الفاطمي آثار أخرى من المخلفات النبوية، بيد أنه لم تصلنا أخبارها من طريق ثابت منها: سيف للإمام الحسين؛ ودرقة لحمزة بن عبد المطلب، وسيف للإمام جعفر الصادق وغيرها؛ وقد بقيت عندهم حتى اشتراها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني- وزير الديار المصرية، وأودعها في مدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة، فبقيت حتى مات- ثم نقلت جميعها إلى بغداد، عدا المصحف العثماني- الذي كتب برسم المصحف الإمام لبعض بلاد المغرب- وقيل إنها نقلت في زمن المستنصر وأما ما هو من الشعرات الشريفة بالقاهرة، فجملته تبلغ تعداد هذه الشعرات جميعها، فمنها: بقبر الأمير منجك اليوسفي بالحطابة شعرتان، وبجامع الأشرف برسباي بمنشأة سرياقوس «الخانكة» تسع شعرات شريفة وبجامع محمد بن عمر بن الزمن المعروف الآن بجامع سويدان، شعرة أو شعرتان، وكان بزاوية الشيخ علي بن محمد بن الحسن الخلاطي المتوفى سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) شعرة من شعره ﷺ مع ركابه الشريف، وبزاوية الشيخ محمد عاشق النقشبندي المتوفى سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) المعروفة بالخانقاه النقشبندية الواقعة بشارع درب الجماميز شعرة محفوظة في صندوق معلق فوق ضريحه، وبالمسجد الحسيني، إحدى عشرة شعرة من شعره ﷺ، شعرتان منها كانتا برباط الآثار ثم نقلتا مع الآثار الأخرى إلى هذا المكان، وشعرة أهدتها السيدة خديجة بنت أحمد طلعت باشا إلى المشهد الحسيني، وثلاث شعرات نقلت إليه من زاوية الشيخ الكلشني في سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م)، وخمس شعرات أهدتها الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين بن السلطان الكامل حسين كامل سلطان مصر السابق.

متحف الآثار النبوية

وأول من علمناه بنى متحفًا لهذه الآثار النبوية الكريمة هو أمير المؤمنين معاوية، فقد بلغنا عنه أنه بنى متحفًا بعاصمة ملكه؛ واجتهد في أن يودع فيه من هذه المخلفات النبوية الشريفة، أكبر مجموعة استطاع الحصول عليها بالشراء والاستهداء، ثم بنى العباسيون متحفًا آخر بدار السلام.

وكان للفاطميين بالقاهرة متحف للآثار النبوية الكريمة لا نعلم لها نظيرًا، وبقي رباط الآثار بالفسطاط بعد ذهاب الدولة الفاطمية والأيوبية متحفًا للآثار النبوية، ولا تخلو متاحف العالم في الشرق والغرب من بعض هذه المخلفات النبوية الكريمة.

آثار الأقدام النبوية الشريفة

وقد أضاف المسلمون لهذه الآثار النبوية الشريفة، آثاراً أخرى، هي آثار أقدامه ﷺ، بيد أن هذه الأقدام لم تثبت بصورة رسمية لتباينها وتغايرها، وبعض هذه الأقدام الكريمة باق إلى اليوم بأماكن متفرقة، فمنها بالقاهرة قدمان بجامع قايتباي بالصحراء، كانا بمدرسة شمس الدين ابن الزمن ببولاق، فنقلها السلطان قايتباي في سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) إلى مدرسته؛ وآخر برباط الآثار بالفسطاط، لا يزال باقيًا به إلى اليوم- وآخر بضريح السيد أحمد البدوي بطنطا، وكلاهما مما ظهر في القرن الحادي عشر، والأول أحضره شخص إلى إبراهيم باشا الدفتردار في سنة (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م) فأودعه مع الآثار النبوية الشريفة، ثم أمر بتجديد رباط الآثار في هذا التاريخ كما سيأتي، وبالضريح المنسوب لأويس القرني بالبرنبل قدم أخرى ومنها قدم أخرى بمدينة دهلي جهان أباد بزاوية الشيخ محمد عبد الباقي الهندي المتوفى سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) مودعة بالجهة الغربية من الزاوية في مكان خاص، وبه أقدام أخرى، بقبة الصخرة بالقدس، وبالطائف وهي عدة منها، وكذلك بمكة والمدينة.

متحف طوب قبو للآثار النبوية بالآستانة

وبالآستانة أثر حجر محفوظ مع الآثار النبوية الأخرى التي وصلت إليها من طريق الحجاز أو طريق مصر، وهي: البردة الكعبية، سجادة، قبضة سيف، القوس النبوية، اللواء، نعلان نبويان مع آثار أخرى نبوية وغيرها، كسيوف لجعفر الطيار، وخالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل، ثم رايات ومسابح وقبضات سيوف لجماعة من آل البيت الطاهرين؛ ومن الصحابة، وسجادة لأبي بكر الصديق، وعمامة لأويس القرني، ومصاحف ثلاثة للإمام علي بن أبي طالب، ولأمير المؤمنين عثمان بن عفان، وللإمام علي زين العابدين، ثم آثار أخرى تنسب إلى بعض الأنبياء المرسلين، وقد بقيت هذه الآثار بالآستانة محفوظة بمتحف طوب قبو إلى اليوم.

الآثار النبوية المحفوظة بالمسجد الحسيني

لهذه الآثار الشريفة أخبار تسلسل في التواريخ، وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن، وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم بينبع واستفاض، وأنها بقيت موروثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله ﷺ، ثم اشتراها في القرن الرابع أحد بني حنا بكسر الحاء المهملة، وفتح النون المشددة، أحد الوزراء الأماثل المتوفى سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) ونقلها إلى مصر وبنى لها رباطًا على النيل عرف برباط الآثار، وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي، وقد ذكر هذا الرباط المقريزي في خططه وابن دقماق في الانتصار، وابن كثير في البداية والنهاية، والقلقشندي في صبح الأعشى، وابن إياس في تاريخه، والحلبي في نور النبراس، وأحمد المقري صاحب نفح الطيب في فتح المتعال المطبوع بالهند، وابن بطوطة في الرحلة في آخرين.

رباط الآثار النبوية

هذا الرباط بالفسطاط يعرف اليوم بمسجد أثر النبي، أنشأه الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بهاء الدين علي بن حنا، ومات قبل أن يتمه في أوائل سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، فأتمه ولده ناصر محمد بن حنا حسب وصيته، وفي حوالي سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) جدده الملك الأشرف شعبان ابن حسين، وأحدث به دروسًا وقراءات للشافعية(١).

وفي أول سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٩م) أمر الملك الظاهر برقوق بحبس قطعة أرض على مصالحه، ووضع لتجديده مشروعًا مات قبل تنفيذه، فنفذه ولده الملك الناصر فرج بن برقوق كما تدل عليه المذكرة التاريخية التي يقرأ فيها ما نصه:

أمر بتجديد هذا المكان المبارك مولانا السلطان
الملك الناصر ناصر الدنيا والدين فرج عز نصره

وفي سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) جدده الجمالي يوسف بن كاتب جكم الظاهري ناظر الجيوش المنصورة، وأوقف عليه أوقافًا وحبس به مصحفًا كبيرًا مقسمًا، وجدت به مذكرة تاريخية سنذكرها في ترجمة هذا الرباط بالجزء الآتي.

وفي حوالي سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) أحدث به شاكر ابن عبد الغني بن الجيعان، أحد الأمراء في عهد الأشرف قايتباي المتوفى سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) منبرًا وخطبة، ولما تولى على مصر الوزير إبراهيم باشا الصوفي في سنة (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م)، أمر بتجديد هذا الرباط وكسوته بغضائر القاشاني التركي، وأثبت لذلك روسمًا، تضمن نصًا تاريخيًا لهذه العمارة.

وفي سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) في عهد العزيز محمد علي باشا أنشأ الخواجة محمود حسن برزجان؛ قصرًا إلى جانب هذا الرباط وجدد منه بعض أجزائه، ومن ذلك الحين لم يطرأ على هذا الرباط أي تجديد يستحق الذكر، ولا زال بطابعه الأخير إلى الآن، والقول بأن هذا الرباط ليس هو رباط الآثار النبوية الذي أنشأه الوزير المذكور قول تنقضه هذه النصوص الثابتة(٢).

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغوري

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوة الغوري على المملكة المصرية سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، وقتل بمرج دابق شمالي حلب في قتال مع السلطان سليم العثماني سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)؛ وهو الذي بني في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) المدرسة المعروفة الآن بجامع الغوري عن يمين المار بشارع الغوري إلى باب زويلة(٣)، وبنى أمامها عن يسار المار القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك، وفقدت جثته تحت سنابك الخيل، فدفن في الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبه السلطان الأشرف طومان باي آخر ملوك الجراكسة بمصر الذي تولى بعده وقتله السلطان سليم في آخر سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ودفن بها أيضًا على ما في ابن إياس ولد للأمير طومان باي المذكور في سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، وخوند

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٨٠١.

(٢) رباط الآثار: عمر هذا الرباط أكثر من مرة حيث قام بتجديده الناصر فرج بن برقوق، والأشرف قانصوة الغوري، ثم زال الرباط الأصلي الذي أنشأه الصاحب تاج الدين بن حنا، وبنى مكانه في العصر العثماني جامعًا صغيرًا جدده في سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) الخواجا محمود حسن بزرجان، كما تعرض لترميم شامل سنة (١٩١٦م)، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٠٢-١٠٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٨٠١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٦١، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٥٠.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٢٧، هامش١، ٣٢٨، هامش٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٩ -٢١٠، هامش ٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٨.

خان تكن مستولدة السلطان الغوري المتوفاة سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) مع أولادها، والناصري محمد بن الغوري شاد الشراب خانه، قال ابن إياس: «توفي في ذي القعدة سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، ودفن بمدرسة أبيه داخل القبة، وقد لحقت به أمه في هذه السنة»[١]، ودفن بها في سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) الأمير ماماي السيفي أمير طبل خاناه إلى آخرين. [انظر ترجمة جامع ومدرسة الغوري بهذا الكتاب].

ونقل علي مبارك باشا في خططه عن ابن الطولوني، أن السلطان الغوري بنى هذه القبة للآثار النبوية، وللمصحف العثماني الذي أضافه إليها، والمصحف المذكور منسوب لذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢]، وهو الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل التي كانت بدرب ملوخيا المعروف الآن بدرب القزازين[٣]، وقد درست هذه المدرسة وعفا أثرها[٤]، وكان بها خزانة كتب عديمة النظير تفرق غالبها ولم يبق منها غير المصحف المكتوب بالخط الأول الكوفي، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٥].

ويقول ابن إياس: «ووقع لغوري أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك، منها أنه نقل الأثر الشريف النبوي من مكانه الذي كان به من مكانه المطل على بحر النيل فجعله في مدرسته، وقد حصل الصاحب بهاء الدين بن حنا على هذا الأثر الشريف من عند جماعة من بني إبراهيم بالينبع، فلا زال يتلطف بهم حتى اشتراه منهم بستين ألف درهم بالدراهم القديمة، ثم نقله إلى الديار المصرية وبنى له مسجدًا مطلًا على بحر النيل، وكان الناس يقصدون الزيارة إليه في كل يوم أربعاء، فلما تلاشى ذلك المكان استفتى السلطان العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبة وهذا بخلاف شرط الواقف، ثم أن السلطان نقل المصحف العثماني إلى مدرسته أيضًا، كما نقل إليها الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التي كانت بالخانقاه البكتمرية التي بالقرافة «لا تزال منها بقية إلى اليوم»، قيل إن مشتراها على الواقف كان بألف دينار، ولم يكتب نظير هذه الربعة سوى ربعة أخرى بخانقاه سرياقوس اشتراها الملك الناصر محمد بن قلاوون بألف دينار أيضًا، وأخرى بالمدينة الشريفة، وقد أودعها بهذه الخانقاه، وكان لنقل هذه الآثار الشريفة والمصحف العثماني إلى مدرسة السلطان يومًا مشهودًا، نزل فيه القضاة الأربعة والأتابكي قيت وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا بالأعلام ومشوا أمامها وهي محمولة على أيديهم وهم يذكرون في ذلك اليوم، وخلع على قاضي القضاة الشيخ برهان الدين بن أبي شريف وقرره في مشيخة هذه المدرسة منفردًا بذلك»[٦].

(١) المرجع السابق: ٧٨.
(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٥٠.
(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٣-٤٦٤.
(٤) المرجع السابق: ٤٦٢.
(٥) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٢٧-٣٢٩.

(٦) نقل السلطان الغوري الآثار النبوية بعد أن أفتى العلماء بجواز نقلها وجعلها في مدرسته الموجودة الآن بحي الغورية سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وأضاف إليها الربعة التي كانت بالخانقاه البكتمرية بالقرافة الصغرى، وظلت هذه الآثار بمدرسة الغوري حتى نقلها سنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م) إلى المسجد الزينبي، ثم نقلت بعد ذلك إلى خزينة الأمتعة بالقلعة، ثم نقلت إلى ديوان الأوقاف سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م)، وفي العام التالي نقلت إلى قصر عابدين ومنه إلى المشهد الحسيني، حيث أقام لها الخديوي عباس حلمي الثاني حجرة خاصة بها في عام (١٣١١هـ/ ١٩١٣م) ما تزال موجودة وراء الجدار الشرقي للجامع، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٧٧٢-٧٧٥، ٨٠١، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٨.

وما برحت هذه الآثار بهذه القبة من هذا التاريخ إلى سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، فنقلت منها إلى المسجد الزينبي، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة، ثم نقلت منها سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) إلى ديوان الأوقاف، وفي سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م) نقلت إلى قصر عابدين، ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني.

حلول الآثار النبوية بالمسجد الحسيني

ولما عزم الخديوي محمد توفيق باشا على نقلها أمر أن تتخذ لها خزانة بالحائط الشرقي في المسجد الحسيني، ثم استحضرها من ديوان الأوقاف إلى قصر عابدين، وأمر أن تحفظ في شقق من الديباج الأخضر مطرزة بسلوك الفضة المذهبة، وقيل إن زوجته الأميرة أمينة كريمة الأمير إبراهيم إلهامي باشا ابن الخديوي عباس الأول بن أحمد طوسون بن محمد علي باشا الملقبة بأم المحسنين المولودة سنة (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)، المتوفاة سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م) هي التي تولت تطريزها بيدها تعظيمًا وإجلالًا لتلك الآثار، ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد الحسيني يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م) في موكب فخم لم يشهد مثله، وكانت الآثار الشريفة ملفوفة في خمس شقق من الديباج مرفوعة على أسرة في بهو الاستقبال الكبير وحولها مجامر البخور، واستدعى الخديوي إلى مجلسه العلماء والأعيان فحضر قاضي مصر الشيخ محمد الإمبابي شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد البناء، والمفتي، ونقيب الأشراف السيد عبد الباقي البكري، والسيد أحمد عبد الخالق السادات، شيخ بني وفا وغيرهم من الأعيان.

ولما تولى على مصر الخديوي عباس حلمي الثاني أمر في سنة (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) بإنشاء حجره الآثار الحالية فتم إنشاؤها على هذا الوضع، وجعل لها بابان واحد إلى المسجد وواحد إلى القبة، وجعلت خزانة الآثار بحائطها الجنوبي، وهي باقية فيه إلى اليوم تقصد بالزيارة في أيام معلومة.

عدد هذه الآثار وصفتها

اختلفت الروايات في هذه الآثار، وسبب ذلك أن من الرواة من لم يرها فذكر ما نقل له عنها بالسماع ومنهم من تساهل في استقائها، وعدها واكتفى بذكر بعضها، ولقد أحسن من احتاط منهم فعقب عبارته بقوله وغير ذلك، والذي يتحصل من مجموع هذه الروايات أنها كانت قطعة من العنزة أي الحربة، وقطعة من القصمة، وعبر عنه بعضهم بالميل، وميزه بعضهم بأنه من نحاس أحمر، وميل أصفر، ولقط قيل عنه من حديد وأنه صغير، ومخصف، وهو الذي كان ﷺ يخصف به نعله، ومشط انفرد بذكره ابن كثير؛ وقطعة عصا؛ وانفرد بذكرها الجبرتي، وقطعة من القميص، ولم يذكرها إلا ابن إياس والجبرتي.

ومن غير الآثار النبوية، المصحف المنسوب لأمير المؤمنين علي، ثم أضاف إليها السلطان الغوري المصحف العثماني؛ وهو الذي تقدم ذكره؛ وهما باقيان إلى اليوم، وقد ذكر السيد محمود الببلاوي شيخ المسجد الحسيني سابقًا وصف هذين المصحفين في مؤلفه تاريخ المسجد الحسيني، فقال عن الأول إنه مكتوب بالقلم الكوفي على رق غزال في حجم صغير وعدد أوراقه ٥٠٣، وعن الثاني أنه مكتوب بالقلم الكوفي أيضًا في رق غزال في حجم كبير ويبلغ عدد

أوراقه نحو ١٣٥٠ ورقة تقريبًا، وهو مجلد بجلد دقيق من عمل السلطان الغوري، كما ذكر ابن الطولوني في النزهة السنية.

كتابة المصاحف في صدر الإسلام

أقول والمشــهور في فن الخطوط القديمــة، إن الخط في الصدر الأول الإســلامي كان على أربعــة أنواع اعتادوا تســميتها بالكوفي- وهي المكي والمــدني والبصري، وأقدمها المــكي والمدني- ولكل من هــذه الخطوط مــا تتميز به عن غيرها- فالله أعلم بأي خط منها كتب هذان المصحفان.

المصاحف العثمانية في الأمصار

والذي يؤخــذ من عبارة المقريزي، أن المصاحف التي كانت بمــصر قديمًا بالجامع العتيــق ثلاثة وهي: مصحف أسماء وكان قد بعث به إلى مصر الحجاج بن يوسف الثقفي في جملة مــا بعثه إلى الأمصار مــن المصاحف، ومصحف عبد العزيز بن مروان الذي لم يرض بمصحف أبي الحجاج فأمر بكتابة مصحف آخــر، ومصحف أحضره إلى مصر رجل من أهل العــراق؛ وذكر أنه مصحــف أمير المؤمنين عثمان بــن عفان؛ فبقي بالجامع إلى زمــن العزيز بالله، ثم رفع منه وقد رأى هــذا المصحف المقريزي؛ وذكر ما كتب على ظهــره، مما يفيد أن حاملــه الذي يحتمل أن يكون هو الكاتب له اســمه مسعود بن ســعيد الهيتي ومؤرخ بتاريخ (٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، ثم ذكر العبارة المتقدمة في ترجمته للمدرسة الفاضلية[1].

والراجح أن هذه النســبة محل نظــر إذ المعروف أن المصاحــف القديمة التي كتبت في صدر الإســلام مغايرة لخطوط هذه المصاحف الموجودة بالمكاتب تغايرًا بعيدًا؛ فإنك لا تجد غالبها كتب إلا بأدق الخطوط بخلاف ما كتب منها في القرون الأولى، وفي ذلك يقــول صاحب مدينة العلوم، لما تكلم على آداب كتابــة المصاحف إن عمر بن الخطاب كان إذا رأى مصحفاً كتب بقلم دقيق ضرب كاتبه؛ وكان إذا رأى مصحفًا عظيمًا سر به وكان الإمام علي يكره أن تتخذ المصاحف صغارًا، ولأبي عبيد في فضائل القرآن والسيوطي في الإتقــان كلام في هذا المعنى- وبإحصــاء ما عرف من المصاحــف العثمانية، الــتي لا تخلو منها بلدة إســلامية [انظر الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشــام والحجاز للنابلسي] يتبين مقدار التساهل في هذه النسبة.

ورأيــت في تواريخ المغرب أن مصحفًــا عثمانيًّا كان بجامع قرطبة، أدخله بنو أمية إلى بلاد الأندلس فاستمر بها إلى زمن دولة الموحدين، ثــم نقله عبد المؤمن إلى مراكش في ســنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، ويقال إنه من المصاحف الأربعة التي بعث بها أمير المؤمنــين عثمان بن عفان إلى الأمصار مكة والمدينة والكوفة والشام، وقد عاين أبو القاسم السبتي مصحف عثمان الشامي بمقصورة جامع بني أمية بالشام في سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)، كما عاين المصحف المكي بمكة بقبة الشراب، ويقول ابن مرزوق وقد وقف على مصحف المدينة بها ومصحف الأندلس السالف الذكر إن خطهما واحد.

ثم قال! ووجدت مكتوبًــا على ظهر المصحف المدني «هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص». وقد ظل المصحف الأندلسي بقرطبة، حتى أســس عبد المؤمن جامع الكتبيين بمراكش ســنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)، فنقله إلى مســجد المهدي بن تومرت، ولم يــزل هذا المصحف عند

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٠-٣٤.

الموحدين طول أيامهم، حتى حمله السيد علي بن إدريس ابن يعقوب تنملل المنصور الملقب بالمعتضد بالله إلى تلمسان سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، فلما قتل ونهبت خزائنه عثر عليه ملوك بني عبد الواحد فلم يزل في خزانتهم إلى أن افتتح السلطان أبو الحسن المريني تلمسان في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، فاستحوذ عليه وحمله إلى فاس في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، فبقي بحضرته إلى سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، فلما كان في بعض غزواته وكان حاملاً له غرق منه في البحر، فكان ذلك آخر العهد به، وقد كان بالمغرب مصحف ينسب إلى عقبة ابن نافع، بقي بخزانة الملوك إلى أن أهداه السلطان مولاي عبد الله إلى الحجرة النبوية.

ويوجد بجامع قلعة حمص، مصحف منسوب لأمير المؤمنين عثمان، موضوع في خزانة في الجهة القبلية من الجامع بالقرب من المحراب، داخل صندوق وعليه أثر الدم- وهو بالخط الكوفي الكبير، وأوراقه قديمة، وجدد بعض الأمراء جلده في سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م)، ويبدو أن هذا المصحف من الآثار التي عثر عليها الملك المجاهد شيركوه، فأودعه في هذا الجامع الذي أنشأه في جدار هذا البرج في سنة (٥٠٩هـ/ ١١١٥م)، كما تدل عليه المذكرة التي أودعها به ونصها:

البسملة. أمر بعمارة هذا البرج الملك المجاهد
أسد الله بن أبي الحارث شيركوه بن محمد بن شيركوه
ناصر الدين أمير المؤمنين أعز الله أنصاره تولى
عبده موفق في سنة تسع وخمسمائة

وفي أفغانستان مصحفان منسوب أحدهما إلى الإمام علي بن أبي طالب، والآخر إلى الحسن بن علي، وقد أرسل سلطان أفغانستان صورة منهما إلى دار الكتب، وبدار الكتب مصحف بخط كوفي بخط الحسن البصري، لكن الظاهر أنه مكتوب من القرن السابع.

وفي المكتبة الملكية التي أسسها الخديوي إسماعيل باشا مصحف يقال إنه منسوب لأمير المؤمنين عثمان، وجد بطبرية في سنة (٥٠٧هـ/ ١١١٣م) مصحف منسوب إلى عثمان فنقل إلى دمشق، وأضيف إلى المصحف العثماني الآخر بخزانة جامع دمشق، فلما احترق المسجد الأموي في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، ووصل الحريق إلى خزانة الكتب احترق المصحفان ومقصورة الخطابة، وبالجامع الأموي مصحف بالخط الكوفي ينسب إلى عثمان، وهو محفوظ في خزانة بالجامع ويقال إنه المصحف الذي أرسل إلى الشام في زمن عثمان.

وكان في مصر في جامع عمرو في مقصورة من مقاصيره مصحف على صورة هذين المصحفين مصحف حمص والشام، يقال إنه مصحف عثمان كما كان في الجامع العمري بالإسكندرية مصحف عثماني وبطرسوس مصحف عثماني آخر، ويوجد بدار الكتب الملكية بالقاهرة مجموعة مصاحف قديمة لا تتعدى أوائل القرن الثاني الهجري، وغالبها مما كان محفوظًا بجامع عمرو، وجامع ابن طولون وغيرهما.

والمصاحف التي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الأول الهجري تكاد تكون معدومة اليوم؛ خلا بقايا توجد منها في النادر في بعض المتاحف بأوروبا والشرق، وصفوة القول، إن المصاحف العثمانية المنسوبة إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو إلى غيره توجد بكثرة في غير ما بلد وقطر وتستدعي كثرتها هذه إلى وجود الشك في نسبتها إلى من تنسب إليه، والمنقول أن أمير المؤمنين عثمان- أمر بكتابة ستة مصاحف إلى الكوفة- البصرة- الشام- المدينة- البحرين- اليمن، ولم يكتب لمصر، وقد سئل

الإمام مالك رضي الله عنه، عن مصحف عثمان المدني، فقال إنه تغيب فلم نجد له خبرًا بين أشياخ الهدى، الذين يقتدى بهم في الدين ويعمل بنقلهم ورواياتهم[1].

ويقول ابن قتيبة إن مصحف عثمان الذي قتل وهو في حجره، أخذه ابنه خالد ثم صار إلى أولاده وقد درجوا، وذكر أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب القراءات أنه رأى مصحف عثمان في خزانة بعض الأمراء، وقد رد عليه أبو جعفر النحاس- بقول الإمام مالك رضي الله عنه .

الباقي من الآثار النبوية إلى اليوم

بيَّنا فيما ذكرناه عدد هذه الآثار وصفتها، ولم يبق منها اليوم إلا المكحلة والمرود والقطعة من القميص الشريف ومن القضيب وهي المعبر عنها بالعصا، وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة محفوظتان في زجاجة، وقد وضعت جميعها في أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة في قطع من الديباج الأخضر المطرز المكحلة والمرود في صندوق- والشعرتان في صندوق والقميص في صندوق، والقضيب في صندوق- وفقدت بقية الآثار التي كانت معها، وهي القطعة من العنزة ومن القصعة والمخصف والملقط والمشط- ولا يعلم في أي زمن فقدت.

والشعرتان اللتان مع هذه الآثار الشريفة، أضيف إليهما شعرة أخرى كانت عند أحمد طلعت باشا أهديت إليه من أحد الحجازيين فعوضه عنها شيئًا كثيرًا- ولما توفي اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسيني، وكانت محفوظة عندهم في قارورة، فتبرعت بها السيدة خديجة كبرى بناته بصندوق من الفضة وضعت فيه الزجاجة ولف بسبع لفائف من الديباج الأخضر، ثم حملت بالتعظيم والإجلال إلى المسجد فحفظت فيه مع الآثار النبوية- وفي سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)- أضيفت إليها شعرات كانت برباط الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القاشاني الحسني المعروف بكلشني «هذا الرباط هو المعروف بزاوية الكلشني بشارع تحت الربع خارج باب زويلة» في قارورة مختومة بالشمع الأحمر، ومحفوظة في صندوق من الخشب والزجاج، فأمر معالي وزير الأوقاف وقتئذ بنقلها إلى المسجد الحسيني، وحفظها مع الآثار النبوية.

وفي شوال سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان الكامل حسين كامل سلطان مصر الساكنة بشارع المبتديان بالقاهرة قارورة صغيرة إلى المسجد الحسيني، وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة- وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار- فأجيبت إلى ذلك وبهذه القارورة على ما يقال خمس شعرات، ويوجد بالقاهرة شعرات أخرى محفوظة بعدة أماكن، وربما نعود إليها في بحث آخر.

منشئ المشهد الحسيني

ويعتبر المنشئ الأول لهذا المشهد هو الخليفة الفائز عيسى؛ الذي بويع له بالخلافة بعد مصرع أبيه الظافر، ولما يبلغ الخامسة من عمره، وفي عصر هذا الخليفة، تنتظم الدولة لوزيره الملك الصالح طلائع بن رزيك، فيستولي على الحكم ويدير شئون البلاد، والخليفة لا يعرف عنها شيئًا، وبينما هذا في رقصه ولعبه،وذاك في ملذاته وطربه، إذا بالحملات الصليبية تتوالى، فتملك أكبر رقعة من آسيا كانت تظلها الراية الإسلامية، ويخفق على ربوعها الهلال.

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر: سحر سالم، **أضواء على مصحف عثمان ورحلته شرقًا وغربًا** (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩).



زخارف قاعدة مئذنة المشهد الحسيني «عن كريسويل»

وقد سقط في عصر هذا الخليفة من المدن الإسلامية بالقطر المصري مدينة تنيس ورشـيد وثغر الإسـكندرية ودمياط، إذ سار إليها روجير حاكم صقلية بجيوش جرارة فتملكها جميعًا دون أن يلقى أية مقاومة من الشعب المصري؛ حتى كان عارًا وكانت محنـة لحقت بالأمة المصرية، وفي هذا الوقت نفسه، بدل أن نرى وزير المملكة المصرية يعد العدة لصد هذا العدو المفاجئ المغير الذي جاء يسـطو على بلاده ويعتدي عليهـا، إذا بنا نراه منهمكًا في جهاز ابنته بالخليفة «العاضد» الجديد، الذي تـولى الخلافة الفاطمية بعد موت الظافـر في سـنة (٥٥٦هـ/١١٦١م)، وكان خاتمة هذه الدولة، فانزوت بموته دولة الخلفاء الفاطميين وطويت صحيفتها.

مشهد السيد معاذ الحسني (أبو الغضنفر أسد الفائزي)

مشهد أثري رقم ٣

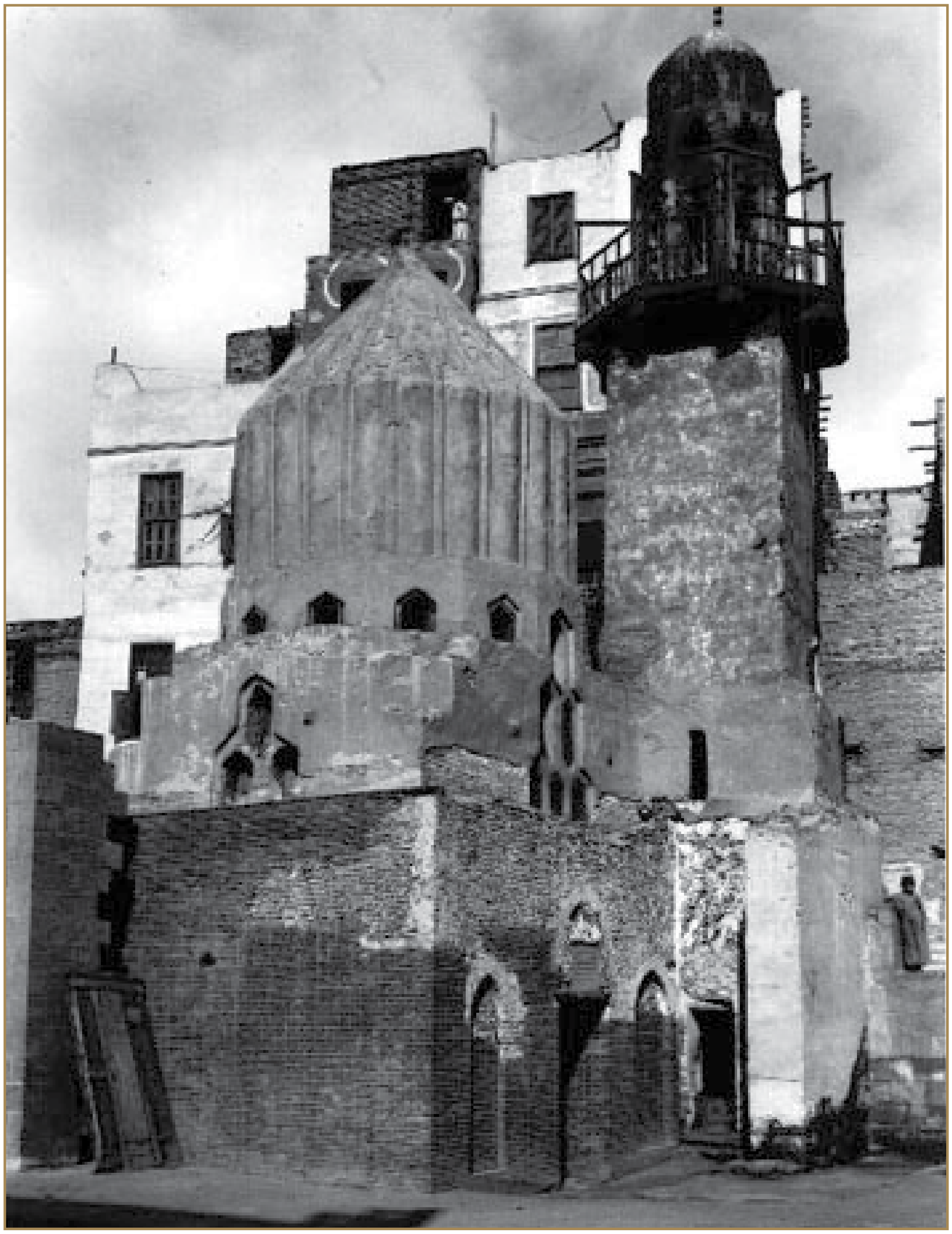
هذا المشهد بعطفة معاذ من البرقية بشارع جوهر القائد «الدراسة سابقًا»، مشهور بنسبته إلى السيد معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهذه النسبة يثبتها النص المسطور بالخط الكوفي في لوح حجر ملصق الآن بأعلى الحائط الشرقي على يسار الباب؛ وهي نسبة صحيحة اعترف بها جمهرة من علماء النسب وأئمتهم كابن حزم في الجمهرة، والأزورقاني في بحر الأنساب، وابن عنبة في عمدة الطالب، والنجفي في المشجر الكشاف، والحوات في السر الظاهر وغيرهم.

وقد أجمعوا على أن الإمام الحسن كان له عمرًا، فأعقب محمدًا، وأعقب محمد ولدًا قالوا عنه إنه لم يطل عقبه، فالظاهر أنه انقرض بالسيد معاذ هذا، ولم تصل إلينا أي معلومات عن السيد معاذ هذا ودخوله إلى مصر، ودفنه بهذه المنطقة التي كانت في العصر الذي توفي فيه وهو آخر القرن الثالث الهجري بساتين ومزروعات وصحراء قاحلة، رغم النصوص التاريخية الموجودة بالمشهد التي تثبت وجوده.

وإذا ثبت دخول السيد معاذ هذا مصر في أواخر عهد الدولة الطولونية ومكثه بها إلى حين وفاته، فلم لا يدفن في القرافة المخصصة بالدفن للأشراف الذين دخلوا مصر في ذلك الوقت، ووصلتنا أخبارهم مسندة كالأشراف القاسمية أو البصريين أو الإسماعيلية أو غيرهم؟! هذا ما نتساءل عنه، وهو سؤال قد تجاوبنا عنه بعض الاحتمالات والفروض، بيد أننا لا نستطيع أن نهمله جانبًا، إذ هو حري بالنظر والتفكير من جانب هذا الأثر.

تطورات هذا المشهد

وكان هذا المشهد في العصر الذي ابتدأ يظهر فيه عبارة عن غرفة لها باب بحري إلى البرقية «عطفة معاذ»، وفي صدرها محراب، وفي الجانب القبلي منها ضريح للسيد معاذ هذا، وفوق ذلك قبة من نوع القباب الفاطمية المضلعة تجاورها مئذنة من نوع المآذن الفاطمية التي اتخذت نموذجًا لما بني بعدها من المآذن وأقربها إلينا مئذنة جامع الصالح طلائع بن رزيك، وقد ظل على ذلك إلى سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) إلى عهد الظاهر خشقدم، فحصل به تجديد غير بعض معالمه؛ فتناول القبة بزخرفة داخلها، وحدوث شرفات زجاجية ملونة بها، ثم إزالة كتلة من المباني التي كانت محيطة به، وحدوث مسجد في محلها بمرافق ومعدات، وفتح باب المشهد في محل المحراب، وجعل الباب الآخر



منظر عام لمشهد أبو الغضنفر «عن كريسويل»

شـــباكًا، وانتزاع اللوح التاريخي الفاطمي من عليه ووضعه بـــأعلى الباب الجديد؛ وإحداث تغيير في التركيبة المقامة على القبر، وتحويطه بمقصورة وفتح باب للمسجد الملحق به من طرف ناحيته القبلية إلى غير ذلك، وهذا ما يجزم به صديقي الفاضل الأســـتاذ يوسف أحمد وهو ما نميل إليه لاعتبارات ظاهرة، ولم يحصل بـــه أي تجديد آخر بعد هذا التاريخ، إلا

أن الوزير علي مبارك باشا يقول في الخطط: «إن علي بك الميهي كان قد شرع في عمارة هذا المسجد لتخربه وأوقف لذلك مائة فدان، ثم أحالها إلى ديوان الأوقاف، وعهد إليه عمارته فتسلمتها، وحالت دون عمارته موانع للآن».

والمقريزي حينما وصل إلى هذه المنطقة وذكر من آثارها جامع البرقية، وهو جامع عبد الرحمن كتخدا أو جامع الغريب، فجامع التوبة، وهو جامع مغلطاي الجمالي أو جامع العنبري لم يتعرض لذكر هذا المكان[١]، وكذلك الحافظ السخاوي في الضوء اللامع فاته ذكر جامع علم دار الذي كان بينه وبين هذا المشهد قيد غلوة، ولم يذكره أما السخاوي فله عذره، أما المقريزي فذلك ما يؤاخذ عليه.

وبالرغم من هذا فقد ذكره علي السخاوي الحنفي في تحفة الأحباب بما هو معروف عنه اليوم، ورأينا في العدل الشاهد لعثمان مدوخ قوله عن هذا المشهد بأنه من متجددات الملك الأشرف قايتباي، وهو قول يفتقر إلى دليل[٢].

المذكرات التاريخية

وبهذا المشهد مذكرتان: أولاهما فاطمية؛ والأخرى أقدم منها، وكلتاهما بقلم كوفي يباين بعضهما الآخر.

المذكرة الأولى: لأبي الغضنفر في ثمانية أسطر كتب بها ما نصه:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتا الزكاة ولم يخش إلا الله أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الأمير المقدم الهمام حصن الإسلام شرف الأنام مقدم الجيوش نظام الدين سيف أمير المؤمنين أبو الغضنفر أسد الفائزى ابتغاء لمرضاة الله وطلب لما عنده من أجره وثوابه في سنة اثنين وخمسين وخمس مائة رحم الله عليه

وتظهر وظيفة هذا الأمير في ألقابه المذكورة هنا في هذه المذكرة، فالظاهر أنه كان برتبة مقدم في الجيش الفاطمي لعهد الفائز بنصر الله.

المذكرة الثانية: في بلاطة كانت ملقاة بجانب من المشهد ثم علقت بناحية من الجدار الشرقي، ونص ما فيها في أربعة أسطر:

البسملة... هذا مشهد السيد الشريف معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم؛ توفي في ربيع الأول سنة خمس وتسعين ومائتين. وقد كتب هذا النسب مع آي من الكتاب العزيز، في طراز بشرفات القبة ينتهي بتاريخ إصلاحها بعبارة: بنيت هذه القبة سنة ست وستين وثمانمائة

وبلصق هذا المشهد من الجهة الغربية البحرية غرفة لها باب قبلي بها قبر الأسطى محمد المزين وابنته المدعوة نفيسة، وهو صاحب دكان الحلاق الكائنة بشارع الأشرفية تجاه المدرسة الأشرفية في جوار المارستان الفاطمي السابق، والسبب في دفنه هنا أنه كان في حياته قد أوقف من عقار له أوقافًا على رواق المغاربة بالأزهر، وعلى مؤذني مجموعة مساجد وزوايا بالقاهرة بينته حجة وقفيته، وعلى

(١) جامع البرقية: هو الجامع المعروف الآن بجامع الغريب نسبة للشيخ محمد الغريب المدفون بجواره، جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)، وما زالت بقايا هذا الجامع موجودة داخل حرم جامعة الأزهر، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٣٢٥، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٥، هامش ٤؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٧؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٤٢.

(٢) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٧٠.



زخارف قاعدة مئذنة مشهد أبي الغضنفر الفائزي «عن كريسويل»

عمل مقرأة للسيد معاذ هذا، ومن الأعيان الداخلة في هذا الوقف إلى الدكان المذكورة، وقد أنشأ له هذا القبر في حياته، وأخذ تصريحًا بالدفن فيه له ولابنته المذكورة [راجع سجل وقف المزين- بمكتبته رواق المغاربة- بتاريخ سنة (١١٩٨-١٢٠٩هـ/ ١٧٨٤-١٧٩٥م)][١].

(١) المرجع السابق: ٧٠، هامش ١.

مسجد ذخيرة الملك (الرفاعي)

(سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)

هذا المسجد غير مسجل في سجلات الآثار الإسلامية لعــدم تقادمه بعد إلا أنه تحفة أثرية يحمل طابعًا إســلاميًّا من فــن رفيع يجعله داخلاً في التســجيل رغم جدته، كان مســجد الرفاعي في بادئ أمره من المساجد التي أنشئت في العصر الفاطمي، أنشــأه الأمير جعفر بن عبد المنعم الملقب ذخيرة الملك متولي الشرطة والحســبة بمدينــة القاهرة[١]، وأتم إنشاءه في ســنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، ويضعه المقريزي تحت فلقة الجبل بأول الرميلة تجاه شــبابيك مدرسة السلطان حسن التي تلي بابها الكبير، ومن هذا الوضع يتبين أن مســجد ذخيرة الملك كان يشغل مساحة الجانب الشرقي من مسجد الرفاعي الحالي وأنه رغم تحويله إلى زاوية للرفاعية بقي يحمل اســم منشئه إلى عصر المقريزي[٢].

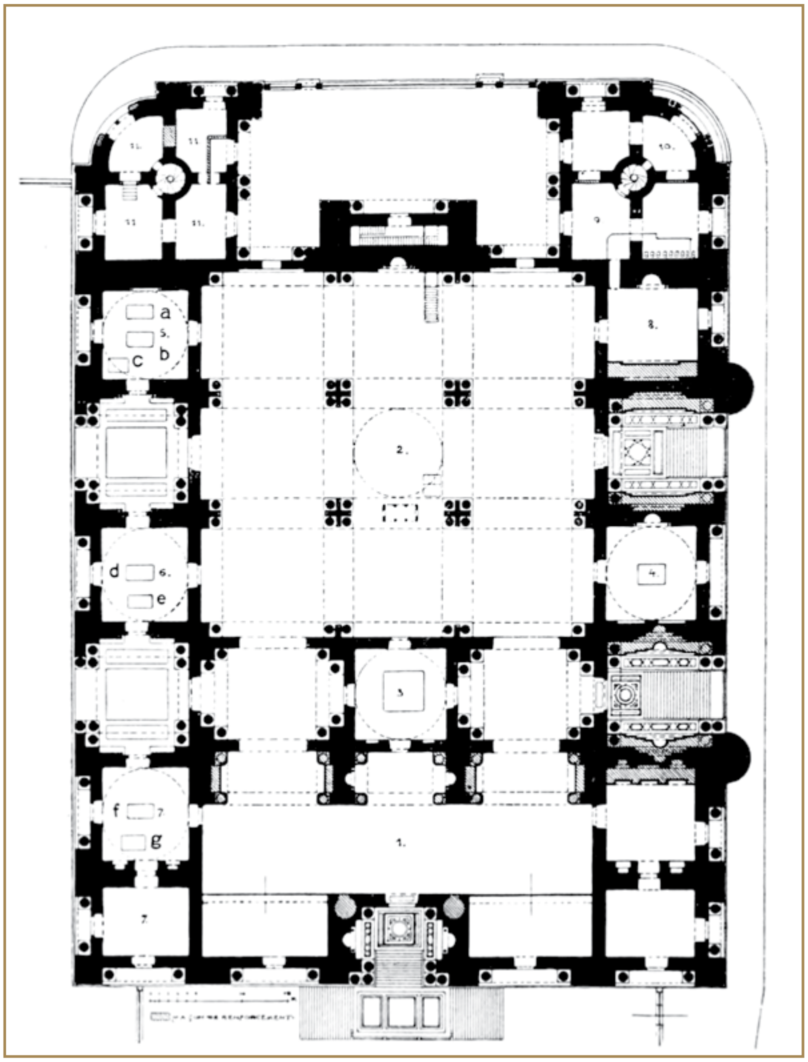
وما برح هذا المســجد قائمًا منذ إنشــائه حتى قدم الشيخ أبو الحســن علي بن أحمد بن عبد الرحيم بن عفان الرفاعي المرزوق والده أحمد لأبيه عبد الرحيم من الســيدة زينب بنت الســيد أحمد الرفاعي الكبير من زوجته الأولى السيدة خديجة بنت أبي بكر بن يحيى النجاري، فاتخذ من المسجد سكنًا له وما برح قائمًا به حتى توفي في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، فدفــن به في قبر كان قد أعده لنفســه في الجانب الغربي من المســجد تجاه قبر ذخيرة الملك، وبقي المســجد

(١) ذخيرة الملك جعفر بن علوان: متولي الشرطة والحسبة بالقاهرة، أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد، وخرج عن الكتاب فابتلي بالأمراض الخارجة عن المعتاد، ومات بما عجل الله له ما قدمه، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه، وذكر عنه في حالتي الغسل وحلوله بالقبر ما يعيذه الله كل مسلم من مثله، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٣- ٧١٤؛ البطائحي، **نصوص من أخبار مصر**: ٤٧؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٦٥؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢١.

(٢) مسجد الذخيرة: تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، التي تلي بابها = الكبير الذي سده الملك الظاهر برقوق، أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولي الشرطة، قال ابن المأمون في تاريخه، وفي هذه السنة يعني سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفي وجرى من عسفه وظلمه ما هو مشهور، وبنى المسجد الذي ما بين الباب الجديد إلى الجبل، الذي هو معروف وسمي مسجد لا بالله بحكم أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفونه ويقولون له لا بالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد، وقد زال هذا الجامع وحل محله زاوية الرفاعي، التي هدمت وبني مكانها مسجد الرفاعي بأمر من السيدة خوشيار هانم والدة الخديو إسماعيل سنة (١٢٨٦هـ/ ١٨٩٦م)، وقد توقف به العمل في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، ثم إعيد العمل به في سنة (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ج. ٢: ٧١٣- ٧١٤، هامش ٢؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٣١- ١٣٢.



منظر عام لجامع الرفاعي «عن ماكس هرتس»



مسقط أفقي لجامع الرفاعي «عن ماكس هرتس»

بعد ذلك معروفًا بالزاوية الرفاعية حتى سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)[1].

ففي هذه السنة رغبت المرحومة خوشيار هانم والدة المرحوم الخديو إسماعيل في بناء مسجد، فاختير لها هذا المكان الذي يقوم عليه مسجد ذخيرة الملك وزاوية الرفاعية فاشترت ما حولهما شرقًا وغربًا ٥٠ مكانًا، وأزالت ما عليها من المباني والأنقاض والأتربة، ثم بنت على بعضها المسجد، وما جاوره من المدفنين والسبيل والصهريج والمكتب ووقفت ذلك لله سبحانه وتعالى للصلاة وتلاوة القرآن الكريم، ووقفت على ذلك ٥٥ مكانًا، و٣ مقاهي وعربخانة و١٠٧ حوانيت وفرنين وربع وشونتين معظمها بالمنشية بقسم الخليفة وبعضها بمصر

(١) يذكر حسن عبد الوهاب تاريخ بناء مسجد الرفاعي بسنة (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٣٦٣.

القديمة ومنها شونة تبن بمدينة طنطا، وذلك بموجب حجة إيقاف محررة من محكمة مصر الشرعية في تاسع ذي الحجة سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)، وقد ضم ديوان الأوقاف السلطانية على هذا الوقف بطريق المشتري من مال البدل وفاضل الربع ٢٣٥٠٠ سهمٍ وكسور يعادلها ١٤٦ فدانًا وكسورًا بتفتيش سيرباي بمديرية الغربية، وذلك ضمن حجة صادرة من محكمة مصر الشرعية في ٢١ إبريل سنة (١٩٠٧م) وضم أيضًا ١٠٤١ سهمًا يعادلها ستة أفدنة وكسور على الشيوع في الأطيان البالغ قدرها ٨١٠ فدادين وكسور بناحية الرجدية التابعة للتفتيش المذكور، وذلك ضمن حجة صادرة من محكمة مصر الشرعية في ٣٠ يونية سنة (١٩٠٧م) إلى ٦٠ فدانًا أخرى من تفتيش المعتمدية بحجة صادرة من محكمة مصر الشرعية في ١٩ جمادى الثانية (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، ولم يخرج بالبدل من هذه الموقوفات إلاشونة طنطا وأعيان فم الخليج وثمانية أسهم من أطيان الرجدية واشترطت في وقتها أن يصرف من مستغله في كل شهر ١٠٤,٧٠٠ جنيه لسدنة المسجد والقائمين على إدارته، وهذا ما حققته من سجل الأوقاف السلطانية [ص ٢٦ إلى ٣٠].

عهدت بعد ذلك إلى المرحوم حسين باشا فهمي وكيل ديوان الأوقاف بعمل مقايسة لهذا المسجد، وتقديم منظور مسقطه الأفقي، وبعد الموافقة على وضعه وشرع في العمل، ماتت الأميرة خوشيار في سنة (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) ولم يتم بناء المسجد بعد، فأحيل إتمام عمله إلى ديوان الأوقاف قائمة على الوضع المنظور حاليًّا وفتحت أبوابه للمصلين في سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)، وبلغ مجموع مساحته ٧٠٥٦ مترًا مربعًا، منها للمسجد ١٧٦٧ مترًا مربعًا، ولدار الوضوء ٧٩٦ مترًا مربعًا، وللأبواب والأسبلة والمدافن ٣٥٦٣ مترًا مربعًا، وللساحة الشرقية ٩٣٠ مترًا مربعًا، وبلغت النفقة عليه ٥٣,٥٣٥٠٠ جنيهًا أضيف إليها فيما بعد مبلغ ١٠٦,٣٩٣ جنيهًا، وأراد ناظر ديوان الأوقاف احتساب هذا المبلغ من ريع وقف قوله واعتباره دينًا على وقف خوشيار لكن هيئة التصرفات بمركز أمير الشرعية قررت في المادة [رقم ٧١٦ ٢٨ ١٩٢٩] اعتبارها صرفًا من وقف قوله على مسجد الرفاعي مصروفًا في أوجه البر والخير وهذا منه فلا يكون وقف خوشيار مدينًا من وقف قوله، وطول المسجد من الشرق إلى الغرب ٩٨ مترًا وعرضه من الجنوب إلى الشمال ٧٢ مترًا، وارتفاعه من جهاته الثلاث ٢٦ مترًا، ومن جهته الغربية ٣٣ مترًا ونصف المتر، فمجموع مساحته ٧٠٦٥ مترًا[١].

وقد جمع هذا المسجد إلى جانب الطرز العثماني الذي يجعله مسحة من الفن الإسلامي الراقي يظهر ذلك في مئذنتيه الرشيقتين وفي تطاوله بما يحاكي مسجد السلطان حسن وفي قبابه العثمانية المضلعة وفي أبوابه وزخارفه ونقوشه حتى أصبح من كل ذلك مسجدًا لا يعادله مسجد آخر في المساحة الحديثة البناء[٢].

الأضرحة الموجودة بمسجد الرفاعي

وأول المدفونين بهذا المسجد هو الأمير جعفر بن عبد المنعم المنشئ الأول له مات سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م)،

(١) في صفحة ٦٨ من السجل رقم ٥ وقف الوارد به حجة الواقفة المحررة في ٩ذي الحجة سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م) في المادة رقم ٣٤ أن مجموع مساحة ما يقوم عليه المسجد وملحقاته ١٧/ ١,٤٤٧ متر مربع. (المؤلف)

(٢) Max Herz Bey, *La mosquée El-Rifai au Caire* (Le Caire, 1906): 9-11; Mohammad Al-Asad, "The Mosque of Al-Rifa´i in Cairo", *Muqarnas*, vol. 10 (1993): 108-124.

والشـــيخ علي الرفاعي وابنه الســـيد أحمد الرفاعي الصغير وبه عرف المســـجد، وابنته الســـيدة رابعة الرفاعية، ومن ولده أحمـــد امتدت ذريـــة الرفاعية ظهر منهـــم في أواخر القرن التاسع الهجري السيد منصور الرفاعي، ومحمد وعبد الرحمن، ولهؤلاء وقف الأمير يشبك الدوادار وقفه المعروف بوقف السادة الرفاعية.

ودفن به الشيخ يحيى بن علي بن أحمد بن علي الرفاعي، وهو المعروف بالشـــيخ يحيى الأنصاري باســـم جده الأعلى لأبيه، وقد آلت إليه مشيخة السجادة الرفاعية إلى وفاته في سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، ودفنت به بعد وفاتها الشيخة عائشة الرفاعية من صحابة الشيخ أبي الحسن، كانت تتولى خدمة النســـاء المرابطات بالزاوية، ودفن به جماعة آخرون ويجمع الجميع الضريح الفخم القائم بالمسجد معروفًا باسم سيدي أحمد الرفاعي «الصغير» ابن أبي الحســـن المذكور، ويعمل له مولد كل عام في أوائل رجب من كل ســـنة وهو الشهر الذي توفي فيه.

ودفن به الشيخ حسين بن عبد الرحمن الشيخوني، شيخ صوفية خانقاه الأمير شيخو كان المذكور شيخًا للرفاعية في القرن الحادي عشر، وتوفي ســـنة (١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م)، ودفن بهذا المسجد في تربة الشيخ حلمي الرفاعي، ودفن به الشيخ مصطفى بن حســـين الغوري شيخ الســـجادة الرفاعية توفي ســـنة (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م)، وكان يوصف بالصلاح، ومات عن عمر طويل[١].

ودفن به الســـيد حســـين بن مصطفى الرفاعي المنيني شيخ الســـجادة الرفاعية، في أواخر القرن المنصرم، قدم به أبوه من الشام إلى القاهرة فأقام بها مشتغلاً بالتجارة، وبلغ منصب كبير تجار القاهرة، وتولى مشيخة السجادة الرفاعية في سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م)، وظل حتى توفي في ١٦ من المحرم (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م)، ودفن في قبر السيد علي الرفاعي، وينتهي نسبه إلى السيد إســـماعيل المنيني المعروف بجندل الرفاعي [المتوفى سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)]، بقرية منيني بالديار الشامية وهو من ذرية الســـيد أحمد الرفاعي الكبير من ابنته السيدة زينـــب، ودفن معه ولده الســـيد محمد يـــس الرفاعي، تولى المشـــيخة بعد وفاة والده السيد حسين، وتوفي في صفر سنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، وشقيقه محمود في (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)، وتولى بعده ولده الســـيد محمد محمد يس الرفاعي وتوفي في جمادى الأولى سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١١م)، ودفن مع والده وجده، وهذا هو آخر المدفونين بالمسجد من المشايخ، وتولى بعده على مشيخة السجادة الرفاعية السيد محمود عزيز بن محمد يس الرفاعي ويتولاها من هذا الفرع الآن السيد أحمد كامل يس الرفاعي مدير تفتيش الآلات البخارية بوزارة الأشغال ويتولى أخوه السيد محمد محمود يس الرفاعي المشيخة والضريح حتى الآن، ودفن بالمســـجد من أسرة محمد عـــلي زينب بنت الخديوي إســـماعيل في ١٩ أغسطس ســـنة (١٨٧٥م)، وخوشيار في٢١ يونية ســـنة (١٨٨٦م)، والسلطان حسين كامل في ٩ أكتوبر ســـنة (١٩١٧م)، والخديو إسماعيل في مارس سنة (١٨٩٥م)، وأخـــيرًا الملك أحمد فؤاد في ســـنة (١٩٣٧م)، وابنته الأميرة فوقية ماتت في جنيف بسويسرا في ٢٢ محرم سنة (١٣٩٤هـ)/ ١٣ فبراير ســـنة (١٩٧٤م)، ونقل جثمانها إلى القاهرة في ٢٠ منه ودفنت بجانب أبيها[٢].

(١) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٣٦٣، ٣٦٦.

(٢) المرجع السابق: ٣٦٦.



تفاصيل زخرفية لجامع الرفاعي «عن ماكس هرتس»

الشيخ علي الرفاعي

والشـيخ علي الرفاعي الثاوي بهذا المسـجد هو أبو الحسـن علي بن أحمد بن عبد الرحيـم بن عثمان الرفاعي، أم أبيه أحمد هي المرحومة السـيدة زينب بنت السيد أحمد الرفاعي الكبير، وتزوج السيد أحمد الرفاعي الكبير بالسيدة خديجة بنت أبي بكر بن يحيى النجاري أعقب منها فاطمة وزينب، تزوجت فاطمة علي بن عثمان فولدت منه إبراهيم الأعزب ومحمـد الغواص[١]، وهذا الأخـير غرب إلى مصر واتخذ زاوية له ببركة القرع ومات ودفن بها[٢].

(١) كان بداخل حارة الغواص من شارع الخليج المصري شمالي جنينة البكرية، وقد حل مكان ذلك كله مستشفى سيد جلال وتوسعاتها (المراجع).

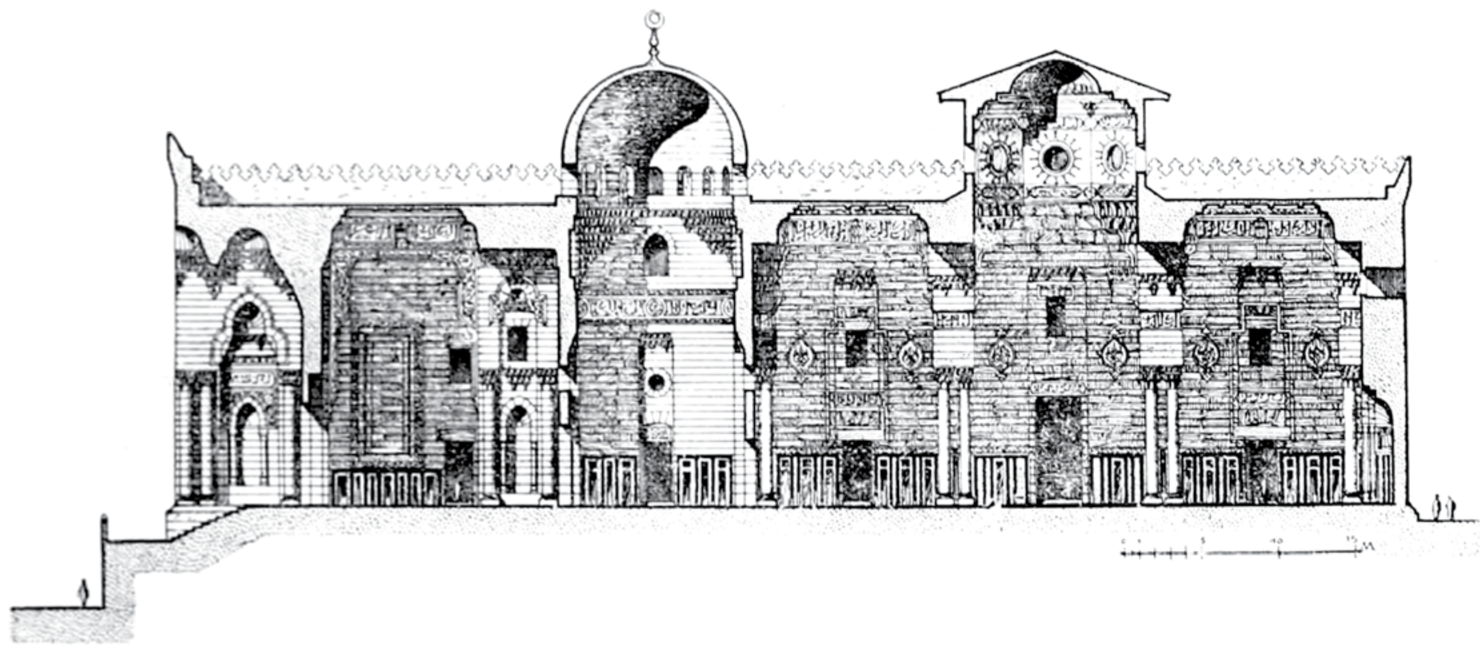
(٢) أدركنا ضريح داخل حارة تعرف باسمه متفرعة من شارع الإمبابي تجاه رقم ٥، وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» من دفن في هذه الزاوية البدر الخياط القادري مات في صفر سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وإبراهيم المجذوب، وقد نقلت رفاتهم جميعًا في سنة=

وتزوجت زينب عبد الرحيم بن عثمان شـقيق الأول فولدت منه محمد وأحمد وأبو القاسـم وأبو الحسن علي وأبو القاسـم وفاطمة وعائشة، وغرب من هذا الفرع الأخير علي المذكور في عهد سلطنة المعز آيبك التركماني الذي ولي مصر من سـنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) إلى سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، واتخذ من مسجد ذخيرة الملك مستقرًّا له حتى وفاته في ذي القعدة سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، ودفن بالمسجد وخلفه فيه ابنه أحمد الرفاعي الصغير وهو المعروف به المسجد الآن، وليس السيد أحمد الرفـاعي الكبير كالنقوش الموجودة بالمسـجد، وتوفي السيد أحمد الرفاعي الصغير في السادس من شهر رجب سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، وقد عرف السيد علي هذا بصاحب أو بأبي الشباك لجلوسه في شـباك المسجد المطل على الرميلة وسوق الخيل وكان لا يكلم النـاس إلا منه فعرف به[٣]، وصحبه من أهل مصر الشـيخ يعيش بن محمود الشـامي والسـيدة عائشة الرفاعية وكانت تخدم بالمسـجد فحققت نسبه وما ذكرته عنه من كتاب الوحيد في سلوك أهل التوحيد مؤلف عبد الغفار بن نـوح القوصي خط بالدار من كتب المرحوم أحمد أغا بانجاويش تفكجيان لخزانة مسجد شيخو في سنة (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، ألفه في العشر الأول من ربيع الأول سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، ومن تاريخ ابن أنجب الساعي ومجموعة من كتب الأنساب ومناقب الرفاعي ووثائق وقف يشبك.

وأسبق هجرة إلى مصر من الشيخ علي الرفاعي هذا ابن عم السيد عز الدين أحمد بن أبي الحسن علي بن عبد الرحيم المذكـور دخل مصر فيما يقوله المخزومي في صحاح الأخبار في سـنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) في عهد الملك الصالح نجم الدين

= (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) إلى تربة مصلحة التنظيم بباب الوزير. (المؤلف)

(٣) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٣٦٦.

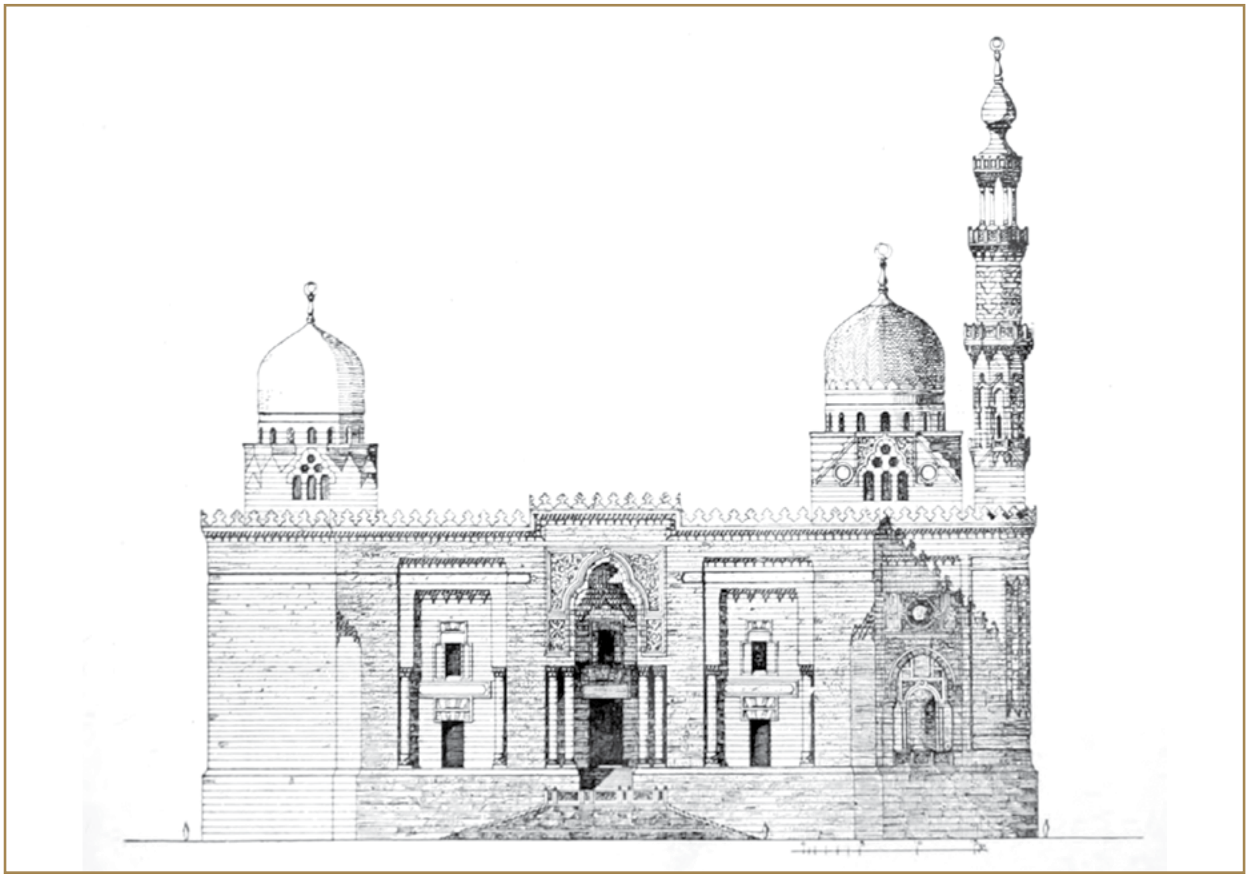


رسومات معمارية لجامع الرفاعي «عن ماكس هرتس»

أيوب مع ولده تاج الدين محمد الرفاعي، فلبث بمصر عامين تزوج في خلالها بالسيدة بدرية خاتون بنت الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب شقيقة الأفضل قطب الدين أحمد، رزق منها بولد حملت به بعد خروج أبيه من مصر إلى الشام وسماه أخواله بعد وضعه في سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) عليًّا.

واتخذ تاج الدين محمد الرفاعي ابن عز الدين المذكور زاوية بحكر أقبغا بالسبع سقايات ظاهر قناطر السباع[١]، جعل منها رباطًا للصوفية الرفاعية واستقر به، ومات أبوه

(١) حكر أقبغا: هذا الحكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربي وبعضه بجانب الخليج الشرقي، كان بستانًا يعرف قديمًا بجنان الحارة، ويسلك إليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبًا السبع سقايات بالقرب من الكنيسة الحمراء، وكان بعضه بستانًا يعرف ببستان المحلي، وهو الذي = في غربي الخليج، وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون، وينتهي إلى حوض الدمياطي الموجود الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات إلى قنطرة السد، فاستولى عليه الأمير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأذن للناس في تحكيره، فحكر وبنى فيه عدة مساكن، وإلى يومنا هذا يجبي حكره ويصرف في مصارف المدرسة الأقبغاوية المجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة، وأول من عمر في حكر أقبغا هذا استادار الأمير جنكلي بن البابا، فتبعه الناس وفي موضع هذا الحكر كانت كنيسة حمراء، وهي التي هدمها العامة في أيام الملك الناصر محمد، وهي اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي، وهذا الحكر كان يعرف قديمًا بالحمراء الدنيا، وبه قنطرة تعرف بقنطرة عبد العزيز بن مروان، وموضع هذا الحكر في وقتنا الحالي في منطقة حارة السيدة زينب، وجنينة لاظ وشوارعها، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج. ٧:=



رسومات معمارية لجامع الرفاعي «عن ماكس هرتس»

بالشام في سـنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) عن ٩٠ سنة، وقد ظل هذا الربـاط قائمًا بهـذه المنطقة حتى تحـول إلى زاوية صغيرة تخلف منها ضريح تاج الدين محمد الرفاعي المذكور وأدركناه بمنطقة خالد المتفرعة من شـارع الأربعين المتلاقي بشارع الوافدية وقرأنا على ضريحه:

(هذا ضريح الشيخ محمد الرفاعي الشافعي)

وقد وهـم المرحوم السـيد أبو الهـدى الصيادي في كتابه «ذخيرة الميعـاد» فخلط بين علي صاحب الشـباك وبين عز الدين هذا، ووضع منطقة قناطر السـباع في سوق السلاح، وهذا مردود بما قدمناه.

= ٣٨٧، مج. ٩: ١٩٦، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٤–٣٨٦.

جامع الآمر بأحكام الله (الجامع الأقمر)

أثر رقم ٣٣ (سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م)

هــذا الجامع أحد جوامــع ثلاثة بناهــا الفاطميون بالقاهرة «الأزهر، والأنور وهو جامع الحاكم والأقمر وهو هذا المســجد، وهو بشارع المعز لدين الله «بين القصرين أو سوق الشماعين سابقًا»[١].

وهــذا الجامع رغــم أنه صغــير بالنســبة للجوامع الفاطمية المتقدمة إلا أن وجهته الحجرية حافلة بالزخارف والنقــوش الكتابية مما لا نظير له في أثر فاطمي آخر والعقود التي تعلو أروقتــه تلفت النظر بما فيها من زخارف جصية آية في الإبداع وتمتاز أسكفة بابه بخبرة معمارية كما تمتاز وجهته بأنها من أهم الوجهــات الحجرية الماثلة لدينا لليوم من مساجد الفاطميين بالقاهرة[٢].

ويؤخذ مما ذكره المقريــزي في الخطط عن هذا الجامع أن المأمون وزير الآمر رغب في أن يصل هذا الجامع بالقصر الفاطــمي، فلا يدخل بينهما أي مبنى آخر، ولهذا الســبب أزال مجموعــة المباني التي كانت تقوم على أرض هذه المنطقة ظاهر القصر، واســتبدلها بغيرها في شمالي هذا المسجد إلى جهــة باب الفتوح، وبعد أن أكمــل الجامع على هذا الوجه حبــس على مصالحه دار النحــاس، وهي دار وردان الرومي غلام عمرو بن العاص، وبنى حوضًا لســقي الدواب في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق[٣].

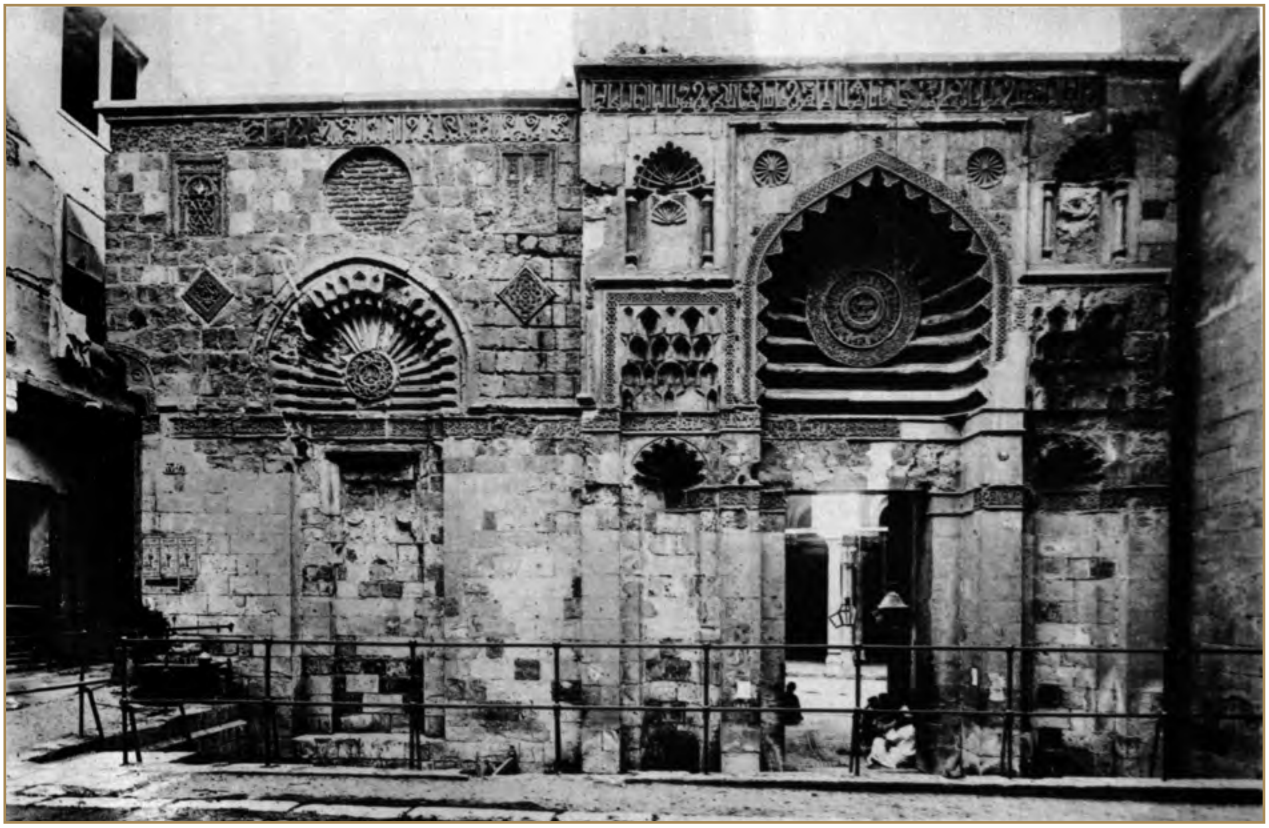
وقد ظل الجامع على هذا الوضع حتى تصدى لتجديده الأمير يلبغا السالمي وزير الملك الظاهر برقوق[٤]؛ فأحدث

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٥٠؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٨٦؛ Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. 1: 241- 246.

(٢) Caroline Williams, "The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo, Part I: The Mosque of al-Aqmar", *Muqarnas* 1 (1983): 37-52; Doris Behrens-Abouseif, "The Façade of the Aqmar Mosque in the Context of Fatimid Ceremonial", *Muqarnas* 9 (1992): 29-38.

(٣) الركن المخلق: يطلق على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحري للقصر الكبير بالحائط الغربي له، وهذا الركن موضعه اليوم الزاوية البحرية الغربية للمنزل رقم ١١ بشارع التمبكشية، تجاه دورة مياه الجامع الأقمر، وبأسفل هذا المنزل مسجد قديم يعرف بمعبد موسى، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٤، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٤٥، السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٧٧

(٤) يلبغا السالمي: أبو المعالي عبد الله الأمير سيف الدين الحنفي الصوفي الظاهري، أحد مماليك الظاهر برقوق، كان اسمه يوسف وهو حر في بلاده وآباؤه مسلمون، فلما جلب من بلاد المشرق سمي يلبغا وقيل له السالمي نسبة إلى سالم تاجره الذي جلبه فترق في خدم السلطان الملك الظاهر برقوق إلى أن ولاه نظر الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء في ثامن عشر جمادى الآخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ثم أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة، عوضًا عن الأمير بهادر فطليس، ثم نقله إلى أمرة طبلخاناه ثم جعله ناظرًا على الخانقاه الشيخونية بالصليبية، فعسف =



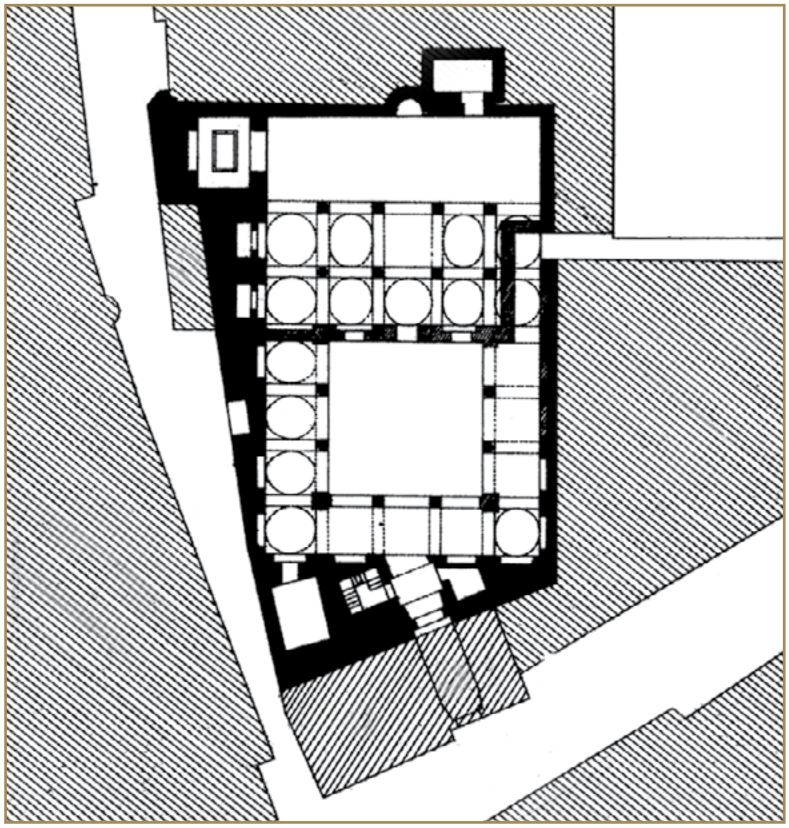
واجهة للجامع الأقمر «عن كريسويل»



رواق للجامع الأقمر «عن كريسويل»



تفاصيل للجامع الأقمر «عن كريسويل»



مسقط أفقي للجامع الأقمر «عن كريسويل»

به منبرًا اســتخدم فيه ما تخلف من بقايــا منبره القديم، وجدد الحوض المذكور وأحــدث في جانبه القبلي دار وضوء جعل بابها من ناحية الركن المخلق، وأوصلها بالباب القبلي للمسجد وجعل في الصحن بركة ماء يستعان بها على الوضوء لمن يريد الذهاب إلى الميضأة الأخرى وميزها بنظام أحكم من الميضأة الأخرى؛ إذ جعلها عالية وجعل الماء يصل منها إلى المصلى بواســطة صنابير من النحــاس، وقد بقيت هذه الميضأة إلى ســنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، ثم أزيلت لحدوث أضرار بالجدار الشرقي نتيجة لتسرب المياه إليه[١].

وأنشأ إلى جانب بلاط المســجد الغربي مئذنة بقيت إلى سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، ثم هدمت لظهور ميل بها وحلت محلها مئذنة أخرى في العصر العثماني[٢]، وبعد أن أتمه على هذا الوضع أودع بأعلى محرابه نصًّا تاريخيًّا ســجل فيه هذه

= بمباشريها وأراد حملهم على مرّ الحق فنفرت منه القلوب، ولما مرض الظاهر جعله أحد الأوصياء على تركته، فقام بتحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق، والإنفاق عليهم بحضرة الناصر، ثم خلع عليه واستقر استادار السلطان عوضًا عن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرازق بن أبي الفرج الملكي، قبض عليه أكثر من مرة وعوقب وضرب، حتى حبس في الإسكندرية، وبذل جمال الدين يوسف الأستادار مالًا للناصر من أجل قتله، وقتل مخنوقًا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٥٨-١٦٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٨٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٧١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٨٩-٢٩٠.

(١) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٥٠-١٥٦.

(٢) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٧٠.

العمارة، ووقف عليه عقارات في جانبه للصرف من ريعها على مصالح المسجد(1).

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: طراز بالوجهة تبتدئ بالبسملة، ثم بآيٍ من الذكر الحكيم، ثم بما يأتي:

مما أمر بعمله فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله بن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقربًا إلى الله الملك الجواد ناصر جيوش الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين لإقامة البرهان على كافة المشركين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة...(2)

المذكرة الثانية: بالواجهة

البسملة... أمر فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل...(3)

المذكرة الثالثة: بأعلى المحراب في روسم أرضيته زرقاء والكتابه فيه بيضاء في ٤ أسطر:

البسملة... فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير* صدق الله العظيم (آية ٥٠ من سورة الروم).

وقرأ فيها أبو بكر وأبو عمرو - أثر بالفتح، وقرأ سلام إثر بكسر الهمزة وسكون المثلثة، والقراءة المشهورة آثار كما في تفسير الألوسي - وهي لحفص.

أمر بعمل المنبر والمنارة وغيره بعد اندراسه في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق حرس الله نعمته للعبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالي يلبغا بن عبد الله السالمي الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله به في الدارين وحشره مع الصالحين في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان بني هذا الجامع على أيام الخليفة الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله في سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية...(4)

المذكرة الرابعة: بأعلى باب المنبر في ٣ أسطر:

(١) فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ١: ٩٥-١٠٢.

(٢) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٧٦-٧٧؛ الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٥٢؛ Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 67-68.

(٣) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٥٣؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 69.

(٤) Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 69.

البســـملة: وقل الحمد لله الذي لـــم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا أمر بعمل هـــذا المنبر المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق أعز الله نعمتـــه[١] العبد الفقـــير إلى الله تعالى يلبغا بن عبد الله الســـالمي الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله بـــه في الدارين وحشره مع الصالحين في رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة...[٢]

الآمر بأحكام الله

ومنشئ هذا المســـجد هو الخليفة الآمر بأحكام الله ابن المستعلي بالله، ولي الخلافة في صفر سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) وعمره خمس ســـنوات، وفي عصره كانـــت الحملة الصليبية المؤلفة من فرنســـا وألمانيا قد بدأت تحمل حملتها الشعواء على الممالك الإســـلامية، فملكوا السواحل والمدن الشامية بأسرها، ثم استولوا على القدس وقصدوا السير إلى المملكة المصرية بعد أن تملكوا البلاد، وقهروا العباد، فساروا إليها بقيـــادة القائد بردويل فاتفق أنه مات في طريقه قبل أن تطأ قدم الجيوش الفرنسية والألمانية أرض مصر فنقل أصحابه رفاته ودفنوه في كنيسة القيامة بالقدس، وبينما الصليبيون يفتكون بالمسلمين في هذه البلاد ويشنون عليهم الغارات، ويستولون في سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) على مدينة جبيل ويولون عليها بارونًا من قبل ملك أورشليم، وعلى عكا في السنة التي تليها، وعلى طرابلس وبانياس في سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، وصور في سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، بينما هم كذلك إذا بقبائل صنهاجة ولواته وزناته تثور على الخليفة الآمر، فلما استفحل أمرهم سير إليهم وزيره المأمون البطائحي[٣]، فقاتلهم ثم رحلهم إلى إفريقيا الشمالية فسكنوها وبقي بها نسلهم إلى اليوم.

وقد بـــدأ نجم الخلافة الإســـلامية يأفل في عصر هذا الخليفة حـــتى قيض الله للإســـلام رجله صـــلاح الدين فأنقذه مـــن مخالب ذلك العدو الكاشر، وما برح الآمر حتى مات قتيلاً في ســـنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م)، وتولى بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد[٤].

آثار الآمر بأحكام الله

وفي عصر هذا الخليفة، أنشـــئ بالقاهـــرة وظواهرها وبالقرافة عدة منشآت منها بالقاهرة:

(١) ذكرها حسن عبد الوهاب، «برقوق نصره الله غرس نعمته...»، «في شهر رمضان المعظم»:، انظر: حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٧٢.

(٢) Van Berchem,“Matériaux pour un Corpus”: 69.

(٣) المأمون البطائحي: أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبو شجاع فاتك بن الأمير مجد (منجد) الدولة أبو الحسن مختار بن الأمير أمين الدولة أبو علي حسن بن تمام بن البطائحي، تولى الوزارة خلفًا للأفضل بن بدر الجمالي سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م)، وقتل في سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)، عرف بالبطائحي نسبة إلى البطائح وهي موضع بين واسط والبصرة بالعراق، والمأمون لتسليمه أموال الأفضل للخليفة الآمر بعد وفاته فكان أمينًا على داره وثرواته، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٥١٣- ٥١٤؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٨٧، ١٠٣، هامش ٣١٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ١٧٠، هامش ٢؛

S.M. Stern, “The Epistle of the Fatimid Caliph al-Āmir (al-Hidāya al-Āmiriyya): Its Date and Its Purpose”, *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, No.1 (1950): 20-31.

(٤) الآمر بأحكام الله: أبو علي المنصور بن المستعلي، تولى الخلافة عقبًا لأبيه سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م)، عن عمر بلغ خمس سنين، قتل يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) بالقرب من المقياس عن أربعة وثلاثين عامًا، في مدة خلافة بلغت تسعًا وعشرين سنة، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٠، ٩٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٥٦- ١٥٩.

- **مسجد الخوخة**: تجاه باب ميمون دبة وهو جامع زين الدين يحيى الاستادار بشارع بين النهدين[١].
- **مسجد الكافوري**: أنشأه المأمون في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) وهو مسجد الخلفاء الأحمدية بالشعراني.
- **مسجد عبد الله المأموني**: بحارة بني سيس وهو مسجد علي باشا حلمي بالقربية.
- **مسجد عبد الله المصمودي**: بجانب الباب الحاكمي الشارع الأعظم وهو مسجد خضر الصحابي بالسروجية.
- **مسجد أبو بكر المصمودي**: بحارة المصامدة وهو زاوية شهاب الدين الحداد بعطفة نافع بالسروجية.
- **مسجد ذخيرة الملك جعفر بن عبد المنعم بالرميلة**: وهو زاوية علي بن أبي القاسم أحمد الرفاعي أولاً وأخيرًا جامع الرفاعي المشهور.
- **مسجد يانس الرومي الأفضلي**: تجاه باب سعادة وهو مسجد أبو العباس البصير أولاً وأخيرًا زاوية إبراهيم المغربي وبغدادي بميدان باب الخلق شمالًا «وقد هدم»[٢].
- **مسجد حارة البيازرة**: خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج الشرقي وهو مسجد الشيخ شعبان بدرب البزازرة.
- **مسجد الآمر بدمياط**: وهو مسجد عبد الله الشريف ويحمل هذا المسجد نصًّا تاريخيًّا للآمر يقرأ فيه ما يأتي:

(١) المقريزي، المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٧.
(٢) المقريزي، المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٦.

البسملة. أمر بعمارة هذا الجامع المبارك إمام العصر والزمان على ذكره السلام مولانا وسيدنا المنصور أبو علي الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين الأئمة الراشدين وأبنائه الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين في رجب سنة إحدى وعشرين وثمانية.[٣]

- **مسجد المأمون بحكر البطائحي**: كما نحتفظ أيضًا للآمر بنص تاريخي آخر في المسجد الذي بناه له المأمون بحكر البطائحي[٤]، خارج باب القنطرة[٥]،

(٣) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٦٧.
(٤) من أماثل وزراء الدولة الفاطمية، أفرده بالترجمة ابن موسى في السيرة المأمونية، ولموسى هذا ينسب المسجد المعروف بالركن المخلق بالتمباكشية قسم الجمالية بالقاهرة، ذكره المقريزي باسم مسجد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ما كانت تزعم العامة، وقد هدم هذا المسجد وبيعت أنقاضه في نوفمبر ١٩٤٧م. (المؤلف). عن أعمال الوزير المأمون البطائحي من عصر الآمر بأحكام الله، انظر: K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. 1: 239-253.
(٥) باب القنطرة: عرف بذلك؛ لأن جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليمشي عليها إلى المقس عند مسير القرامطة إلى مصر في شوال سنة ستين وثلثمائة، كان موضعه على مدخل شارع أمير الجيوش الجواني، تجاه مدرسة باب الشعرية، وفي سنة (٥٧٠هـ) أقام صلاح الدين سورًا آخر على حافة الخليج المصري مباشرة، لجهة الغرب من السور القديم، وعلى بعد ٢٥ مترًا منه، ولم يزل أساس هذا الباب باقيًا تحت سطح الشارع، ومن هنا أتى اسم شارع بين السورين، والعامة تسمي خطأ باب القنطرة باب الشعرية، في حين أن ذاك الباب كان قائمًا غربي الخليج بميدان العدوي، وسوق الجراية، وكان عند ذاك الباب قنطرة أخرى ذكرها المقريزي باسم قنطرة باب الشعرية، وتعرف الآن بقنطرة الخروبي، والعدوي والخروبي مدفونان في مسجد واحد بجوار موقع الباب المذكور، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧٩، هامش ٢؛ مج. ٣: ٤٩٤، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٩، هامش ٣.

وهو المسجد الصغير المعروف اليوم بزاوية صفي الدين بشارع الفوطية وهذا النص مكتوب بالخط الكوفي في خمسة أسطر قرأنا فيه ما يأتي:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلخ أمر بعمارة هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المنصور أبي علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة سبع عشرة وخمسمائة... ويتخلل هذه الكتابة بعد السطر الأول منها محلة يقرأ فيها «ناظره محمد أفف أرزنجاني سنة ١٢٩٤.

وبالرغم من أن المقريزي لم يترجم لهذا المسجد، وغاب عن علي مبارك باشا فلم يذكره في الخطط، كذلك لم تسجل إدارة حفظ الآثار الإسلامية هذا الأثر مع وجود هذا النص التاريخي فيه من العصر الفاطمي، والذي يماثل النص الآخر لجامع الجوامرد بالصنادقية، أقول بالرغم من هذا فإن المقريزي قد أورد لنا عبارة موجزة لم تدع مجالًا للشك في أن هذا المسجد أثر من آثار المأمون البطائحي في هذه المنطقة.

فقد ذكر لدى كلامه على الأحكار «حكر ابن منقذ»[١]، فأفاد أن هذا الحكر خارج باب القنطرة، بعدوة خليج الذكر[٢]، كان بستانًا يعرف ببستان الشريف الجليس ويعرف أيضًا بالبطائحي، ثم وضح موقع حكر البطائحي هذا في تحديده للأحكار التي تجاوره، ويؤخذ من هذا التحديد أن حكر البطائحي هو جميع المنطقة التي تحد الآن من الجنوب

(١) حكر ابن منقذ: خارج باب القنطرة بعدوة الخليج، في الأصل كان بستانًا يعرف باسم بستان الشريف الجليس، أو البطائحي، ثم عرف بالأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادي على اليمن، ثم انتقل هذا البستان إلى الشيخ= عبد المحسن بن عبد العزيز بن علي المخزومي المعروف بابن الصيرفي، فوقفه على مشهد السيدة نفيسة في سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ثم أزيل هذا البستان وحكرت أرضه، وبنيت عليه الدور والمساكن، وهو الآن خرب، وموقعه في الوقت الحالي المنطقة التي يحدها من الشرق شارع شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد)، ومن الشمال شارع الخراطين، ومن الغرب ديوان قسم باب الشعرية، ومن الجنوب شارع بير حمص، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٠٠-٤٠١.

(٢) خليج الذكر: كان في الأصل ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذي عرف بالمقسي، ثم وسع، قال ابن عبد الظاهر وكان الماء يخرج من البحر للمقس في البرابخ فوسعه الملك الكامل وصار خليج الذكر، ويقال إن خليج الذكر حفره كافور الإخشيدي، فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر ابن الحاكم وجعله بركة قدام المنظرة المعروفة باللؤلؤة، صار الماء يدخل إليها من هذا الخليج، وكان هذا الخليج يفتح قبل الخليج الكبير، ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره، فحفر وأوصل بالخليج الكبير، وشرع الأمراء والجند في حفره من أخريات جمادى الآخرة، فلما فتح كادت القاهرة أن تغرق فسدت القنطرة التي عليه فهدمها الماء، ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصري، وقد أدرك المقريزي آثاره، وكان الماء يدخل إليه من تحت قنطرة الدكة، وقيل له خليج الذكر؛ لأن بعض أمراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي كان له فيه أثر من حفره فعرف به، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٤٧٩-٤٨١.

بحكر خطلبا[١]، وهو شارع وسعة الجبر إلى حكر النوبي[٢]، ومن الشمال بشارع الخراطين إلى سويقة الزلط وفي الغرب بشارع الفوطية والجامع الأحمر «وهو حكر الأوسية»[٣]، ومن الشرق بالخليج وميدان القطن وهو شارع الرملي، وقد آل هذا الحكر بعد مغيب البطائحي إلى الشريف الجليس وهو أحد الثمانية الذين كانوا قد تآمروا على قتل الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لاسترداد الخلافة الفاطمية وتنصيب أحد أولاد الخليفة العاضد، وقد فشلت هذه المحاولة وقتل المتآمرون جميعًا، ثم آل إلى ابن منقذ نائب الحكم في البلاد اليمنية وله فيه أثر باقٍ إلى يومنا.

وقد أقام بهذا المسجد الشيخ صفي الدين البرهاني من شيوخ الطريقة البرهانية المنسوبة للشيخ إبراهيم البرهاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعرف باللاوندي لرطانة لسانه، وقد لبث مقيمًا به في سنة (١١٩٤هـ/ ١٧٧٩م) إلى وفاته في سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، وضريحه بهذا المسجد مزار إلى اليوم، وقد تجدد هذا المسجد في سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ثم أعادت وزارة الأوقاف تجديده منذ وضعت يدها عليه.

(١) حكر خطلبا: حده القبلي إلى الخليج، وحده البحري إلى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الأوسية المعروف بالجاولي، وحده الشرقي إلى بستان الجليس، الذي عرف بابن منقذ، والحد الغربي إلى زقاق هناك، وكان هذا الحكر بستانًا اشتراه الطواشي جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن إسماعيل الملكي الكاملي في سنة ست عشرة وستمائة، ثم ابتاعه منه الطواشي محيي الدين صندل الكاملي في سنة عشرين وستمائة، وباعه للأمير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي في سنة إحدى وعشرين وستمائة فعرف به، وهو الأمير خطلبا بن موسى الأمير صارم الدين الفارسي الموصلي الكاملي، استقر بولاية القاهرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة في أيام السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب، ثم أضيفت له ولاية الفيوم في سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ثم صرف عنها وسار متسلمه إلى اليمن ليتسلمها، وسار هو والأمير باخل إلى زبيد ومعه خمسمائة من رجاله ليصير واليًا عليها، فأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة وصار من أصحاب الأمير فخر الدين جهاركس، وتأخر إلى أيام الكامل وسار من أمرائه بالقاهرة، إلى أن مات في ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة، انظر: المرجع السابق:

(٢) حكر جوهر النوبي: تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي، في شرقي بستان العدة، ويسلك منه إلى قنطرة أمير حسين، من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذي تعلوه المئذنة، وما زال بستانًا إلى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبنى فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس، وعرف بحكر جوهر النوبي أحد الأمراء في الأيام الكاملية، وقد تقدم بالديار المصرية تقدمًا زائدًا وكان خصيًّا، وكان ممن ثاروا ضد العادل أبي بكر بن الكامل وخلعه، فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب قبض على جوهر سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وموقعه في الوقت الحالي المنطقة الواقعة شمال بستان العدة حيث يوجد جامع الأمير حسين، ومدرسة ابن عرام، والتي يحدها من الشرق شارع بورسعيد، ومن الشمال شارع السويقة، ومن الغرب درب أبو طبق، ومن الجنوب حارة الأمير حسين، انظر: المرجع السابق: ٣٩٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٨٦، هامش ١.

(٣) حكر الأوسية «حكر خزائن السلاح»: عرف في العصر المملوكي بحكر خزائن السلاح، وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكي، وقفه= السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة، وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة في أيام الناصر محمد بن قلاوون، وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيمانًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٩٨.

مسجد الحافظ لدين الله بسوهاج

(سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)

هذا المسجد بمدينة سوهاج بالصعيد الأعلى وهو أحد المساجد الإسلامية الأولى ولذا عرف بالمسجد العتيق، وتجدد في عصر الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي[١]، وأثر هذا التجديد فيما تخلف منه وهو النص التاريخي المكتوب في بلاطة بأحد أروقته في تسعة أسطر بالخط الكوفي قرأنا فيه:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله إلى المهتدين. مما أمر بتجديده وعمارته ولي عهد أمير المؤمنين ... ابن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين شيد الله أركان الإسلام بعزائمه وأمضى في أعناق الأعادي شعار صوارمه وأنفذ في أقطار البسيطة أحكامه وضاعف صلاته عليه وسلامه ابتغاء ثواب الله ومرضاته وتكثيرًا لبيوت عباداته وإشعارًا بتاريخ نزول النصر على جنده المنصورة وميقاته وذلك في محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة...[٢]

وهذا النص التاريخي الهام بما ورد فيه يحقق واقعة بهذه المدينة لم تأت بها المصادر التاريخية كاملة وهي الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها الخليفة الحافظ على ابنه حسن الذي تمرد عليه وقاومه لاستبعاده عن ولاية العهد وإقامة ابنه سليمان بدلًا منه، فقاومه وقاوم خصومه ممن جمعهم حسن عليه من طائفته وشيعته، وتعقبهم حتى فروا إلى الصعيد، وأمسكهم في سوهاج، وقضى عليهم وتخلص من ابنه المتمرد بالسم، وبعدها قام ولي عهده حيدرة بتجديد هذا المسجد الجامع العتيق وأثبت به هذه المذكرة التي سجلت في طواياها فرحة هذا النصر[٣].

والمسجد حاليًّا يعرف بالفرشوطي وهو المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرشوطي آخر نظارة هذه الأسرة إلى سنة (١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م)، كما دل عليه تقارير نظارته عليه ممتدًا له من أسلافه، وقد قام بتجديد ما وهن منه أيام نظارته، وبالمسجد مئذنتان أولاهما المئذنة الفاطمية، وهي لا تزال تحمل طابعها الفاطمي، والثانية بنيت في عهد نظارة المرحوم

(١) عن سيرة الخليفة الحافظ لدين الله، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ١٣٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٩٠-٢٩١.

(٢) لم يذكر صاحب المزارات اسم ولي العهد لذلك أخطأ في سرد الواقعة التاريخية بعد ذلك، هناك سطر مفقود يحمل اسم صاحب اللوحة التأسيسية «المنصور الحسن أبو علي»، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٢٩٨.

(٣) انتهت معارك الأمير حسن مع أبيه الخليفة الحافظ بانتصاره على وفيّ الدولة إسحاق أحد الأستاذين المحنكين بالصعيد، واستتب له الأمر، وولي العهد لأبيه إلى أن قتل بالسم، انظر: المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ١١٩، هامش٤١٠؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ١٤٩.

محمد حسنين مازن ناظر أوقاف المسجد في سنة (١٩٤٧م)، وارتفاعها ٤٧م عن سطح الأرض، ويتألف المسجد من أروقة واجهتها بواكٍ تحملها دعامات من اللبن، وموقوف على هذا المسجد من قبل المرحوم إبراهيم أدهم ناظر قسم سوهاج (٨٠ فدانًا)، تنظر عليها من أسرة مازن المرحوم عبد الموجود حسنين مازن «والد العالم الحقوقي سامي مازن».

وبالمئذنة الفاطمية لوحة حجرية اتساعها متر في نصف متر، مكتوب عليها في عشرة أسطر بالخط الثلث منشور للسلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، يأمر بمنع من يتعرض للبزازين والقزازين والإسكافيين وغيرهم من أرباب الصناعة في مستحقاتهم من وقف الملك الأشرف قايتباي ومؤرخ هذا المنشور لسنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[١].

(١) (بسم الله الرحمن الرحيم رسم بأمر مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، خلد آلة ملكه وثبت قواعد دولته بمنع من يتعرض للبزازين والصناعية والقزارين والإسكافية بناحية سوهاج، في وقف الشهيد الأشرف قايتباي (سقى) الله عهده المنتهي بنظر ولاية المقر الأتابك قيت أتابك العسكر المنصورة أعز الله أنصاره وأن المغرم عليهم مقطوع لوالد الولد إكرامًا للنبي صلى الله عليه وسلم واستجلابًا لدعاء المجاب في الصفائح الشريفة يسر الله تعالى بتاريخ...)، انظر: سعاد ماهر، **محافظات جمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي** (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٦): ٤١-٤٢.

مسجد قسطة المظفري

أثر رقم ١٤٢ (سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)

هذا المسجد داخل قلعة القاهرة بالجهة البحرية منها، أنشأه الأمير قسطة الأرمني المظفري والي مدينة الإسكندرية في سنة (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، وأقيمت الخطبة به في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وهذا ما يثبته النص المسطور به في مذكرة تاريخية بالخط الكوفي، هذا نصها:

البسملة... في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه إلى بغير حساب أنشأ هذا المسجد المبارك الأمير المرتضى المنصور مجد الخلافة عمدة الإمامة فخر الدين عز المجاهدين ذي الفضيلتين خالصة أمير المؤمنين أبي المنصور قسطه كان الله له وليًّا وحافظًا وأثابه في الآخرة جنات ورضوانًا ابتغاء مرضاة الله سبحانه وذلك في رجب من شهور سنة خمس وثلثين وخمس مائة...[١]

ثم جدده سليمان باشا حاكم مصر العثماني في سنة (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م)[٢]، كما جاء بالمذكرة التاريخية التي تعلو أسكفة بابه ونصها:

قد بنى وعمر الجناب العالي مملوك سلطان السلاطين سلطان سليمان بن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته إلى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصرية سليمان باشا اللَّهُمَّ اجعله من الفائزين مجدًا لوجه الله الملك المعين طلبًا لمرضاة رب العالمين ليعبدوا فيه عباد الله الصالحين وكان تاريخه - فاركعوا لله مع الراكعين - سنة ٩٣٥...

وهذا الجامع من أبهج الجوامع العثمانية وأميزها بما فيه من زخارف ومفردات - وما عليه من تنظيم وتنسيق، ويلفت النظر فيه مئذنته العثمانية الرشيقة وهي ككل المساجد العثمانية الراقية، وقد استخدمته الحملة الفرنسية في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، مركز الإدارة للمحتسب وأعوانه بإشراف الجنرال فورييه، وفي هذا الصدد يقول الجبرتي «وفي رابع عشرة ذي القعدة سنة (١٢١٥هـ) نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج («بالقلعة» إلى جامع سارية صحبة

(١) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٣٠٤؛ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 72.

(٢) سليمان باشا الوزير: تولى على مصر في سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٥م)، فأقام واليًا عشر سنوات إلى أن عزل في سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٥م)، وفي أيامه عين المساحة لضبط الأقاليم، وحرر بها دفترًا باقيًا إلى اليوم = بالخزينة المصرية المعروف بدفتر التربيع سنة (٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م)، وعمر مقام سيدي سارية بقلعة الجبل وجامعه، وعمر تكية بقوصون، وعمر التكية والجامع ببولاق المعروف بالسليمانية، تولى بعده خسرو باشا، انظر: يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تحقيق محمد الششتاوي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩): ١١٠.

المشـــايخ، وكذلك فورييـــه الوكيل لضيق المـــكان وازدحام الفرنسيس»[١].

وقـــد عرف هذا المســـجد بســـارية نســـبة إلى خط ســـارية[٢]، أحد أخطاط هذه المنطقة منـــذ القرن الثالث الهجري، وقد جدد هذا الأثر في سنة (١٩١٣م)؛ تجديدًا أعاد إليه بهاءه ورونقه، ولم يوضح علي مبارك باشا هذا الأثر بما أوضحناه[٣].

منشئ المسجد

كان غلامًا أرمينيًّا من أرمينيا الروسية الصغرى وهي مدينة تفليس الشهيرة بالقوقاز، من غلمان المظفر ابن أمير الجيوش، وكان يلقب بأبي منصور قسطة الأرمني وتقلب في الوظائف الحكومية حتى صار محافظًا لمدينة الإســـكندرية، وقد اجتمع به الحافظ أبو الطاهر السلفي[٤].

قال المقريزي: «وكان قســـطة هذا من عقلاء الأمراء المائلـــين إلى العدل، المثابرين على مطالعـــة الكتب، وأكثر

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٤٩.
(٢) خط سارية شرق تربة الكيزاني، وبه مسجد الرديني داخل قلعة الجبل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤٣؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية**، مج. ١: ٢٥- ٣٣.
(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٣٩.
(٤) صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني: ولد في أصبهان ما بين سنة (٤٧١ – ٤٧٥هـ/ ١٠٧٨-١٠٨٢م)، وصل الإسكندرية في سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وكان إمام أهل الحديث بها، وكان إمامًا للمدرسة العادلية، وهي أول مدرسة للحديث في المدينة والتي أنشأها العادل بن السلار سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، وتوفي سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، وسلفة تعني بالفارسية ذا الثلاث شفاة، لشق في شفته، انظر: جمال الدين الشيال، **أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي** (القاهرة، ٢٠٠١): ١٣٢-١٤١.



مسجد سليمان باشا بالقلعة – سارية الجبل «عن مكتبة الإسكندرية»

ميله إلى التواريخ وسير المتقدمين، وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك»[٥].

والمظفر مولى قســـطة هذا هو المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي اســـمه جعفر، وكان يكـــنى بأبي محمد ويلقب بالمظفر، وقد شـــارك أخـــاه الأفضل في الـــوزارة، وكان يلي العلامـــة عنه (وزير قلـــم)، مات في جمادى الأولى ســـنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)، ودفن بتربة أبيـــه خارج باب النصر، وهي المعروفة الآن بالشـــيخ يونس وقد اكتشفناها لرجال الآثار منذ (١٩٢٦م)[٦]. [انظر تربة بدر الجمالي]

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٤١- ٦٤٢.
(٦) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٩-٨٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: : ١٥٦، ١٧٣-١٧٤.

جامع الظافر بنصر الله (الجامع الأفخر)

أثر رقم ١٠٩ (سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)

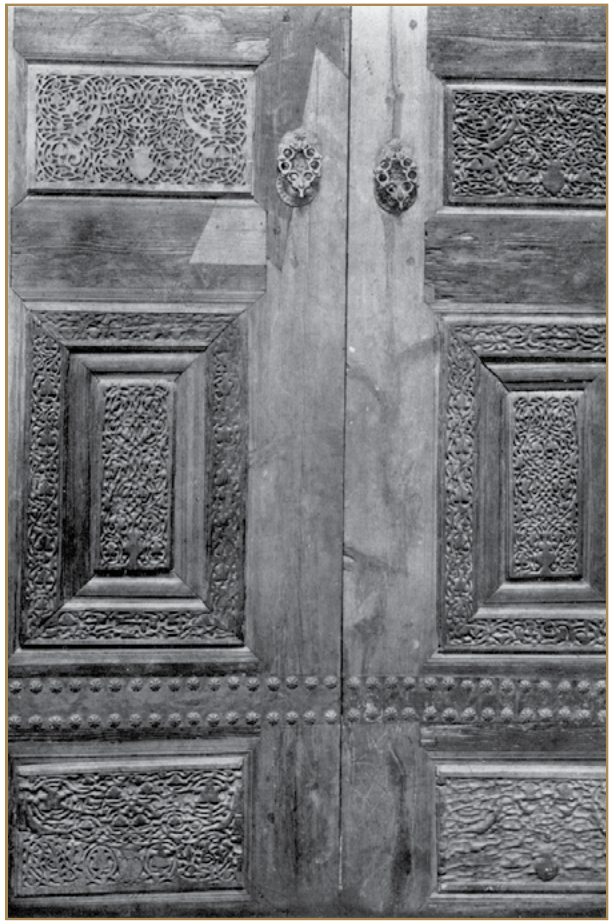
هذا الجامع بمنطقة عرفت «سابقًا بالسراجين والفكاهين- ثم بالشوايين[1]- ثم بالمغربلين- ثم بالعقادين» وهي الآن قسم من شارع المعز لدين الله، أنشأه الخليفة الظافر بنصر الله إسماعيل بن الحافظ لدين الله في سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، وبنى بأسفله حوانيت وقفها على مصالحه، وقد عرف هذا الجامع بعد عهد الدولة الفاطمية بحقبة طويلة بجامع الفكاهين أو الفكهانيين بالجامع الفكاهي والفاكهاني، وهو اليوم يعرف بجامع الفكهاني بالمفرد وهي تسمية ترجع إليه من عهد بعيد، ويظهر أنها جاءته من نسبة شارع العقادين الحالي إلى تجار الفاكهة الذين كانوا يسكنونه في يوم ما[2].

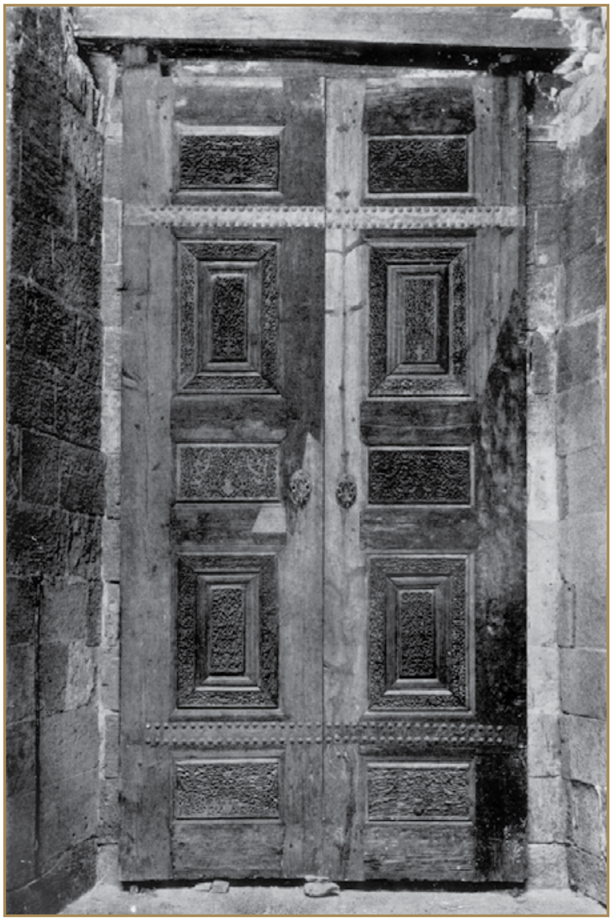
وقد أنشئ هذا الجامع في بادئ الأمر ككل المساجد الفاطمية من صحن مكشوف تحيط به أروقة تحملها عقود مرتكزة على أساطين رخام وأرضيته مرتفعة عن سطح الأرض بدرجات، واستعمل بعد ذهاب الدولة الفاطمية كمعهد علمي تدرس فيه علوم الشريعة وخصص فيه جناح لدرس الفقه الشافعي وآخر للحديث، ومن أبرز من تولى مشيخة تدريسه في أوائل القرن السابع الهجري الشيخ علي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي المتوفى سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، ويعرضه لنا السبكي في الطبقات بجامع الظافر، وفي موضع آخر بالجامع الأفخر ومن هذا نعلم مبدأ الوقت الذي عرف فيه بجامع الفكاهين.

وقد ظل هذا المسجد مدرسة علمية تابعة للأزهر حتى عهد قريب ولم يبلغنا من تطورات تجديده غير ما يذكر من تجديد الملك الظاهر بيبرس البندقداري له في شوال سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، وقد وقف عليه أوقافًا مبينة في حجة وقفه

(١) سوق الشوائين: يذكر المقريزي أن هذا السوق كان أول سوق وضع بالقاهرة، وكان يعرف بسوق السراجين «الشرائحيين- ط. بولاق»، وهو من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين، وما زال يعرف بسوق السراجين، إلى أن سكن فيه عدة من بياعي الشواء في حدود سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، فعرف بالشوايين، وانتقل سوق السراجين إلى خارج باب زويلة بحضرة الدرب الأحمر وعرف بالبسطيين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٣١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٢٦.

(٢) جامع الظافر: هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قديمًا بسوق السراجين، ويعرف اليوم بسوق الشوايين، كان يقال له الجامع الأفخر، ويقال له اليوم جامع الفكهانيين، ويذكره علي مبارك باسم جامع محمد الأنور الفاكهاني، المعروف= قديمًا بجامع الظافر، وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش، وهو اليوم بشارع المعز لدين الله (الغورية سابقًا)، على رأس حارة خشقدم، انظر: المقريزي، المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٦٤، هامش ٤؛ مبارك، المرجع السابق، مج. ٢: ١٢٥؛ مج. ٦: ١٢٥.





مصاريع أبواب الجامع الأفخر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

الصادرة في هذا التاريخ[١]، وقد أعقب هذا التجديد تجديد آخر من الملك الأشرف قايتباي وكان المشـــد (شاد العمائر أو الملاحظ) على عمارته يشبك الدوادار[٢]، ثم أعقب ذلك العمارة التي أجراها الأمير أحمد كتخدا الخربوطلي في سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، وهي التي يشير إليها الجبرتي في تاريخه في وفيات سـنة (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م) بقوله: «ومات أحمد كتخدا الخربوطلي وهو الذي عمر الجامع المعروف بالفكهاني الذي بخط العقادين بعطفة خوشقدم، وصرف عليه من ماله مائة كيس، وأصله من بناء «الظافر» بالله الفاطمي، وكان إتمامه في حادي عشر شـوال سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، وكان المباشر على عمارته عثمان جلبي شيخ طائفة العقادين الرومي»[٣].

ويؤخذ من هذه الإشارة أن هذا الجامع في الوقت الذي تصدى فيه المذكـور إلى عمارته كان قد عـــدا عليه البلى والقـــدم لدرجة كبيرة، وأن المائـــة كيس التي يذكر الجبرتي أنها صرفت عليه تقدر الآن بمبلغ كبير تصل إلى خمسمائة جنيه، وظاهر من حالـــة الجامع الباقي على آثار هذه العمارة

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٢.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٣٨.

(٣) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٢٨٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٥٦-١٥٧.

إلى اليوم أن أحمد كتخدا حافظ على تصميم المسجد لأول عهده، إلا أنه أعاد تجديده رأسًا على عقب، فجدد دواوينه وأروقته وجدد سقفه وشرفاته وأبوابه عدا مصاريعها فإنها سابقة على هذا العهد، وهي من الخشب الزان المشغول بطريقة منظمة تبلغ حد الإتقان، وأحدث به مئذنة عثمانية وسقاية ماء فوقها مكتب لتحفيظ القرآن وتعليم الصغار، وجدد حوانيته من جهاته الثلاث وأصلح مزار الشيخ السدار، وبنى فوقه مساكن للطلبة بالإيوان الغربي وجدد المحراب وغشاه بالقاشاني وجدد المنبر والمقصورة وبيضه وعبده وأصلح الصهريج «الماجل» والسقاية، وجعلها في جانب من الصحن وأحدث به ميضأة على شكل بركة تملأ من صهريج يقربها وقد أدركناها على هذا الشكل وبني إلى جانب الصهريج حمامًا للطلبة وأنشأ بأسفل بابه البحري وكالة، وإلى جانبها مما يلي حد الميضأة البحري حواصل ومخازن، كما أنشأ إلى جانبه من الناحية القبلية تجاه قيسارية عبد الباسط «بحارة العلبية» فندقًا فوقه مساكن وربعًا[1]، جعل بابه من أول حارة الروم وبأسفل ذلك دكاكين ومحلات واشترط في وقفيته صرف ما يتحصل من إيجار هذا العقار في مصالح المسجد، وبعد تجديده وعمارته على هذا النحو افتتح رسميًّا للصلاة والدرس في شوال من هذه السنة.

وصف المسجد

وقد أدركنا هذا المسجد إلى سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)، وفيه حاجز خشبي يحجز إيوانه الشرقي، وبئر ومزيرة في طرف صحنه من الجهة القبلية، وكنا نصل من بابه البحري إلى باب صغير شرقي، ومنه إلى رحبة بجدارها البحري حمام ومخزن مياه، وإلى جانبه باب يؤدي إلى بركة المياه والخلاوي باجتياز حوالي ست درجات، وما برح أن تغير هذا الشكل منه بعد هذا التاريخ، كما أزيلت المقصورة فظهر من خلفها الإيوان الشرقي بمحرابه ومنبره، وأزيلت البئر والمزيرة وسد فمها، وأحدثت به دورة مياه بمرافق حديثة، وفتح لها باب من طرف الإيوان الشرقي محاذيًا للباب البحري، وسد بابها الآخر وبقي الباب الثاني كما هو، وأزيل المخزن والحمام من الرحبة، فامتدت الدرجات الصغيرة بمساحة ما أزيل من ذلك، وفي شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٩هـ)/ ديسمبر (١٩٤٠م) أجرت وزارة الأوقاف في هذا المسجد عمارة تناولت قلع أحجار أرضية الصحن والأواوين الأربعة، واستبدالها بأحجار جديدة لقدمها وتآكلها، كما أجرت به عدة إصلاحات أخرى.

والداخل إلى هذا المسجد من بابه الغربي وهو الباب الأثري يجد في مقابله الإيوان الشرقي، وبه بلاطان تحملهما عقود مرتكزة على أساطين، ويكتنف صحنه قاعدة مرتكزة على أساطين، وفي مؤخر الإيوان القبلي درج يؤدي إلى سدة للتبليغ ومنها إلى المئذنة، ويتوسط إيوانه الغربي باب إلى جانبه مقاعد استراحة لمدرسي المسجد وإمامه وسدنته، وواجهته الغربية تطل على الشارع وفوقها مساكن ولها شرفات.

وفي الجانب الأيسر من الواجهة الغربية سبيل فوقه مكتب بشرفة ذات عقود تحملها أسطوانة وبابه الصغير بأول حارة خوشقدم وللسبيل شباكان أحدهما بالشارع والآخر بأول الحارة ويكتنفهما إسطوانتان من رخام وقد كان السبيل والمكتب مستعملين في الزمن الذي أدركنا فيه حالة هذا الجامع على ما ذكر، والواجهة البحرية وفيها الباب

(١) أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية**، مج. ١: ٥١٧– ٥١٨.

البحري تطل على حارة خوشقدم(١)، وهو الآن مقام الشعائر على هذا الوصف ولم تحدث به عمارات تذكر بعد هذا التاريخ إلا ما قدمناه آنفًا(٢).

مزار الشيخ السدار بحارة الروم

وبأسفل حده الشرقي من الجهة «القبلية» داخل عطفة الروم «العقاد بك سابقًا» غرفة لها باب، داخلها ضريح للشيخ عبد العظيم بن ناصر بن خلف المصري المعروف بالسدار، ترجمها ابن إياس في تاريخ مصر، قال: «كان يبيع السدر بحانوت بجانب زاوية سام بن نوح بسوق المناخليين، ولد سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، وتوفي في ربيع الأول سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، ودفن بزاوية بالسوق المذكور وقد ظهر لك فيما مر تسمية هذه المنطقة بهذا الاسم»(٣).

وزاوية سام هي مسجد الشيخ عبد الله البنا الشافعي(٤)، التي تعرف الآن بزاوية العقادين بحذاء سبيل محمد علي تجاه الموضع السابق لباب زويلة المزدوج قبل نقله إلى مكانه الحالي(٥)، والدار هذه غير الدار الموقوف بزاويته بحارة الروم السفلى [انظر هذه الزاوية].

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى والثانية بأسكفة البابين الغربي والبحري، كل منها في ٤ أسطر ونص ما فيها:

المذكرة الأولى

البسملة... لا إله إلا الله محمد رسول الله جدد هذا المسجد المبارك وقصد به الثواب من الملك الوهاب الفقير إلى الله الحاج أحمد كتخدا مستحفظان خربطلي في شهر رمضان سنة ١١٤٨

(١) يذكر علي مبارك أن للمسجد ثلاثة أبواب أكبرها الباب الذي بشارع العقادين، ويصعد إليه بدرج، والبابان الآخران بحارة خوشقدم، وله منبر من الخشب النقي، ومنارة مرتفعة، وبصحنه صهريج، وبه حنفية ومطهرة وبئر، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ١٢٥.

(٢) يذكر علي مبارك أن الشعائر مقامة في المسجد في عصره من ريع أوقاف مرصودة عليه تدار بواسطة وكيل الناظر الشيخ أحمد البشاري، ويتبعه سبيل موقوف عليه بنظر الست نفيسة، انظر: المرجع السابق: ١٢٥.

(٣) زاوية السدار بحارة الروم (الديلم) بالقرب من باب زويلة، دفن بها الشيخ الصالح سيدي عبد العظيم السدار؛ حيث كان يبيع السدر، ثم انقطع في بيته، إلى أن مات سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)، وكان مولده بعد العشرين والثمانمائة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٢٦؛ الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ٢٩٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٣٩؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٨٥.

(٤) ابن البناء: محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرئ، سمع من القاضي مجلي وأبي عبد الله الكيزاني وغيرهما، وحدث وقرأ القرآن وهو بهذا المسجد، ومات سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٤م)، وكان يعرف خطه بخط بين البابين، ثم خط الأقفالين، ثم عرف بخط الضببيين، وباب القوس، ويعرف الآن بخط المناخليين؛ لأن هناك سوق المناخل، وبخط العقادين لعقد الحرير هناك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٠٩؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٨٤.

(٥) زاوية سام بن نوح: بداخل باب زويلة بجوار سبيل العقادين، بابها تجاه سوق القطن بالمؤيد، على يمين السالك من باب زويلة إلى الأشرفية، بها منبر وخطبة، وشعائرها مقامة من أوقافها تحت نظر الحاج محمد المغربي، ذكرها المقريزي في المساجد بعنوان مسجد ابن البناء، داخل باب زويلة، وهو اليوم يعرف بزاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المناخلية (جزء من شارع المعز)، بالقرب من جامع المؤيد شيخ داخل باب زويلة، انظر: المرجعين السابقين: ٧٠٨، هامش ٤؛ ٨٤؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٧٩-٨٠.

المذكرة الثانية

البســملة... جدد هذا المســجد المبــارك وقصد به الثواب من الملك الوهاب الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتخدا مســتحفظان ســابقًا في شهر رمضان سنة ١١٤٨

المذكرة الثالثة: بأسكفة شباك السبيل الغربي في أربعة أسطر:

البســملة... أنشــأ هذا الســبيل المبارك الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتخدا مســتحفظان سابقًا خربطلي وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في شهر رمضان سنة ١١٤٨

مجدد هذا المسجد ومنشؤه

وسنذكر المنشــئ الثاني للجامع مرة أخرى إذا وصلنا إلى جامع النائب ســودون من قصروه لدفنه به سنة (٨٧٣هـ/ ١١٤٩م)[١]، أما الظافر المنشــئ الأول فهو الذي تولى الخلافة مــن ســنة (٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م)، وفي عهده بدأت الحملة الصليبية الثانية تغير على الممالك الإســلامية رغم محاربة زنكي ونور الدين لها وصدهــا غير مرة، وقد كان ظلها أخــذ يتقلص من الــشرق ولكنهم حينما أحســوا الضعف من المســلمين بــدأوا يعاودون الكــرة فجمعوا جنودهم وحشدوا الجيوش وقصدوا المسير إلى الشرق وكانت هذه الحملة تتألف من دولتين كبيرتين هما ألمانيا وفرنســا، الأولى كان يتولى قيادتها كونراد الثالث ملك ألمانيا والثانية يتولى قيادتها لويس الســابع ملك فرنســا فســار كلاهما بجيوش جرارة إلى الممالك الإسلامية بديار الشام فاحتلوها وعاثوا فيها وتم لهم الاستيلاء على كثير من المدن والسواحل وربطوا بمدينة عســقلان وكان هذا يحصل على مرأى من الظافر ومسمع منه وهو لا يأبه له لضعف الخلافة الفاطمية آنئذ وقرب ذهاب دولتها وما برح أن قتل في ســنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) وتولى بعده ابنه الفائز عيسى[٢].

(١) الأمير سودون القصروي قصروه من تمراز: نائب الشام، خدم بعد أستاذه في بيت السلطان ثم صار خاصكيًّا، ثم من الداوادارية الصغار في دولة إينال، ثم أمير عشرة في أيام خوشقدم، فلما ولي خجداشه خير بك القصروي نيابة غزة استقر عوضه في نيابة قلعة الجبل إلى أن قدمه يلباي بالبذل، ثم عمله الأشرف قايتباي رأس نوبة النوب ثم عينه لتجريدة سوار فجرح في الوقعة، وحمل إلى حلب فمات بها في سنة ثلاث وسبعين وقد قارب السبعين، وكان جماعًا للمال بخيلًا، وهو صاحب السبيل والمدرسة التي بحارة الباطلية والجامع الذي هناك، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٨٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٥.

(٢) أبو المنصور إسماعيل الملقب بالظافر بأمر الله: تولى الخلافة بوصية من أبيه الحافظ لدين الله ابن المستنصر في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقتل على يد الوزير عباس بن تميم وولده نصر الدين، ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة، قضى في الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر، وكان سنه حين قتل إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ١٩٣-٢١٠؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ١٤٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٨٥- ٨٧.

مسجد طلائع بن رزيك

أثر رقم ١١٦ (سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)

هذا المسجد بقصبة رضوان (خط الوزانيين سابقًا) خارج باب زويلة[١]، أنشأه الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الفائز بنصر الله، وكملت عمارته في سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)[٢]، وقد راعى منشئه في نظام بنائه الذوق الفاطمي الذي أتى به الفاطميون من المغرب فأكثر من الزخارف الجصية، وبنى له مئذنة مربعة استمرت إلى أن سقطت في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) وأعيدت بطراز آخر[٣].

وقد بقي هذا المسجد من عهد إنشائه متماسكًا حافظًا لوضعه، فلم تتوال عليه تجديدات تستحق الذكر، بيد أن الملك المعز أيبك التركماني أمر في سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م)، بإقامة الجمعة في المسجد بعد أن كانت بطلت منه لتطرق الخراب إليه، وقد جدد ما وهن من جدره وسقفه وأروقته وأبهائه لهذه المناسبة، وافتتحه بعد هذا التجديد بالصلاة فيه وخطب به وبالمصلين المحتفين الشيخ أبو بكر الأسعردي[٤].

وفي سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) تصدى لتجديد بعض مفرداته الأمير بكتمر الجوكندار[٥] (ماسك الصولجان) من

(١) تنسب هذه القصبة إلى الأمير رضوان بك الفقاري الجركسي أمير الحج المصري في القرن الحادي عشر الهجري، أنشأها في سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م)، وجعل بها مجموعة من الدور والحوانيت المجاورة لباب زويلة، والتي أراد رضوان بك أن يحاكي بها القصبة القديمة بالقاهرة وأعظم أسواقها، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦:٧٧-٧٨.

(٢) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٥١، ٢٥٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٢٩٣.

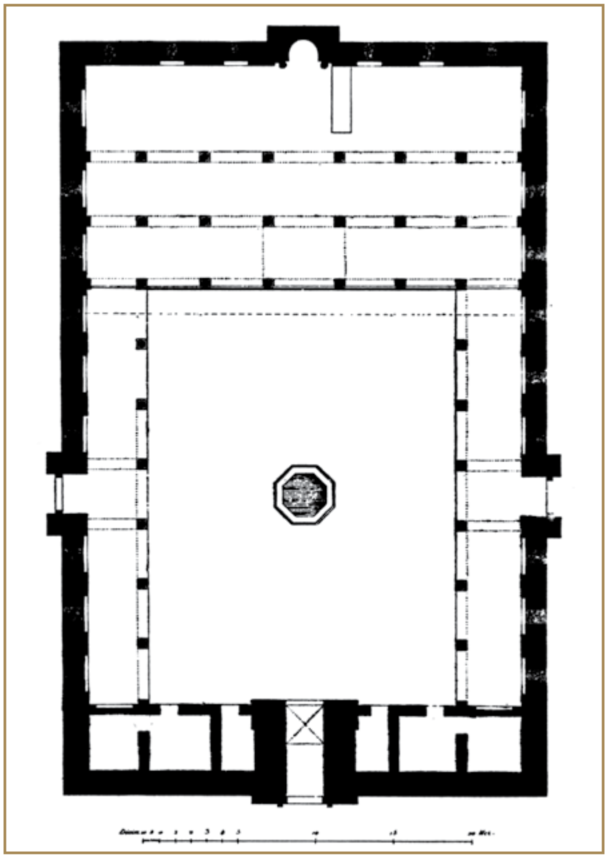
(٣) عن بناء الجامع وأهم مميزاته المعمارية والزخرفية، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٩٨-٩٩؛ R.L. Devonshire, *Some Cairo Mosques and their Founders* (London, 1921): 1-3; K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. 1: 275-288.

(٤) وقد أقيمت به صلاة الجمعة في أيام المعزية «المعز أيبك» في سنة بضع وخمسين وست مائة وذلك بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادراني، وخطب به الشيخ أصيل الدين أبو بكر الإسعردي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٦٨.

(٥) تقرأ بالإعجام والإشكال جُوكَنْدار، والعامة تقول جكندار، وهو الذي يحمل جوكان السلطان أثناء لعب الكرة والصوالجة التي تعرف الآن باسم البولو ، والجوكان: المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان ايضًا، انظر: القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، مج. ٥ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٢): ٤٥٨. وكانت الجوكان عصى مدهونة طولها نحو أربع أذرع وبرأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد عن نصف ذراع. من تعليقات محمد مصطفى زيادة على كتاب المقريزي، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١، ج. ٢: ٤٣٥، هامش ١.



منظر عام لجامع الصالح طلائع
«عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع الصالح طلائع «عن كريسويل»

أمراء الدولة الناصرية[١]، فجدد شرفاته الجصية وأبدل منبره بآخر وقوم أساطينه، ويقول المقريزي: «إن له فيه تجديدات أخرى في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) على أثر تزلزل المسجد بسبب ما نكبت به القاهرة من حادث زلزال شـديد»، وقد أشار إلى حدوث هذه الزلزلة وتصدع المسـجد منها في حوادث شـهر ذي الحجة من هذه السنة، و«كان الشاد أي الملاحظ على عمارته الأمير علم الدين سنجر»[٢].

وفي سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) اتجهت عناية الأمير يشبك من مهدي الدوادار إلى هذا المسجد فأمر بإزالة كتلة المباني التي كانت تحجبه، ثم أظهر ما كان مطمورًا من أسفل وجهته الغربية تحت طبقة من الأرض، وكشـف عن درج المسجد بالباب البحري الذي كان محجوبًا بوكالة عرفة الزيات[٣].

ثم ما برح المسـجد على ما جدده يشبك حتى طغت عليه المباني مـرة أخرى فحجبته من جميـع نواحيه فبقي كذلـك إلى سـنة (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، فانتزعت ملكية هذه المبـاني من كل جوانبه وأصلح مـا كان متخربًا من أواوينه حتى صار بعد هذا التجديد صورة مما كان عليه بالأمس[٤].

وقـد ظهر فيه الفـن المغربي الفاطمي ظهـورًا جليًّا فوجهتـه الغربية تشـتمل على رواق أو مجنبـة محمولة على أساطين مرفوعة على أقواس معقودة مزخرفة بعقود فاطمية تشـبه من وجه قريب ما وجد مثلهـا في الجانب الغربي في المسجد الجامع بالفسطاط من آثار الفاطميين.

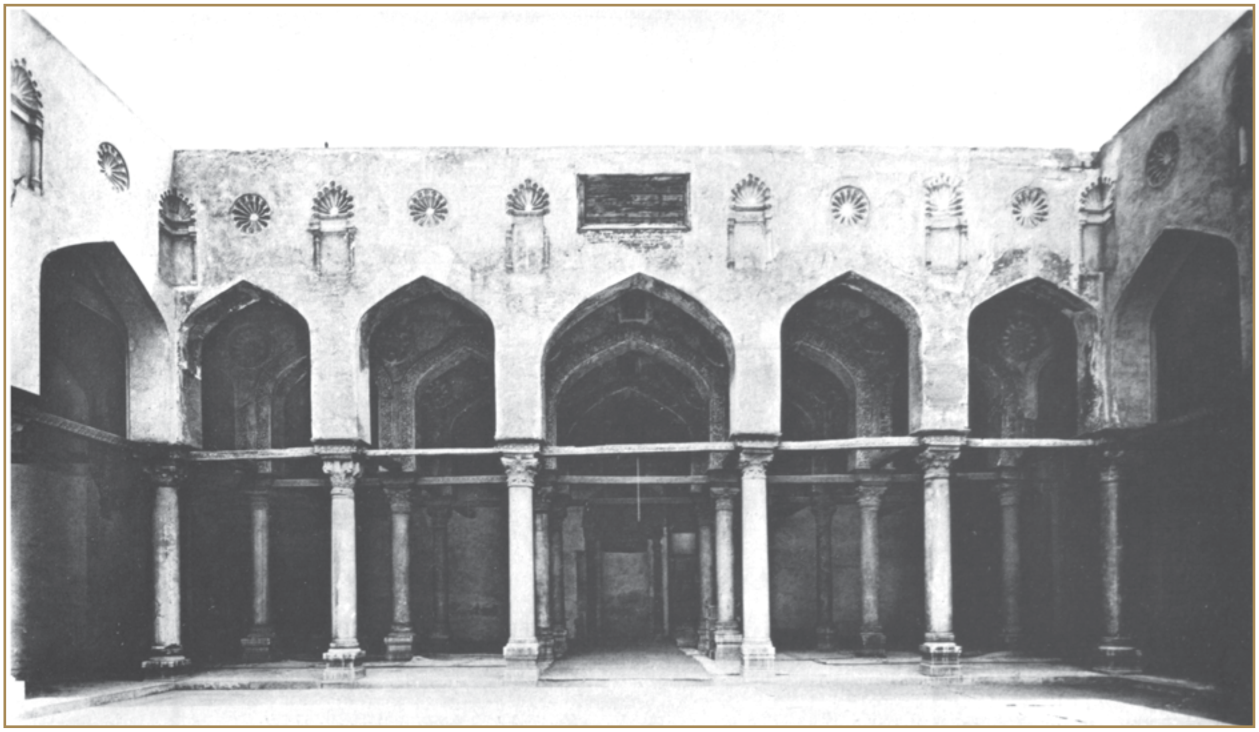
وتقدر مساحة هذا المسـجد بنحو ١٥٢٢متر ويحيط بالمجنبة المذكورة سـياج من الخشـب المشغول، وفي طرفي الواجهة المذكورة حجرتان لكل منهما شرفة وداخله يشتمل

(١) سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري السيفي أمير جندار الناصري، من أمراء الناصر محمد بن قلاوون، تصدى لطائفة الجند الأويراتية التي وفدت إلى مصر زمن العادل كتبغا والتي اجتمعت تريد قتل الأمير سلار وبيبرس الجاشنكير، نقل إلى قلعة الصبيبة نائبًا عنها، ثم تولى نيابة صفد، ثم أصبح نائبًا للسلطنة بالديار المصرية بعد عودة الناصر محمد من الكرك، قتله الأميران منكلي بغا وقجماس بإيعاز من الناصر سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، انظر: المرجع السابق، مج. ١، ج. ٣: ٨٨٣، ٩١٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٩٨-٤٠١.

(٢) «وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة، فعمر من الخاص السلطاني، وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر»، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١، ج. ٣: ٩٤٤.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٣٨.

(٤) عن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية بالمسجد، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٠٣.



داخل صحن جامع الصالح طلائع «عن كريسويل»

على صحن مكشـوف وأربعة أواوين في الشرقي منها المنبر والمحراب وبه ثلاثة أروقة محمولة على أسـاطين مقوسـة معقـودة ووجهـات أواوينه محمولة على أسـاطين بأقواس معقودة مزخرفـة وجميع شرفاته محـلاة بنقوش وزخارف كتابية وغيرها ولكل مـن واجهتيه الأخريين باب وليس له منارة الآن، وكانت منارته باقية حتى سنة (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) فهدمت لخلل بها[١].

وقد روعي في بناء هذا الجامع الوجهة الصحية، فأكثر منشئه من الشـبابيك في الإيوان الشرقي مع وجود الصحن، وذلك ليتضاعف الهواء ويتبخر وهي فكرة مقتبسة من نظام المسجد النبوي الذي وضعه له حضرة النبي ﷺ وقد تحققت فيها رغبته ﷺ في أكثر ما بني في مساجد الإسلام، والمسجد بهذا الوصف يعتـبر صورة من الأزهر الفاطمي وتظهر هذه الصورة في وضعه وأقواسه وأواوينه وزخارفه.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: في طراز بالخط الكوفي بالرواق الغربي خارج المسجد ونص قراءتنا لها:

البسملة...آيات كريمة من سـورتي النور والعصر البسملة: أمر بإنشـاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسـة فتى مولانا وسـيدنا الإمـام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة كاشف الغمة أمير الجيوش سـيف الإسـلام غياث الأنام كافل قضاة

(١) أزيلت المنارة الجديدة التي أضيفت على المسجد في سنة (١٩٢٦م) لحدوث خلل بها، انظر: المرجع السابق: ٩٩.

المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزي عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله..[١]

وتنتهي هذه المذكرة بالنص الآتي:

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين وعلى ولديه المكرمين الطاهرين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين[٢]

المذكرة الثانية: على المنبر:

أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالي الأميري الكبيري السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب

(١) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٣٣٥-٣٣٦؛ Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 74.

(٢) زاد عليها حسن عبد الوهاب وفرج الحسيني عبارة: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد»، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٠١؛ الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٣٣٥-٣٣٦.

المذكرة الثالثة: على المنبر أيضًا[٣]

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالي الأميري الكبيري سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة[٤]

منشئ المسجد

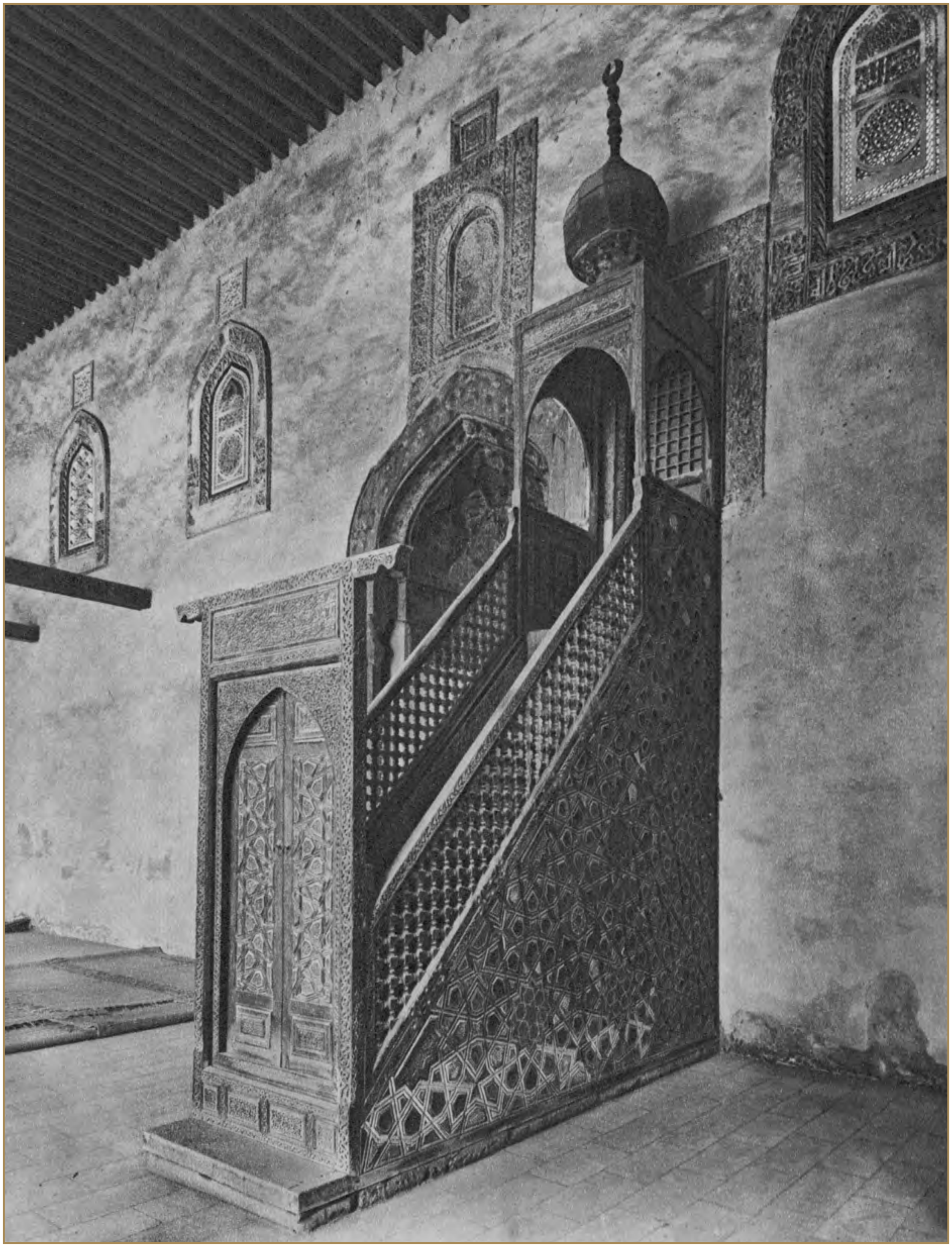
ومنشئ المسجد هو الملك الصالح الوزير طلائع بن رزيك-وزير الخلافة الفاطمية في عهد الفائز والعاضد-قدم إلى القاهرة واتصل بخدمة الحكومة وتقلب في عدة وظائف إلى أن فوضت له الوزارة في خلافة الفائز في ١٩ ربيع الأول سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، وكان وزيرًا جليلًا من خيرة وزراء الدولة الفاطمية وعالمًا له آثار علمية والتاريخ يضفي عليه آثارًا حسنة، مات في رمضان سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، ودفن بمسجده بالقرافة الكبرى على مقربة من جامع الأولياء «حوش أبو علي» ظاهر عزبة البساتين[٥]، وقد أفردته بالترجمة في تأليف مستقل يقع في عشرة أجزاء[٦].

(٣) حدد حسن عبد الوهاب مكان النص الأول بأعلى باب المنبر، والنص الثاني بأعلى جلسة الخطيب، وقد جدد هذا المنبر في سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٠١.

(٤) Van Berchem, "Matériaux pour un Corpus": 75.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٧٠؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٨٣، ٢٨٩- ٢٩٠، هامش ٤؛ وعن تربة الصالح وما جاورها من مقابر، انظر: ٢٩٢- ٢٩٣.

(٦) عن سيرة الصالح طلائع بن رزيك منشئ المسجد، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ١٦٨- ١٧٣؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٤٦-٢٥٣؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ١٤٩-١٥٧.



منبر جامع الصالح طلائع
«عن مساجد مصر»

وقد استعمل مسجد الصالح محكمة شرعية جزئية من ١٩ شعبان سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) إلى غرة ربيع الأول سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، وعدد سجلاتها ٧٥٨ وجد منها ٦٤ فقط، ولطلائع آثار معمارية فأنشأ منبرًا فخمًا للجامع العمري بقوص في سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)[١]، وفي سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) أنشأ مسجدًا على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر[٢]، وأنشأ المشهد الحسيني بعد حلول الرأس الكريم بقصر الزبرجد، وأنشأ داره بدرب الأسواني[٣]، ومنها بقية للآن[٤]، ودارًا أخرى لغلمانه غربي قصر الشوق الفاطمي[٥]، ودارًا أخرى بجزيرة الروضة وحبسه على الأشراف من بني الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وقف الأشراف

ولعل أكثر ما يضفيه التاريخ من حسنات على طلائع وقفه على الأشراف، فقد خرج عن مساحة (٣٧ ألف فدان) من أملاكه وقفها على الأشراف من بني الحسن والحسين بمصر والقاهرة وبالمدينة النبوية وخص من وقفه هذا سهمًا «قيراطًا» واحدًا من أربعة وعشرين قيراطًا على الشريف معصوم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين الشهيد ابن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٦].

الشريف المعصوم

كان الشريف المعصوم قد وفد على القاهرة في سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) في عهد الفائز واستقبله طلائع وأنزله منزلاً كريمًا ورد إليه جميله الذي صنعه معه أيام مروره على النجف بالعراق واستمر الشريف معصوم بالقاهرة ثم غادرها إلى النجف وما لبث أن عاد إليها بطلب من الخليفة الفائز ومات بمصر ودفن بحوطة جامع الأولياء بطريق البساتين[٧].

وإنه لمن دواعي الغبطة أن يبقى كتاب وقف طلائع على الأشراف محفوظًا عن العبث إلى اليوم، ثم يصل إلى

---

(١) فرج الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٣٢١.

(٢) هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة، ويعرف بمسجد الحلبيين، على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبًا البندقانيين، بني على المكان الذي قتل فيه الظافر على يد نصر بن عباس الوزير ودفن فيه تحت الأرض، فلما قدم الصالح طلائع ابن رزيك إلى القاهرة، استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله إلى تربة القصر، وبنى في موضعه هذا المسجد وسماه المشهد، وعمل له بابين، يوصل أحدهما إلى دار المأمون البطائحي، التي تعرف زمن المقريزي بالمدرسة السيوفية، وهو من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠.

(٣) درب الأسواني: ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن ابن هبة الله الأسواني المعروف بابن عتاب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٠٨.

(٤) دار الصالح طلائع: كانت هذه الدار بحارة الديلم قريبًا من السجن، وكانت دارًا للصالح، يسكنها وهو أمير قبل أن يلي الوزارة، بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وما زالت باقية إلى أن خربها الأمير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قيماز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وبناها على ما هي عليه الآن، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٢١٨؛ أبو العمايم، أسوار مدينة القاهرة وخططها - سور جوهر، **حوليات إسلامية** رقم ٣٦ (القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ٢٠٠٢): ٥٠- ٥١.

(٥) قصر الشوق: كان منزلاً لبني عذرة قبل القاهرة، يعرف بقصر الشوك، وهو الآن أحد أبواب القصر، والعامة تقول قصر الشوق، وأدرك مكانه المقريزي دارًا استجدت بعد الدولة= الفاطمية، هدمها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، في سنة إحدى عشرة وثمانمائة لينشئها دارًا فمات قبل ذلك، وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق «الصلاحي»، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٤٣.

(٦) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٧٢.

(٧) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٧١- ١٧٣، ٢٩٣- ٢٩٤.

مؤلف هذا الكتاب نسـخة منه مصورة عن الأصل المودع بحفظ شرعية مصر، وهو مؤرخ في مسـتهل جمادى الأولى سنة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)، وفيه أن طلائع اشترى ما مساحته ٣٧ ألف فدان بمديرية القليوبية بجهات بلقيس وبهتيت وكوم شبين وسرياقوس وكفر العزيزي وكفر الهوا وناي والمحجة، ونفذ له عقد الشراء القاضي سـناء الملك، قسـم مستغله أثلاثـًا، الثلث للأشراف من بني الحسـن وبني الحسـين بالقاهرة ومصر صحاح النسـب، والثلث لأشراف المدينة النبوية، ومقدار ذلك ١٦ سـهمًا، والسهم الباقي وهو الثلث الأخير للشريف معصوم المذكور نسبه في كتاب الوقف بما قدمناه، واشـترط أن يؤول ذلك لأولاده على تعاقب الزمان إلى آخـر ما ذكره في هذا الـشرط، والكتاب في نحو أربعين ورقة من الورق الشـامي الكبير ومكتـوب بالخط الديواني الفاطمي وهو الخط المنسـوب ومؤشر عليه أكثر من تأشيرة تتضمن هذه التأشيرات تنفيذه وتسجيله وآخر ما ورد منها في أواسط القرن العاشر الهجري(١).

وقد ظل وقف طلائع على الأشراف منفذًا طبق شرط الواقف حتى سنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، وحين آلت ولاية مصر إلى عبد الرحمن باشـا الوالي العثمـاني وكانت مصر في ذلك الوقت تعاني مسغبة شديدة؛ إذ عدمت فيها الأقوات وشحت حتى بلغ سـعر الأردب من القمح ١٨٠ قرشًـا، والشعير ١٢٠ قرشًا، أصدر أمرًا بإيقاف الصرف للأشراف، واستغل أموال الوقف في سد الحاجة التي أنتجها الغلاء، واستمر الوالي منه الشقة المفروضة له، ثم خلفه المرحوم عثمان باشا وكان هذا الوالي من المشهود له بالاستقامة وحب العدل والإنصاف(٢)، فعقد الأشراف مجلسًـا تعاهدوا فيه على أن يقدموا للوالي عرضًا يطلبون فيه إعادة الـصرف وتنفيذ الوقف، وإذ ذاك أمر الوالي بعقد مجلس مؤلف مـن قاضي القضاة، ونقيب الأشراف، وقاضي العسـكر، ولفيف من علماء الإسلام، والألوية السـلطانية، وأغاوات البلوكات، ودفتر دار مصر، وأمـير الحج، وكتخدا الجاويشـية، ومتفرقة بابين، وغيرهم مـن أصحاب الوظائف والأعيان، وتـولى صدارة المجلس العـالي المذكور فجمع مـدعي الأشراف، فأمـر بإحضار كتاب الوقـف، فأمر بقراءته، فقـرأ بالمجلس على رءوس الأشـهاد، وعلم شرط الواقف، فأمر بأن يصرف للأشراف ما عـني لهم صرفه بكتاب الواقـف تنفيذًا للشرط الذي هو كنص الشـارع، على أن يكون التوزيع عليهم من أول سنة (١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)، وقد عزل هذا الوالي بعدها بعام بعد أن قضى في الحكم ثلاث سـنوات على غير المتبع في نظام الحكم، وهذا ما حققته الوثيقة رقم ١٢٥١ المدونة بالسجل رقم ١٦٧ من محفوظات شرعية(٣).

---

(١) عن وثيقة وقف الصالح طلائع، انظر: Claude Cahen, Ragib Yūsuf, et Mustafā Anwār Tahir, "L'achat et le waqf d'un grand domaine égyptien par le vizir fatimide Talāī b. Ruzzīk", *Annales Islamologiques* (AnIsl), no.14 (1978): 59-126.

(٢) الملواني، **تحفة الأحباب**: ١٥٢– ١٥٣.

(٣) وثيقة الصالح طلائع محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة رقم ١/١، ومؤرخة في أول جمادى الأولى سنة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)، وهي أقدم وثيقة والوحيدة الباقية من العصر الفاطمي، وهذا النص صورة من الوثيقة الأصلية نسخت في سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٤م)، وتوجد منها نسخة بالمكتبة التيمورية مودعة بدار الكتب منسوخة في نهاية القرن التاسع عشر ومحفوظة برقم ١٤٣٠ تاريخ والتي نشرها كلود كاهن ويوسف راغب ومصطفى أنور طاهر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٧٢، تعليقات المحقق أيمن فؤاد سيد على المتن.

وقد تتبعت هذا الوقف ومآله، فوجدت أنه استمر يؤدي رسالته حسب شرط الواقف حتى استولى محمد علي الخديو الأول لمصر على الموقوف من أعيانه وأحلها وعوض الأشراف ما يصرف لهم اليوم وهو مبلغ (٥٦١٩ قرشًا) فائض بلقس وتوابعها من نقابة أشراف مصر.

والشريف المعصوم المذكور من أشراف الحائر وله ذرية بالبحيرة والمحلة وانتسب إليه من أهل مصر السيد سليمان البلغي، وكان يتنظر على هذا الوقف في سنة (١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)، وهو ابن سالم بن مصطفى بن علي بن مصطفى بن علي بن مصطفى بن علي بن عاشور بن خضر بن هبة الله ابن نجم الدين محمد أبي القاسم بن أحمد بن هبة الله ابن السيد المعصوم المذكور، رأيت هذا النسب في كتيب للسيد منصور الحسني بن إبراهيم [المتوفى سنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)]، وهو الذي كان يصرف له فائض ريع بلقس كما هو معروف لورثته الحاليين، وقد توسعت في ذكر تفاصيل هذا الوقف في كتابي المشار إليه آنفًا.

وكتاب الأشراف الذي تحدثنا عنه، مضافًا إليه مخلفات داره بدرب الأسواني بالقاهرة، هما كل ما بقي لنا من آثاره باستثناء المسجد الذي هو صورة ظاهرة من آثاره إلى ما هو ظاهر منها مما تحدثنا عنه آنفًا.

والمسجد[١]،[٢] الذي أشرنا إليه من قبل، فيه آثار طلائع هو من المساجد الإسلامية الأولى التي بناها العرب الفاتحون في الأقاليم وتعاهده المسلمون بعد ذلك حتى قام طلائع بتجديده وأودع به هذا المنبر التحفة الشائقة الرائعة[٣]، ويحمل هذا المنبر مذكرة تاريخية قرأنا فيها ما يلي:

البسملة... ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة أمر بعمل هذا المنبر المبارك الشريف مولانا وسيدنا الإمام الفايز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين على يد فتاه وخليله السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة كاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الإنام كافل قضاة المسلمين

(١) مدينة قوص: وردت عند الإدريسي، وقوانين ابن مماتي، معجم البلدان، وتحفة الإرشاد، من مدن الصعيد الأعلى، وهي مدينة كبيرة، بها منبر أي (جامع فيه خطبة) وأسواق جامعة، والمسافرون إليها كثيرون، والبضاعات بها نافقة، والمكاسب رابحة، والبركات ظاهرة، وشرب أهلها من ماء النيل، عمرت بعد خراب قفط سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، وكانت رأس أعمال القوصية في العصر الفاطمي، إلى آخر أيام المماليك، وفي العصر العثماني انضمت لولاية جرجا، ثم انضمت لإقليم قنا في سنة (١٨٢٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٣٦؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٤: ١٨٨-١٨٩.

(٢) المسجد العمري بقوص: يرجع تاريخ بناء المسجد إلى عام (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠- ١٠٨١م) من عهد الخليفة المستنصر بالله ووزيره بدر الجمالي والأمير سارتكين الجيوشي والي الصعيد في تلك الفترة، وذلك حسب النقوش التأسيسية التي عثر عليها بالمسجد، انظر: الحسيني، **النقوش الكتابية**: ١٧٩-١٨٣.

(٣) عن منبر مسجد قوص، انظر: حسن عبد الوهاب، «طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر»، **المعهد العلمي** ٣٨ (١٩٥٧): ٨. Edmond Pauty, "Le minbar de Qous", *Mélanges Maspero*, vol. 3 (Cairo, 1940): 41-48.

وهـــادي دعاة المؤمنين عضد الله بـــه الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته في سنة خمسين وخمسمائة[١]

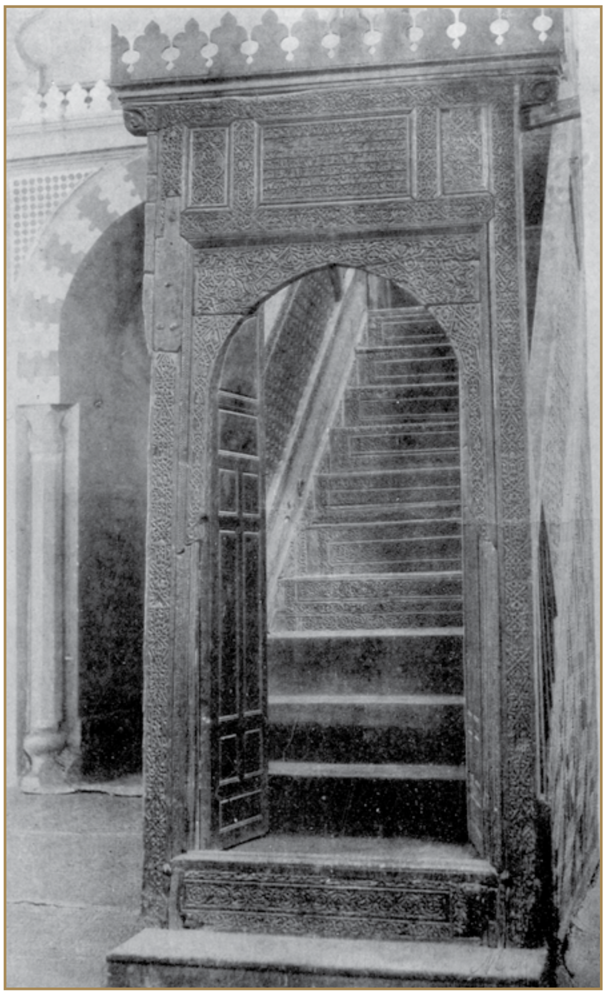
ووجدت بهذا المسجد مذكرة أخرى[٢]، بأحد جوانبه الشرقية وقرأنا فيها هذا النص:

البســملة. وصــلى الله على محمــد وعلى آل بيتــه الطاهرين الطيبين أمر بتجديد هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى مبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الناصري الفخري في شهور سنة ثمان وستة وخمسماية

وقد تناول تجديد ابن منقـــذ فيما يبدو من طابع هذا التاريـــخ للقبة الحالية، وتقوية بعض مـــا وهن من جدران المســجد، وابن منقذ المذكور هو الأمير ســيف الدولة كان يتولى نيابة الملك على اليمن للملك المعز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادي، وله تجديد آخر في مســـجد النشرتي بحكر ابن منقذ ظاهر القاهرة ويحمل هذا النص ذاته «انظر هذا المسجد»[٣].

كما وجدنا بالمسجد مذكرة أخرى للأمير محمد كاشف زاده قهوجي باشا من كشاف قوص ونص المقصود منها:

جدد هذا المحل وما اشــتمل عليــه الجامع العتيق بمدينـــة قوص حـــضرة الجناب المكـــرم محمد كاف قهوجي كاشــف مدينة قوص راجيًا الثواب الجزيل من المولى الجليل، في ســـلخ شـــهر ذي الحجة ختام سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف للهجرة النبوية



منبر جامع الصالح طلائع بقوص «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) الحسيني، **النقوش الكتابية**: ٣٢١.

(٢) هناك نص كتابي آخر، يقع بصدر المنبر على واجهة جلسة الخطيب لم يشِر إليه مؤلف المزارات، نصه: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»، انظر: المرجع السابق؛ Pauty, “Le minbar de Qous”: 46.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٠٠–٤٠١.

مشهد الخليفة الظافر

(سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)

ذكرنا فيما تقدم أن طلائع عمد بعد مصرع الظافر إلى تحويل المكان الذي قتل فيه إلى مشهد، وقد بقي هذا المشهد إلى يومنا بأسماء متغايرة، فعرف أولاً بالمشهد ثم بجامع الحلبي أو الحلبيين، ثم بالمدرسة القادرية، وهو الآن باسم الجوهري، ولتحقيق هذا الأثر من آثار طلائع نذكر ما يلي[1]:

- **مسجد الحلبيين «الزاوية القادرية جامع الجوهري»**: ذكر المقريزي هذا المسجد في كتابه الخطط، ووضعه فيما بين سوق باب الزهومة[2]، وبين درب شمس الدولة[3]، على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبًا البندقانيين، وأفاد أنه بنى على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر، فلما قدم طلائع بن رزيك من الأشمونيين إلى القاهرة استخرج الظافر من هذا الموضع، ونقله إلى تربة القصر، وبنى موضعه هذا الجامع وسماه المشهد[4]، وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود الآن، والباب الثاني كان يتوصل منه إلى

(١) وقد دخل هذا المسجد في أرض المدرسة السوفية التي حل محلها الآن الجامع المعروف بجامع الشيخ مطهر، الذي عمره عبد الرحمن كتخدا القازدوغلي سنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م)، والواقع على يسار الداخل في شارع المعز من جهة شارع جوهر القائد بجوار محل السرجاني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٩؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٦٥.

(٢) باب الزهومة: كان في آخر ركن القصر الفاطمي مقابل خزانة الدورق التي هي اليوم خان مسرور، وقيل له باب الزهومة، لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذي للحوم إنما تدخل من هذا الباب، فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر، وكان اتجاهه درب السلسلة، وموضعه قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية، تجاه فندق مسرور الصغير، أول شارع خان الخليلي على يسار الداخل من جهة شارع القمصانجية من شارع بين القصرين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٣١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٦، هامش ٢.

(٣) درب شمس الدولة: كان قديمًا يعرف بحارة الأمراء، ثم تغير اسمه في زمن صلاح الدين؛ حيث سكن في هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه فعرف به، وهذا الدرب من أعمر أخطاط القاهرة، به دار بن عباس الوزير وجماعة، ولا يزال يعرف باسم حارة شمس الدولة فيما بين شارع السكة الجديدة، وشارع الحمزاوي الصغير، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٠٨-١١١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٢، هامش ٢.

(٤) المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ١٥٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٢، هامش ١.

دار المأمون البطائحي[١]، التي هي اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سد هذا الباب[٢].

ثم استطرد يقول: «وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد إلى أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل بن سلطان بن عمار بن تمام أبو عبد الله الحلبي الجبري المعروف بالخطيب، ثم أرخ وفاته في سادس عشر جمادى الآخرة سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، ودفن بمقابر باب النصر»، وختم ما ذكره بقوله، «وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها»[٣].

وذكره السخاوي في «تحفة الأحباب» فنقل عبارة المقريزي المتقدمة وعقب عليها بقوله: «وقد أقام بهذا المسجد الشيخ الصالح عز الدين أبو العز محمد المدعو عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن محمد بن علي ابن أحمد بن عبد الله بن أبي حفص بن الشيخ عمر العارف حياة بن قيس الحراني أحد أصحاب القطب العارف محيي الدين عبد القادر الكيلاني»، ثم ذكر نسبه إلى أمه السيدة زينب بنت ظهير الدين بن عماد الدين بن أبي صالح نصر بن الشيخ أبي بكر عبد الرازق بن عبد القادر الكيلاني، وأنه ولي نيابة التكلم عن السادة الأشراف أولاد سيدي عبد القادر على الفقراء القادرية، وأرخ وفاته في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، قال : «ودفن داخل مقصورة هذا المسجد»، ثم خلص من ذلك إلى ذكر المدرسة السيوفية التي تجاور هذا المسجد[٤].

وذكره السخاوي الآخر في «الضوء اللامع» في ترجمة عز الدين هذا وسماه بجامع الطواشي، وبالمدرسة القادرية، والطواشي هو زين الدين عبد اللطيف الحبشي مقدم المماليك، وكانت لي صلة بالشيخ عز الدين وسلك على يده بالطريقة القادرية، مات في صفر سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)[٥].

وذكره الجبرتي في ترجمة الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الجوهري المتوفى سنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، قال: «وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل، ودفن بالزاوية القادرية»[٦].

وقد ورد ذكر هذا المسجد في مجموعة من الوثائق الوقفية منها كتب أوقاف الملك المنصور قلاوون المؤرخ أولها بالتاسع والعشرين من رمضان سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)

---

(١) دار المأمون البطائحي: كانت بجوار درب السلسلة، عرفت قديمًا بدار قوام الدولة حبوب، ثم أصبحت سكنًا للمأمون ابن البطائحي، ثم عرفت بعد ذلك بسكن الوزير عباس وزير الفائز بنصر الله، ثم جددها المأمون محمد بن فاتك، وهي اليوم المدرسة السيوفية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٦٠؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٨٨، ١٤٧؛ هامش ٣١٨، ٥٠٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٢٩٠، هامش ١.

(٢) المدرسة السيوفية: هذه المدرسة بالقاهرة، وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله، وقفها السلطان صلاح الدين على الحنفية، وقرر في تدريسها الشيخ مجد الدين الجبتي، وعرفت بالسيوفية من أجل سوق السيوفيين الذي كان حينئذٍ على بابها، وأصبحت في زمن المقريزي تجاه سوق الصنادقيين، وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بمصر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٠-٤٦١.

(٣) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠.

(٤) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٨١-٨٣.

(٥) عبد العزيز بن محمد بن محمد بن العز بن البدر الحراني الأصل القاهري الشافعي القادري شيخ الزاوية التي اشتهرت به في باب الزهومة، ووالد عبد القادر ومحمد، وربيبه المحب القادري، كان شيخًا مبجلاً معتقدًا قائمًا بوظائف العبادات والأوراد، تسلك به جماعة يقال إن الشريف المناوي منهم، وصارت له وجاهة، لقي خلقًا فيهم غير واحد من ذرية الشيخ عبد القادر فأخذ عنهم، مات في جمادى الثانية سنة تسع وثلاثين، عن ثلاث وستين سنة، ودفن بالزاوية المشار إليها، وكان أقام بها دهرًا، وحج وجاور غير مرة، وزار بيت المقدس، ويقال إنه كان من أخصاء الوالي العراقي رحمه الله، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٣٣.

(٦) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٤٩٣.

إلى ٢٤ رجب سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، وكتاب وقف الخوند طغاي أم أنوك زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون المؤرخ في ٢٣ ربيع الثاني سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وكتب أوقاف الملك الأشرف برسباي المؤرخ أولها في ٢٧ جمادى الثانية سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، وثانيها في ٢ رمضان سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) (١٥/٩٢) وكتاب وقف جمال الدين الذهبي المؤرخ في ٥ رمضان سنة (١٠٥٢ هـ/ ١٦٤٢م)، وهو صاحب السبيل والمكتب والوكالة على رأس حارة العدوية بين باب المشهود المسدود بين باب سر الدار المأمونية.

وكتاب أوقاف المرحوم الأمير عبد الرحمن كتخدا المؤرخ أولها في ١٨ ربيع الأول سنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) رقم ١٧٠، وثانيها في ١٣ صفر سنة (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) رقم ٤٢٧، والأول منها هو الكتاب الجامع لكل ما عمره وأنشأه وبناه من مساجد وسقايات وأحواض وغيرها بالقاهرة وظواهرها، إلى كتاب وقف السيد عز الدين القادري دفين هذا المسجد، إلى كتب الجوهرية ومنها كتاب وقف محمد أمير هادي الجوهري ٢٠ ذو الحجة سنة (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، وكتب أوقاف أبو المعالي الجوهري وأولها محرر في سنة (١٢٧٢-١٢٧٤هـ/ ١٨٥٥-١٨٥٧م)، ومن مجموع هذه المصادر التاريخية والوثائق الوقفية إلى كتاب وقف المرحوم/ صلاح الدين المؤرخ ٢٩ شعبان سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، تحقق لي أن دار المأمون البطائحي كانت في إبان ظهورها تشغل مربعًا من الأرض حده الشرقي شارع السيوفية أو سوق باب الزهومة أو الخردجية حاليًّا[١]، والغربي درب شمس الدولة وحارة العدوية، والبحري خط الخشيبة أو شارع المقاصيص حاليًّا[٢]، والقبلي سوق القصاصين والحريرين ومبنى جامع الأشرف حاليًّا ومدخل شارع السكة الجديدة الغربي.

وكان سوق السيوفية أو باب الزهومة، يلتقي بالوراقين والصنادقيين والحريريين، والأول منها هو ما يسمى بشارع الأشرفية حاليًّا، والصنادقيين هو شارع السكة الجديدة من خط اصطبل الطارمة «شارع الشنواني»، حتى درب شمس الدولة «وهو ما يسمى بشارع جوهر القائد أخيرًا»[٣]، ودرب شمس الدولة أو حارة الأمراء، كان يشغل حيزًا من الأرض

(١) سوق باب الزهومة: كان موضعه سوق الصيارفة في العصر الفاطمي، ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة، إلى نحو رأس الحريريين، وسوق العنبر الذي كان يعرف بسجن المعونة، ويقابل السيوفيين إذ ذاك سوق الزجاجين، وينتهي إلى سوق= القشاشين الذي يعرف اليوم بالخراطين، فلما زالت الدولة الفاطمية تغير كل ذلك فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة إلى درب السلسلة، وبني فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلي المدرسة الصالحية يباع فيها الأمشاط بسوق الأمشاطيين، وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التي يباع فيها الأمشاط والصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين، وهم الذين يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه، وفي وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الأمشاطيين وسوق النقليين وجميع ذلك جار في أوقاف المارستان المنصوري، وكان من أجل أسواق القاهرة وأفخرها، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٢٣.

(٢) خط الخشيبة: كان يتوصل منه إلى وسط سوق باب الزهومة، ويسلك فيه إلى الحارة العدوية؛ حيث فندق الزمام برحبة بيبرس وإلى درب شمس الدولة، وقيل له خط الخشيبة من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس، وبنى على مكانه الذي دفنه فيه المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد الحلبيين، ويعرف بمسجد الخلفاء، نصبت هناك خشيبة حتى لايمر أحد في هذا الموضع راكبًا فعرف بخشيبة تصغير خشبة، وما زالت هناك حتى زالت الدولة وقام صلاح الدين بإزالة الخشيبة، وعرف هذا الخط بها إلى اليوم، ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام الذي هناك، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٨٥.

(٣) سوق الصنادقيين: تجاه المدرسة السيوفية، كان موضعه قديمًا من جملة البيمارستان، ثم عرف بفندق الدبليين، وقيل له الآن سوق الصنادقيين، وفيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة التي تعمل من الخشب، انظر: المرجع السابق: ٣٣٩.

حده القبلي قيسارية العنبر وخان الحمزاوي «التربيعة وشارع الحمزاوي العنبري»، والغربي سوق الصيارفة الكبير وسوق السمك)، أو البندقانيين سابقًا، والبحري حارة العدوية، والشرقي الدار المأمونية وسوق الصنادقيين.

ودار نصر بن عباس[١] والتي حل محلها المسجد المذكور وبيت الشيخ الجوهري كانت تقع بالجانب البحري من درب شمس الدولة، حدها البحري أملاك وشارع المقاصيص «خط الخشيبة»، والقبلي درب شمس الدولة، والغربي أملاك فاصلة بينها وبين خط البندقانيين «سوق الصيارفة الكبير»، والشرقي حارة العدوية ودرب شمس الدولة، وفي هذا الحد مدفن الظافر الذي عرف بالمشهد، وبه عرف المسجد الذي ترجم له، وهذا التحديد من واقع ما درسناه من هذه المستندات يحقق أن درب شمس الدولة كان أوسع مساحة من الموضع الحالي له.

وهذه الحدود لم تتغير على الطبيعة فدار نصر، ودار الجوهري حاليًّا تحمل ٨ من درب شمس الدولة «زقاق الجوهري»[٢]، حدها البحري منزل رقم ١٠ وقف عثمان كتخدا، وبعضه شارع المقاصيص وباقيه للمنزل رقم ١٤ ملك ورثة أحمد شلبي وبعضه الآخر لوكالة الملا، والشرقي بعضه لحارة العدوية وبعضه إلى وقف التحري وباقية للمشهد أو المسجد الحالي، والغربي بعضه لوكالة الملا وباقية للمنزل رقم ٧ ملك محمد الناضوري[٣]، والقبلي لمنزل تابع للخاصة الملكية وبالزقاق الجوهري «درب شمس الدولة» وبه الباب والواجهة.

وقد جعل الشيخ أبو المعالي هذه الدار لإيواء الفقراء والمساكين وإقامة الحفلات في المواسم والأعياد ولم يعدل الشيخ الجوهري في طبيعة الدار والمسجد إلا تعديلاً طفيفًا لم يؤثر على الطبيعة في تغيير شيء جوهري منها، ويتحقق لي من دراستي على الطبيعة وجود الباب الذي ذكر المقريزي أنه أحد بابي المشهد وأنه سُد، وهو كما ذكر وقد تجدد سده من الشيخ الجوهري منه ومن بعده وهو شارع في نهاية حارة العدوية تجاه باب سر الدار المأمونية.

ولا أريد الدخول في تفاصيل استشهاد الخليفة الظافر في المحرم سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، ودفنه بهذا المكان، ثم نقل الصالح طلائع بن رزيك لرفاته ودفنه بالتربة المصرية، فذلك ما فصل المقريزي الكلام عليه[٤].

بيد أني أقول إن هذه المدرسة بدأت تقام على جزء من دار المأمون البطائحي عند أول سوق باب الزهومة أو السير فيه إلى سوق الصنادقيين، وكان جانبها القبلي يضم مسجدًا معليًّا ومساكن لفقهاء الحنفية، وجانبها البحري إيوانًا وأروقة للسماع والدراسة، وبقيت على هذا الوضع إلى سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، كما تحقق لي ذلك من حجة وقف الملك

(١) دار نصر بن عباس: كانت في درب شمس الدولة، عرفت بالوزير عباس بن باديس، ولي الغربية، ثم الوزارة في عهد الخليفة الفائز حتى قتله ابنه نصر، عرفت بدار جبر بن القاسم، ثم عرفت بدار المأمون ابن البطائحي، ثم عرفت بدار تقي الدين صاحب حماة، ثم خربت وحكر مكانها، فصار يعرف بحكر صاحب حماة، وبنى فيه عدة دور، وموضعه الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس الذي يعرف بحمام الكويك، انظر: المرجع السابق: ١٨٣-١٨٥، المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ٨٨، ١٤٧؛ هامش ٣١٨، ٥٠٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٢٩٠، هامش ١.

(٢) منزل الجوهري أثر مسجل يتبع وزارة الآثار (المراجع).

(٣) منزل رقم٧ شارع سوق الصيارفة الكبير أثر مسجل «منزل وقف الملا»، وله رقم آخر بشارع سوق الصيارفة الصغير (المراجع).

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٨٥-٨٧.

الأشرف برسباي المحررة في هذه السنة، وهو ما طابق قول المقريزي.

وكان لإيوان الحنفية فيها باب قبلي شارع إلى درب شمس الدولة، وقد بقيت على هذا الوضع حتى قام الأمير عبد الرحمن كتخدا بتجديدها، فهدم المسجد المعلق وجعل من إيوان الحنفية بيتًا للصلاة، ووسعه وأقام به خطبة، وجدد مشهد الشيخ المطهر شيخ فقهائها السابقين، وكان بعد موته قد دفن في مؤخر الإيوان إلى الجهة القبلية وبنى تجاهه مدفنًا لأمه دفنت فيه بعد وفاتها وهو باق للآن بتركيبته الرخامية الجميلة[1].

ولم يبق من آثار المدرسة السيوفية إلا مسقط إيوان الحنفية وملحقاته والباب القبلي وقبة وضريح الشيخ المطهر، ولم يتغير في وضع هذا المسجد شيء ألبتة، غير أنه في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، وضع مهندسو الحملة الفرنسية التي أغارت على مصر مشروعًا لتوسيع الشوارع، ومن هذه المشاريع توسيع سوق الصنادقيين من خط الطارمة (الشنواني) حتى قنطرة الموسكي والقبة الزرقاء، ولكن هذا المشروع لم يتم إلا في سنة (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م) في ١٧ محرم من هذه السنة، اجتمع مجلس التنظيم بمحافظة مصر ووضع مشروع توسعة هذه المنطقة وهو المشروع رقم ٩٣١ سنة (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م)، فاقتضى هذا المشروع وصل سوق الصنادقيين وتوسعته حتى قنطرة الموسكي ثم تسميته بالسكة الجديدة، وقضى هذا التنظيم بشطر درب شمس الدولة إلى شطرين بحري وقبلي وأبقى المشروع من حقوق درب شمس الدولة وكالة أبي زيد أحمد أبو زيد أبو عوض العطار وهي المعروفة بوكالة أبي زيد حتى الآن لبيع العطارة والبهار تجاه عطفة الأزهري.

والمدرسة السيوفية حاليًّا هي من وضع عبد الرحمن كتخدا، وإيوان الحنفية يدخل إليه من الباب الشرقي القائم على رأسه السبيل والمكتب إلى رواق ثم إلى إيوان الصلاة ويعترض ضريح الشيخ المطهر ومدفن السيدة آمنة بنت حسن جوربجي الغندقجي أم الأمير عبد الرحمن المذكور، وزوجة المرحوم سليمان كتخدا جاويشان بالجانب القبلي باب المسجد الموصود، وأعلاه إلى جهة الشرق بقايا مساكن فقهاء الحنفية وهذا الجانب يحمل رقم ٥٨ من شارع السكة الجديدة حاليًّا.

هذا ما تحقق لي من واقع هذه الدراسة عن هذا المسجد الذي عرف بالمشهد أولًا، ثم عرف بالحلبيين، وبالمدرسة القادرية، وأخيرًا الجامع الجوهري، ويزيد هذا التحقيق توكيدًا يطرح كل شك في وجود ضريح زين الدين عبد العزيز وذويه بالمسجد، في المقاصير المصنوعة من الخشب الخرط، والتي دفن فيها الشيخ الجوهري وأسلافه، وعلى واحدة من هذه المقاصير نص تاريخي ثابت به وفاة الشيخ المذكور وتاريخ وفاته.

وقد كانت لجنة الآثار الإسلامية تحتفظ بهذا المسجد كأثر من سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م)، فلما لفتنا نظر القائمين عليها إلى أن الاحتفاظ به كأثر يتقدم على هذا التاريخ بوجود هذه المقاصير من القرن التاسع الهجري عدلت تسجيله إلى هذا العصر، وعلى ما مقتضاه عن هذا المسجد يكون ما ذكره المرحوم علي باشا مبارك ومن تبعه من المدفوعين للكتابة عن هذه المعالم مردود من أساسه ولا تبدو عليه لوائح الصحة.

---

(١) جدد عبد الرحمن كتخدا المدرسة السيوفية التي كانت تعرف باسم الشيخ مطهر بخط باب الزهومة، وبنى لوالدته بها مدفنًا، انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٩.

وفاة الملك الصالح

يقـــول المقريزي في ترجمته: «لما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال في هذه الليلـــة ضرب في مثلها أمير المؤمنين علي بـــن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأمر بقرب مختلفة فاغتسل وصلى على رأي الإمامية مائة وعشرين ركعة أحيا بها ليله، وخرج ليركب فتعثر وســـقطت عمامته عن رأسه، فقعـــد في دهليز دار الوزارة وأمر بإحضار ابن الضيف وكان ينعم للخلفاء والـــوزراء وله على ذلك الجاري، فلما أخذ في إصلاح العمامة قال رجب للصالح: نســـتعيذ بالله مولانا، ويكفيه هذا الذي جرى أمر يتطـــير منه فإن رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل فقال: الطيرة من الشـــيطان ليس إلى تأخير الركوب ســـبيل وركب فما إن خرج من القصر حتى وقف له رجال العاضد فضربوه حتى ســـقط على الأرض على وجهه، وحمل جريحًا لا يسعى إلى داره[1]، فمات يوم الاثنين ١٩ من شهر رمضان سنة ست وخمسين وستمائة[2] ، ودفن بدار الوزارة الأفضلية بالقاهرة، ثم نقلت رفاته بعد عام من دفنه إلى تربته بالقرافة الكبرى»[3]، ورثاه الشاعر عمارة المذكور بقوله:

يا مطلق الـعـبرات وهي غزار
ومقيد الـزفـرات وهي حـرار
ما بـال دمعك وهـو مـاء سافح
يـذكي بـه مـن حـر قلبك نار
لا تتخذني قـدوة لك في الأسى
فـلدي مـنـه مـشـاعـر وشـعـار
خفض عليك فـإن زنـد بليتي
وأر وفي صـدري هـدى وأوار
إن كان في يـدك الخيار فإنني
ولهـان لـم أتـرك ولـم أختار
في كل يـوم لي حنين فصلته
بـودي بها بعد الحـوار حـوار
على هدت دمعي أن يفر فخانتني
قلب لسائله الهـجـوم قـرار
عـل عند محتضر يسير بليته
إن الصغار مـن الهـموم كبار

أولاد الملك الصالح

وكان للملـــك الصالح أولاد منهم ابنة زوجها للخليفة العاضد تسمى قصة، وابنة أخرى تزوجها الأمير حسين بن أبي اليجارين منطـــلان الكردي رزق منها بابنه تاج الدولة بدران، وابنه العادل رزيك، قتله شاور بن مجير وقطع رأسه ورفع في طست إلى شـــاور فمثل به ثم دفن مع جثته، ورثاه الشاعر عمارة بقوله:

أعـزز علي أبـا شجاع أن أرى
ذاك الجبين مـضرجًـا بدمائه
مـا قلبته سـوى رجـال قلبوا
أيـديـهـم مـن قبل في نعمائه

(١) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٤٦-٢٤٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٧٠؛ المقريزي، **المنتقى من أخبار مصر**: ١٤٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٨٣.

(٢) استشهد الإمام علي بالكوفة في ليلة الأحد ١٩ رمضان سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م). (المؤلف)

(٣) دفن الصالح طلائع في تربته الملاصقة من الناحية الغربية لمسجده الذي بناه في القرافة الكبرى في خط الجامع المعروف بجامع الأولياء، وعرف هذا الجامع بمسجد الصالح، ومسجد بني عبيد الله، ومسجد القبة، ومسجد العزاء، وكان في أعلاه منظرة، وعمارته متقنة، وبقي هذا المسجد إلى ما بعد سنة ثمانمائة. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٥١، هامش ٤؛=

= المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨٨؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٢٩٢-٢٩٣.

وقد استأصل شاور وشقيقه أبناء رزيك وقرابته حتى لم يبق منهم ذا شأن(١).

عمارة يرثي طلائع بن رزيك

ولعمارة مراثٍ في الصالح طلائع بن رزيك بكاه فيها منها قوله:

صحت بدولتك الأيـام في سقم
وزال ما يشتكيه الدهر من ألم

زالت ليالي بن رزيك وانصرفت
والمـدح والذم فيها غير منصرم

كان صالحهم يومًا دعسًا ولهم
في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

إلى آخر الأبيات وقد أفردت للملك الصالح طلائع بن رزيك والدولة الفاطمية تأليفًا مســتقلاً أحطت فيه بما لا أستطيع الإحاطة به هنا لطوله فليرجع إليه(٢).

---

(١) عن نهاية دولة أبناء الصالح طلائع بن رزيك على يد الوزير شاور في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٢٥٧-٢٥٩.

(٢) عن رثاء الشاعر عمارة اليمني للدولة الفاطمية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٦٠٦- ٦٠٧.